المهدي (ع) والرؤية الكونية في الفكر الإنساني

دراسة في المدلولات الفلسفية وتطبيقاتها

تأليف

أحمد الجبوري

الإهداء

إلى العابرينَ في دَمي قَبلَ المُصادَرة ، والمُتَحدِّرينَ مِثلَ وَشَلِ الضوءِ من خلفِ نافِذَةِ الأبَديّة ، تذكّروا دائِمًا . بأنَّ الذي فَكَّرَ بِكم أصبَحَ فانياً " بَعدَ أن تُولَدوا من سديمِ النجمة " !

قصيدة الإفتتاح للمؤلف

كُلُّ العُيونِ بِلَهفَةٍ تَتَرَقَّـــــــــبُ رُؤياكَ يَامَن في هوَاكَ أُعَـــــذَّبُ

يا سيّدي طالَ الـــجفاءُ فهَل تَرى لِسِوَاكَ مِثلي في البَريَّةِ يَرْغَـــــبُ [١]

وَلَقَد تَقَطَّعَ خافقـــــــي ممّا أرى فالـدينُ زُيِّفَ والشّريعَةُ تُنْهـــــَبُ [٢]

وَطَغى الرُعَاةُ فَلَيسَ فِيهِمْ صـالِـحٌ والنَّارُ في قَمْحِ الرّعيَّةِ تَلْهَـــــبُ [٣]

سَرقواالشُعُوبَ فَراكَموا ذَهَبًا وَكَـمْ للشَعْبِ مِن جُرحٍ عَمِيقٍ يَشْخَـــــبُ [٤]

وهَويَّةُ الإنسَانِ ضَاعَتْ بَعدَمَـــــا أضحـــى الهِزَبْرُ مِنَ الجَرَادَةِ يَهرُبُ [٥]

غابَتْ شُمُوسُ العَقلِ خَلفَ جهَالَـةٍ ومُصِيبَةٌ أنَّ العُقُـــــــــولَ تُغَيَّبُ

فَطَفى لِسَطحِ الوَضْعِ مُنْحَرِفٌ وَما يَطـــــــــفو ثقيلٌ بِالحَجا يَتَأَشَّبُ [٦]

ومَضى زمَانُ الحُبِّ حتى لَم يَـعُد إلا التَبَاغُضُ بينـــــــــنا يَتَوَثَّبُ [٧]

فصَلاحُ قَومٍ عِندَ قَومٍ كِـــــذبَةٌ وكِلاهُما عِندَ الحقيقَـــــــةِ يَكذُبُ

ومَهَمَّةُ التأريخِ تَزويرُ الـــرُؤى فالحُرُّ يُبعَدُ والعَبيـــــــــدُ تُقَرَّبُ [٨]

---

١ - البرية : الناس

٢ - خافقي : قلبي

٣ - الرعاة : الحكام

٤ - يشخب : يتفجر دمُه ويسيل

٥ - الهزبر : الأسد

٦ - الحجا : العقل ، و يتأشب يختلط ويمتزج

٧ - يتوثب : يقوم بالقفز

٨ - الرؤى : هنا بمعنى الآراء

فَتَآكَلَتْ كُلُّ الحَقائِقِ وابتـــــــدى عَصرٌ بِهِ كَفُّ الخَديعَةِ يَلعَـــبُ

حتى الحُرُوفُ تَغَيَّرَتْ فَكَأنَّـــــهَا مَمْسُوخَةٌ أو دونَ وَعــيٍ تُكتَبُ[1]

زَمَنٌ أبَاحَ العُهرَ دينًا وانتهـــــى للقولِ إنَّ الإنفِلاَتَ مُحَبَّـــــبُ

هل نَرتَجي مِنهُ الصّلاَحَ وَمَنْ بــِهِ خِرفَانٌ حَقـــــلٍ والبَقيَّةُ أَذْؤبُ[2]

وَتَطَاوَلَ السَغَبُ اللَعِـــــينُ فإنَّـــهُ مِنْ دونِ شَكٍّ في مَجيئِكَ يَذهَبُ[3]

فَاسْرِع فَدَتْكَ النَفسُ يا مَنْ أمْـــرُهُ إلا عَلَى الدَهمَاءِ دومَاً يُحجَـــبُ[4]

****

قالوا خُرَافَةَ راهِبٍ مُتَصـــــوِّفٍ مِنْ أيّ جُبٍ مُبهَمٍ قـــــد يَشرَبُ[5]

ما قِصَّةُ (المَهديِّ) إلا بِدعَـــــةٌ للبَعضِ فيــها غايَةٌ أو مـــأرِبُ[6]

فَأجَبتُهُمْ كـــــلا فإنَّ عَقيدَةَ الـــــ المَهديِّ سِرٌّ للوجودِ ومَكسَـــبُ

هوَ غايَةُ الخَلْقِ التي مِنْ أجلِهـــا ينشَّقُ نَهرٌ أو يُفَجَّرُ كوكَـــــبُ

وَهوَ السّنا الموعُودُ ظَلَّ مُخَبَّئـــاً في خيرِ أصلابِ الرِجَالِ يُقَلَّـــبُ[7]

حتى حَبانا (العَسكَريُّ)بِنُطْفَـــــةٍ عُقِدَتْ ولِلنَبَأ المُعَظّـــمِ تُنْسَبُ[8]

---

١ - ممسوخة : من المسخ . وهو تحوّل صورة الى صورة أدنى

٢ - أَذْؤبُ : ذئاب

٣ - السغب : الجوع

٤ - الدهماء : عوام الناس

٥ - الجُب : هو البئر

٦ - المأرب : الغاية والبُغية

٧ - السنا : الضوء

٨ - حبانا : يُقال حبا من حوله أي حماه ، والعسكري : هو الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت وهو والد المخلّص الموعود ، وعقدت : أي تمت

فَتَبَاشَرَتْ دُنيا الهُدى بِمَجيئِـــــهِ وَاسْتُلَّ مِنْ لَوحِ الخلُودِ الغَيـــــهَبُ[1]

وَتَلـــى نَشيداً للخلاصِ فَصَوتُــهُ إن طالَ أفئِدَةَ الجَـــنـــــادِلِ تَطْرِبُ[2]

مِـــــنْ ألفِ عامٍ ظَلَّ مُختَفيًا إلى حينِ الظهُورِ وللحَوَادِثِ يَرقُـــــبُ

ويُتابِعُ الأنمَاطَ كيـــــفَ مَسيرُها أو كَيفَ تُمْتَهَنُ الشُعُوبُ وَتُرْكَـــبُ[3]

حتى إذا آنَ الآوَانُ تَحَلَّقَـــــــتْ مِنْ حَولِهِ بِيضٌ تَجُـــــدُّ وتُرعِبُ[4]

عَمّا قَريبٍ كُلَّ كَـــربٍ يَنجَلْـــي وَالسَبْسَبُ القَفرى تَفُورُ وَتُخصِـبُ[5]

يَنزَاحُ مِنْ كَتِفِ العَوَالِمِ ثُقلُـــها فالعَيشُ سَعْـــــــدٌ والأُمُورُ تُرَتَّبُ

حتى وحُوشُ البَرِ بَعدَ فَسَادِهـــا تُفشـــــي السَـــلامَ ورغبَةً تَتَرَهَبُ[6]

يا سيّدي هذا رجـــــــاءُ مُؤَمِّلٍ قَدْ جاءَ في هَذي القَصِيـــدَةِ يُعرِبُ

عَن دَعوَةِ التَعجيلِ فاسرِع إنَّنـــا نَحوَ الهلاكِ وللتفاني نُســـــــحَبُ[7]

للمؤلف

أحمد الجبوري

---

١ - الغيهب : الظلمة الشديدة

٢ - أفئدة : جمع فؤاد وهو القلب ، والجنادل : الصخور

٣ - تُمتَهن : يُقال امتهن الشيء - أي ابتذله واحتقره

٤ - تحلّقت : أي أصبحت حلقات ، والبيض : هي السيوف ، وتجدُّ : أي تقطع

٥ - الكرب : هو الحزن والغم ، والسبسب : الصحراء ، والقفرى : أي المقفرة اليابسة الخالية من الحياة ، وتخصب : أي تكون خصبة

٦ - تترهب : تصبح راهبة

٧ - التفاني : هنا بمعنى الفناء

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي قَصُرَ عن الوفاءِ بِحَقِّهِ الشاكرين ، وَعَجِزَ عن الثناءِ عليهِ الحامدين ، وبَعُدَ إحصاءُ نِعَمِهِ على العادِّين ، أحمُدُهُ حَمْداً بِعَدَدِ أفضَالِهِ وَنِعمَائِهْ ، وأشكُرُهُ على لطيفِ حُكْمِهِ وَقضَائِهْ ، وأسأَلُهُ المَزيدَ مِن خَيرِهِ وآلائِهْ ، وَأستَعينُ بِهِ استِعانَةَ مَن لا ناصِرَ لَهُ غَيرُهْ ، وأستَغِيثُ بِهِ استِغَاثَةَ مَن فاضَ شَرُّهُ وانْحَسَرَ خَيْرُهْ ، وأتَوَسَّلُهُ تَوَسُّلَ مَن جَفَّ يَمُّهُ وأقْفَرَ بَرُّهْ ، وأشهَدُ أن لَا إله إلا الله ، شهادَةً مِن مُوقِنٍ بِوِحدانِيَتِهْ ، وَقاطِعٍ بِفَرْدانِيَتِهْ ، وَمُسَلِّمَاً بِربُوبِيَّتِهْ ، وَخاضِعاً لأوَامِرِهِ وأحكَامِهْ ، وآخِذَاً بِحَلَالِهِ وَمُجَانِبَاً لِحَرَامِهْ ، وأشهَدُ أنَّ مُحَمَّدَاً عَبدُهُ وَرَسُولُهْ ، بَعَثَهُ والنَّاسُ بينَ كافِرٍ وَجَاهِلْ ، وهَابِطٍ وَمُتَسَافِلْ ، فَرَتَقَ بِشَرِيعَتِهِ العيوبْ ، وَ بَلَّغَ عمّا اسْتَتَرَ في الغيوبْ ، بِهِ تُستَنْزَلُ البَرَكَةُ مِنَ السَّماءْ ، وَبِنُورِهِ يَهتَدي التّائِهُونَ في الظَلّماءْ ، صَلَوَاتُ الله عليهِ وَعَلَى آلهِ أعلامُ البريَّةْ ،والقائِمونَ على الشَرِيعَةِ المُحَمَّدِيَّةْ ، سَدَنَةُ أبوَابِ القُرآنْ ، وأشرَفُ الإنْسِ والجانْ ، أمَّا بَعدُ . . .

فهذهِ دراسةٌ تتناولُ القضية المهدوية أُقدِّمُها للقُرّاءِ الكرامِ بهيئَةٍ وصورةٍ جديدةٍ لم يَسبُق على حدِّ اطلاعي لأحدٍ أن عرَضَ هذهِ القضية بِشكلها الموجودِ في هذهِ الدراسة .

فُمنذُ ما يُقارب السنة طرأ على أفكاري نمط جديد من التحوّلات التي جعلتني أنتبه إلى أنَّ هُناكَ ثغرة واسعة بينَ القواعد الإجتماعية والشعبية العامة وبينَ ما يتم تداولهُ في الحلقات العلمية الخاصة ، فاللغة التي تُستَعمل في الأوساط الفكرية والعلمية والثقافية . لغة تمتلك من التحصين ضد عقول عامة الناس ما يجعلها بمثابة السور الذي يمنع أي أحد خارج المؤسسة الدينية أو العلمية أو الفكرية من الإطلاع على أهم ما يدور في أروقَتِها وبالأخص تلك القضايا التي يُعنى بها جميع الناس دون النظر لمُستوَياتِهم العلمية والفكرية ، ذلك أن عامة الناس تحتاج من جهة لفهم عميق لهذه القضايا ومن جهة أخرى فغالبهم لا يمتلك الإمكانات التي تسمح لهُ بالتعرُّف والوصول لعمق هذه القضايا ، وما ذلك المانع والحاجز إلا تلك اللغة المُعقّدة وخصوصاً في الفلسفة !

إن انشطارات التوجه بين الخاص والعام ولاسيما في الأطاريح ذات الطابع العَقَدي يتمخض عنها ضبابية المدلول ، ممّا يُسهِم في إيجاد نوعين من المعرفة ، أولُهُما ما يتم تداوله في الأوساط العلمية والتي تتشكل من أشخاص لا شُغل شاغل لهم إلا هذه المعرفة وهي نظام حياة بالنسبة إليهم ، وثانِيهِما هي تلك المعرفة المنقوصة التي يتوافر عليها عامة الناس خصوصاً من لا يجدون من الوقت الشيء الكافي للإستحواذ على قدر عالي من الإمكانات التي تجعلهم مؤهلين للتعاطي مع هاتيك المعارف بذات الصيغة التي يتعاطى معها المُنتسبون للطبقة الأولى ، ولذا ارتأيت أن أضع هذه الدراسة بالإسلوب الذي يجعلها ليّنة بسيطة وبعيدة كل البُعد عن التعقيد الموجود في أروقة البحث العلمي . . .

إننا أمام قضية من الطراز الذي يجتمع عليه الكل ولكن يختلف عليه الكل ! إذ إن القضية المهدوية كما نصطلح عليها نحن المسلمون تتجاوز في مدَياتِها وآفاقِها الإطار الإسلامي أو حتى الديني ، فهي قضية من النتاجات الطبيعية للوجود الإنساني و ليست قضية دينية بحتة بل إن جُزء منها له طابع ديني وأما القضية كَكُل ترتبط جملةً وتفصيلاً بالوجود الإنساني ، وهي ثمرة من ثمار الوعي الذي يربط الخاص بالعام ، وهذا الوعي هو المُترجم عن الوجود الإنساني ، إذ إن قضايا مثل البعث والخلود ومن أين جئنا وكيف بدأ كل شيء وكيف سينتهي كل شيء ومبدأ الثواب والعقاب ونهاية العالم والميتافيزيقا والأنطلوجيا والأبستملوجيا والأكسيلوجيا الى آخر القائمة التي تطول ؟ كل هذه المباحث لا تُهم غير الإنسان ، فباقي الموجودات كالحيوانات والنباتات مثلاً . لا يعنيها التفكير في هل أن هناك عالماً بعد هذا العالم أم لا أو هل أن الأصالة للوجود أم للماهية ؟ ، فهذه المباحث من مُختصات الوعي الإنساني ولذا فهذه القضية التي نحن بصددها الآن هي انتاج عقلي انساني صِرف ولكن هذا الإنتاج العقلي لا يخرج عن دائرة القدرة الإلهية !

بمعنى أننا لا نستطيع فصل أي مُنتج عقلي إنساني عن المُطلق الكُلي القادر العالِم الأزلي ، ذلك أن أي فعالية من فعاليات هذا الكائن الذي نُسميه إنسان لها مصدر مضافاً للغاية وإذا أمكننا التعرُّف على الغاية فلا يمكن التعرُّف على المصدر ولهذا تجلَّت هذه القضية وظهرت في جملةِ ما ظهرت في الدين ، فمع وجودها في الفلسفة وبقوة و وجودها في العلم أيضاً لكن بشكل شبه مخفي ! ظهرت كذلك في الدين وانتجت شخصيات كثيرة تتعدد في مصاديقِها مع وحدة المفهوم فوجِد تِبعاً لهذا ، المهدي ، والماشيح ، وابن الإنسان ، وكريشنا ، والإنسان الأعلى ، وهكذا فكل هذه الشخصيات ماهي إلا ترجمة عن مفهوم واحد وقضية واحدة !

إن عقيدة مجيء مُخلِّص ينتشل البشرية من بين أفكاك الظلم والتَجَبُّر والفقر والضعف ويقضي على مظاهر الفساد والطُغيان والتسلُّط والإستكبار . عقيدة إنسانية بحتة وهي من الأهمية بحيث يُمكننا أن نقول بضرسٍ قاطعٍ أنها تأصَّلت في الوجدان الإنساني أكثر من أي قضية أُخرى ، فحتى قضية وجود الإله من عدمه لم تأخُذ مثلَ هذه المساحة من الفكر الإنساني ، ذلك أن قضية إثبات وجود الإله أو عدم وجوده تبقى قضية فردية يتم قبولها أو رفضها بشكل فردي وتِبعاً للحُجج والبراهين التي توَلِد القناعة عند الأفراد بالرفض أو القبول مع الأخذ بنظر الإعتبار أن كل ما يُمكن الحديث عنه ههنا هو خارج مدار الحس والمُشاهدة والإثبات التأريخي والعلمي ، أما القضية المهدوية فهي تتجاوز الفردانية لتَندَفِع باتجاه المجتمع الإنساني كَكُل غير مُجزَّأ و تقودُ ذلك المجتمع نحو الغاية التي لا مناص من الوصول إليها بحركة تأريخية بدأت من معنى وجود الإنسان وتنتهي لوصوله لأقصى ما يُمكن أن يوفِّره ذلك الوجود من مراتب الكمال ، ومن هنا تمظهرت هذه القضية في أكثر مفاصل الإنتاج الفكري الإنساني فتراها حاضرة في الآداب والفنون والمثلوجيا والفلسفة والتصوّف والعلم والدين والتاريخ ، بل لا يُمكن أن تجد أي فرع من فروع الإنتاج الإبداعي والفكري والعقلي الإنساني إلا وهناك ما يرتبط بهذه القضية ، لا بل شخصياً أعتقد أن كُل فعالية من الفعاليات التي انطوى عليها هذا الوجود هي تصُب في رافد هذه القضية و تتجه باتجاهها وإن غاب هذا عن الكثيرين بل عن الأكثر وهذا عين الفرق بين الفيلسوف وبين غير الفيلسوف !

إن مهمة الفلسفة الأولى باعتقادي هي بناء قواعد رصينة للهرم الوجودي الإنساني ، وهذا ما يُفسِّر حاجة كل العلوم والمعارف والفنون الإنسانية للفلسفة دون حاجة الفلسفة لشيء يُذكر من كل ما تقدَّم .

وبما أن العالَم هو المسرح الذي تتحرك عليه الأحداث كان ولابد من الإلتفات لِما يُعطيه هذا العالَم من قراءات ودلالات تُحدّد طبيعة ارتباطه و وثاقة ذلك اللون من الإرتباطات مع الوجود الإنساني ، ومن هنا تَوَجَّبَ على الفلسفة سبرُ أغوار هذا العالَم والبحث بين طياته وأزقته المخفية عمّا يُفترض أنه حلقة الوصل المفقودة بين المعنى والواقع ، فواقع أن الإنسان يُفكِّر لا يعني أنه موجود كما يذهب لذلك " رينيه ديكارت " إذ إن التفكير هو الآخر عملية تحتاج لوجود سابق عليها وهذا الوجود السابق على عملية التفكير له دون ريبٍ أو شكٍّ معنى ، ومعناه هو التفكير ولا شيء آخر !

وإذا ما طرحنا السؤال التالي [ما معنى وجود العالَم ؟] وعزلناه عن الرؤى الأُخرى وعالجناه بالمنهج الفلسفي الصِرف ستأتي النتائج أكبر من المُقدِّمات باعتبار أن المُقدِّمات هي خُلاصة البحث الفردي والذي سينتهي بكل تأكيد لإنتاج جمعي أما من خلال التعاطي معه نظرياً و وفق الأُطر النقدية أو من خلال الرؤية الغائية التي سيُقدِّمها ذلك البحث !

وعلى هذه الأُسُس جاءت هذه الدراسة التي انطلقت للبحث خلف معنى وجود هذا العالَم وتصحيح مسار الفهم الخطأ لطبيعته عند الكثير من الناس بل عند بعض العُلماء للأسف البالغ ، وانتهت لإثبات الوحدة بين أجزاء هذا العالَم ثم انتقلت لربط جميع المُقدِّمات بغاياتِها بِفَضل منهج استدلالي مُبسَّط ومفهوم وفي مُتناول الجميع ، وبما أن الناس تتفاوت في التوجه والأيدلوجيا فمنهم من يقبل بالرؤية الدينية فيما يُعاكِسه في التوجه من يرفض أي فكرة دون البراهين العلمية ، كما هناك دائِماً الذي لا يقبل إلا مُقررات البحث العقلي الفلسفي ، فبما أن الناس كُلٌّ له طريق في قبول أو رفض فكرة ما حاولت جهد الإمكان الجمع بين الركائز الثلاثة الأهم التي يقوم عليها الفكر الإنساني وهي ، الدين ، العلم ، الفلسفة ، في تقديم قراءة جديدة في اسلوبها ولُغتِها ، فمع أن هناك المئات إن لم يكُن الآلاف من الكُتب التي كُتبت في هذا الموضوع إلا أن أغلبها أو كُلها إلا ما نَدر تناولت هذه القضية بتوجه مُعيّن دون الإنتباه إلى أن ما يُعطي لهذه القضية قوتها الحقيقة هوَ طابِعُها الإنساني البحت ، فقد يُنكر الشيوعي المُلحد مثلاً وجود الإله أو التسليم بضرورة الدين إن لم يكُن قائِلاً ومُعتقداً بأنه "أفيون الشعوب ! " فقد يُنكر مثل هذا الشخص وجود الإله والحاجة للدين لكنه في ذات الوقت غير قادر على إنكار أن الإرتقاء نحو الأفضل هو سُنة فعلية في هذا النظام الكوني العام وبما أن أي مجتمع يرتقي نحو الأفضل لابد له من قيادة وهو لا يُنكر هذا . على الأقل في التحوّلات الأولى لذلك المجتمع ! فبهذا يستوي الذي يؤمن ببشارة الدين بمجيء المُخلِّص مع الشخص الذي يرفض فكرة وجود الإله أو الحاجة للدين !

ثم عالج هذا الكتاب وهذه الدراسة مُشكلة أُخرى وهي مُشكلة نهاية العالَم وفناء البشرية بعد أن ركَّزت على المفهوم الإسلامي بصورة خاصة والذي يُمكن من خلاله رفع المُشكلة في المفاهيم الموجودة في الأديان الأخرى وبالأخص الإبراهيمية منها ، إذ أن في البوذية مثلاً تتواجد نظرية التناسُخ والتي قد تحُل مشكلة الفناء الإنساني لكنّها لا تُجيب عن الصورة الكاملة للنظام الكوني العام وهي غير قابلة للإثبات لا فلسفياً ولا علمياً ولا دينياً باستثناء الإعتقاد الديني المثلوجي الجهوي الذي يقف خلفها .

وبغض النظر عن انتمائي الديني والمذهبي والفكري فقد طرحت الأفكار في هذا الكتاب بصيغة قد يراها الجميع وعلى اختلاف عقائِدهم ومُتبنياتهم مُناسبة ومُنسجمة تمام الإنسجام مع ما لديهم من ثوابت دينية أو علمية أو فلسفية وهذا ما يُميِّز هذه الدراسة باعتقادي الشخصي ، وقد بوَّبتُها في ثمان فصول تتواتر بشكل إطرادي للأعلى وبوتيرة تصاعُدية لتنتهي للنتيجة المرجوة من خلفها .

إنني أعتقد بل أجزم بضرورة أن نُسارع إلى تغيير لغة الخطاب النُخبوي الذي ينتهجه من يملكون سلطة المعرفة ، ذلك أن التحوّلات التي شهدتها مجتمعات الشرق الإسلامي بالأخص وفي العقدين الأخيرين بالذات تُحتم على الجميع إدخال تكتيكات أكثر حداثة وديناميكية على كامل المنظومة الفكرية التي عرفتها طبقات هذا الشرق !

وكل هذا يتوجب أن يحدُث بالطريقة التي تُحافظ على القيمة الفعلية للموروث الديني والأخلاقي والإجتماعي والفكري والثقافي لهذه المنطقة من العالم ، مع إضفاء الطابع الحداثوي على ما لدينا من اعتقادات أو توجُهات وإلا فالوضع يشهد المزيد من الإنفتاح على ثقافات مُغايرة لثقافتنا وهذا يُحمِّل النُخب الفكرية مسؤولية الحفاظ على الموروث الذي نعتقد أنه موروث ناضج ويمتلك كل مقومات البقاء إذا ما تم تطوير الخطاب الناقل لأهم ما يعرضُه هذا الموروث .

إن الإطلاع على باقي الثقافات ليس أمراً سلبياً أبداً ، لا بل هو أمر أساسي إن لم يكن واجباً شرعياً وأخلاقياً وفكرياً ، لكن الحاصل اليوم هو انفتاح الشباب بالخصوص على ثقافات أخرى يجدون فيها من البساطة في الطرح ما يجعلها لينة وسهلة وطيّعة وقابلة للهضم فيما تفتقر ثقافتنا نحن لمثل هذه العوامل ، وهذا أسهم في ابتعاد الكثير منهم عن ثقافتهم الأُم لأنهم لا يمتلكون أدوات تفكيك هذه الثقافة ولذا فقد وجدوا في غيرها ملاذاً آمناً وهنا يكمن الجانب السلبي في الإنفتاح على ثقافات أخرى ، أي أن الإنفتاح على الثقافات الأخرى يكون سلبياً حين لا يتوفر تحصين فكري للثقافة الأُم ، وهذه الدراسة هي مُحاولة لإيصال خطاب جديد للجيل الصاعد مفاده أن لا تبتعدوا عن موروثكم فهو يمتلك من القوة ما لا يمتلكه أي موروث فكري آخر ، فقد يعجز العلماني أو الملحد أو الرأسمالي عن إثبات بعض نظرياته بأدلة من داخل منظومة الفكر الديني أو العلمي أو الفلسفي ، بينما موروثكم أنتم قادر على اثبات كل ما يدعيه من مصادر الآخرين ، بل يمكن القول وبضرس قاطع أن كل ما في هذا الموروث لا يمكن دحضه أو رفضه لا ببرهان عقلي ولا ببرهان علمي ولا ببرهان ديني ، فيما هو يمتلك كل مقومات الإثبات والنجاح ولا يمتلك أحد كائن من يكن أدنى قوة للرد عليه أو تفنيد آراءه أو مُقارعتها على حلبة الصراع الفكري العالمي .

لكن مُشكلة هذا الموروث هو لغة الخطاب المُعقدة التي أنتجت طبقية معرفية جعلت سلطة المعرفة بيد جهات مُعينة فيما باقي جهات المجتمع ظلَّت بمعزل عمّا يدور من بحث فلسفي أو ديني أو علمي ، وهذا يدفعنا لأن نتأمل ونرجو صعود جيل جديد من المفكرين والفلاسفة والعلماء يُسخّرون كل جهد ممكن لتحسين أساليب الخطاب الديني والفكري عموماً وبهذا نُحافظ على موروثنا العقائدي والثقافي ونُحصِّنه من كل ما يمكن أن يُعتبر خطراً عليه .

والله من وراء القصد

الباحث والمُفكِّر الإسلامي

احمد الجبوري

الفصل الأول

العالم كفكرة

إن العالم الذي طالما عرفناه وبمفهوميه الفلسفي والفيزيائي .. وطالما آمنا بضرورة أنه ولابد إن كل شيء فيه غامض غير قابل للتفسير إلا ما ندر ، يبدو أن هذا التصوّر ينجلي بمجرد التوغل في فلسفة هذا العالم ، أي إننا إذا ما تتبعنا النظام العام في هذا العالم بعمق وبنظرة تربط بين الظواهر وبين الإعتقادات الفكرية التي نتبناها وبمختلف توجهاتها سيبدو لنا هذا العالم عبارة عن فكرة كبيرة وكلنا نسير في إطارها بعلم منا أو بدون علم ، ولا شك أن العالم في حقيقته لا يعدو كونه فكرة . وهذه الفكرة وإن اختلفنا في مصدرها إلا أنها في نهاية المطاف لا تعدو هذا الوصف ، فنحن معاشر المؤمنين لا يوجد لدينا مشكلة في هذا المضمار . وأما الطرف النقيض لنا من البشر وإن رفضوا المبدأ الذي نعتقد به من أن للعالم خالق ومدبر ومبدع وهو من ابتدع فكرة هذا العالم مع عدم ملائمة مفهوم (فكرة) لما يُظهره الحق تقدست أسماؤه من موجودات يتجلى فيها إبداعه !.. ولكن هذا من باب تقريب الموضوع ، فمهما اختلفنا في تسمية تلك الفعالية التي لا يمكننا تسميتها حركة فهي بالنسبة لنا وبما يمكننا وعيه وإدراكه وتحليله ،تبقى مجرد فكرة من طرفنا وهذا ما ينصب عليه البحث أي جانبنا نحن وليس جانب الحق سبحانه لأن ذلك الجانب لا إحاطة لنا به ولن تحدث مثل هذه الإحاطة ، فنحن معاشر المؤمنين لا مشكلة لدينا بهذا المفهوم وحتى من ليس مؤمنا فهو لا يُناقش في كون كل تصوراتنا عن العالم ما هي في النهاية سوى مجموعة من الأفكار وبالتالي فقبوله بكون العالم فكرة لا نقاش ولا جدل فيه .

وإذا ما أردنا أن نُفكك هذه الفكرة ونضعها في قالب يكون هو الجامع لكل الفكر الإنساني فسيكون مغزى هذه الفكرة هو الآتي .

(إن العالم يتحرك !) وحركته لوحدها تشكل أهم فكرة يجب أن نضعها نصب أعيُننا لأن هذه الحركة هي الحركة التي يجب أن نُحمِّلها كل شيء وفيها يكمن كل شيء .وكل شيء يتأتى من هذه الحركة ، وحتى لو كان افتراض عدم وجود واقع موضوعي لهذا العالم خارج الذهن .بما أنه يوجد تيار فكري يتبنى هذا الطرح ، فهذا لا ينفي مفهوم الحركة لأن مجرد وجود تصوّر للعالم هو بحد ذاته حركة وهذه الحركة هي كل ما يكفينا لنفهم فحوى بحثنا هذا .

العالم من وجهة النظر الدينية

إن الدين هو المظهر الأسمى لإنسانية الإنسان ، وبما أنه هكذا فهو لا يضع ولا يُعطي الإحترام لأي شيء إلا لكون أن للإنسان في تشكيل ذلك الشيء تَدَخُل من نوع ما !

فليس هناك شيء يمكن أن يكون أثمن أو أقدس من الإنسان في كامل منظومة العالم ، والعالم من وجهة نظر الدين ليس هذا العالم الذي نراه ونعيش فيه فحسب . بل هو أعمق وأكبر من أن نستطيع الإحاطة به وما عالمنا هذا إلا محطة من محطات ذلك العالم الذي يتكلم عنه الدين ،وهذه المحطة أي عالمنا هذا لم يكُن ليأخذ قيمته أبدا إلا من خلال وجود الإنسان فيه ! ، أي إذا أردنا أن نُقرب فكرة الدين لأذهاننا فعلينا أن نفترض هذا الإفتراض .

(ما معنى وما قيمة وجود وردة جميلة وفوّاحة بالعطر دون أن يكون هناك من رأى جمالها وشم عطرها !)

فهذه الوردة وإن كان جمالها نابعاً دون تدخل أحد وهي بذاتها جميلة لكن ما فائدة جمالها وما فائدة عطرها إذا لم ينظر لها ويشمها أحد ، وهذه الفكرة هي أحد أهم مقتضيات الحكمة الإلهية التي شاءت خلق هذا العالم على تفصيل طويل .

وإذن فالعالم يأخذ قيمته لأنه سبيل الإنسان للكمال وليس لشيء آخر وهذا العالم لا قيمة له مع عدم وجود الإنسان وهو بعبارة أوضح مجرد حلبة كبيرة يتصارع فيها الخير والشر والجمال والقبح وكل الأضداد وعلى الإنسان أن يختار في أي المعسكرين يكون وعلى اختياره هذا يحدد مكانه في العالم الآخر .ولهذا أيضاً فليس هذا العالم سوى محطة ابتلاء وعلى الإنسان أن يجهد ويجتهد في تسخير هذا العالم من أجل أن يصل للكمال المنشود ويرتقي للأعلى ويسير على الصراط المستقيم ليصل للمحطة الأخرى وهو يحمل أعماله في جعبته منتصراً على كل مُغريات العالم المادي !

العالم من وجهة النظر الفلسفية

يبقى إيجاد تعريف واضح ومُتفق عليه من قبل الفلاسفة على رؤية موحدة للعالم مُتعسّراً ،وذلك ليس لسبب أن الفلسفة وليدة تناقض فكري فحسب ، بل لأن الفلاسفة بدورهم ينحازون في كثير من أفكارهم للرأي العامي لو صح لنا التعبير ، وبما أن الناس يتفاوتون في قابلياتهم على استيعاب الأفكار وهضمها فهذا يؤثر بطبيعة الحال في خطاب الفيلسوف لهم ومن هنا ينشأ الإرباك . فيما أعتقد والله أعلم .

ثم إن الفلسفة بطبيعتها ليست متاحة للجميع من حيث قابلية هضمها كما يهضمها الفيلسوف .وبالتالي هي لا تُقدم لمن أراد اجابة سوى المزيد من الأسئلة العالقة في الفضاء المُبهم وبالتالي لن تفعل شيء باستثناء زيادة الحيرة لدى السائل ، فحتى لو أجابت عن السؤال المطروح عليها فهذا لا يرفع حالة الإبهام التي يعيشها السائل لأنها ستفتتح آفاق أخرى لأسئلة أخرى وهذا ما يميزها عن العلم !

اللامحدودية في الطرح الفلسفي هي السمة الأبرز والتي من خلالها تبقى مجالات التفلسُف سالكة لمن شاء الإيغال في عالم الفكر اللامتناهي .

ثم هناك عوامل أُخرى فعلت فعلها في زيادة هذا النفور وزيادة مجهولية الطرح الفلسفي بالنسبة للناس .ومنها .أن هناك ميل لاعتبار الفلسفة عبارة عن زندقة في نظر الكثير من المتدينين ، وتعقيد غير مبرر وإضاعة للوقت في نظر كثير من أصحاب الميل العلمي ، وحتى من لم يكن له ميل لا للتدين المتطرف ولا للآراء العُلمائية المتطرفة . يُحار في أمر الفلسفة ولُجة تعريفاتها .ولهذا ظلت الفلسفة نخبوية ونخبوية بامتياز ، وهذا أسهم في وجود لغط كبير في كثير من الموارد وبالأخص القضايا ذات الطابع فوق الطبيعي أن صح لنا التعبير .

ومنها على سبيل المثال لا الحصر وجهة نظر الفلسفة للعالم ، فأنت إذا ما حاولت تقصّي كلمات الفلاسفة وتعريفاتهم للعالم ستجد نفسك ضائعاً تائهاً في بحر مُتلاطم من الأفكار ولن تكون هناك نتيجة مرجوة من كل هذه الدوامة سوى المزيد والمزيد من التعريفات والأسئلة التي تحتاج بدورها لأجوبة جديدة وبطبيعة الحال هذه هي الفلسفة وهذا هو منهجها كما هو هذا ما لا يستطيع الكثير من الناس أن يفهموه عنها .

وبناءً على ما تقدم دعنا نقرأ العالم فلسفياً ولكن بطريقة يسيرة .

هذا العالم ليس سوى ما تريده أنت ! ، أي أنه ليس أكثر من الطريقة التي تراه أنت فيها . وبغض النظر عن تعريفات الفلاسفة والتي تبقى حِكراً عليهم وعلى من فهم أفكارهم. فبغض النظر عن تلك الأفكار فأنت لديك تصوّر معين عن العالم ونظرة خاصة بك له .. وعلى أساس تلك النظرة أنت ترى العالم ، كما على أساسها أنت تمارس مختلف الفعاليات الحياتية وتبني كامل منظومتك الأخلاقية والعلمية والإجتماعية الى اخره...

ونظرتك الخاصة للعالم تلك في حقيقتها وجوهرها ليست إلا تجلّي وظهور لوجودك العقلي البحت ،ففي كل حركة تأتي بها أنت لست معزولاً عن بُعدك العقلي العميق في ذاتك وإن لم يظهر بجلاء الخيط الرابط بين الحدث وبين ذلك البُعد ،

إن العالم الذي تراه وتتعامل معه إذن ليس عالمي أنا ولا عالم أي أحد غيري بل هو عالمك أنت لوحدك ولا قيمة لهذا العالم إلا من خلالك أنت فأنت من عليه أن يُقرر كيفية وماهية وحيثية هذا العالم .لأن تصوراتك عنه في الحقيقة هي لوحدها ما يُعطيه موضوعية ولا موضوعية له دون أن تكون أنت متواجداً وتعطيه وتضفي عليه تلك الموضوعية لأنه حتى وإن كان لا ينتفي بانتفائك فهو دائما وأبدا ليس إلا ما تراه أنت ، وبما أن للكل غيرك رؤية مخصوصة للعالم فليس من حقهم أو من حقك الإدعاء أنك وهم تعيشون في عالم واحد ، فهو وإن كان واحداً من حيث هو إلا أنه من وجه آخر متعدد بتعدد النظرات له ، وهكذا فإن الفلسفة تتفق مع الدين في أن الإنسان هو من يُضفي ويسحب وجوده على العالم .

العالم من وجهة النظر العلمية

قبل مليارات السنين حدث الإنفجار العظيم دافعاً بالمادة التي كانت مضغوطة ، وبحرارة فائقة وحركة مثلها انضمت العوالق الكونية من غازات وأبخرة الى آخر القائمة...

لتتكون إولى المجرّات والتي ولّدت طاقة من خلال تواجد نجومها الفتية أتاحت تركيب أنظمة نسميها اليوم مجموعات شمسية وهكذا وبعد مرور زمان طويل بالقياس لشعورنا بالزمن جاء للوجود نظامنا الشمسي ، والذي هو عبارة عن عدة من الكواكب تدور حول نجم متوسط الحجم بالغ الروعة أنيق بكل ما للكلمة من معنى وهو من أمدَّ ثالث كواكب مجموعته بالحياة وفي هذه الحال هو الأرض وبعد وصول الماء بطبيعة الحال .

ظهرت إولى مظاهر الإنقلاب الكبير الذي سيحصل على ظهر هذا الكوكب الرائع والمهيب وتعاقبت الدهور ليتحول هذا الكوكب بعد التغيُّرات التي حدثت فيه جيلوجياً وتبدّل خارطته ببحاره وقارته الوحيدة آنذاك لتظهر في النهاية الحياة على سطحه .

ومُذ ذلك الحين وهو يسير على وتيرة مخصوصة به وبنظام خاص به كما أن غيره لديه نظامه الخاص ووتيرته الخاصة وهكذا كل الكون ، فتارةً يضطرب وأُخرى يكون هادئاً وادِعاً وثالثةً يكون عبارة عن جحيم فعلي ورابعة يكون عبارة عن نعيم بكل معنى الكلمة وهكذا .

فهو إذن له نظامه الخاص وطبيعته الخاصة والتي لا يمكننا أن نُحدد علمياً ماهو السر الكامن خلفها .

وحين نريد أن نقرأ العالم علمياً علينا أولاً أن نفهم ماهي وظيفة العلم كي نتجنب اللغط الحاصل والذي تراه جلياً في كل مورد للنقاش .

فليس من وظيفة العلم أن يُقدِّم حكم نهائي في أي قضية من القضايا التي تقع خارج نطاقه وليس تقديم حكم نهائي فحسب بل لا يجوز له أن يُقدِّم مجرّد حكم في هكذا مورد ! ، فوظيفته تقتضي التعامل مع الممكن . وهذا الممكن هو ما يستطيع أن يصل له ويتعامل معه بغض النظر عن الطريقة التي يصل بها ، فبعض الأحيان يُدخِل هذا الممكن للمختبر وبعضها يتعرّف عليه من خلال المُعادلة الرياضية وثالثة من خلال الإستقراء ورابعة من خلال الإستنباط وهكذا دواليك .

فليس من وظائف العلم أن يدّعي أن للعالم خالق أو ليس للعالم خالق . كما ليس من وظيفته أن يتدخل في قراءات الناس لطبيعة العالم ولا في مُعتقداتهم .وهو بهذا الموقف المتأصل في كيانه يكون بمعزل تام عن ما ينسبه له (العلماء) فليس العلم من يُقدم تلك القراءات بل العلماء هم من يُسقطون مُتبنياتهم على النتائج التي يقدمها العلم .ولذلك لا يحق لأحد أن يدّعي أن العلم يُثبت أو ينفي شيء ما خارج عن نطاق المحسوس .وهنا أود أن أقول مُسبقاً إنني إذا قُلت في فصول هذا الكتاب المتلاحقة أن العلم يقول ويُثبت كذا وكذا فهذه قراءتي أنا للبيانات العلمية وفهمي أنا وتأويلي الخاص للنتائج العلمية وليس من الضروري أن يتفق معي الكل كما ليس المُفترض بي أن أدّعي أن هذا رأي العلم وإن قُلتها فبنحو الاسترسال في البحث وليس بمعنى أن العلم يفعل هذا حقيقةً ، وللأسف هذا ما لا يُريد بعض العلماء أن يعترفوا به ويمنحون العلم احترامه المُستحق وبجدارة .

لذلك لا يجب تحميل العلم أي تفسير فلسفي أو ديني .بل ما يجب أن يقوم به رجل الدين والفيلسوف والعالم هو الإستفادة قدر الإمكان من المُقررات العلمية وتسخيرها بالمنطق وبالحجة والدليل لخدمة آرائهم وهذا حق مكفول للجميع دون أي استثناء .

إذن : فالعالم من وجهة نظر العلم المُجرّد عن أي أيدلوجيات ! هو عبارة عن هذه المادة المحكومة بنظام عام وشامل ومن خصوصيات هذا النظام أنه يتبدل من وضع لآخر ولهذا فهو دائم الحركة منذ نشوءه وحتى تحين اللحظة التي يتلاشى فيها ويمزق الكون نفسه أو يذوب وينصهر بفعل التسارع المُستمر في نسيجه ومساحته ، والعلم أيضاً يتفق مع الفلسفة والدين في هذا الميدان مع فارق بسيط أنه يتكلم عن جزء من الصورة ولا يُعطي رأياً بالنفي أو الإثبات فيما يتعلق بما وراء هذا العالم .ومن هنا يمكن لنا وبضرس قاطع أن نقول إنه لا يُغادر الدائرة التي يتواجد فيها الدين والفلسفة .

العالم كما نراه

ورؤيتنا للعالم تختلف لأننا مختلفين ، أي إن اختلافنا بعضنا عن بعض هو الذي يجعل هذه النظرة للعالم مختلفة .ولقد تعرضنا في كتابنا (فلسفة الضياع والضياع الفلسفي) لهذا البحث بالتفصيل فراجع !

هذا الإختلاف في مفهوم العالم ليس منشأه وجود الإختلاف في موضوعية العالم أبدا ، بل هو ناشئ عن تفاوتنا في النظرة له واختلافنا في الأذواق وفي الأديان وفي السايكلوجيات والأيدلوجيا التي نتبناها ، من هنا لا يتورع البعض عن دس أنفه وكذاك دس العالم في أحقر الأماكن المعنوية وضاعةً .وعلى النقيض يوجد من يخلع على العالم كل المبادئ والمُثل التي آمن بها وهو بهذا يُنتج عالما راقياً مختلفا عن العالم الذي تبناه وبناه غيره .

إن نظرتنا للعالم بكل ما تحمله من تفاوت تصل بنا الى حقيقة مفادها أن هذا العالم يستمد قيمته من ذواتنا . وحتى على صعيد البحث العلمي ففي مجالات الفيزياء يوجد نظريات تُثبت أن حتى تاريخ الكون برمته نحن من يتحكم فيه لأننا نمتلك الأدوات التي تجعلنا مؤهلين لكي نلعب هذا الدور . ورؤيتنا للعالم في أول مراتبها رؤية ساذجة لأن طفولة الإنسان وإن كانت تتجاوزه مادياً إلا أنها لا تُفارقه معنوياً .

فليس لأننا لسنا منتبهين أو مُلتفتين لما وراء أي ظاهرة كونية هو أننا جاهلين بعمقها وبما تنطوي عليه من تفاعلات كيميائية أو مرورها بمراحل من التطور أو التدرُج الى أن وصلت لما وصلت له ، فليس الجهل هو السبب في الطريقة الساذجة التي ننظر بها للعالم ، بل لأن طبيعتنا تجنح لأن تصوّر الأشياء على ماهي موجودة عليه وبالطريقة التي تكون تلك المُدركات ذاتها كلما نظرنا لها ، ولهذا فحتى أكبر الفيزيائيين سوف ينظر للضوء الصادر عن المصباح وللوهلة الأولى بنفس الطريقة التي ينظر بها طفل في السادسة من عمره .

وهكذا فإن نظرتنا للعالم تبقى قاصرة ودون المطلوب إلا إذا مارسنا التفكير الممنهج لكي نعبِر لضفة الفهم . فهم العالم وما يدور به حقاً لأن فهمنا لأنفسنا ومصيرنا والسبب الذي نحن من أجله موجودون هنا كله يعتمد على فهمنا للعالم !

العالم كما لم نراه

إننا في طرح دائم للسؤال عن ذلك الجانب الآخر من العالم .حيث ننقسم الى مُنكر لوجوده ومن يُثبت وجوده لكن دون أن يتعرّف على حيثياته والكيفية التي تتم فيها الأمور فيه !

أما من يُنكر أن خلف هذا العالم عالم آخر فهو يقفز فوق المسلّمات التي يشعر بها هو قبل غيره . كما أنه عاجز تماماً عن تقديم قراءة منطقية تنقض الرأي المعاكس . لأن الحجة لا تقع فقط على من يدّعي بل يجب على المُنكر أيضا أن يقدم حجة على رفضه لهذا الإدعاء وتقديمها يبتني على ذات الطريقة التي أراد بها من الآخر أن يُثبت له ذاك الإدعاء ، هذا من جانب . ومن جانب آخر هو كذلك عاجز عن تفسير ظواهر هذا العالم بمجموعها . ومع اعترافه أن العالم هو كل شيء يعرفه فبهذا الإعتراف هو يضع نفسه في دائرة لا نهائية من الأسئلة عن الأمور الخارجة عن قدرته على التفسير ولهذا أمامه طريقان : الأول أن يرتضي بالجهل وهذا إن قبله هو فلن يقبل به أحد غيره ، والثاني : أن يقول أنه شاكٌّ في وجود العالم الآخر . وللإنصاف فالأكثر هم من هذا النوع وخصوصاً من يحترمون ذواتهم وهذا البقاء على الحياد والتوقف عن اعطاء حكم بات وقاطع في المسألة لا ينفي وجود العالم الآخر بل يُثبته بضميمة الرأي المؤيد لوجوده وتراجع وانحسار الراي المُنكر ثم أن المُثبتين يُقدمون تفسير لموقف هذا الطرف الشاك وهو أن قوة العالم الآخر هي من تجعلهم في هذا المكان وبالتالي يقف هؤلاء الشكاكين دون رد على ادعاء المُثبتين وبهذا تكون الدفة باتجاه الإثبات وإن كان هذا الإثبات نظرياً ، لأن البعد النظري هو كل ما يُمكننا الإعتماد عليه في هكذا مورد .!

فلم نكن موجودين حين حدث الإنفجار العظيم .

ولم نكن موجودين حين ظهر الإنسان على الأرض .

ولن نكون موجودين حين يضمحل ويذوب أو يتلاشى الكون ، وسيأتي لاحقاً أن هناك لغط في فهم نقطة التلاشي هذه !

وبالتالي فهذا هو العالم كما لم نراه ولن نراه إذا شئت أن تعتقد بوجوب هذه الـ (لن) !

وإذن وكنتيجة لعدم معرفتنا بما حدث كله وبما سيحدث كله فنحن لا نستطيع القول أننا رأينا العالم بكامله بل نحن في الآن ذاته عاجزين تماماً أن نصل لأبعد مما توفره لنا التلسكوبات من رؤية لهذا العالم مُترامي الأطراف لا بل نحن لم نرى العالم الماثل بين أيدينا فهذه الذرَّات التي تتشكل منها كل المادة التي نعرفها ، للآن نحن عاجزين عن معرفتها والوصول لأصغر وحدات بنائها .كما لا نمتلك تفسير لظواهر كثيرة في هذا العالم والذي لا نفهم للآن منه سوى ما نريد أن نفهمه نحن وكل من يقول لك أن هذا العالم سيبوح بسره الكبير دون أن تبذل جهداً في قراءته والتعمق فيه فلقد كذب عليك .

العالم والإنسان

العالم والإنسان - مترادفان لا ينفكان من حيث وجهة النظر الفلسفية والدينية والعلمية على حد سواء ، لكن الإختلاف يقع في تحديد أيهما الظرف وأيهما المظروف ، أي هل أن العالم هو الذي يحتوي الإنسان أم أن الإنسان هو الذي يحتوي العالم .

والحقيقة أن هذا التساؤل بحجم تعقيده يُوجِد الإختلاف ، فالعالم من حيث وجهة النظر الدينية ليس سوى حلبة يتمرئى فيها نضوج الإنسان .والإنسان هو الذي يخلع عليه موضوعيته وبالتالي فهو ليس سوى تجلي وانعكاس لضرورة وجود الإنسان ،أما الفلسفة ففضلاً عن وجود تيار عريض داخل أروقتها يدّعي المثالية . وهذه المثالية تفترض أن لا وجود للعالم الخارجي وأن العالم بكل محسوساته وكل موجوداته لا يقبع إلا داخل ذهن الإنسان ! ، وحتى باقي تيارات الفلسفة تُثبت أن لا قيمة للعالم إلا بوجود الإنسان لأنه هو من يُعطيه موضوعيته وقيمته ، أما العلم فقد ظل كما أسلفنا بعيداً عن إبداء وإظهار تبني هذا الرأي رسمياً .

وعلى هذا الأساس فالإختلاف على أشُده .كما أن التساؤل يبقى دون جواب قاطع مع أنه واضح وجلي جدا ولا أعرف لماذا يرفض البعض فكرة أن الإنسان هو الظرف والعالم ليس سوى مظروف .

فالعالم ليس سوى ما يراه الإنسان ولا قيمة له دون وجود الإنسان والنتيجة واضحة بناءً على هذه الفكرة والتي تفرض تبعاً لتبنيها بحث عناصر كل من العالم والإنسان لتحديد المكان الذي يجب أن يُوضع كل منهما فيه . مع الإلتفات إلى أننا لا نقصد بالعناصر العناصر المادية بل نقصد وجوه المُشتركات لا بما هي مُشتركات بل بما هي من جهة أحدهما للآخر .

العالم الإنساني

نحن إذا ما نظرنا بعمق الى العالم يبدو جلياً وواضحاً أن هناك أكثر من بُعد يتمظهر فيه ويتجلى وجود لعوالم أخرى ملموسة داخل الكيان العام لهذا العالم ، فلو نظرنا مثلاً للحيوان فله عالمه الخاص به وكذلك الانسان والنبات و و و الى آخره...

وهذا التباين وإن كان وهمياً إذا ما نظرنا له بنظرة عميقة إلا أنه حاضر وبقوة في العلن ويُدعّمه الحس بشكل مباشر .وللإنسان عالمه الخاص المختلف عن عالم الحيوان والنبات مثلا . فمن خصائص هذا العالم الإنساني أن لا قيمة موضوعية لأي شيء دون وجود هذا الكائن وهو الإنسان .إذ إن جمال ودقة وروعة العالم المادي لا تتأتى إلا من خلال تقييم الإنسان لذلك الجمال وتلكم الدقة والروعة ، وعليه اذا افترضنا عدم وجود الإنسان فهذا يعني أن القيمة الفعلية للعالم انتفت تماما .وهذا في أقل تقاديره ضمن الامكانات التي نستخدمها لمعرفة عدم وجود كائنات بمستوى الإنسان على صعيد الفكر .

والعالم الإنساني هو العالم الذي يُحدده التاريخ لأن الانسان هو الكائن الوحيد الذي له تاريخ مُدوّن وغالباً هو يتمحور حول الأفراد وهذه الفردية تفترض ظهور الأشخاص البارزين ليكونوا ممثلين عن مجتمعاتهم وبالتالي ممثلين عن منظومة الفكر الإنساني بالجملة ،فالعالم الإنساني هو العالم القائم على أساس الفكر والاحداث التي ترسم ملامح ذلك الفكر بشكل يتكون فيما بعد وينتج عنه التاريخ ، على أن التاريخ ليس ما يتبادر لذهن الناس من أنه يشتمل على المرحلة الماضية من حياة البشرية . بل انه يشتمل على الماضي والحاضر والمستقبل ،وهذا وفقاً للتعريف الدارج علمياً ، أما الفلسفة فلها رأي آخر بلا شك .

وربما يكون إيجاد تعريف مثل العالم الإنساني نُطلقه على الوجود العام لكلٍ منهما مُستهجناً ، ولكن إذا ما أعطينا الفكرة حقها في التعريف عن المُبتغى الذي نقصده سيرتفع الإستهجان ، فنحن نتكلم عن منظومة متكاملة نُطلق عليها إسم (الوجود) وهذا الوجود ينطوي على التعدد ، والتعدد لا يعني اختلاف أصل تلك المُتعددات وإنما يُقصد به .أن لتلك المُتعددات ظهورات مختلفة ومتعددة ، بمعنى أن حقيقتها واحدة وكلها تتجه لطريق واحد .لكن الطريقة والكيفية التي تظهر بها في هذا الوجود تتعدد ، وانتبه فليس الوجود هو العالم وإنما هو السابق عليه من حيث المادة وإن شئت فقُل انهُ هو القاعدة التي انطلق منها العالم الذي نعرفه !

وإذا ما رجعنا لتعريف العالم الإنساني فنحن نريد به العالم مع وجود الإنسان ومن الواضح إننا إذا أخرجنا الإنسان من معادلة العالم فلا يمكن ان يبقى العالم كما هو ، فبذلك سيفقد العالم جزء أساسي من كيانه ، هذا إذا اعتبرنا أن له وجود مُستقل عن الإنسان وقد قُلنا انه مثل هذا الإستقلال غير متوفر وبالتالي فالعالم في كل صيغة نظرت بها له ستجده مرتبط بالإنسان وهذا الإرتباط يُحتم على الطرفين أن يُكملان بعضهما البعض الآخر ،وليس ارتباطهما من قبيل الارتباطات التي نعرفها مثل ارتباط العلة بالمعلول ! . بل هو ارتباط من نوع مُختلف ووجه الإختلاف فيه أنه ارتباط طولي !

أي أن العالم مرتبط بالإنسان لا بنحو الإرتباط التسلسُلي ، فمثلاً !حين أرمي الحجر باتجاه الزجاج فإن الزجاج يتهشم ، وتهشُّم الزجاج له سبب والسبب هو إني رميت عليه الحجر فهنا ارتبط تهشيم الزجاج برميي للحجر ، فليس هذا التسلسل الحاصل في الأحداث هو ما يربط العالم بالإنسان بل نوع مختلف . مثلاً !

تمر الكهرباء من خلال السلك لكنها شيء مختلف عن السلك والسلك مختلف عنها ظاهرياً بطبيعة الحال !!

فهي لن تصل لأي جهاز في المنزل إلا من خلال السلك ولكن وجودها هي لا يعتمد على السلك فليس السلك هنا علة للكهرباء أبداً ومع هذا فلا يمكن للكهرباء أن تؤدي وظيفتها دون وجود السلك . وهذا اللون من الإرتباط يختلف عن ذلك اللون من الارتباط الذي ذكرناه في مثال تهشيم الزجاج فتهشيم الزجاج كان مرتبط مباشرة برمي الحجر والمثال هنا مختلف تماماً !

وإذن . فعلاقة العالم بالإنسان وارتباطه به قريب من هذا النوع من الارتباطات ، وإذن فليس العالم موجوداً أو يمتلك القدرة على الظهور إلا من خلال الإنسان مع أن لكلٍّ منهما حقيقته الخاصة لكن ذلك الجانب الحقيقي ليس بنحو الإستقلال وإنما بنحو التكامل بينهما وهذا العالم الإنساني هو العالم الجميل الراقي الذي ينطوي على ابداع متناهي الدقة وهو كذلك ما يحتوي على مليارات المجرّات والمجموعات الشمسية . كما هو الذي نعرفه ونتعرّف عليه بنا نحن !!!

العالم اللاإنساني

هو ببساطة ونقصد العالم اللاإنساني طبعاً ،العالم الخالي من الإنسان وطبعاً أيضاً لا نملك فكرة عنه ولا نعرفه مع إننا نستطيع أن نتخيله في بعض الأحيان .ولك أن تتصوّر شكل العدم كمثال على ما نقول !

والعالم اللاإنساني هو حيث لا معنى لأي شيء ،فلما كان الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على التوقّع الدقيق والتفكير العميق وحساب النتائج سلفاً من المقدمات المتوفرة لديه ومقارنة المواضيع وبدقة متناهية بالقياس مع غيره من الكائنات ! فلما كان الإنسان يمتلك كل هذه المواهب والقدرة والكفاءة العالية .لم يكن للعالم أن يظهر بحقيقته إلا من خلال هذا الإنسان .لأن الكائنات الأُخرى لا يمكن لها بناء تصوّرات أبعد من البيئة المحيطة بها فالنمر مثلا والذئب والأسد لا قدرة لهم للنظر الى الجانب المجرد من هذا العالم ، وأقصى ما يهم هذه المخلوقات هو عمليات القتل المُمَنهج وعند الحاجة فقط وأضف تلبية احتياجاتها الغرائزية الأُخرى للقائمة...

فهذا كل ما يمكن أن يعنيه لها العالم .وهذا العالم اللاإنساني بحد ذاته لا يعدو كونه آلة كبيرة تحتوي على قوانين ميكانيكية وبايلوجية ولا قدرة لديه على الشعور بذاته ككُل مُترابط ،أي أنه ليس واعٍ لوجوده العام ويقتصر الوعي لديه على ما تعيه المخلوقات التي انطوى عليها ولذلك لا يمكن اعتبار هذا لون من ألوان الوعي التام ،إلا إنني شخصياً لا أنفي أن لهُ نوع من أنواع الوعي تتمثل بإدراك المخلوقات للنظام العام الكُلّي والتغيرات الحاصلة وهذا لا يكون إلا بالظواهر الطبيعية البارزة مثل العواصف الكبيرة أو وصول النيازك والمذنبات أو نوبات الحرارة الشديدة . فهذا العالم الحي لهُ عقل وعقله يتجلى في تلك المخلوقات وعليه فهي تمثل بالنسبة له نوع من الوعي اللامركزي وهذا الوعي كافٍ للقول أن للعالم وعي من حيث المبدأ بطبيعة الحال !

ويبقى الإنسان هو المصدر الوحيد للوعي في هذا العالم إذا ما تكلمنا عن الوعي بمراتبه العُليا ،أي إمكانية تحليل المُعطيات بعد وعيها وبعمق كافي لإدراك المفاهيم الكُلّية .وفي النهاية لا يسعنا القول أن لهذا العالم قيمة دون وجود الإنسان فالإنسان هو الذي يُعطي للعالم موضوعيته وقيمته .وحتى لا يفوتني التنويه ! فليس معنى أن الإنسان هو من يعطي للعالم القيمة أن العالم ليس له قيمة من الناحية الفيزيائية أو الرياضية ، فتلك الناحية تبقى محتفظة بقيمتها لكن أيضاً لا يمكن الكشف عنها إلا بالإنسان ، مع أنها لا تفقد وزنها الرياضي !

إن العالم مع عدم وجود الإنسان في حقيقته مكان مُقفر خالي من أي جمال لأنه إذا حاولنا أن نغض الطرف عن كون الإنسان هو أجمل ما في العالم .فلا يمكننا أن نغض الطرف عن كون ان العالم لا يُظهر جماله إلا بالعقل والعقل كما هو واضح يتمظهر بأجلى صورة في الإنسان لوحده .ولا تنسى إننا مازلنا نتكلم عن العالم كما نعرفهُ...

تعريف الإنسان

يبقى التعريف بالإنسان ملغوماً بالنتاجات الفكرية التي تقرأ هذه القضية وفقاً لما تتبناه من نظرة لهذا الكائن الفريد ، بعبارة أُخرى إننا إذا ما أردنا أن نجد تعريفاً دقيقاً لهذا الكائن فسوف نرتطم بأكثر من فهم لهذا الكائن . فهناك تعريف للمناطقة وهناك تعريف آخر لعلماء النفس أما الفلاسفة فحدث ولا حرج ، لا بل يمكننا القول وبضرسٍ قاطع أن لكل إنسان تعريفه الخاص فيما يتعلق بالإنسان ،

من هذا المنطلق يبدو جلياً وواضحاً صعوبة الجمع بين تلك الآراء وإن لم تكن متعارضة فمجرد وجود هذا الكم الهائل من الأفكار حول قضية ما كافٍ في تعسيرها وتعسيرها أكثر إذا أردنا الخلوص لنتيجة موحدة بعد جمع كل تلك الآراء والأفكار .

وغالباً ما يأتي التعريف بالإنسان على جوهره الحقيقي .فمثلاً تعريف المناطقة أن الإنسان حيوانٌ ناطق لا يمكن قبوله بوجه من الوجوه وليس الرفض نابعاً من خطأ التعريف بل الرفض يقع من جهة عدم استيعاب التعريف لجميع جهات الإنسان فالإنسان وإن كان ناطقاً إلا أن هذا النطق هو نزر يسير من المميزات التي يتمتع بها هذا الكائن فهناك قدرته على الإبداع وهناك قدرته على هضم المفاهيم المختفية عن الحس وكذلك إدراكه الفريد للكليات وهناك أيضاً خياله الذي لا يمكن أن تُقارَن به ميزة أخرى و و و الى آخره...

من هذا المنطلق يكون تعريفنا للانسان بأنه حيوانٌ ناطق مجحف جداً ولا يمكن قبوله .وشخصياً أتبنى تعريفاً بعيداً عن كل هذا وهو وإن لم يقبله الكثير بل قد لا يقبله أحد لكنني أتبناه عن قناعة وهو أن الإنسان والتعريف الذي يجب أن يطلق عليه مختصٌ بالسماء لوحدها وإذا كانت منه نسخة أرضية فهي مختصة بالنبوة حصراً...

وما هذه القناعة الحاصلة عندي إلا لأنني لا أستطيع قبول أن لأحد القدرة على استيعاب جوانب هذا الإنسان مع تسليم الجميع أننا للآن لا نستخدم كامل قوانا العقلية ومع هذا لا يمكن قبول أي رأي متعلق بهذا الجانب . بل الحقيقة لا يمكن قبول أي شيء آخر لأن الأداة التي نعوّل عليها في الكشف عن ماهيات وحقائق الأشياء هي ذاتها غامضة بالنسبة لنا ولا نمتلك تعريفاً مُجمعاً عليه لمدياتها .وقد تقول إذا كيف للإنسان قدرة على كشف المفاهيم الكلية والاستنتاج من الجزئيات .فأقول أن هذا يبقى جزئياً وفقاً لجزئية المعالجات التي تستبق عملية الإستنباط العلمي والفكري في الغالب ...

ولهذا يبقى التعريف الأوفى بنظري هو التعريف الذي يتأتى من السماء وبواسطة المعصوم في نسخته الأرضية ...

مع هذا لا نُعدم وجود شيء يجتمع عليه الكل وإن لم يكن تعريفاً كما أسلفنا الكلام عن امتناع حصوله بالكيفية التي تسمح لنا بقبوله .وهذا الذي يُجمع عليه الكل دون مناقشة هو أن الإنسان طاقة جبارة لا يمكن أن تتواجد من غير هدف . في الأقل هدف آني أو طبيعي وفقاً لاختلاف الإعتقادات التي يتبناها كل طرف ..

فوجود الإنسان لوحدة كافٍ في إثبات أن لهذا الإنسان هدف يسعى لتحقيقه وإن لم يكن يعرفه حتى . فهو مدفوع بقوة نحو غاية الكثير يجهلها لكنه يستشعرها ويستشعر القوة والضغط الذي تمارسه عليه ...

فهو يستشعر بوجدانه أنه دوماً مدفوعٌ للأمام وللمواصلة فهناك دوماً هدف يسعى له مع فارق وحيد وهو أنه يعلم أحياناً ذلك الهدف وأحياناً أُخرى يجهله تماماً .

وهذه القوة الدافعة حتى حينما يخفت إوارُها وتفتر جذوتها في الظاهر تبقى حاضرة في الباطن .فهذا الإنسان الذي ينتحر مع أنه في الظاهر وصل لنهاية طريقه مع الأمل لكنه في الباطن يجري خلفه ودليل هذا اعتقاده أن في الموت راحة من تعب الحياة وضغطها ففي باطنه يبقى الامل بالراحة والجري خلفها قائماً على قدم وساق ولا ينفك عنه أبداً...

إن هذه القوة الجبارة التي ينطوي عليها وجود الإنسان تقول لنا بملء فمها أن هناك الكثير ممّا غاب عنا فعلى الصعيد العلمي نحن للآن لا نعرف حتى طبيعة الدينامية التي تعمل بها القوانين الفيزيائية وعلى الصعيد الفلسفي للآن مازلنا نطرح التساؤلات ونفتتح أبواب جديدة للتفلسف دون حصول إجابات على ما سبق من الأسئلة وعلى الصعيد الديني للآن فهمنا للدين فهم سطحي ولا يوجد أحد على سطح الكوكب يعتقد أنه طبق مفاهيم الدين بحذافيرها مع قول الدين لنا أنه لا يمكن حصول تغيير إيجابي في حياتكم إلا بعد أن تطبقوا الدين بالكامل ولهذا أكثر جانب مهمل في حياة البشرية هو الدين ، وأما على الصعيد الإجتماعي فما زالت مشاكل مجتمعاتنا على اختلافها تتفاقم دون وجود الحلول المناسبة لكل هذه الفوضى...

وعليه فالحال من رديء الى أكثر رداءة ولهذا يبقى الحلم بتجاوز كل هذه العقبات ماثلاً في آمال البشرية .والكل يعد بأن هناك فتوحات علمية وفلسفية ودينية واجتماعية قادمة في غد البشرية الواعد ولا يختلف في هذا اثنان البتة ...

فإذا رجعنا للبدء وهو تعريف الإنسان فيمكنك تعريفه بكل هذه الهواجس التي مرّت عليك وإن قلنا إننا لا نقول بوجود تعريف له .لكن أقرب التعاريف مطابقية للواقع هو أن نقول أن الإنسان هو كل شيء وكل شيء في المحصلة هو الإنسان كما سيأتي...

احتياج الإنسان للعالم

يبدو جلياً أن الإنسان حتى يصل لأهدافه وغاياته التي تمثل المعنى الحقيقي خلف وجوده بل وإيجاده وفق المفهوم الديني ،يبدو جلياً احتياجه لحلبة يلعب عليها تلك الأدوار التي تمر به .وتصهره في احداثها وبالتالي تُغيّر من النمط الذي يمارس حركته به وكنتيجة لكل هذا يأتي التقدم الذي يتوخاه ويسعى اليه من خلف كل تلك التقلبات الفكرية والعقدية والسايكلوجية والبايلوجية أيضاً...

وهذا التقدم إنما يكون مشروطاً بالظرف الذي كان عليه قبل بدء الحركة على اختلاف تمظهُرات تلك الحركة .ومن الواضح أنه يتخذ من العالم حلبة كبيرة لتلك التحولات التي يحتاج لها لكي يتقدم ويعبر أراضي الجمود نحو تحقيق أهدافه والغايات التي تضغط عليه وعلى باطنه ومشاعره دافعةً به نحو ذلك الأمل الذي يستشعره بكل كيانه...

وإذن ، فهو يجعل من العالم عبارة عن صف كبير للدراسة . فهو يستغله من جهة كي يمارس حركته به ومن خلاله .ومن جهة أخرى يستغل العالم نفسه كمادة للدراسة من أجل تسخيرها فيما بعد لعملية تقدمه و وصوله للأهداف التي يجري خلفها .ولهذا ترى أن كل من العلم والدين والفلسفة ركَّزوا على العالم بصورته الطبيعانية لأنها تمثل مادة مهمة وأرض خصبة للعقل كي يتمرن فيها على إجراء المعادلات وإمعان النظر وبالتالي استغلال كل تلك الخبرة التي ستتراكم عنده من اجل تسخيرها فيما بعد وصبّها في قالب الإنسانية الذي لم يُملأ للآن ولن يُملأ في الواقع الخارجي نهائياً إلا بعد استيفاء شروط الفهم التامة للإنسان والعالم ...

فالعالم أكثر من مجرد حركة أو إرادة كما يقول بعض الفلاسفة .فهو أوسع بكثير وأشمَل من حيث وجود الإنسان .والإنسان وإن كان وجوده الباطني خارجاً عن سلطة العالم ، بعبارة أخرى أن الحياة العقلية والروحية لهذا الكائن لا توجد بالعالم لأنها قادرة على العيش بدونه وبقوة الخيال تستطيع تحقيق جزء كبير من هذا العيش . فهو وإن كان كذلك إلا أنه من أجل أن يمارس دوره الفعلي ويحقق أحلامه وأهدافه يحتاج لهذا العالم وبالنسخة التي نعرفها أنا وأنت لأن هذه النسخة هي النسخة التي يوجد فيها الإبتلاء وفق النظرة الدينية وهي النسخة التي تتوفر فيها قوانين الفيزياء والمعادلات الرياضية والكيميائية وفق النظرة العلمية وهي النسخة التي توفر السؤال عن الميتافيزيقا وعن ما وراء كل شيء بالنسبة للفلسفة بل وهي النسخة التي تتوفر فيها هذه الثلاثة وهي العلم والدين والفيزياء وهذه الثلاثة هي التي تمثل إنسانية الإنسان وبغيرها لا قيمة للإنسان .وهي تتأتى بواسطة . والواسطة هو العالم الذي نراه أنا وأنت...

ولذلك لا غنى عن هذا العالم إذا اردنا أن نتكامل بالإنسان ونصل به للغاية المنشودة وحاجة الإنسان للعالم تبقى أقل بكثير من حاجة العالم للإنسان كما سيأتي...

احتياج العالم للإنسان

لا يمكن لنا تصوّر أن للعالم وجود دون وجود الإنسان ويكون في وجوده ذاك محتوٍ على معنى من المعاني ، بعبارة أوضح . أننا يمكن أن نتخيل عالماً خالياً من الإنسان وهو ما كان بالفعل قبل ملايين السنين ، لكن لا يمكننا أن نجد له معنى دون ربطه بالإنسان .وإن كنت تتذكر فقد تكلمنا فيما مضى من صفحات هذا الكتاب عن (العالم اللاإنساني) وهناك كان الكلام عن العالم كما هو وهنا نحاول أن نعطي صورة عن المعنى الكامن خلف قيمة وجود أو عدم وجود العالم .وبكلمة واحدة يمكننا القول أن العالم خُلق أو وجد لكي يتربع عليه الإنسان !

فبعيداً عن النظرة الدينية يقول الماديون أو الكثير منهم حتى اكون دقيقاً . يقولون أن بعد الإنفجار العظيم تكونت أولى النجوم ثم المجرّات ثم كانت الأرض .ولماذا الأرض لأننا للآن لا ندري هل للإنسان وجود خارجها أو لا .ولا نقصد بالإنسان هو هذا الكائن بصورته الجسمانية بل بصورته الروحية .المهم تكونت الأرض وبفعل التفاعلات الكيميائية وجودت الحياة وتطورت على مدار ملايين السنين ثم انتقلت لمرحلة جديدة وهي مرحلة ظهور الإنسان فيها ...

وبالمناسبة هذا الفهم لا يتعارض مع ثوابتنا نحن المتدينين البتة والمشكلة ليست لدينا بل لدى الطرف الآخر كما كانت دوماً .وهذا يعود لضيق الأُفق مع بالغ الأسف ...

فهذه النظرية تثبت أن العالم وجد من أجل الإنسان نظرياً على الأقل وإذا كنا نبحث عن المعنى .أما كيف تثبت ذلك فخذ إليك التفصيل :

فلو سألنا الآن عن مناسبة وملاءمة الأرض لعيش الإنسان عليها وإنه ما معنى حدوث الإنفجار العظيم ثم تشكّل النجوم والمجرات والكواكب ثم ظهور الحياة على الأرض ، ما معنى كل هذا ؟ .والى ماذا انتهى !

ومن في واقع الأمر إفترض وجود انفجار عظيم وبعده تشكلت نجوم ومجرات وكواكب ومن أعطى للمادة كل هذه الأحداث .ومن يُعيّن عمراً للكون كما أثبت (جون ويلر) بعد تطبيقه لتجربة الشق المزدوج على الكوازارات ثم القيام بهذا فعلياً على يد مختصين بعده وإثبات وجهة نظره !

ومن قرر أن العالم هكذا أو هكذا يجب أن يكون .ومن اكتشف العالم بأدق تفاصيله .هل كل هذا استطاع أو يستطيع العالم بما هو عالم مادي أن يعرفه أو لا .وإذن فمن أعطى للعالم قيمته ومن غير هذا المُعطي يستحق أن يكون العالم له .فلو كان غيره يستحق فأين هو ؟

ثم باقي المخلوقات في هذا العالم هل يمكنها العيش على كوكب آخر .من المؤكد لا .فالإنسان بما يمتلك من معرفة يستطيع الآن العيش على كوكب آخر فهو يصنع الهواء اللازم للعيش في البيئات المختلفة عن بيئته فيستطيع مثلا التنفس تحت الماء بمساعدة الأدوات التي ابتكرها .وتلك المخلوقات إن عاشت في بيئة مُغايرة لبيئتها الأصلية فهذا بمساندة ومساعدة الإنسان بلا شك .وبالتالي فالكون كله خُلق أو وجد لكي يتلاءم مع الإنسان وهو الوحيد القادر على الإستفادة منه لأنه وجد مفصّلا على مقاسه وباقي المخلوقات كلها جملةً وتفصيلاً قد تبدو في الظاهر إنها تستفاد من العالم أيضاً لكنها في الواقع تخدم نفس السيد وهو الإنسان...

وأما الفلسفة .فلا يمكن لها أن تنظر إلا للمعنى خلف وجود هذا العالم ومن الواضحات أن المعنى عرفه وعرّفه الإنسان فأنا شخصياً لا أعرف زرافة استطاعت أن تُعطي قيمة للعالم ومن يكون قادراً على تعريف شيء يكون أعلى منه مرتبة وهذا هو حال العالم والإنسان .وأما الدين فنظرته واضحة بأن العالم خُلِق من أجل الإنسان .

وكنتيجة لهذا فتكون حاجة العالم للإنسان حاجة وجودية .أي أنه لا معنى لوجوده دون وجود الإنسان وعليه فلا يمكن وجود العالم إلا لوجود الإنسان بل هذا ينسحب حتى على الأسماء فالإنسان هو من أوجدها...

الإنسان له ظاهر وباطن

إن الإنسان لا تتأتى قيمته من وجوده المادي على الإطلاق وإنما تكمن تلك القيمة في باطنه الذي يبقى حاضراً وغائباً في ذات الوقت وفقاً لمستوى الفرد . فكلما زادت امكانات الفرد الفكرية كلما كان أقرب لإدراك ذلك الباطن ، فالقرارات المهمة ومركز الذاكرة والاحلام والشعورات الخارقة بالوقت وبالكوارث والمكاشفات وكل ما يكون خارجاً عن مدار الحس . كلها من باطن الإنسان الذي لا يمكننا تحديد مكان وجوده .فبعضهم يعتقد أن كل هذا يحصل داخل المخ وهذا خطأ فادح ويمكن مراجعة ما كتبه أهل الإختصاص لمن شاء الإستزادة فهناك شرحوا هذا المبحث مفصّلاً...

هذا الباطن الإنساني هو الذي يقع عليه التكليف وهو الذي تزرع فيه الغايات والآمال لأنه هو الظرف الذي يحتوي كل شيء يأتي من العالم الخارجي وهو الذي نخاطبه وهو الذي يعقل كل ما يدور من حوله وهو بهذا لا يختلف عن العالم الخارجي من ناحية وجوده الفعلي والتحقُّقي غاية ما في الأمر أننا عاجزين عن أن نُشير له حسيّاً . . .

العالم له ظاهر وباطن

كما أن العالم بالنسخة التي نراها له ظاهر ، كذلك له باطن ، فظاهر العالم هو ما نراه من موجودات لها احجامها الخاصة وطولها وعرضها وعمقها وثقلها .أما باطنه فهو ذلك الوعي الذي أنطوت عليه تلك الموجودات فهي بمجموعها تُشكّل باطن هذا العالم إضافةً الى القوانين الطبيعية التي تحكم هذا العالم وهي غالباً مختفية عن الكشف المباشر .فلو أردنا أن نطرح هذا السؤال .؟

هل للعالم وعي وإدراك أم لا؟ - فجوابه أنه نعم ، فوعي وإدراك هذا العالم يتمثل بالوعي والإدراك الموجود لدى الكائنات التي انطوى عليها هذا العالم فمع تعدد تلك الكائنات فهذا لا ينفي اجتماعها لتشكيل وعي هذا العالم فكما أن لجهاز الحاسوب الكثير من الأجزاء ولكلٍّ منها خصائصه وطبيعته إلا أن الذي يقدم لنا الخدمات ويحلل البيانات هو الحاسوب ككتلة واحدة .فمع تنوّع الكائنات في العالم وبالتالي تنوّع إدراكاتها ووعيها إلا أن كل هذا ينتهي بنا للقول بوعي العالم فهو بمثابة جسد واحد نابض لا يتجزأ...

باطن الإنسان هو الذي يقود ظاهره

الكل يُدرك تماماً أن للإنسان مظهران . الأول مُتمثل بالبعد المادي وهو الجسد ، والثاني هو القوة التي تحكم وتسيطر في أغلب الأحيان على ذلك الجسد . فهذه القوة أو النفس أو الروح أو التفاعلات الكيميائية عبر عنها ما شئت ووفقاً لاعتقاداتك ! ، هذه القوة هي التي تُحرِّك في اغلب الأحيان ذلك الجسد .فمثلاً حين يُحاول شخص ما أن يقوم بأي عمل من الأعمال فقبل الشروع في العمل توجد قوة نسميها العقل خططت ودرست وقررت الشروع بالعمل وامتثالاً لتلك القوة تحرك الجسد لإتمام المهمة .وهذا داخل في كل شيء ولا فرق بين مهمة طويلة الأمد كأن يخطط الإنسان لبناء ناطحة سحاب وبين مهمة قصيرة الأمد كأن يقوم ليجلب لنفسه كأس من الشاي .فكلا المهمتين احتاجت لتلك القوة من أجل أخذ قرار المباشرة والتنفيذ وما مهمة الجسد سوى تلبية ذلك القرار...

أما لماذا نقول بأنه غالباً يكون هذا .فلأن بعض الحركات التي تصدر عن الجسد تكون بمعزل عن تلك القوة وهي الحركات التي تأتي كردة فعل مثل سحب يدك بسرعة عند احتراقها أو محاولة الهروب عند حدوث صوت قوي قريب منك وامثال هذا .فحتى نكون دقيقين في التشخيص وجب أن نضع النقاط على الحروف .

وتلك القوة هي باطن الإنسان وهي التي تحكم ظاهره .فأنت إذا نظرت لرجل أنيق فليست تلك الأناقة إلا انعكاس لذوق ذلك الرجل وفي هذا الحال أنت لا ترى أن للجسد مدخلية في أناقة ذلك الرجل فأنت تعلم أن الذوق يتبع توجهات الرجل نفسه وعلى هذا الأساس تستطيع أن توفر قراءة أولية عن مدى رقي وتحضّر وثقافة ذلك الرجل ، وكل هذا الذي تراه منه تعلم يقيناً أن مركز القرار الذي أتخذ فيه هذا الرجل خياره بالأناقة ليس إلا تلك القوة الكامنة في باطنه والتي تدفعه ليكون بهذه الصورة وليس بصورة أخرى كما هو الحال عند باقي الرجال وهكذا !

فذلك الباطن هو الذي يترجمه الجسد أو التصرّف أو السلوك الخارجي الظاهري .لكن كل تلك الأمور الظاهرية ليست إلا انعكاس لميول وذوق واتجاه ذلك الباطن ولهذا السبب يكون باطن الإنسان هو الذي يحكم ظاهره .أما تعبيرنا عنه بالباطن إذا كان لا يعجب البعض خصوصاً من لا يؤمن بوجود جانب مجرّد في الإنسان .فنحن لا نقصد بالباطن وفقاً لاعتقاد مثل هذا الشخص .إلا المفاهيم الغائبة عن الحس مثل الضمير والوجدان والأخلاق والذوق .وإن شئت فقل المخ لأنه يبقى باطن لا ظاهر في مطلق الأحوال وكيفما استعملنا دلالة هذا اللفظ **!!!**

باطن العالم هو الذي يقود ظاهره

وكما سبق الحديث عن باطن الإنسان الذي يحكم ظاهره فباطن العالم أيضاً هو الذي يحكم ظاهره ، فمثلاً هذه الوردة التي تنمو على جانب الطريق توفرت شروط ظهورها ونموها في مكان لا نعرفه ولا نعرف طريق يؤدي إليه .فالقوانين الطبيعية التي تحكم الجيلوجيا والمورّثات الجينية وعوامل البرد والحر كلها اجتمعت لكي تنمو تلك الوردة .فقد تكون لجوار تلك الوردة بذرة لوردة أخرى لكن هذه نمت وظهرت وكبرت أما تلك لم تظهر وعليه فمن المؤكد أن عدم ظهور تلك البذرة الأخرى ونموها نابع من اختلال أحد هذه القوانين التي لا نراها والتي تمثل باطن هذا العالم **!**

وعليه فهذا العالم الذي نراه أنا وأنت أيضاً محكوم ببطانة وما ظاهره إلا ترجمة لذلك الباطن وتجلّي لقراراته وإرادته بغض النظر عن وعيها أو لا وعيها ولذلك أيضاً فباطن العالم هو الذي يحكم ظاهرة...

لماذا يجب أن يكون الباطن هو الأصل

إن الثُنائية التي يقوم عليها النظام الكوني والمقسَّمة بين الظاهر والباطن تفترض وجود أصل يعود له أحد هذين البعدين ، فلا يمكن قبولهما على إنهما متساويين بعد أن ثبت أن لهما وجودين مستقلين عن بعض ، وهذا الإستقلال ليس بنحو الإنفصال بل هو بنحو المحافظة على الوجود ، بمعنى أن لكلٍ منهما خواصه التي تجعله يبقى محافظاً على وجوده ولا ينصهر بالآخر تمام الإنصهار .ومع هذه المُغايرة بينهما في الجوهر وجَب اعتبار أحدهما هو الأصل فيما الآخر عارض قابل للتبدل والتمظهر بأكثر من مظهر مع عدم انفصاله عن ماهيته وطبيعته ، وذلك الثابت والأصيل منهما غير قابل للتغيُّر من حيث دخول طارئ ما خارجي وإن كان قابلاً للتغيُّر ذاتياً .وهذا التغير الذاتي لا يخدش أصالته ولا يُعتبر تغير في خاصيته أبداً لأن الإطار والنسق العام يبقى كما هو عليه **!**

من هنا يجب أن ننظر وندقق أيهما الأصل أهو الظاهر أم الباطن . فنحن نعلم أن الظاهر بغض النظر عن كونه مادياً أو مجرداً يبقى عُرضَةً للتغير دائما وأبداً هذا إن كان ظاهراً مجرداً كالأخلاقيات المفتعلة والمفاهيم المجردة الخاصة بالمعادلات العلمية أو السياسية على سبيل المثال .أما لو كان ظاهراً مادياً فهو لن يتغير فحسب بل سيفنى ومثاله جسد الإنسان أو النبات أو الحيوان أو الأرض أو السماء أو الكواكب الى آخره...

ومن حيث المبدأ فمن المحال اعتبار هذا الظاهر أصلاً لأي شيءٍ كان ، ففي الأساس هو تابع وليس متبوع وهذه التبعية تستوجب أن يكون المتبوع هو الأصل لكي ينطلق منه التابع .ولهذا السبب نفسه يجب أن يكون الباطن هو الأصل ، بعبارة أخرى لأن الظاهر لا يحتوي على إمكانية خزن المعلومات ولا يقع عليه التكليف وليس هو المعني بالرؤية الكونية الشاملة والعامة كما ليس هو الذي يتوجب عليه الإرتقاء والكمال المعرفي والتنويري والأخلاقي . فلأنه لا يحتوي على مثل هذه الإمكانات فيما كلها متوافرة في الباطن بل هي الوظيفة الحقيقة له .كان الباطن هو الأصل الذي ينطلق منه كل شيء بما في ذلك الباطن نفسه . فكما أن الظاهر على درجات فالباطن كذلك على درجات ومراتب فأصل الباطن والظاهر هو الباطن ولكنه باطن من مرتبة أخرى تأخذ دور العلة لمعلول ثانٍ وهو باطن من مرتبة ودرجة أخرى وهكذا ...

فلِما تقدم يجب أن يكون هو الأصل ولهذا فكل ما سيأتي سينصب عليه بل كل شيء ينصب عليه لأنه هو هدف كل شيء...

العالم والإنسان شيء واحد

قد يبدو الآن بعد العرض المُقتضب الذي عرضنا له فيما مضى من وريقات هذا الكتاب ، قد يبدو مقبولاً لدرجة ما ، قبول أن العالم والإنسان شيء واحد ، فمن ناحية التشابه المعنوي والوجودي لا يوجد فرق يُذكَر بينهما فكلاهما واعٍ وكلاهما له باطن وظاهر وكلاهما باطنه هو الأصل .ولكن يبقى الحديث عن الباطن بما هو باطن وقد قلنا أن الباطن على مراتب والسؤال ، هل أن هناك مرتبة معينة من مراتب الباطن يتحد فيها العالم والإنسان فيكونان شيئاً واحداً أم لا ؟

والجواب أنه نعم - . ففي نقطة معينة من الأزلية كان كل شيء معدوماً من حيث وجوده ولكنه موجود من حيث المبدأ كفكرة ، وهذه الفكرة مُتكاملة قبل أن تخرج للواقعية والتحقُق وما تحققُها إلا مرحلة أخرى من مراحل تطورها وترقّيها في مدارج الوجود .فلما تطورت أكثر بدأت بالإنفصال وتعددت مظاهرُها وتنوّعت أشكالُها لكنّها بقيت مترابطة ومتماسكة في إطارها العام .وبما أن الإنسان هو المعني بكل هذه الفكرة فهو من يقع عليه تكليف إبقاء العالم خالداً ، فالعالم بصورته المادية سيفنى وكذلك سيفنى الانسان بصورته المادية .والانسان بصورته المعنوية سيكون خالداً ولكن العالم لكن يكون خالداً إلا من خلال خلود الإنسان !

والخلود ليس أمراً ميتافيزيقياً كما يتصوره البعض ، بل هو أمر علمي واقع .فأنت إن أطلقت إشارة ضوئية من المكان الذي تتواجد فيه .ستنتقل هذا الإشارة إلى مكان آخر قاطعة الزمان والمكان ثم الى مكان أبعد من المكان الأول ثم الى مكان ثالث ورابع وخامس الى ما لا نهاية وهذه اللانهاية لا تعني إلا امتداد لا نهائي في الزمن وهكذا .ولهذا فنحن نعلم أن البعض من ضوء النجوم الواصل لنا يصل ونحن نعتقد بأن تلك النجمة التي صدر عنها الضوء قد انمحت عن الوجود وتلاشت بعد انفجارها وهذا الضوء الواصل لنا من تلك النجمة لن يقف عندنا بل سيستمر بالتقدم قاطعا الزمان والمكان وهذا لون من ألوان الخلود الذي نتكلم عنه !

وبالمناسبة فأغلب ما يعتقده العوام من إنه ميتافيزيقا يحاول بها الدين إبعاد الأنظار عن المقبولات المنطقية ما هو في حقيقته إلا حقائق منطقية مبنية على أساس فهم الدين للنظام الكوني ولكنها تبقى بعيدة المنال عن العوام لعدم تمكنهم من فهمها وهضمها ، وإذن فهذا الخلود الذي يقع على عاتق الإنسان أن يصنعه للعالم . يُحتِم أن يكون العالم جزءاً لا يتجزأ من الإنسان .وأعلم أن الفكرة تبدو معقدة بعض الشيء لذا سأشرحها بالتفصيل...

كما قلنا أن العالم مُحتاج للإنسان احتياجاً وجودياً فهو لا يمكن أن يوجد ببعده المعنوي دون الحاجة للإنسان ، وكذلك لا يمكنه البقاء خالداً إلا من خلال الإنسان .وقد تسأل إذن ما معنى أن ضوء تلك النجمة التي تكلمنا عنها قبل قليل ، ما معنى أنها بقيت خالدة من خلال ضوءها فهي لا تحتاج للإنسان لتكون خالدة .والجواب أنه قد غاب عنك أنه لا يمكن التعرّف على خلود تلك النجمة إلا من خلال الإنسان فلو كان هذا الكون فارغاً وخالياً من الإنسان لما عُرِفت تلك النجمة ولما كان لوجودها أو تلاشيها أو خلودها أو نورها أو حرارتها من معنىً يُذكَر أبدا...

ولهذا فخلود العالم كما هو وجوده مرتبط بالإنسان ،ولكن ماذا لو نال الفناء الإنسان نفسه .والجواب هنا من المحال أن ينال الإنسان الفناء .لأنه أصبح وحدة بناء في النظام الكوني ووحدة البناء الأساسية فحتى لو تلاشى هذا النظام فسوف يبقى الوجود من حيث هو لا مركب ولا قابل للتجزءة وهذا الوجود في مرحلة من مراحله انطوى على الإنسان ولا يمكن إلغاء تلك المرحلة بنحو من الأنحاء مُطلقاً وعليه ، فحتى مادياً لا يمكن إلغاء وجود الإنسان .فملايين السنين التي تكاملت فيها المجموعات الشمسية ثم الأنظمة الإجتماعية والسياسية والادب والفلسفة والعلم لا يمكن إلغاءها أبداً من الخط البياني للوجود !

إذن .فتلك النقطة التي بدأ منها كل شيء هي النقطة التي كان فيها كل شيء شيء واحد ،فلو سألنا الآن ما المعنى من إنطلاق تلك النقطة .فسيكون الجواب بلا شك المعنى هو إيجاد الإنسان .فلو لم يكن الإنسان موجوداً لما عرف أحد تلك النقطة وبالتالى لما كان لتلك النقطة من وجود .وهذا يُثبت لك أن كل شيء هو الإنسان لأن كل شيء موجود للإنسان وهذا يعني أيضا أن العالم والإنسان هما شيء واحد ولذلك فما سيأتي سيكون منصباً على الإنسان وإذا وردت لفظة الإنسان فعليك أن تعرف إننا نتكلم عن كل شيء...

الفصل الثاني

الحاجة للمعصوم دينياً

إن الدين بمحاولته نقل المجتمع من مرتبة أدنى لمتربة أعلى يعمل على وجهين :

الأوّل - الباطن

الثاني - الظاهر

والباطن هو المتمثل بإعداد الملكات النفسية وغرس الإيمان والحب في قلب المتدين وهذا ما يُسهم في انفتاحه على الآخر والتلاقح فكرياً مع هذا الآخر وبالتالي الخلوص للإرتقاء والكمال الذي لن يكون هناك تطور كوني في النظام من دونه ، وأما الظاهر فهو حياة الناس اليومية من أوضاع اجتماعية وفكرية وثقافية واقتصادية وسياسية .فليست وظيفة الدين هي الرهبنة والعبادة فقط كما يعتقد الكثيرين . بل هو منظومة قيمية تنهض بالإنسان وتترقّى به سلّم الوجود لتجعل منه شيء مُغاير تماماً لما عرفه وتعوّد عليه...

والدين في شقّين :

الأوّل- هو التعاليم أو القيم أو الوحي بنسخته الإبراهيمية

والثاني - هو المُبلغين أو المرشدين أو الأنبياء بالنسخة الإبراهيمية أيضاً مع وجود هذا المفهوم خارج الإبراهيمية .

فأما الشق الاول فهو الشق النظري من الدين والذي يقع عاتق ترجمته وتحويله الى عملي على أولئك المُبلغين أو المرشدين أو الانبياء ،والحاصل أن هذا المبلغ إن لم يكن باطنه مختلفاً عن باطن عامة الناس وإن كان ظاهره موافقاً لهم فقد أي امتياز لتعليم تلك الاصول الموجودة في الشق النظري ،وحينما أقول نظري لا يتبادر لذهنك إنني أقصد النظري بمعناه الدارج !، في كل الأحوال يجب أن يكون باطن ذلك الشخص مختلفاً عن الآخرين لكي نضمن تطبيقه لتلك التعليمات ونقلها لنا بصورة لا تحتمل اللبس أو الخطأ ودون هذا الأمر فلا فرق بين الدين بمعناه الروحي مع أي نظرية وضعية جملةً وتفصيلاً... !

الحاجة للمعصوم فلسفياً

بما أن العالم يخضع باطنه للإختفاء ويقع على عاتق الوحي والفلسفة كشف ذلك الباطن وبما إننا كأشخاص عاديين لا نملك طريق مباشر للوحي في زمن لا تتواجد فيه النبوة في الظاهر طبعاً ! احتجنا للفلسفة كي تكشف لنا عن ذلك الباطن .والفيلسوف مهما كان لا يتعدى كونه شخص عادي مع فارق وحيد وهو أن الأشخاص العاديين على مراتب كما هو الحال في كل شيء والفيلسوف يتربع على عرش تلك المراتب فهو في أعلى مرتبة للكمال البشري ولا تفصله إلا خطوة واحدة لكي يخرج عن الوضع الطبيعي والعادي لكنه يبقى عادياً في النهاية .ولأنه كذلك فهو معرّض لعدم فهم الإشارات القادمة من عالم الباطن وعدم الفهم هذا يسبب إرباك في مدلولاته الفلسفية وبالتالي إرباك في كامل المنظومة الفكرية الإنسانية .فحتى تكون قراءة الإشارات القادمة من عالم الباطن صحيحة نحتاج لوجود فيلسوف بعيد عن الخطأ وعارف تمام المعرفة معنى تلك الإشارات لأنها مختلفة تمام الإختلاف عمّا نعرفه نحن وهذا يستوجب أن يكون ذلك الفيلسوف مُطلعاً على عالم الباطن إطلاع من عاش فيه لا من يفهم إشاراته فحسب لأن مجرد الفهم لا يأتي إلا بالقياس والنظر والقياس والنظر بلغ ما بلغ ليس كالعيان والمشاهدة .ولهذا تحتاج الفلسفة لمثل هذا الفيلسوف بلا شك أو ريب...

الحاجة للمعصوم علمياً

بنظرة خاطفة للعلم وما يجري في أروقة كُبرى الأكاديميات في العالم . يبدو واضحاً مقدار التخبط الموجود والتعارض بين العلوم مع دراستها لشيء واحد أو نظام واحد أو موجود واحد . فمثلاً إذا أردنا دراسة مادة معينة وإدخالها للمختبر فسيكون لدينا آراء متباينة بعدد أهل الإختصاص الذين يفسّر كل واحد منهم طبيعة تلك المادة كما هي في أدبيات تخصصه وبالتالي فتعريفنا لتلك المادة يظل حمّال ذو وجوه وغير قابل للقطع وذلك بسبب إختلاف منهج العلماء وتنوّع علومهم ، وبالتالي هذا يعمل على تشتيت الجهد وتوزيع مساحات القوة بين الفرقاء ويترتب على هذا ضياع الكثير بل أكثر الطاقات هباءً دون أي فائدة ، لكن لو كان لدينا عالم متخصص في كل تلك العلوم فهو يعرف تماماً أن هدف كل العلوم هو شيء واحد كما يعرف أن العلوم تتكامل فيما بينها ومن المؤكد أنه سيخرج بنتيجة موحدة عن كل تلك الآراء مع الآخذ بنظر الإعتبار أنه غير قابل للخطأ بحكم العصمة التي يمتلكها ، والعلم ليس مجرد شيء ثانوي في حياة الإنسان بل هو شيء أساسي وأصيل وتبقى الحاجة له مُلحة دائماً وأبداً وعليه فلابد من وجود عالم قادر على كشف ما اختفى علينا من معارف .فأنت مثلاً إذا ما دخلت الى حقل الفيزياء ستجد نظريات غامضة وعسيرة على الفهم بل حقائق عسيرة على الاستيعاب ، فالتراكب مثلاً ونظريات مثل نظرية الأوتار الفائقة أو الأكوان المتوازية أو حتى نتائج بعض التجارب الواقعية مثل تجربة الشق المزدوج وغيرها الكثير ، هذه الأشياء لا يمكن لنا استيعابها مع بقاء الواقع العلمي على ما هو عليه الآن .فأنا وأنت وكل من لديه اطلاع يعلم أن البابليين القدامى اكتشفوا كوكب اورانوس .ولكن كيف ؟ يبقى هذا لغزاً كبيراً . كما إننا نعرف أن كل شيء يعمل لكن كيف؟ يبقى ذلك لغزاً ومهمة العلم أو جزء كبير منها ينصب على الكشف عن هذا الغموض وإيصالنا لبر المعرفة الخالصة التي نحتاجها لكي نتكامل .ومادام العلماء بالحال التي تراها أنت اليوم فمن المحال أن يحصل تقدم يذكر .ولهذا أصبحت الحاجة لوجود عالِم بتلك المواصفات التي ذكرناها حاجة وجودية لا تقبل النقاش أبداً...

فلسفة الدين

إن الفلسفة الكامنة خلف ظاهر الدين تتلخص مهمتها في شيء واحد فقط وهو الإرتقاء بالإنسان وإيصاله لأقصى مرتبة ممكنة من مراتب الكمال .فالسماء لن تعود عليها عبادة الإنسان أو صلاته بالفائدة وإنما الصلاة والصيام والطقوس والشعائر والأحكام وكل الفعاليات الأخلاقية العملية والنظرية والتصرفات وكل شيء يطلبه الدين من المتدين .كلها دون استثناء تصب في مصلحة المتدين ومن يعتنق الدين يعتنقه لكي يصل به الدين للكمال ودون هذا الفهم لن يعود هناك من معنى لأي شيء . فالحق تقدست أسماؤه ليس بحاجة لي أو لك لأنه غني مطلق .وبالتالي لا يمكن فهم التعاليم الدينية إلا على أساس هذا الفهم . ومهمة الدين كما أسلفنا هي الإرتقاء بالإنسان وجعله يعيش بسعادة ورفاهية وطمئنينة روحية لكي يُسَخِّر لنفسه كل شيء وبالتالي يفوز بالجنة التي وعده الله بها . فليس عليك أن تتخيل وأنت واقف تصلي أن فرض السماء عليك للصلاة نابع من شيء أكثر من كون السماء أوجدتك في هذا العالم لتؤدي وتلعب دوراً محورياً في النظام الكوني والصلاة هي مجرد تمرين للإرتقاء لما هو أعلى مرتبة وأهم وهو كمالك أنت فالصلاة تُتَرجم قوة امتثالك للأوامر وهي مقياس أساسي لقياس انضباطك والتحسين من سلوكك ولأن الفحشاء والمنكر أمور تؤثر في تكاملك فهي تنهى عنهما ولأنها تنهى عنهما فإنك تحاول أن تثبت أنك قادر على الإنتهاء منهما فأنت تصلي ولأنك تصلي فأنت تمتلك الثقة النفسية بأنك قادر على الإنتهاء منهما ولأنك تمتلك الثقة النفسية فأنت قادر على امتلاك ثقة أكبر ويمكن الإعتماد عليك لتكون خليفة الله على الأرض بعد أن قالوا عنك وهم يسألون خالقك العظيم **(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)!**

لهذا فالدين وتعاليم الدين ليست أكثر من انماط ترتقي بالإنسان لكي يلعب دوره العظيم الذي خُلِق من اجله فالإنسان لم يخلق لكي يصلي أو يصوم أو يمارس الطقوس الدينية فهذا الفهم فهم ساذج جدا .ولكن الإنسان خُلق لغاية ومهمة أعظم لكن تلك الغاية وتلك المهمة تحتاج للتمهيد والمجاهدة والتدريب واعداد النفس وزرع الثقة فيها .وحتى يكون كل هذا فأنت يجب أن تصلي وان تصوم وأن تمارس الطقوس الدينية وهذه هي فلسفة الدين...

فلسفة العلم

أراني لست مضطراً للإسهاب في إثبات أن الغاية خلف العلم هي الإرتقاء بمستوى الإنسان وإخراجه من ظلام الجهل لنور المعرفة . فالإنسان الجاهل إنسان أعمى لا يمكن الإعتماد عليه في القضايا الضخمة والفكرة من وراء دخولنا للمدرسة ماهي إلا إبعاد شبح الجهل عن حياتنا وهذه الحياة من خلال وجود العلم فيها تطورت وستتطور حتى تصل بالإنسان لسعادته المنشودة لكي ينعم بالراحة والرفاه وكلما تنعّم بالراحة والسعادة والرفاه كلما زاد انتاجه الفكري والعلمي واصبح انساناً يتمتع بدرجة عالية من الإنضباط وهذا يؤهله لأخذ دوره ولعبه بشكل ممتاز ، فالعلم ليس كما يتخيله البعض من أنه مجرد أداة يخرج بها الإنسان من مرحلة الى مرحلة ثانية .وبعبارة أخرى لا يمكن القول أنه جاهل فإذا تعلم أصبح عالماً .فهذا الإنتقال بين المراحل لا معنى له .فافترض انه أصبح عالماً ثم ماذا ؟

ولهذا يجب أن تكون هناك ثمرة في نهاية الأمر فملايين بني البشر الذين يدرسون التاريخ مثلاً لا يمكننا أن نقول إنهم درسوا التاريخ لكي يعرفوا ما حدث في الماضي فهذا الفهم فهم ساذج وسطحي . كما لا يمكننا ان ندّعي إنهم درسوا التاريخ لكي يستلهموا منه العبر التي تفيدهم في المستقبل فقط . فهذا الفهم اكثر سطحية من الفهم الأول .وافترض أنهم درسوا التاريخ كي لا يكرروا الأخطاء ثم ماذا ؟

هل حققوا ذلك أم لا ؟ ، هل أخطاء الماضي لم تعد موجودة ؟ ، هل بعد دراسة كل إولئك الأشخاص للتاريخ هل وصلت البشرية لقناعة تامة باستبدال نفس طريقة العمل التي كان يعمل بها الماضين وأدت الى حدوث تلك الأحداث التاريخية أم لا ؟ ، وإذا كان الجواب لا فما فائدة دراسة التاريخ إذن ؟ ، وإذا كان الجواب نعم فبماذا نفسّر بقاء البشرية بنفس تكراراها لذات أخطاء الماضي ؟ ...

ولك أن تطبق هذا المثال على كل باب من أبواب العلم إلا ما ندر جدا .!

ولهذا فالعلم ليس في حقيقته وجوهره يخدم طموح مادي كما هو حاله الآن بل هو يتخطى ذلك بكثير ومهمته الأصلية كما هي مهمة الدين الإرتقاء بالإنسان ليغير منهج حياته من الأساسات وهذا التغير سوف يغير معه كل شيء وأول شيء هو نظرة الإنسان للأشياء من حوله ولنفسه أول الأمر .وبدون هذا الفهم سيبقى العلم مجرد حبر على ورق ولن يتجاوز دوره المادي إطلاقاً وهو أعظم وأجل وأشرف من أن يحصره أحد بالبعد المادي .ولهذا ففلسفة العلم هي ذاتها فلسفة الدين فكلاهما يتجهان لنفس الإتجاه ويريدان الوصول بالإنسان لنفس الهدف وذات الغاية...

فلسفة الحياة

ربما يكون فهمنا للحياة فهماً قاصراً عن إدراك معناها الحقيقي بل هو كذلك بلا شك .ولكن مع هذا لا يمكن أن نتخيل معنى لها كالمعاني التي تركز عليها هي .فالحياة بما هي حياة لا قيمة لها .لأنه ما من معنى أن يولد الإنسان ويتعلم ويعمل ويترقّى ثم يموت وينتهي كل شيء ، إن الفينومينولوجيا أو الفلسفة الظاهراتية التي جاءنا بها (إدموند هوسرل) تقول أن الإنسان عليه أن يدرس الظواهر بما تتعلق به هو .أي أن كل حركة من حركات هذا العالم وظواهره يجب أن تُدرس كظاهرة خاصة بالفرد وعليه أن يعرف مدى تعلق تلك الظاهرة به . وهنا نحتاج لطرح السؤال الأهم : ما هو الذي نستفيده من الحياة ؟

إن الحياة عبارة عن حلبة كبيرة تتصارع فيها الأفكار والإتجاهات وهذا واضح جدا .فهل الحياة بمعناها الأساسي هي هذه الصراعات بين الرؤى والأفكار !

إننا إذا لاحظنا تطور الحياة الإنسانية على وجه الخصوص من الكهف الى طائرات البوينغ . نجد هذه الوتيرة التصاعدية في كل مدلولات هذه الحياة فمع تطور الأفكار تتطور وسائل العيش ومع تطور وسائل العيش تزداد تعقيدات الظروف وهكذا .الى درجة أن مجرد التفكير في العودة للعيش في الكهوف والإرتزاق على الصيد أمر عسير جداً بل يبدو مخيفاً وبعيداً عن المنال وكل هذا نابع من التعقيد الذي طرأ على أنماط الحياة ومازال هذا التعقيد يزداد الى أن يصل لمرحلة يكون فيها شرب الماء مُحتاج لأكثر الفعاليات تعقيداً إذا ما بقي الوضع على ما هو عليه .

وكلما ازدادت تعقيدات الحياة كلما ظهر التفاوت الطبقي واصبحت هناك طبقة ثرية أكثر وطبقة على العكس منها مسحوقة مقهورة مغلوبة على أمرها .وهذه الهندسة الإجتماعية كانت وستبقى هي الحاكمة على ربوع الإنسانية مالم نغيّر فهمنا للغاية التي وجدت من أجلها الحياة...

فللآن نحن لا نفكر بالحياة إلا على الصعيد الفردي وهذه الفردية هي الأصل في كل الشرور الموجودة في مجتمعاتنا حتى أصبحت الحياة شيء لا يُطاق ويندفع الكثيرين بسبب هذا الضغط للتخلص منها بالإنتحار وإزهاق الأرواح .وهذا هو انعكاس لعدم فهمها وفهم الغاية الكامنة خلفها والقيمة الحقيقية لها . فعلى مدار آلاف السنوات ظلت البشرية بذات الفهم للحياة .وأما التطور الذي طرأ عليها أي على البشرية لم يحل جذر المشكلة فهو يمنح مجموعة من الأشخاص السلطة والنفوذ والمال فيما يُمعن في زيادة بؤس وشقاء وتردي مجموعة أخرى ، فهل الحياة هي هذا الصراع الدائم الذي يأخذ أكثر من شكل لكنه في كل مرة يأتي بنفس النتيجة ؟

فهناك الصراع ضد الفقر وضد المرض وضد الجهل وضد الحرية وضد الباطل وضد الحق وضد الجمال وضد الإنغلاق وضد الإنفتاح وضد العولمة وضد التحزب وضد الالحاد وضد الدين وضد العلم وضد الفلسفة وضد المرأة وضد الرجل .وضد كل شيء وكل شيء له ضد والصراع حاضر وبقوة في كل شيء مع كل شيء فهل هذه هي حقيقة الحياة ، هل حقيقة الحياة أنها صراع طويل الأمد بين كل شيء أم ماذا بالضبط !!!

الخطأ الذي وقع فيه الكثير من الفلاسفة والمفكرين والعلماء ورجال اللاهوت بنظري هو اعتمادهم على ما تُعطيه الحياة لتفسير الحياة نفسها ، فالفيلسوف مثلاً يعتمد قراءته الشخصية للحياة في إعطاء تفسير منطقي لها وبطبيعة الحال هذا أمر بديهي وطبيعي ومنطقي كذلك . لكن التنوّع في أنماط الحياة وطرائقها يحتاج أكثر من مجرد رأي شخصي لفهمها .فمع تأكيدنا على الظاهراتية أو(الفينومينولوجيا) وحرصنا على قراءتها قراءة واقعية لأنها الأقرب للنفوس من حيث القبول .إلا إننا يجب أن نجمع تلك القراءات في بوتقة واحدة على اختلاف الأشخاص .فكل قارئ لديه نظرة تنتهي له من الظواهر التي يستجليها من الحياة وهي تمثل قناعاته التي توصّل لها .فيجب أن نجمع تلك القناعات في قالب واحد حتى نفهم ماهي الحياة .وما القيمة الفعلية لها .لأننا في الواقع للآن لا نفهم المغزى منها وفق التقديم الفردي . بمعنى إذا ما نظرنا للحياة من منظور رجل الدين لوحده .فهو لا يعطينا معنى لها فما الفائدة من خلق الإنسان وامتحانه مع العلم سلفاً بأنه سيدخل النار أو الجنة ثم يموت ويذهب أما للنار وأما للجنة ، هذا الفهم السطحي من قبل بعض رجال الدين برأيي الشخصي وهو إهانة لحكمة وقدرة وتدبير الخالق العظيم .هذا الخالق المبدع الجبار المُقتدر حاشاه أن يفعل هذا اللون من العبث الذي لا طائل منه فهو منزّهٌ عن مثل هذا العبث ،وكذلك الفيلسوف والتفسير الذي يعطيه للحياة وكذلك العلماء التجريبيين الذين إذا اطلعت على آرائهم في معنى الحياة لوليت منهم مذعورا لأنها في الغالب آراء سطحية لا مقبولية عقلية لها ...

البعض يعتقد ان المعرفة هي القيمة الفعلية خلف الحياة ولا أدري ما فائدة المعرفة بذاتها فالمعرفة وسيلة وإذا تحولت لغاية فلن نصل لنهاية أبدا لأنها لا نهائية وبهذا يتلاشى الهدف ، والبعض يعتقد أن الحياة مجرد امتحان والحياة الفعلية هي هناك عند الله أما في الجحيم أو في النعيم .وأنا من هذا الفريق الذي يعتقد أن الحياة الفعلية هي تلك الحياة الأُخروية .لكن قومي من أصحاب هذا الإتجاه يقدمون قراءة فردية وأنا لا اوافق عليها أبداً . والبعض يعتقد أن الحياة مجرد تطور مادي وستزول بزوال الإنسان وبالتالي يجب أن تعيش سعيداً قدر الإمكان لأنك في النهاية سوف تفنى .ولا أدري ما معنى الفناء عند هؤلاء وقد أثبتنا فيما سبق أن الفناء مجرد وهم وأن الواقع يقول كل الأحداث تبقى خالدة بفعل الحركة وانتقال الصورة وسيأتي المزيد بإذنه تعالى ، وهناك البعض ليس له رأي في القضية وهم الغالبية...

إنني مع اعتقادي الراسخ بأن الحياة الفعلية هي تلك التي سوف نعيشها في الآخرة أمّا في الجحيم أو في النعيم .لكنني لا أوافق على القراءة الفردية .بمعنى إنني لا أوافق على الرأي القائل إن عليك أن تكون ملتزماً بالضوابط الدينية وتكون رجلاً صالحاً وأنت حي فإذا متّ أدخلك الله الجنة أو إذا كنت طالحاً أدخلك الله النار وانتهى كل شيء .أنا لا أوافق على هذه القراءة السطحية فهي خلاف حكمة وعظمة الباري عز وجل .إذ إنها تفسّر المسألة بالفردية وتدفع الأفراد كأفراد لكي يكونوا صالحين دون النظر الى أن مقررات الدين والتي في أغلب مواردها تجنح للجمع بين الناس وتحض على الوحدة بينهم والعمل الجماعي من أجل الإرتقاء بل وحتى من أجل دخول الجنة .ثم يأتي البعض بهذه الفردية ويخالف كل شيء دون أن يلتفت غالباً ، وبهذه الفردية أيضا فسّر هذا البعض الحياة كما شارك الآخرين نفس التفسير الفردي للحياة وهذا ما نرفضه جملةً وتفصيلاً !

إن الهدف والغاية من خلف الحياة من وجهة نظري القاصرة بلا شك ، هي انتقال الإنسان من مرتبة الى مرتبة أخرى .أي من طبيعة وماهية الى طبيعة وماهية أخرى حتى يصل الى المرتبة العليا وهي ما لخصته هذه الجملة (عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون)!

إن هذا الفهم هو الفهم الأقرب لإعطاء معنى كامن خلف الوقائع اليومية التي نعيشها والتي تدفعنا للسؤال عن مغزى هذه الحياة وقيمتها وهذا الفهم لا يتعارض مع فهم الدين أو الفلسفة أو العلم أو التاريخ على الإطلاق بل هو خلاصة كل ما تقدم وحتى نصل لتلك المرتبة التي نكون فيها قادرين على القول للشيء كن فيكون يجب أن يكون هناك قائد يجمعنا كلنا ويستأصل الفردانية من توجهاتنا وللأبد .لأن الفردانية هي الحائل بيننا وبين تلك المرتبة .فنحن لا نستطيع الآن التحرك ولو خطوة واحدة دون أن نشعر بتأثير تلك الفردانية على خطواتنا المتثاقلة والمترنحة وعليه كانت البشرية ولقرون طويلة تدور في نفس الدائرة من التفسيرات للحياة ولكنها لم تصل لنتيجة مع وجود أفكار فذة استطاعت أن ترسم الطريق وفشل البشرية هذا ناتج عن سلطة الفردانية وتحكمها في رسم معالم مخصوصة للناس ، والناس منهم من أراد التخلص من الفردانية والذوبان و الإنصهار في المجتمع لكن المجتمع لم يسمح لهم بذلك أبداً وخذ إليك الأنبياء على سبيل المثال فمع كل محاولاتهم للإنصهار في المجتمع ونبذ الفردانية إلا أن المجتمع ظلّ على حاله وبالتالي منعهم من هذا بأن عرّفهم بأنهم حالة خاصة في المجتمع والمفروض أنهم جاؤوا ليجعلوا كل الناس مثلهم لكن المجتمع رفض هذا لأنه تمسك بنفس نمط الحياة التي كان عليها وبالتالي منع الأنبياء من الإنصهار في المجتمع فأصبحوا حالة نادرة وخاصة في أي مجتمع نزلوا وحلّوا فيه...

ووجود قائد يدلُّنا على طريق الخلاص من الفردانية أمر بديهي .ولكن صفات ذلك القائد يجب أن تكون مختلفة وهذا بديهي أيضا وأول ما يختلف فيه عنّا هو أنه عاش الباطن كما عاش الظاهر !. بمعنى أنه مطّلع على الباطن كاطّلاعه على الظاهر لأن المعنى كامن في الباطن والباطن هو الأصل كما سلف أن قرأت . وهذا يعني أن ذلك القائد وصل لمرتبة أن يقول للشيء كن فيكون .وبالمناسبة هذا ليس فقط ما جاء به الدين بل إن كل من الفلسفة والعلم والتاريخ ومجمل التراث الإنساني يتجه لهذه المرتبة فأنت إذا نظرت للهدف العميق للعلم أو للفلسفة أو للدين أو حتى للفن ستجد أن الغاية القصوى خلف كل هذه المفاهيم هو الوصول بالإنسان لأقصى مرتبة متاحة من القوة والجمال والإبداع والكمال وتسخير كل شيء من أجله وبالتالي هذا الفهم ليس بدعة أو فهم فردي لكاتب هذا الكتاب فانتبه !!!

وبعد أن عرفنا وجه الحاجة للمعصوم في كل من الدين والعلم والفلسفة . وكشاعر وفنان أقولها متيقناً أن الفن أيضاً محتاج للمعصوم .

فبعد أن عرفنا وجه الحاجة له في تلك المفاهيم وعرفنا إن الفلسفة الكامنة خلف الحياة هي الوصول بالإنسان لمرتبة (كن فيكون) وإنه لابد من وجود قائد وسنقول لاحقاً لماذا يجب أن يكون هناك قائد ، فبعد هذا كله علينا أن نتوغل أكثر لنفهم ماهي العصمة أصلاً !

تعريف العصمة

للعصمة أكثر من معنى فمنها اللغوي إذ جاء في القاموس (عَصَمَ ، يَعصِم :اكتسب ،ومنع ،ووقى ..والعصمة بالكسر : المنع)المصدر القاموس المحيط /ج/٤-ص/٢١٢.مادة [عصم]

ومنها الديني فإن الدين يقول بوجود العصمة إن في الأشخاص كالأنبياء والائمة أو في الإجماع أي إن إجماع الأمة معصوم عن الخطأ .

ومنها الفلسفي . فكثير من الفلاسفة يعتقدون بأن العقل الإلهي معصوم عن الخطأ ومنهم رينيه ديكارت وتوما الإكويني وصدر المتألهين والكثير إن لم يكن الأكثر .

ومنها العلمي . فالعلماء ينسبون العصمة لمعادلات الرياضيات إذ إنها غير قابلة للخطأ

ويوجد للعصمة أكثر من مظهر وأكثر من معنى وخصوصاً في الفهم الديني يوجد كلام كثير حولها وقد أشبع أهل الإختصاص هذا البحث دراسةً ونقاشاً وبالأخص لدى المسلمين الشيعة ، فهذا البحث يُعَدُ أساسياً في اعتقاداتهم بل المحك في قبول أو عدم قبول الشخص بأنه شيعي أو غير شيعي هو العصمة خصوصاً عصمة الأئمة من أهل البيت صلوات ربي عليهم أجمعين . وقد فصّلوا في ذلك في الفلسفة وفي علم الكلام والسنة الشريفة والرؤية القرآنية وهذا أوضح من أن نتكلم به...

على العموم يوجد أكثر من معنى وتفسير للعصمة ، لكننا هنا وتماشياً مع النمط الذي ارتأيناه واتخذناه في هذا الكتاب ولأننا نريد أن يكون الكتاب بخطابه موجهاً للجميع بغض النظر عن عقيدة واعتقاد ودين ومذهب وتوجه الكاتب ، فسنحاول قدر الإمكان الإتيان بتعريف مُبَسَّط جداً للعصمة ومنسجم مع الطرح الذي نتبناه ...

العصمة تعني ببساطة وجود إنسان استطاع أن يتخلص من ضغط المادة والحس وهذا التحرر أتاح له الإطلاع على حقائق الباطن وبالتالي هو يفهم تماماً أنه لماذا إذا وقعت بذرتين لوردتين على جانب الطريق وامطرت الدنيا عليهما وتعرّضتا لنفس درجة الحرارة والرطوبة وأخذتا نفس الحصة من ضوء الشمس وتمتعتا بنفس التربة ولكن نبتت إحداهما ولم تنبت الأخرى .فهو يعرف هذا تماماً لسبب بسيط وهو أنه بعيد عن احتمال الخطأ في الإسلوب الذي يتبعه لكي يُقيم المعادلة العلمية فهو ليس عالماً بالغيب لأن الغيب من مختصّات الله .بل هو لا يغلط في المعادلة . بمعنى إننا إذا جئنا بأحد العلماء وسألناه عن السبب الذي جعل إحدى تلك البذرتين تنبت وتعيش دون الأخرى فهو سيتخذ بحثاً علمياً بوسائل علمية لكي يعطينا الإجابة ولكن الفرق بين هذا العالم وبين المعصوم هو أن العالم العادي قد يخطئ في الطريق للمعرفة وأقول في الطريق للمعرفة لأن المعرفة هي المعرفة دائماً وهي حقيقة ثابتة لا تقبل الخطأ فهو قد يخطئ في الطريق الذي يتخذه للوصول للجواب أما المعصوم فلا يخطئ الطريق لأنه ببساطة تحرر من ضغط المادة واستطاع أن يصل للباطن لأنه هو الأصل وعليه فمعرفته بالسبب الذي أدى لعدم خروج البذرة للحياة ستكون معرفة من أحاط بالأسباب الكامنة خلف

الطبيعة وهذا يعني أنه يعرف الواقع كما هو لا كما نعرفه نحن .وهذا يستلزم في وجه من وجوهه أنه يعيش في زمن مختلف عن الزمن الذي نعيشه نحن من حيث الطبيعة والماهية .إذ إننا لا نملك وسيلة للوصول للحقائق الخارجية مباشرة ولهذا لا نصل للواقع أبدا .فحينما أكلمك مثلاً أكون أنا أكلمك في الماضي وأنت تسمعني في المستقبل لأن الصوت يحتاج لوقت كي يتقل وكذلك أنت تحتاج لوقت كي تحلل المعلومات الواردة في جهازك العصبي وبالتالي فأنت وأنا كلانا غير قادرين على الوصول للواقع وملامسته أما المعصوم فهو قادر على ذلك وهذا يعني أنه يُلامس ويُعاصر ويُعايش الحدث أثناء وقوعه وكنتيجة لهذا هو يمتلك رؤية واقعية عن الحقيقة وهي حقيقة كاملة بالقياس للحقائق عندي وعندك !

ومعنى أنه مُتحرر من المادة ، أي من الضغط الذي تُمارسه عليه من حيث المحدودية والحدّ بكل أشكاله ، الزمني ، والمكاني ، ولذا فتبعاً لهذا تكون الأبعاد لديه مُختلفة عمّا نعرفه بحواسِّنا ، وهذا ليس في المعصوم فقط بل إنه متوافر خارج مفهوم العصمة . فقد تكلم الدكتور (روبرت شيلدريك) بالتفصيل عن مثل هذه الخوارق لدى أشخاص كثيرين ، علماً أنها ليست خوارق إذ سيأتي لاحقاً أن المعجزة ليست خرقاً لنواميس الطبيعة !

وبمثال أسهل وأبسط : فأنا وأنت ينقسم عندنا الوقت لحاضر ومستقبل وماضي أما هو أي المعصوم ! فلا ، فنحن مقيدين بهذا الزمن ولهذا لا يمكننا معرفة ما سيأتي في المستقبل أما هو فلأنه بلغ من العلم مرتبة أن يقول للشيء كن فيكون فهو قادر على العيش في الحاضر والماضي والمستقبل في آن واحد ولانه هكذا فهو يعرف أسباب العلل بل هو كان حاضراً حين وجدت تلك العلل ومطلعاً عليها مع فارق وحيد وهو أن هذا الإطلاع تارة يكون بوجوده هو شخصياً وتارة بالنقل وهذه مهمة الوحي ...

وبناءً على ما تقدم فالعصمة تعني ببساطة العلم الكُلي والإحاطة التامة وهذه الإحاطة وهذا العلم هو ذاته ما بحثت عنه الإنسانية على مدار آلاف السنين وهو أيضا ما يريد كل من الدين والفلسفة والعلم إيصال الناس له .وهو كذلك الغاية من خلف الحياة والمعنى الكامن خلف وجودها ودونه لا معنى لأي شيء على الإطلاق . . .

وبطبيعة الحال فهذا تبسيط للفكرة وإلا فهي أعمق من هذا بكثير فيمكن المراجعة في مباحث علم الكلام للإستزادة !

فلسفة العصمة

لما كان الإنسان قاصراً عن فهم كل شيء دُفعةً واحدة .ويحتاج حتى يصل للكمال فترة طويلة من الدراسة والتأمل والمجاهدة وفهم الطرائقية التي تسير فيها أنماط الحياة على اختلافها وتنوعها ، كان من اللازم وجود هدف وغاية تدفعه نحو ذلك الهاجس الملازم له دائماً . فطبيعة الإنسان التي جُبِل عليها أنه يسعى دون هوادة ليكون في مرتبة أعلى من المرتبة التي هو فيها .فإن كان متوسط المعرفة فهو ينظر دائما لمن هو فوقه بمرتبة ويسعى ليكون مساوٍ له وإن كان في وضع مادي معين فهو ينظر لمن هو فوقه ويسعى للوصول لمرتبته تلك ، وهذه هي الفائدة من وجود القدوة ولا شيء آخر فنحن بحاجة لوجود قدوة في كل شيء ودائما يوجد من هو أعلى منّا فالعالِم مهما بلغ من علم يوجد دائما من هو أكثر علم منه .والغني كذلك والمتدين كذلك وفي كل شيء يوجد

الأعلى وهذا قانون وجودي شامل وعام ، فحتى التسافل محكوم بذات القانون .فقد يتسافل الإنسان لكنه مهما بلغ تسافله يوجد من هو أسفل منه حتى يصل لنقطة معينة يبدأ منها كل شيء ولا فرق في تسافله أو تعاليه إطلاقاً ...

من هنا فلابد من وجود الأفضل والأعلى مرتبة .وهذا ما سنتعرض له بالتفصيل لاحقاً ! ولأن العصمة كما عرّفناها قبل قليل بأنها العلم الكُلي الشامل الذي لا يقبل الخطأ فهذا التعريف هو ذاته الفلسفة الكامنة خلف وجودها ولأننا محتاجون لوجود مثل هذا الإنسان المعصوم .فنحن نسعى بعلم منّا أو بغير علم للوصول لمرتبة ذلك الإنسان لأننا مدفوعون بالأمل لمستقبل أفضل وهذا الدافع والأمل لا يأتي إلا من خلال وجود القدوة ومن هو أفضل منّا وإلا لو تساوى الكل في مرتبة واحدة لما عاد هناك من معنى لكي نسعى لنكون في مرتبة أعلى وأفضل لأننا حينها سنعتقد أننا وصلنا أقصى مرتبة ممكنة بدليل أنه لا يوجد من هو أفضل ، وهكذا سيتوقف ذلك الأمل ويتجمد كل شيء ،لكن مع وجود الأفضل ستتواجد القدوة ومع وجود القدوة سنسعى للإرتقاء للأعلى .وهذا السفر للأعلى يجب أن ينتهي لإنسان هو القمة في كل شيء فمبدأ التفاضُل يحتم الخلوص لمثل هذه النتيجة وإن كان أغلب الناس لا يشعرون بهذا أو بعبارة أدق يشعرون به ولكنهم غير قادرين على وضع ذلك الشعور في إطار منطقي ومن ثم تعريفه تعريف مقبول ومنهجي...

وهذا يعني إنه مع عدم وجود المعصوم وهو القمة الكمالية الإنسانية فلا يمكن أن تتقدم الحياة وان تعبر محطّات التدني الى محطّات التعالى وسيتوقف كل شيء تماماً .ولهذا فوجود المعصوم ليس أمراً قابلاً للنقاش أو الرد أو المُداولة بل هو حقيقة وجودية ثابتة نستشعر آثارها في كامل المنظومة الفكرية الإنسانية وهي الغاية القصوى من وجود الإنسان في الأصل .وهذه هي فلسفة العصمة !

لماذا يجب أن يكون القائد معصوماً

إذا نظرنا لمُجمل الفلاسفة في جمهورياتهم وعلى رأسهم افلاطون الذي كتب عن لسان أُستاذه سقراط كتابه الجمهورية وهو أشهر مؤلفاته وكيف تكلم عن فكرة العدالة وقسّم مرتكزات الدولة وصفات كل فريق فيها .وقد أكد على ضرورة أن يكون الملك أو الحاكم أو الرئيس أو القائد فيلسوفاً ، كما إذا نظرنا الى الأنبياء وكيف مارسوا قيادتهم واتِّباعُهم اسلوب الحكمة ، أو إذا نظرنا الى واقعنا مباشرةً ورأينا التردي الحاصل فيه وعرفنا أن السبب خلفه مباشرةً عدم وجود قائد فذ ، فسوف نفهم وجه الحاجة لوجود قائد معصوم...

فمن الممكن أن يوجد هناك قائد ناجح وقد ثبت في تاريخ الإنسانية وجود قادة ناجحين ازدهرت أممهم إبان حكمهم وعمَّ العدل والرفاه على ربوع بلادهم وكانوا مثالاً يحتذى به في الإنضباط والنزاهة والعمل الدؤوب من أجل حفظ شعوبهم وديمومة حالة الرخاء التي تعيشها تلك الشعوب .كل هذا ممكن بل حصل بالفعل على أرض الواقع ،لكن كل إولئك القادة كانوا يخدمون صقع من أصقاع الأرض وشعب من شعوبها ولم تخرج قيادتهم للعالمية ولم تأخذ ولو دوراً صغيراً في قيادة الإنسانية فحتى الإنبياء الذين يكون صلب دوعوتهم هو الإنسانية والعالمية لم تسمح لهم الظروف بتطبيق تلك العالمية بفعل وجود التيارات المناهضة لحركاتهم والتي تشل

المجتمع الإنساني عن قبول أفكارهم الوحدوية العالمية ذات الطابع الإنساني البحت .ولهذا فلا يقول قائل أن هناك قادة أثبتوا نجاحهم وهم غير معصومين .لأن نجاح اولئك القادة لم يكن نجاحاً في قيادة الإنسانية جمعاء بل هو نجاح جزئي محلّي وليس هذا هو محل بحثنا الحالي...

ففكرة وجود قائد يكون فيلسوفاً وعالماً ومؤيَّداً من السماء وحكيماً شجاعاً عادلاً ،فكرة قديمة قدم الفكر الإنساني وكما أسلفنا بأن هذه الفكرة هي فكرة لولاها لما كانت هناك قيمة للحياة أو للإنسان الذي يمثل قيمة تلك الحياة .وإذا كنّا متأكدين أنه كان هناك بعض القادة الذين نجحوا في قيادة مجتمعاتهم .فالسؤال إذن ماهو المانع الذي جعل مثل إولئك القادة لا يتقدمون ويقومون بالخطوة الكبيرة وهي النجاح في قيادة الإنسانية ؟

فالجواب هنا على مستويين :

الأوّل... أن المجتمع الإنساني لم يكن قد وصل بعد لمرتبة يفهم فيها العصمة والقيادة العالمية وأن هناك عالم باطن وعالم ظاهر كما نفهم هذه الأمور نحن اليوم ونتكلم عنها في هذا الكتاب وعشرات الكتب من نوعه وجنسه . ولأن الإنسانية كانت تعيش طفولتها وهي للآن كما أعتقد لم تتجاوز مرحلة المراهقة فهي لم تكن مؤهلة لظهور هذا القائد الذي تتلخص مهمته في إيصال الناس لمرتبة ودرجة أن يقولوا للشيء (كن فيكون) فلك أن تتخيل منح جاهل أحمق أرعن سلاحاً نووياً ثم تتكلم عن الأمن والسلام العالمي وضرورة الحفاظ عليهما .فهذا تناقض بل هو الجنون بعينه والسخافة بأجلى صورها...

إذن يجب أن يكون المجتمع مؤهلاً لمثل هذا الامر وقابلاً لتقبل قيادة مثل اولئك القادة.

أما الثاني : فبعض الأحيان يكون هناك خلل في اولئك القادة أنفسهم .بعبارة أدق أنهم قد يكونون ناجحين عسكرياً لكن فاشلين في الإقتصاد مثلاً أو أنهم يكونون فلاسفة لكنهم ليسوا علماء أو أن يكونوا فنانين لكنهم ليسوا رجال لاهوت .وهكذا فهناك خلل ما في منظومة المعرفة لديهم وبما أن البشرية تقتدي بمن هو أعلى منها رتبة وبما أنها تحتوي على رجل اللاهوت والفيلسوف والعالم والفنان فيجب أن يكون القائد متّصفاً بكل هذه الأوصاف وليس ذلك فحسب بل يجب أن يكون هو القدوة في كل تلك الأمور لكي يخضع له الجميع وإلا فسوف نشهد تمرد على قيادته وبالتالي فشل لتلك الحركة التي سوف يقودها...

وقد تقول .أن بعض الإنبياء معصومون لكن لم نشهد نجاحاتهم بقيادة عالمية .فأقول لك إن المقارنة مختلفة لأننا قلنا أنه يجب أن يتوفر شرط بلوغ الإنسانية سن الرشد واجتماع تلك الصفات في القائد كي تنجح الحركة .وحتى عهد ظهور آخر الإنبياء وهو محمد ابن عبد الله صلوات الله عليه وعلى أهل بيته المطهرين .حتى عهد ظهوره وهو آخر الأنبياء زمنياً كانت البشرية تدفن ابناءها أحياء ويقتل بعضها بعض لأتفه الأسباب وأسخفها ولليوم وبعد مرور ألف وأربعمائه سنة على ظهوره روحي له الفداء مازالت البشرية تقتل بعضها البعض ولأتفه وأسخف الأشياء .فكلامك لا محل له من الإعراب أو المنطق !

وإذن .فيبدو جلياً احتياج الإنسانية لقائد معصوم يكون متربعاً على عرش الكمال الإنساني لكي يمارس قيادته دون وجود معارض له .وعدم وجود معارض له ليس منشأهُ إخضاعه الناس للقهر والإضهاد كما نعرف ذلك من سيرة من عاصرناهم في حياتنا من قادة .

بل منشأ ذلك الخضوع هو أن الإنسانية ستدرك أن هذا القائد هو القدوة في كل شيء وأنه لا يتصرف أي تصرف دون أن يكون قد درس الموضوع من كل جوانبه وأنه أعلم الناس بصحة أو عدم صحة هذا الفعل أو ذاك وأنه يعرف باطن الأمور كما يعرف ظاهرها وأضف لكل هذا أنه لا يُخطئ وعلى هذا الأساس فسوف تنساق له الإنسانية طوعاً ولهذا ايضا سوف تتكلل حركته بالنجاح ويصل بالإنسانية للغاية المنشودة وهي جعل الجميع مثله هو !!!

وجه الحاجة للقائد المعصوم

قد يتبادر للذهن سؤال يتعلق بوجه الحاجة لقائد معصوم ولماذا يجب أن يكون معصوماً . فمن الممكن أن يكون ذلك القائد غير معصوم ويحقق نفس النتيجة المرجوة من وجود المعصوم فلماذا القول أنه لابد أن يكون معصوماً. فالإصرار على كونه معصوماً يجعل الإحباط حاضراً في نفوس القادة والمصلحين مع تأكدهم من أنهم ليسوا معصومين وبالتالي سيُكتب الفشل لحركاتهم .فلماذا الإصرار على وجوب أن القائد يجب أن يكون معصوماً ؟

والحقيقة أن هذا السؤال رغم أنه يحمل الكثير من المنطقية في ظاهره إلا أنه فارغ من الفحوى في الباطن وقد قلنا أن كلامنا كله ينصب على الأصل لا على الفرع بمعنى أنه ينصب على الباطن لا على الظاهر .

فما يمكن أن يحققه غير المعصوم مهما كان عظيماً لا يمكن أن يكون قادراً على قلب الموازين رأساً على عقب . لأن غير المعصوم ليس قادراً على استبيان ما خفيَ في عمق الباطن وهنا نعود لمثال البذرتين .فكيف لمن لا يستطيع المجيء بحكم قطعي غير قابل للشك أن يجيبنا عن تساؤلنا حول عدم ظهور البذرة الثانية وعن ظهور الأولى مع توفر كل الظروف لهما ؟ . فهذا يستوجب وجود إنسان عالم قادر على تجاوز الزمن وقيوده ومداركه فوق مدارك بني الإنسان وهذه الفوقية ليس معناها المغايرة في الأصل بل المغايرة في الإمكانات التي منشأها العلم .فإن قلت ربما يوجد إنسان بهذه المواصفات لكنه ليس معصوماً فأقول لك .وماذا تعني العصمة أكثر من هذا فهو معصوم دون شك أو ريب !!!

ولأننا قلنا أن الإنسان بطبيعته يجنح لتقليد القدوة والمثل الأعلى فيجب أن يكون ذلك القائد معصوماً عن الخطأ لأننا نخطط لجعل الإنسانية بكل أفرادها معصومة . بمعنى أن كل الناس وكل فرد من أفراد المجتمع الإنساني سيكون معصوماً ولا أدري هل يستوعب الكل عظمة ورهبة هذا الأمر أم لا ؟

ثم لا تعتقد أن الوصول للعصمة هو اقصى درجة متاحة .لأن ما بعد العصمة أعظم فكما أن البشر العاديين يتبارون ويتنافسون للوصول الى مرتبة الكمال فهناك كمال مابعد العصمة بمعنى أن هناك تفاضل بين المعصومين .وهذا الفهم عام شامل في كل شيء ففي الرياضيات هو موجود وفي الفيزياء وفي الطب وفي

التاريخ وفي الفلسفة وفي السياسة وفي الاقتصاد وفي الحرب وفي الفن وفي الدين وبين الناس وبين الحيوانات وبين العناصر والمواد مثل الماء والنار والارض والسماء وبين المجرمين وبين الأنبياء ايضاً...

ولهذا كان يجب أن يكون القائد شخص مختلف عن طبيعتنا بما لديه من معرفة .وهو ينبذ الفردانية لأن غير المعصوم مهما بلغ سيبقى تحت طائلة الفردانية فإذا نبذها والقاها خلف ظهره أصبح معصوماً .واذا أصبح معصوماً انتفى الإشكال تماماً .ولأنه يجب أن يكون محط آمال وطموحات الإنسانية فيجب أن يكون معصوماً لأن الإنسانية ليست قاصرة عن انتاج العبقري والنابغة .فهناك علماء أفذاذ وساسة بارعين وعباقرة ملهمين لكنهم كلهم دون استثناء معرّضين للخطأ ولا يمكن لهم الإنسياق والإذعان لرجل قد يصيب وقد يخطئ مثلهم ولهذا كان ولابد أن يكون ذلك القائد معصوماً حتى تنتفي أسباب ومسببات وجود معارضة له وهذا ما يغيب عن البعض للأسف البالغ !

ماذا لو كان القائد غير معصوم ؟

إن القيام بتلك الخطوة الجبارة لنقل البشرية من حقبة مراهقتها وطفولتها لحقبة النضوج ووجود الإنسان الإلهي لكي يكون هو الخليفة على الأرض بعد أن اتهموه بأنه (يسفك الدماء) فجاءهم الجواب بأنه(اعلم ما لا تعلمون) فهذه الـ ما وعدم العلم أمران يحتاجان لمزيد من التعمق ولولا إننا أخذنا على عاتقنا عدم التحيّز لدين معين والإبتعاد عن عقيدة الكاتب ودينه لكي ينسجم البحث مع كل الأذواق لفصّلنا في هذا تفصيلاً يغني عن سواه !

وما يهمني الآن هو التركيز على الفكرة .ماذا لو كان القائد غير معصوم .والحقيقة أنه يوجد أكثر من سيناريو للنتيجة التي ستترتب على هذا ولكن أقربها هو الآتي :

إفترض إننا حصلنا على قائد بلغ من العلم مبلغاً عظيما واستطاع أن يعبر بالإنسانية الى مرتبة من الكمال وفقاً لما توفر له من فتوحات علمية استطاع بها أن يجعل من الحياة أمراً مختلفا فهو قادر مثلاً على استعمار الكواكب وتسخير المعادن فيها وهو قادر على دمج العناصر الكيميائية فيما بينها لصناعة الماء والهواء وانتاج أنواع جديدة من النباتات والفواكه وتدجين كل مافي العالم من إمكانات لخدمة الإنسانية وهذا الإفتراض ليس ببعيد أبداً في الواقع .لكننا إذا فحصنا الموضوع باحترافية من يبحث في ما خلف الظاهر سنجد السيناريو الآتي لا محال ! فهذا القائد غير المعصوم لن يتخلص من نزعة الفردانية و (الأنا) وبالتالي هو لن يمنح جميع أفراد المجتمع ذات السلطة العلمية التي يتمتع بها وكنتيجة لهذا فسوف يبقى النظام الحالي قائماً من حيث المبدأ .فلن تتغير قواعد اللعبة وسيبقى هناك رؤساء ومرؤسين بينما القائد المعصوم في حركته يركّز على جعل الجميع بمثل مرتبته بل يعمل من أجل ذلك بكل قوة وهذا الفعل الصادر منه ليس يتأتى من شيء غير عدم تحكّم النزعة الفردانية به .وأما غير المعصوم فسوف يتحول لفرعون جديد وسرعان ما سينهار البناء كله ونشهد تمرد ضد سلطته وبالتالي سيكون مضطراً للرد على هذا التمرد بأكثر من اسلوب وسينتهي به المطاف لاستخدام القوة ثم رويداً رويداً لاستخدام القوة المفرطة فنعود من جديد لنقطة الصفر وبعدها ستكون مهمة القائد المعصوم أكثر صعوبة .ولعل هذا هو الأصل الذي نختلف فيه عن الماركسيين مثلاً إذ أنهم أيضاً يتفقون معنا في ظهور ذلك القائد لكن يختلفون عنا في وصف الملكات التي يتمتع بها والحال كذلك أيضاً مع افلاطون وكل فلاسفة الاغريق في جمهورياتهم ولهذا نرفض تماماً فكرة القائد غير المعصوم للأسباب أعلاه...

لماذا لا يكون كل الناس معصومون وقادة

قبل أن نبدأ يجب أن يستوعب القارئ الكريم إننا لا نريد أن ننفي العصمة و وقوعها عند كل المجتمع في مستقبل البشرية ولكن نحن نريد أن ننفي فكرة أن كل المعصومين متساوين فحتى لو قسنا معصوم لمعصوم آخر وفق قاعدة التفاضل فقد تكون النسبة أن المعصوم الأول انسان عادي وغير معصوم بالقياس للثاني مع أن العصمة قاسم مشترك بين الإثنين فهذا هو المقصود هنا ، أو على أقل التقادير فنحن نتكلم عن المرحلة التأسيسية لجعل العصمة مُتساوية عند الكل وهذه المرحلة بدأت منذ وجود الإنسانية وستبقى الى الفترة القصيرة قبل إتمام الدولة العالمية مهمتها بجعل الكل متساوٍ في الإمكانات بما في ذلك إمكانات العصمة نفسها !

وإذا أردنا تفكيك هذه الفكرة وهي أنه لماذا ليس كل الناس متساوون في مسألة القيادة أو العصمة أو النبوة بل حتى الإبداع مثلاً فلماذا ليس جميع الناس فنانين كالشعراء والرسامين والروائيين .فإذا أردنا تفكيك هذه الفكرة لفهمها فهم كامل غير منقوص فعلينا استخدام قاعدة (الاشياء تعرف بأضدادها) وهذا يحتم علينا أن نسأل السؤال في الإتجاه المعاكس فنقول " لماذا ليس جميع الناس جهلة ومتخلفين وعاجزين عن الفهم" ؟

وجواب هذا السؤال ليس مهماً بقدر أهمية ما يترتب على نتيجة أن جميع الناس جهلة ومتخلفين ! فهذه النتيجة تستوجب أن لا يكون هناك أي انجاز يذكر في تاريخ الإنسانية وبما أن الجميع جهلة ومتخلفين فلن يكون هناك شيء يحرك الجمود الذي يعيشون به وعليه ستتوقف عجلة الحياة عن الحركة وينتهي كل شيء...

بذات المعنى يمكننا الإجابة على التساؤل الأساسي وهو لماذا لا يكون الجميع قادة ومعصومون .والنتيجة واضحة فكما أن الحياة ستتوقف إذا كان الجميع جهلة فكذلك هي ستتوقف إذا أصبح الجميع قادة ومعصومين .لأن الطبقة المحكومة سوف تتلاشى والمعصوم الذي يُفترض أنه قدوة انتفت الحاجة لوجوده فلن يعود هناك معنى لأي شيء... لكن !

قد تتسائل .كيف ينسجم هذا مع الطرح السابق وهو أن مهمة ذلك القائد المعصوم هي جعل الجميع معصومون مثله والآن تقول أنه لو كان الجميع بنفس المرتبة لتوقفت الحياة ؟

فأقول لك .أنه نعم ، إذا كان الكل بمرتبة واحدة توقفت الحياة لكن هناك قيد احترازي وهو أن مهمة القائد المعصوم جعل الجميع معصومون ولكن ليس من صلب مهمته جعل الجميع قادة ! .فهذان أمران مختلفان تمام الإختلاف ثم إننا قلنا أن هناك تكامل ما بعد العصمة أي أن المعصومين يتفاضلون فيما بينهم وبالتالي لا محل للشبهة المطروحة جملةً وتفصيلاً من الإعراب .ثم بعد أن يصل القائد للنجاح في مهمته وهي جعل الجميع معصومين لن يكون هناك حاجة لوجود شيء يسمى قيادة لأن لا أحد سيخالف القانون عندها وسيشترك الجميع في اتخاذ القرارات وإن كانت تلك القرارات محدودة جداً .لأننا نتكلم في ظرف ستنتهي به الحرب ولا تعود هناك حروب في العالم ولا حدود ولا صراع ولا منظمات دولية ولا لغات متعددة وكل هذا سيكون من التراث بل من حقبة مختلفة تماماً في حياة الإنسانية .فحتى لو تنزَّلنا وقلنا بإمكانية أن يكون الكل معصومون وقادة فنحن لا نتكلم عن مرحلة مثل المرحلة الدنيوية التي نعيشها بل نتكلم عن عالم آخر مختلف تمامَ الإختلاف وقفزة للإنسانية

تجعلها تنظر للوراء لترى ما كانت عليه لتضحك بأعلى صوتها .فكما ننظر نحن اليوم للإنسان البدائي المتخلف سينظر ذلك المجمع المعصوم لوضعنا الحالي مع أن نظرتنا للانسان البدائي ملؤها الإحترام لذلك الإنسان الذي أسهم في تقدمنا أما نظرت المجتمع المعصوم لنا ستكون نظرة الضحية الذي طال انتظار خلاصه والسبب هو مجتمعنا الحالي الذي يرفض وبشدة أن يكون مجتمعاً راقياً متحضراً وبهذا يُعطّل انطلاق عجلة ذلك المجتمع الموعود ...

هذا من جهة . ومن أخرى فقد أخبرناك أن الإنسان دائماً وأبداً بحاجة لقدوة ومتى ما انتفى الأعلى تسافل الأدنى .فلا يمكن جعل الجميع في مرتبة واحدة وهم للآن مازالوا تحت نير الفردانية والأنا .فلو نظرت بإمعان لكل من (الهو) و (الأنا) و(الانا العليا) على التقسيم الذي جاء به فرويد ودرست كل من هذه المراتب والاقسام لوجدت أن الخلاص من الفردية والأنانية الشخصية لدى الإنسان لا يكون إلا بأن نجعل هذا الإنسان معصوماً ولا حل آخر إطلاقاً .وبما أنهم لم يأتوا للحياة وهم معصومون فيجب أن يكون هناك قدوة يتأثرون به لكي يرتقوا لمستواه .أما إذا سألت وهل يولد الإنسان معصوماً أم لا .فجوابي لك أن تراجع ما كتبه أهل الإختصاص في أبواب علم الكلام الإسلامي فهذا بحث اذا تعرضت له سيخرجني عن النهج الذي اتخذته في هذا الكتاب...

المهم أن الإنسان بحاجة دائماً لوجود القدوة لكي يرتقي لمستواه ولهذا فلا يمكن أن تجعل طلاب الصف السادس الإبتدائي يطمحون بالإرتقاء أكثر مع عدم وجود صف أعلى منهم فلو كان الصف السادس الإبتدائي هو آخر صف في الدراسة لكان من وصل لهذا الصف قد وصل لأعلى مرتبة دراسية ممكنة وبالتالي هو سيتوقف لأنه لايوجد من هو اعلى منه لكي يُثابر ويدرس كي يصل لذات مرتبته وسيتوقف كل شيء كذلك .ولهذا فالإنسان بحاجة لوجود من هو اعلى ولهذا ايضا لا يمكن للجميع أن يكونون معصومين وقادة .أما الطريقة التي سيعمل بها ذلك القائد المعصوم لجعل الجميع معصومين هي أنه سيبيّن لهم علمياً مواقع الخلل في فهمهم للنظام الكوني !

بمعنى إننا للآن لا نستخدم إلا ما يقارب عشرة بالمائة من قدراتنا الذهنية .وحين استخدمت الدلافين عشرون بالمائة من قدرة عقولها استطاعت أن تشغّل نظام الرادار الموجود في أدمغتها وهي تستخدمه باحترافية عالية بل أدق مما لدينا من أجهزة سونار عسكرية بأضعاف المرات فكل هذا حصل عندما استخدمت الدلافين عشرون بالمائة فقط من قدرة عقولها .وعليك أن تنظر لما أنجزناه نحن اليوم من انجازات علمية وتكنلوجية وفلسفية واجتماعية وتَذَكَّر أن كل هذا حصل مع عشرة بالمائة فقط من قدرة عقولنا فماذا لو وصلنا للثمانين أو للتسعين !!!

إن العلم الـ (باراسايكلوجي) يخبرنا عن ظواهر لدى بعض الناس نراها عصية على الفهم وخلاف المنطق .وهذا نابع من الخطأ في الفهم وفي المنطق اللذين نتبعهما لأن الحقائق في الواقع الخارجي لا تتغير .وحتى في الفيزياء فهذا الجُزيء الذي يغير من إسلوبه مع وجود الراصد له يبقى لغزاً كبيراً وفي معادلة شرودنجر العامة ما يثير الذهول فلو قسمنا جزيء ذري وجعلنا كل قسم من القسمين في جهة من جهات الكوكب وتحرك أحدهما تحرك الآخر معه رغم المسافة الشاسعة بينهما .ثم أن بعض الأجسام تتحرك من اليمين للشمال ومن الشمال لليمين ومن فوق للأسفل ومن الأسفل للأعلى وكل هذا في نفس الوقت !

فكيف لنا أن نحل مثل هذا اللغز فلو أخبرتك أن هناك سيارة تسير للأمام وللخلف بنفس الوقت .فكيف يمكن لك أن تعتبر هذا الأمر منطقياً !!!

والأمثلة في الكيمياء والفيزياء الفلكية وعلم الفلك وعلم الأحياء أكثر من أن تُحصى ثم لو كنت تتذكر مثال البذرتين الذي جئنا به لك فهذا لوحده كافٍ في شل ذهنك عن الحركة إذا تعمقت فيه حدّ السؤال الفلسفي !

فالعلم بالنسخة الحالية الموجودة لدينا عاجز تمام العجز عن الإجابة حتى أن الإنسان يصاب بالإحباط النفسي بعد أن يبحث عن أجوبة ولا يجد .فشخصياً أقول لك إنني عانيت من هذا لدرجة إن المرض نهش جسمي وأنا أبحث لاهثاً خلف الأجوبة عن مسائل الفيزياء والكيمياء والأحياء فضلاً عن الفلسفة وهي أم المصائب كلها .دون أي نتيجة !

ألا يصاب الإنسان بخيبة أمل تجعله يحتقر نفسه حين يرى كل تلك الألغاز وهو عاجز تمام العجز عن إيجاد تفسير لتلك الظواهر مع كل القدرة العلمية التي يمتلكها والتي طالما اعتقد أنها كافية جدا ليقول أنه عالِم ثم أمام بعض الأسئلة يتلاشى كبرياءه وشخصياً أعتقد أن دفع الحياة كلها كثمن مقابل الحصول على أجوبة عن تلك الأسئلة صفقة رابحة جدا وهنيئاً لمن أجرى مثل تلك الصفقة !

فمن المؤكد بعد أن افترضنا تماشياً مع كل الأذواق والعقائد أن منشأ العصمة هو العلم ، فمن المؤكد أن القائد المعصوم سوف يعمل على رفع المستوى العلمي لأفراد المجتمع الإنساني لكي يصلوا مرتبة العصمة .لكن السؤال هل رفعه لذلك المستوى سيكون عبارة عن تطوير لهذا العلم الموجود بأيدينا أم أنه علم مختلف .لأن المفروض أن نُفَعّل باقي القدرة العقلية الموجودة في عقولنا ونتجاوز نسبة العشرة بالمائة وهذا يستلزم لون من العلم مُغاير تماماً لما موجود لدينا حالياً وحتى نفهم ذلك بشكل جيد فعلينا أن ننظر للعلم وأقسامه بنظرة سريعة تُتيح لنا معرفة كل قسم ولو باختصار ونترك التفصيل لمن اراد أن يتوسع لما هو مشروح في محله من الأبستملوجيا أو نظرية المعرفة !

أقسام العلم

من الواضح إننا لا نستطيع أن نُفَصِّل في هذا البحث هنا لأن مكانه موجود في الفلسفة وفي أبواب الأبستملوجيا .ولكننا بحاجة إلى أن نمرّ ولو بسرعة على بعض أقسام العلم وبالقدر الذي يرتبط بموضوع بحثنا وهو العلم الحاصل عند المعصوم .

إن العلم ومعرفة وإدراك شيء ما . له طريقين اثنين حصراً ،

فمعرفتنا بشيء ما والخصوصية التي يتمتع بها ذلك الشيء أي شيء لها طريقين فقط :

الأوّل : حضور المعلوم بذاته وحقيقته عند العالم دون وساطة شيء آخر .فيكون العالِم مُطّلعاً على حقيقة المعلوم دون حاجته لأي واسطة ، فمثلاً حتى يكتشف عالم الأحياء وجود خلية ميتة في جسد ما يحتاج للفحص الطبي

وللمجهر ولأجهزة السونار ثم قبل كل شيء يحتاج للدراسة ولسنوات طويلة حتى يكون مؤهلاً لدخول المختبر وإجراء الفحوصات ، وما نتكلم عنه هنا مختلف تماماً فنحن نتكلم عن عالم أحياء مثلاً يعرف بوجود خلية ميتة في جسد كائن ما لا بالطريقة التقليدية والتي تفرض عليه الدراسة واستخدام المجهر وإجراء الفحوصات ، بل هو قادر على الوصول الى الحقيقة واستحضار تلك الحقيقة التي تقول أن هناك خلية ميتة دون وساطة شيء آخر مثل المجهر والسونار ونحو ذلك .أي أن الباطن يكون حاضراً لديه وهذا ما يُعبَّر عنه بالعلم الحضوري !

الثاني : حضور المعلوم عند العالِم من خلال صورته الحاكية عنه والكاشفة عن حقيقته ، فهو لا يحضر بالذات بل من خلال وسيط وهذا خلاف الأوّل فالأشياء المرئية لا يستطيع العالِم الوصول لها إلا من خلال حاسة البصر والأشياء المسموعة لا يستطيع العالم الوصول لها إلا من خلال حاسة السمع والسمع والبصر هنا يلعبان دور الوسيط وبالتالي ليست حقائق الأشياء هي الحاضرة عند العالِم وإنما صورُها وهيئاتُها التي تُحاكي ماهياتِها وحقائِقها هي الحاضرة ولنأخذ مثال للتقريب - أنت تنظر من النافذة وترى الشجرة تتحرك فتعرف أن الريح هي من يُحرّك الشجرة ولهذا تعلم أن الريح موجودة .وأنت لا تستطيع الوصول لحقيقة الريح مع إنك تعرف بوجودها لكن حركة الشجرة تبرهن على وجود الريح والشجرة لعبت دور الوسيط في نقل ذلك العلم لك والوسطاء قد يتعددون ففي مثل مثالنا هذا يوجد أكثر من وسيط ابتداءً بالريح وليس انتهاءً بجارحة البصر .

وهذا هو المُعبَّر عنه بالعلم الحصولي !

وهذا النوع من العلم ليس محصوراً بالأشياء المادية بل حتى الأشياء غير المادية مشمولة بهذا النوع .فمثلاً إدراكك أن ٢ + ٢=٤ ، جاء بواسطة أيضاً بين المعلوم وبين النفس فهناك براهين عقلية أوصلتك لهذه النتيجة وهي تمثل واسطة بين المعلوم وبين النفس وكل هذا من نوع العلوم التحصيلية .

فالعلم الحصولي هو العلم الذي يحصل عليه الإنسان عبر وسيط بين المعلوم والنفس الإنسانية بغض النظر عن ذلك الوسيط أهوَ حواسّ أو براهين عقلية المهم أن هناك دائماً وسيط والمعلوم في حقيقة الأمر ليس حاضراً عند العالِم بحقيقته أبداً بل بصورة حاكية عنه وليس المعلوم هو نفس الموجود إطلاقاً .فأنت إذا كنت تنظر للجدار فليس الجدار الذي تراه بواسطة حاسة البصر هو ذاته الجدار بحقيقته الخارجية بل ما معلوم عندك هو صورة الجدار الحاكية عنه وليس حقيقة الجدار أبداً !

وهذا خلاف النوع الأوّل من العلم وهو العلم الحضوري فإن العلم فيه بالموجود يكون من خلال حقيقة ذلك الموجود وشهود النفس على تلك الحقيقة مباشرة ودون وساطة من أي شيء فمثلاً - حين تشعر بالجوع فأنت لا تحتاج لواسطة تستعين بها لكي تعرف إنك جائع بل بمجرد حصول الجوع أنت ستعرف إنك جائع دون الحاجة لأي وسيط يُذكر بل حقيقة هذا الموجود وهو الجوع ، حقيقة هذا المعلوم وهو الجوع حضَرت لديك دون واسطة وهذا هو فرق العلم الحضوري عن الثاني وهو الحصولي !

عدم إمكانية الخطأ في العلم الحضوري

كما أسلفنا أن العلم الحصولي يعتمد على الواسطة في إيصال المعلوم للعالِم وهو يحتمل الخطأ باعتبار أن تلك الواسطة ليست دقيقة في النقل فمثلاً رؤية السراب على انه ماء نابع من عدم دقة واسطة البصر في نقلها لذلك المُدرَك المعلوم للعالِم وكذلك الخداع الذي يُمارسه العقل على الإنسان ففي كل الأحوال لا يمكن الإعتماد على هذه الوسائط في الوصول الى علم يقيني يكشف عن الحقيقة التامة ...

لكن في العلم الحضوري يكون الوضع مُختلفاً تمام الإختلاف ، لأن العالِم فيه لن يعتمد على جارحة تُصيب وتُخطئ ابداً بل كل حواسه النفسية والحسّية ستعمل معاً من جهة ومن جهة أخرى فذات المعلوم يكون حاضراً أمام النفس والنفس ليست مادية ولا تتجزأ ولهذا فهي ستُدرِك حقيقة ليست مادية وليست قابلة للتجزؤ وهذا يعني أنها ستتعرف على الحقيقة والواقعية من خلال علمها والإحاطة بذلك المعلوم وإن كنت تتذكر فقد تحدثنا من أن المعصوم مطّلع على عالم الباطن وهو يعلم كيف يحدث كل شيء وما هي العلة خلف حدوث كل شيء ودون الحاجة للزمن كما هو حاصل عندنا نحن الذين نستخدم في الغالب العلم الحصولي .فمثلاً أنت إن شعرت بالخوف فأنت ستشعر به في ذات الوقت الذي ستشعر به بعبارة أخرى ليس هناك فاصل زمني بين وقوع الخوف وبين الشعور به على عكس أي شيء آخر تزودك به الحواس فهذا الذي تزودك فيه الحواس يحتاج لوقت كي ينتقل من خلال الصورة المُدركة الى الذهن ثم يقوم الدماغ بتحليل تلك الصورة ثم ستعرف أنت ما يحصل وقد يكون ذلك الحدث الذي وقع في الخارج قد انتهى حين أدركت أنت وقوعه ولهذا فهذه الموجودات التي تراها حاضرٌ علمها عندك من خلال صورها التي تُحاكي حقائقها وليست هي حقائقها وذواتها إطلاقا .أما في مثال الخوف فبمجرد وقوع الخوف ستشعر به ودون واسطة لأن النفس الإنسانية استطاعت الوصول للمعلوم عند وقوعه مباشرةً .وبمثل هذا المثال نستطيع أن نعرف كيف يتمكن المعصوم من معرفة بواطن الأمور لأنه بمجرد وقوعها سيكون عارفاً بها .ولأن كل الأمور موجودة وقوانينها ثابتة لكنها مُختفية عنّا نحن فهو سيكون عارفاً بها واقفاً على الطرائقية التي تعمل بها .وبعبارة أدق ،فحتى الماضي السحيق الذي قد يكون وجِد قبل ولادة المعصوم بمليارات السنين ليس مُختفياً عن المعصوم لأن هذا الماضي السحيق مازال للآن ينتقل كصورة عبر مساحات لا مُتناهية من الزمان والمكان وبالتالي المعصوم قادر على الوصول لتلك المفاهيم بقوة إدراك النفس فهو يعرف ما كان ويعرف ما هو كائن بحكم مُعاصرته له ويعرف ما سيكون باعتبار إطّلاعه على عالم الباطن وقراءته التي لا تخطئ للأحداث ولتعاقبها .وقد يقول قائل من المؤمنين إذن أين هو دور السماء .فأقول له أن دور السماء موجود في كل هذا الذي تحدثنا عنه وسنتحدث عنه .لأنه لا شيء يحدث من هذا دون تدخل العناية الإلهية .ولكن لأننا ارتأينا أن نُخاطب كل الأذواق فلم نستعمل المصطلح الديني لكي نبرهن أن المسألة أوسع وأكبر من هذا وأن النظام الكوني برمته قائم على هذه المعادلة وهذا هو الذي لن يترك لأي مشكك مجال للشك أو الهراء الذي اعتادوا عليه .ولو رجعت للواقع فالرؤية الدينية لدينا نحن كمتدينين واضحة بيّنه لا تحتاج لأي براهين أو أدلة...

على العموم سيستعمل المعصوم هذا اللون من العلم في حركته ولأن هذا العلم غير قابل للخطأ أو للوقوع فيه فلن تُخطئ النتائج التي يبتغيها من خلف حركته فهو حينما يخطط لأمر ما لا يحتمل هذا الأمر الخطأ بل بمجرد اتخاذه لقرار ما سيصبح ذلك القرار نافذاً وحقيقة على أرض الواقع باعتبار أن قانون (كن فيكون) سيكون فاعلاً بل في أقصى درجات الفاعلية .وهذا القانون أي قانون (كن فيكون) بعد كل الذي قدمناه لك لن يكون شيئاً بعيد المنال فبما أن الناس سيستعملون العلم الحضوري في اختيارهم للقرارات فهم سيكونون عارفين بماهيات وحقائق

الأشياء وكيف تجري الأمور وكيف تتحد العناصر وبالتالي فلا مشكلة من قولهم للشيء (كن فيكون) لأن لديهم من المعرفة ما يؤهلهم لهذا بل أكثر بكثير !!!

ولكن يبقى السؤال ماهي الطريقة التي سَيُدَرِّس بها القائد المعصوم الناس كي يستخدموا العلم الحضوري !

مناهج التعليم تحت ظل القيادة المعصومة

لا أحتاج للكثير لكي أُبَرهِنَ على أهمية التعليم في حياة الإنسان ولهذا لا يمكننا التغاضي عن دور التعليم في المستقبل الواعد للبشرية . بل يمكننا القول وبضرس قاطع أن الأصل الذي سوف ترتكز عليه الحكومة الكونية في حركتها هو التعليم لوحده ثم في مرتبة لاحقة الإيمان .لأن الإيمان فرع العلم فلا يمكن أن تؤمن بشيء ما قبل أن تعرف ذلك الشيء ومعرفتك لذلك الشيء وعمق تلك المعرفة هي التي ستحدد درجة إيمانك به .فمثلاً لا يمكن لغير الشاعر أن يعرف التأثير الذي تُحدثه القصيدة في النفس وهو لا يعرف عن الشعر وعن عراقيله شيء يُذكر أما الشاعر المُتمرس فإذا قرأ قصيدة جيدة فهو يعرف تماماً قيمتها الفنية وبالتالي سيكون إيمانه بقوة تأثيرها كبيراً جداً ونفس هذا المثال مُنسحب على مسألة الإيمان فكلما زادت معرفة الإنسان بنظرية ما كلما زاد إيمانه بتلك النظرية...

ولهذا حتى يعرف الناس قيمة وجود الحكومة الكونية تحت ظل قيادة المعصوم ويؤمنوا بتلك الحكومة يحتاجون للعلم بخصوصياتها وقوة براهينها وأدلتها على أن الأمر (أ) أفضل من الأمر (ب) وهكذا...

وعليه فيجب أن يكون هناك نظام للتعليم مختلف عن النظام القائم لدينا الآن .فهذا النظام الحالي الذي درسنا فيه أنا وأنت لا يستطيع أن يقنعنا بأكثر مما نريد نحن أنفسنا أن نقتنع به .ولكن في نظام التعليم الخاص بالحكومة الكونية سيكون الأمر مختلفاً . إذ قد يُطلب من الناس إعداد حقائب سفرهم في مساء يوم الثلاثاء لأنهم سيذهبون في رحلة ترفيهية الى مجرّة تبعد مليون سنة ضوئية عن الأرض وسيصلون لذلك الكوكب البعيد في صباح يوم الأربعاء مثلاً !!

التصديق بمثل هذا الأمر يعد ضرباً من الهذيان والسخافة وفقاً لنظامنا الحالي في التعليم لأن السفر لمثل تلك المسافة التي يحتاج الضوء وهو أسرع ما يوجد الى مليون سنة كي يقطعها لا يمكن أن يكون مُتحصّلاً بهذه البساطة كي يأتي أحدهم ويقول لي إحزم حقائبك مساء غد لأنك في صباح بعد غد ستذهب في رحلة سفاري لكوكب يبعد مليون سنة ضوئية عن موطنك فهذا هراء ليس بعده هراء !

لكن هذا الذي نعتبره الآن هراء ونحن محقّين في اعتباره الآن هراء لن يكون كذلك عندما يخطو التعليم خطوته الأولى نحو علم حضوري تام كامل تنتقل فيه المعلومات بذواتها لنفوسنا دون واسطة .!

أما كيف يكون ذلك فهناك أكثر من سيناريو وإذا كان لدينا وقت سنتعرض لهذا البحث حين نتكلم عن طبيعة المعجزة والممكن وغير الممكن في مرحلة لاحقة من هذا الكتاب...

على العموم يبدو واضحاً أن نظام التعليم الذي سيكون قائماً في ظل الحكومة العالمية سيكون له خصائص مباينة ومختلفة عن خصائص نظامنا الحالي وسيتعلم فيه الناس كيفية أن ينظروا لبواطن الأمور ولهذا فلن نحتاج لكل هذه العلوم الموجودة لدينا الآن بصيغتها الحالية الأكاديمية لأننا لن نحتاج للجانب النظري فيكفي أن تعرض المشكلة حتى نذهب للتطبيق العلمي لِحلّها دون إضاعة الوقت وبطبيعة الحال هذا يحتاج للكثير من الوقت خصوصاً لاعداد الأساتذة فكما الحال بأساتذة التنويم المغناطيسي الذين يستخدمون ما يسمى (بالسحبات) لجعل الوسيط يتكلم عن الغيبيات واعداد هؤلاء الأساتذة يحتاج لوقت طويل فكذلك الحاجة للوقت الطويل في اعداد اساتذة متمرسين في تدريس الناس كيفية استعمالهم للعلم الحضوري سيكون محتاجاً لوقت طويل أيضاً مع فارق أن الوقت في نظامنا الحالي يُقاس لعمر الفرد أما الوقت تحت ظل الحكومة الكونية يقاس بِعمر البشرية **!**

الفصل الثالث

صفات القائد المعصوم وأسماؤه

إن ذلك القائد المعصوم الذي تنتظره البشرية .والذي قلنا أنه ولابد ويجب أن يكون معصوماً بأي فهم كان لمعنى العصمة تبعاً لاعتقاد الأفراد . يتوافر على صفات تجعل منه مؤهلاً لقيادة العالم .وهذه الصفات واضحة للجميع لكنها مختفية عن الجميع إلا عن القلة التي تبذل جهداً في التفكير وبالتالي تتعرف على تلك الصفات من خلال إدراكها للنواقص الموجودة في كيانها الفكري والعلمي والشخصي وحتى الجسماني .

فمن المؤكد أن ذلك القائد المعصوم سيكون في قمة كل كمال إنساني لأنه من غير المعقول أن يكون لديه نقص ما في أي جانب من الجوانب لأن مثل هذه الشخصية موجودة بالفعل في كل الدهور والأزمنة فهناك دوماً مصلحين وفلاسفة ومفكرين وقادة وعباقرة وأبطال شجعان ومضحين .لكن هؤلاء كلهم إذا فتشت في أحوالهم ستجد أن لديهم نقص من جهة واحدة على الأقل والحقيقة أن لديهم نقوصات من جهات عديدة ولهذا لم نشهد وجود قائد عالمي يوحد الإنسانية .ونحن حينما نتكلم عن القائد المعصوم فإنما نتكلم عن قائد كوني لا عالمي كما نُعَرِّف نحن العالم بل مهمته تتعدى ما يمكن لنا حتى مجرد تخيّله بكثير ، ومن هنا يبدو واضحاً أن ذلك القائد يتمتع بالكمال . لكن حتى لا يختلط عليك المعنى فالمقصود من الكمال هنا هو الكمال الإمكاني لا مطلق الكمال . بمعنى أن ذلك القائد إذا قسناه لباقي المخلوقات سيكون هو الأكمل في زمنه وإلا فالكمال المطلق لله وحده لا شريك له .لأن المخلوق بلغ ما بلغ يبقى محتاجاً وضعيفاً وقاصراً والغني والقوي والقهار المطلق هو الحق تقدست أسماؤه فلا يختلط عليك الأمر !

وفكرة المهدوية بشكل عام وانتبه إنني للمرة الأولى أذكر في هذا الكتاب لفظ (المهدوية) داخل البحث ! ، هذه الفكرة موجودة في الكثير من الأديان الإلهية وغير الإلهية . بل حتى في النظريات المرتبطة بالمادية تتواجد هذه الفكرة ولربما هي تتواجد عند الملحدين بصورة أعمق من تلك التي تتواجد فيها عند معتنقي الديانات على اختلاف دياناتهم .وقد تستغرب من هذا الكلام ولكن هذه هي الحقيقة .فنحن لا نتكلم عن الشخص بقدر ما نتكلم عن الهدف ، ووجود مستقبل واعد للبشرية من أول ما تُبشّر به الفلسفات المادية باعتبار أن الجانب الإقتصادي الذي هو شريان السعادة الإنسانية في اعتقادهم سوف يتطور ليصل الى درجة عالية من الضبط وهكذا سوف تتخلص الإنسانية من قهرها وتعبها لتعيش برفاهية تحت ظل الطور الشيوعي الأعلى وتحت ظل قيادة حكيمة ستنتفي الحاجة لها فيما بعد وأن هذا الطور وهذه المرحلة من تاريخ البشرية آتية لا محال ولا يمكن أن يغض أحد الطرف عنها لأنها سُنة حتمية تؤكد عليها كل إشارات الطبيعة ، وبطبيعة الحال مثل هذا الكلام مع أنه منطقي إلا أنه يؤشر على كذب دعوى الملاحدة والماديين عموماً على أنهم لا يؤمنون بالغيبيات .وأنت رأيت أنهم غارقون بالغيبيات من القدم للرأس فهم يبشرون بشيء غيبي .لكن عندما نتكلم نحن الإسلاميون عن الغيبيات يقول العلمانيون والمادين وكل اولئك الذين يدّعون الحضارة أن هذا كلام بلا طائل .والحقيقة أن الغيبيات جزء لا يتجزأ من فكر الإنسان ولا يمكن الخلاص منها لأنها واقعة لا محال .وكذلك توجد حقيقة أخرى إننا نحن الإسلاميون وأقصد بالإسلاميين هنا العلماء وأهل الإختصاص لا كل من هب ودب ! فنحن الإسلاميون رغم

إيماننا بالغيب لكننا لا نرتب كل شيء عليه فهناك الميدان العلمي الذي يجب أن يخوضه الإنسان وهناك الميدان الفكري وهناك الميدان التطبيقي .ولهذا لا نعتمد على الدعاء فقط بل على الدعاء والعلم والعمل . وبهذا فأي منصف يمكن له أن يدّعي أن الماديين وفلسفاتهم أكثر علمية منّا نحن وأنت تراهم غارقين في الغيبيات حدّ التخريف والتهريج وليس هذا عنهم ببعيد !

على كلٍّ لذلك القائد مواصفات يختلف بها عمّن سواه وهذا واضح .لأنك إذا فكرت في نفسك فمن المؤكد أنك ستجد نواقص وعيوب هذا إن كنت عاقلاً أما إن كنت جاهلاً غبياً تعيساً فسترى نفسك بلا عيوب ! ، المهم إن كنت عاقلاً فستجد عيوباً في نفسك وستجد مزايا وفضائل فكل ما في نفسك من فضائل فهي موجودة بأجلى وأوضح صورها في شخصية ذلك القائد وكل ما في نفسك من نواقص غير موجودة في شخصية ذلك القائد وبهذا فالكل يعرف مواصفات ذلك القائد دون أي استثناء ودون أن أُسهب أكثر في الشرح !

وقد ورد إسم ذلك القائد في أكثر من ديانة أرضية ناهيك عن أديانا الإبراهيمية الثلاثة .وإليك نبذة عن ذلك مع ملخص قصير لاعتقاد كل ديانة من تلك الديانات وتسميتها للقائد المعصوم !

١ . الزرادشتية :

تؤمن الزرادشتية بظهور ثلاثة مخلّصين يحملون إسم (سوشيانت) وكلهم من نسل زرادشت وإن الشمس ستتوقف عن الحركة ويتوقف الناس عن أكل اللحم في فترة ظهور المخلص الأول والمخلص الثاني تمهيداً لظهور المخلص الثالث وهو (سوشيانت المُنقذ) أو (ساوشيانت المُنتصر)...

٢ . البوذية :

قامت البوذية على الإعتقاد بإن (بوذا) هو إبن الله وأنه رُفِعَ الى السماء وأنه سيعود من أجل أن يعيد اليها البركة والسلام . وأسمه (بوذا الخامس)...

٣ . الهندوسية :

كالكي أو كالكن وهذا الكالكي هو التجسُد العاشر (لفيشنو الحافظ) وسوف يأتي ليعاقب الأشرار ويجزي الأخيار ويحكم الأرض بالقسط وبالعدل .ويمثّلوه في أساطيرهم على أنه إنسان برأس حصان أو فارس يمتطي صهوة حصان أبيض وبيده سيف تلتهب فيه النار ...

٤ . الكونفوسوشية :

وتؤمن أن هناك قائد سوف يظهر ويقود البشرية للسعادة لكنها لا تحدد هوية هذا القائد فهو سيولد من رحم معاناة البشرية ولأن الكونفوسوشية فلسفة تحولت لديانة فهي تستند في دعواها هذه للواقع الذي تفرضه المسلّمات العقلية...

٥ . التائوية :

في المعتقدات الصينية يظهر (كيشنو) بين الناس وحينما يظهر تنكسف الشمس وتهتز الأرض ويوحد البشرية على السلام والخير .

٦ . اليهودية :

إن إسمه عند اليهود هو (الماشيح) وهذا الماشيح هو الذي سيخلص اليهود من القهر والظلم وهو الذي بشّرت به الأنبياء وليس السيد المسيح ابن مريم .فاليهود كفروا بالسيد المسيح صلوات ربي عليه واعتبروه أبن زنا والعياذ بالله ومخلصهم هذا هو الذي بشّر به الأنبياء السابقين...

٧ . المسيحية :

في المسيحية إسمه كما ورد في الإنجيل (أبن الإنسان) أو (ابن آدم) وهو نفسه السيد المسيح صلوات الله عليه وعلى أُمّه العذراء وهو الذي سيجمع البشرية على الحب وعبادة الله بعد عودته...

٨ . الإسلام :

في الإسلام إسمه (المهدي) وهو الذي سيملأ الإرض قسطاً وعدلا بعد أن ملئت ظلماً وجورا .وهو مولود ويعيش بين الناس دون أن يعرفه أحد أو أنه سيولد في الوقت المحدد لظهوره .لكن المؤكد أنه من ولد رسول الإسلام .وبالتحديد من ولد ابنته فاطمة على اختلاف الاقوال في هل انه من اولاد الحسن بن علي بن ابي طالب أم من أولاد الحسين بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم أجمعين المهم أنه من ذرية رسول الله وأمه فاطمة الزهراء...

هذا وليس الأمر محصوراً في الديانات على اختلافها أأرضية كانت أم سماوية فهذه الفكرة .أي فكرة المخلص الذي يعود لتخليص الناس من الظلم والعوز والقهر كانت موجودة في الأزمان السحيقة أيضاً فهناك الإله (تموز) عند العراقيين القدامى. فكانوا ينتظرون عودته من عالم الأموات بداية كل ربيع كي يُخصِّب (عشتار) ويجلب لهم الخير والزرع ،وهو (إيليا) مُنقذ وادي الرافدين عند السومريين ،وهو (دوموسين) عند الأشوريين والبابليين ،وهو (النيل) أو (أوزوريس) عند المصريين القدامى ، والبعض اعتقد أنه الإسكندر الأكبر .ومجرد تتبعنا لهذه الفكرة وجذورها في التاريخ سيخرجنا عن مقصودنا في هذا الكتاب لأن الفكرة متجذّرة في التاريخ الإنساني الى درجة أنها مساوية في أهميتها للبحث عن وجود الله من عدم وجوده في القيمة العلمية لها في الموروث الفكري الإنساني **!!!**

ومهما يكن وبعيداً عن اعتقادات هذه الأديان وهناك اعتقادات بعض الطوائف أيضاً .وتماشياً مع منهجنا العلمي والفلسفي فيجب أن نتعرف على هوية هذا القائد بعد أن عرفنا صفاته وقلنا إنه ولابد أن يكون كاملاً من كل جوانبه ، فيا ترى من هو هذا القائد وعلى من تنطبق المواصفات التي يجب انسجامها مع هذا التطور الهائل في فكر الإنسانية المعاصر ، وفي اعتقادنا أن هذا القائد المعصوم الذي ظلّ يغازل الفكر الإنساني لآلاف السنين هو (المهدي) عليه السلام أما لماذا ؟ فعلينا أن نبرهن على ذلك بلغة الفلسفة التي يقبلها كل صاحب عقل ولأننا نخاطب العقول فحسب ، وليس لدينا وقت لنخاطب غير العقل فلا أحد غيره يستحق الخطاب أساساً **!!!**

لماذا المهدي ؟

للإجابة عن هذا السؤال وهو (لماذا المهدي) علينا أن نتطرق لنقطتين .

الاولى : وهي أنه لايوجد مبرر للقول بأنه ليس المهدي عجل الله فرجه الشريف ، فلا أحد يمكنه الإدعاء والجزم أنه ليس هو وحتى من يؤمنون بعودة السيد المسيح أو من يؤمنون بمجيء الماشيح أو بوذا الخامس أو كائن من يكن .فكل هؤلاء لا يمكنهم إثبات أن ذلك القائد الذي سوف يظهر ليس المهدي لأن المهدي في عقيدتنا نحن المسلمين صاحب رسالة إنسانية . بمعنى أنه لن يأتي من أجل المسلمين فحسب بل لكل البشرية فهو صاحب دعوى إنسانية قبل كل شيء لكن هذا المهدي يظهر بأسماء وصور مختلفة عند كل ملة ونحلة وبشكل مخصوص عند كل ديانة .ولهذا يعتقد أتباع تلك الديانات أن الذي سوف يأتيهم هو شخص بهوية واحدة والحقيقة أنه شخص واحد نعم ولكن هويته ليست واحدة بمعنى إنه سيكون المسيح عند المسيحيين وهو نفسه الماشيح عند اليهود وفي النهاية هو المهدي عند المسلمين . أضف لذلك أنه لا يوجد تشديد على النسب في الديانات الأخرى ففي المسيحية مثلاً ذُكر على أنه ابن الإنسان وهذا العنوان أي ابن الإنسان شامل عام ولا يعني أبداً أن هذا ينفي رجوع السيد المسيح ! أما في الإسلام فهو له نسب معروف للقاصي وللداني فلا يوجد إشكال في أن يكون هو بنسبه العربي المعروف ثم هو أيضاً ابن الانسان إذ لا تعارض بين هذا وذاك ولذا كان المهدي الإسلامي العربي وصاحب الهوية الوطنية العراقية هو الذي ندّعي أنه يمثل كل تلك الهويات لأنه الوحيد الذي يمتلك حظوة أكبر من غيره وهو أي المهدي الإسلامي العربي العراقي الأوفر حظاً وملاءمة لكل تلك الشخصيات والهويات .فالشخص واحد لكن هويته متعددة بتعدد اتباع الديانات وأصحاب الأفكار والمؤمنين بها .وقد يبدو هذا غير مترابطاً الآن لكن سيرتفع بعد قليل !

ثانيا : فلأن الإسلام هو الدين والنظرية الوحيدة التي فيها قابلية على تحمّل مثل هذه الفكرة لأنه مُتجدد دائماً وفروعه تتغير دائماً مع ثبات الأصل ولأنه منذ لحظاته الأولى نادى باسم الإنسانية ولأنه يقبل بل يستند للمدلولات العلمية بشكل منقطع النظير لا بل جزء كبير من أُسسه التنظيمية قائمة على تعظيم العلم والتحبيب في أخذه .وكذلك لأن أحكامه لينه وقابلة للتأقلم مع كل زمان وكل مكان وهو في الجملة رسالة عالمية غير مخصوصة بقوم دون قوم آخرين ولأنه لا يتعارض في أي مفصل من مفاصلة لا مع العلم ولا مع الفلسفة ولا مع التطور ولا مع الانفتاح ولا مع التقدم وليس له عداء أو موقف من أحد باستثناء من اتخذه عدواً وهذا أمر بديهي .فلأنه يحتمل كل هذه المواصفات فلا يمكن أن يكون ذلك القائد المعصوم الموعود غير واقفاً على مبانيه وأفكاره في أقل التقادير ! أما في أكثرها أن ذات القائد الموعود يكون مسلماً .ثم هناك لغط في فهم معنى المسلم لأن البعض يعتقد أن الإسلام هو تلك المنظومة العبادية من صلاة وصيام وحج .والحقيقة أنه دين فكري بحت ونظرية فلسفية متكاملة تؤمن بالإنسان وإذا تعارضت مصلحة الإنسان مع أحكام النص تُقدّم مصلحة الإنسان .لأن القداسة للإنسان في المرتبة الأولى ثم بعد ذلك يأتي كل شيء تباعاً .فما هو المبرر أن لا يكون ذلك القائد مسلماً . ثم حتى لو لم يكن مسلماً فلا طريق آخر سيتخذه في حركته الإصلاحية إلا الطريق الذي رسمه الإسلام بالذات .فكل النظريات الأخرى التي تكلمت عن ظهور القائد الموعود فيها جهات نقص ولا أقل أن المسلمين يرفضونها وهذا لوحده كافٍ في نقصها أما النظرية التي يقدّمها المسلمين لا تُهمّش أي من أفكارهم .فلم نقل نحن مثلاً أن كل تلك النظريات كذب بل نحن نؤكد على صحتها من حيث المبدأ والأصل والبعد العام ولهذا ندّعي أنه

سيظهر عند كل اتباع ملة ونحلة بما يعتقدونه مع عدم انطباق كل معتقداتهم عليه وهم كلهم لا يدّعون أن كل معتقداتهم سوف يطبقها القائد الموعود بل لديهم تصوّر عام ونحن نوافقهم على تصوّرهم العام ذاك .وهذا يعني أن لا مبرر لهم لرفض الفكرة التي نأتي بها هنا .وهذا يحل لنا المشكلة كلها . وهذه خاصية ينفرد بها الإسلام كنظرية جامعة ولأنه كذلك فهو جدير بأن يتصدى لقيادة العالم .ثم أن كل تلك النظريات والديانات التي بشّرت بذلك المستقبل السعيد والذي ينعم فيه الناس بالبركة وبالسلام كلها تقريباً ظلّت محدودة في تصوراتها وضيقة الأفق لحدٍّ ما .والإسلام توسّع في المسألة لأننا لا نعتقد أن الفكرة المهدوية فكرة خاصة بالعالم المادي أو بالعالم كما نعرفه. بعبارة أخرى ، بل إن المهدوية حركة كونية يسير باتجاهها كامل النظام الكوني لأنه دون هذه الفكرة لا معنى لأي شيء على الإطلاق !

وبطبيعة الحال المسلمين ليسوا استثناء من هذه القاعدة .

بعبارة أوضح ، أن المسلمين أيضاً لديهم تشويش في فهم حركة المهدي رغم أنه منهم فهذا المهدي المُتعارف عليه بين عامة المسلمين وأقول (عامة) لا علماء لا يمكن أن يكون هو ذلك القائد العظيم الذي يطابق بفعله وعمله فعل وعمل أعظم مخلوق خلقه الله عند المسلمين ! وهو رسول الله أبا القاسم محمد ...

فبربك أيُّ امتياز لهذا المهدي الذي لا همَّ له سوى أن يهدم بعض الجدران وأن يوسّع بعض المساجد أو أن يقاتل أعور دجال أو أشباه هذه الأمور والأفعال ، نعم مثل هذه الأمور ستحدث أو لا تحدث وإن حدثت فهي بلا شك ستكون ثانوية لأن مهمته الاولى هي إظهار الدين (ليظهره على الدين كله) وهذا الدين هو الإسلام وهذا الإسلام هو الإنسانية ولا شيء آخر أبداً...

إنَّ رسالةَ الإسلام التي افتضّت بكارةَ البحث عن المعرفةِ المُطلقةِ . بِمعيةِ التكامُل الروحي ، وصهرتهُما في نظريةٍ تسامى إعجازُها على مَدارِكِ جهابذةِ الفِكر الإنساني . لَهيَ أبعَدُ شأواً وأكمَلُ معنىً من أن تُصيِّرَ بِصيرورةِ الذي أباحَ لقصورهِ استحلابَ الفكرةِ واستدرارَ القنوطِ من دهاليزيها كالذي قلّبَ ملامِحَ السابِلةِ المُكفَهرّةِ بحثاً عمّا يُرقِّعُ بهِ جلبابَ نقصه ويتملّى كاظّاً على النواجذِ وجه قارعتهِ الموبوءةِ بعنصَرَةِ مناوئيه ، فهذا الإسلام فارِداً ذراعيهِ أن أقبِلوا بِما حُزتُم وما لديكُم من علمٍ أو علَم فلن تنالوا مُرادَ المُنقِبِ عن الزلّة ،ولا مُنيَةَ الساعي خلفَ الخِلّة ، وإنهُ المأدَبَةُ التي تُقدَّمُ فيها الحضارةُ مطبوخَةً بالعقلِ ،ومقرونَةٌ بالإحترازِ من رداءةِ نبوءاتِ المائرين على رقيمِ الشكِّ بأحقيّةِ هذا الدينِ القيّم ،وما القضيةُ المهدويةُ الإسلاميةُ في كونيتِها وكينونَتِها وتكَوّنِها ، إلا تَجلٍّ لتناهي الإحكامِ في منظومةِ هذا الدينِ الفكرية ، والمُعبِّرُ عن التجذُّر الأنطلوجي للإسلامِ في النظامِ الكوني !

فمع أن هذا هو اعتقادنا الراسخ وقناعتُنا التي لا نرتاب في أحقيّتها . فمع هذا لا ندّعي الكمال لما أتينا به من فرع لأصل هو ثابت .فالنظرية من حيث هي لا شكّ أنها صحيحة ولكن ولربما يكون هناك قصور بل من المؤكد أن هناك قصور فيما نقدّمُه نحن من قراءة لتلك النظرية وهنا لا يُحسب الضعف على الإسلام بل علينا نحن الكتّاب

والمفكرين الإسلاميين .وهذا الفارق بيننا وبين غيرنا . وفي كل الأحوال وكما أسلفنا لا وجود لمبرر يتيح لأحدهم رفض هذه الفكرة باعتبارها تلبّي اعتقاداته هو في المرتبة الأولى . وقد يُشكل بعض المتأسلمين على هذا الطرح وهذه الفكرة التي على حدّ علمي هي الأولى من نوعها من حيث هي بالخصوص وإلا فهناك عشرات بل مئات النظريات للكتّاب الإسلاميين على اختلاف مشاربهم قد حاكت هذه الفكرة وقد أبدع الكتّاب الإسلاميين أيما إبداع في تقديم نظرياتهم .فالمهم قد يُشكل بعض المتأسلمين على هذه النظرية وهذا ما سنحاول رفعه من خلال إيراد بعض الأفكار فإن أصبنا فيها فمن عند الله وإن أخطأنا فمن عند أنفسنا والله المستعان...

من هو الإمام المهدي ؟

إننا إذا أردنا الحصول على الإجابة الشافية والتامة عن هذا السؤال فهناك طريقين للجواب ، الطريق الأوّل هو الطريق الخاص والثاني هو الطريق العام .وهذا الثاني يُعنى بالنظرية من حيث فحواها وقيمتها الفعلية أما الأوّل فسوف يُدخلُنا في متاهات لا طائل من الخوض فيها وقد كتب فيها كبار العلماء والمحققين دون أن يكون هناك أثر لكتاباتهم في نفوس من تملكتهم العصبية وبالتالي لن نتقرّب لذلك الجانب فهناك ما فيه الكفاية من مؤلفات ومصنفات تعرّضت لهذا الجانب فيمكن مراجعتها .وما يهمنا هو التركيز على النظرية من حيث قيمتها الفعلية وتقديم قراءة مُنسجمة مع أيدلوجيات عصر العولمة لنحافظ من خلالها ونبرهن على قوة موروثنا العقدي الإسلامي .

وانتبه فكوننا نتكلم بلسان الإسلام هنا لا يعني إننا خرجنا عن الشرط الذي وضعناه لأنفسنا أن يكون كلامنا شاملاً عاماً وملبياً لكل الأذواق بما فيها غير الإسلامية ، فنحن هنا لا نتكلم عن الإسلام بنسخته المحلية التي يفهمها من هم خارج حدوده . بل نتكلم عن الإسلام كرسالة عالمية فيها بُعدين الأول خاص بالمسلمين والثاني عام لكل الإنسانية .ولذا نحن للآن لم نخرج عن التزامنا بالخطاب الانساني ابدا وكان لابد من التنبيه !

إذن من هو الإمام المهدي ؟

هو إنسان بلغ مرتبة علمية رفيعة الى درجة أنه لا يوجد من بلغ تلك المرتبة في الزمان الذي سيظهر فيه .وعايَش وسايَر موكب الحضارة الإنسانية ودرس ألواح القيم والمعضلات التي واجهت رحلة الإنسانية فعرف الطرائق التي يكون بها الخلاص وعرف كذلك نواقص الطبيعة الإنسانية ونقاط ضعفها ونقاط قوتها واستطاع بالعلم الذي لديه أن يقفز على القوانين التي تحكم الكون واطّلع على باطن تلك القوانين وكل هذا حصل له وحاز على كل هذا من خلال أمرين اثنين :

الأوّل هو العناية الالهية !

والثاني هو العمر الطويل !

أما العناية الإلهية فهذا خارج بحثنا ، وأما العمر الطويل وهو بلا شك مظهر من مظاهر العناية الإلهية .لكننا سنتكلم عنه بلغة العلم وبلغة الفلسفة فحسب...

فحتى نفهم كيف يتسنى لإنسان أن يحصل على كل تلك المعرفة ويسبر أغوار كل تلك المعارف ويتخصص فيها مع إننا ندرك تماماً أن عمر الإنسان لا يوفر له الوقت الكافي لدراسة كل هذه العلوم والمعارف .فحتى تتخصص في الفلسفة مثلاً فأنت تحتاج لإنفاق عشرة بالمائة من عمرك في أقل التقادير .وحتى تتخصص في الطب فأنت تحتاج لمثل هذه النسبة وكذلك الحال في الهندسة والإقتصاد والفقه والإجتماع الى آخره .فهذا كله وقت مستقطع من عمر الإنسان ، نعم في الوضع الطبيعي يوجد أشخاص لديهم عدة تخصصات بفعل مثابرتهم ومجاهدتهم في الدراسة إذ أنهم يدمجون ثلاث أو أربع علوم لدراستها في نفس الوقت فإذا مرّت حقبة من الزمن لدراستهم تلك العلوم وتخصصهم فيها بدأوا بدراسة علوم أخرى متعددة في وقت واحد وتخصصوا فيها وهكذا . فتراهم يتمتعون بعدة تخصصات وبعضهم يتخصص في أكثر من مائة علم وهذا يبقى طبيعياً قياساً لعمر الإنسان .أما وجود إنسان يعرف كل شيء ومتخصص في كل شيء فهذا محال مع عمر الإنسان الطبيعي فمن المؤكد أن ذلك الإنسان طال عمره كثيراً لدرجة أنه استطاع بالوقت المتوفر له أن يدرس كل العلوم ويصل الى تلك المرتبة العلمية الرفيعة...

فهل يمكن أن يطول عمر الإنسان لهذه المُدد الطويلة أم لا .فالتاريخ الديني يُحدثُنا عن آدم وأنه عاش تسعمائه وخمسون سنة فهل العلم والفلسفة يؤكدان أن لا محذور في هذا أم لهما رأي آخر !

أما علمياً ، فهذه مسألة أصبحت واضحة . فلو أخذنا فكرة عامة عن أنزيم (التيلوميراز) وعرفنا أن وظيفته هي ربط نهاية خيوط الـ(DNA) وتنبيه الخلايا كل مرة على الدخول لمرحلة جديدة أقصر فأقصر حتى الشيخوخة. ومتى ما تلف ذلك الإنزيم تلفت الخلايا . فكل خلية محكومة بالموت بساعة (بايلوجية) وهذه الخلايا تكون بعد هرمها عاجزة عن الإنقسام ويموت البعض منها بعد ذلك لكن مع أنزيم (التيلوميراز) يمكن الحفاظ على أطراف تلك (الكروموسومات) بعد كل مرة تنقسم فيها وهذا يعمل على تأخير الساعة البايلوجية لتك الخلايا وبالتالي سيطول أمد عمرها البايلوجي .وهنا يوجد كلام للدكتور (ميتشو كاكو) يقول فيه أننا حتى نقوم بهذا نحتاج لقهر الخلايا (السرطانية) لأنها خلايا خالدة ثم نكون قادرين على تنفيذ المهمة وبطبيعة الحال فكلام الدكتور ميتشو كاكو لم ينفي الأصل ولهذا الحد هو كافٍ في إثبات وجهة النظر التي نريدها !

بل أكثر من هذا بكثير فإذا كان الكلام السابق مجرد كلام نظري علمي .

فهناك حقائق ثبوتية على أرض الواقع ، فقد استطاع الأستاذ في علم الوراثة في جامعة (هارفرد) البروفيسور(ديفيد سينكلير) بالتعاون مع باحثين في جامعة (ساوث ويلز) بتطوير تقنية جديدة لإعادة برمجة الخلايا وتجديد الأعضاء وشفاء المصابين بالشلل تماماً ،ويقول البروفيسور ديفيد سينكلير أنه استطاع إيقاف ساعته البايلوجية لـ٤٢ سنة وأن والده عاد لممارسة الرياضة وأن شقيقة زوجته عادت لها الخصوبة وكل ذلك بفضل هذه التقنية التي نجحت في إطالة عمر الفئران فعلياً واثبتت نجاحها على البشر ويأمل الباحثون أن تتوفر هذه الأقراص في الأسواق في غضون خمسة سنوات وبكلفة منخفضة تعادل كلفة فنجان قهوة .والدواء المُكتشف من مكملات علاج داء الـ (باركنسون) !

وهناك دراسة أخرى أطلعت عليها لمجموعة من الباحثين وهي تثبت أن بروتين (٦٢P)الذي يُعد سبب أساسي للإصابة بالسرطان يمكن أن يكون هو المفتاح لعكس الشيخوخة أي أن يكون هو سر زيادة عمر الإنسان إذا تم استخدامه بشكل ينسجم مع هذه الفكرة !

ومن يشاء التوسّع في هذا البحث ليس عليه أن يبذل الكثير من الجهد كي يتأكد من الفكرة لا بل بعضهم ذهب لأبعد من هذا بكثير . فهناك كتاب للدكتور (سام بارنيا) سماه بـ (محو الموت) والدكتور سام بارنيا متخصص في عمليات الإنعاش .وقد قدم محاضرة في أحد المراكز العلمية الكبيرة في كندا عن هذا الموضوع بحضور مئات العلماء .

فالمسألة تجاوزت فكرة إطالة حياة الإنسان الى محو الموت أصلاً وبغض النظر عن قناعتنا الشخصية التي نقولها دون موارية بأن الحياة والموت وطول عمر الإنسان من عدمه مرتبط بأمر الله تعالى وهذا الأمر ثابت في عقيدتنا . فبغض النظر عنه أصبح من الواضح والجلي أن هذه القضية معمول بها فعلياً وحتى لو تنزّلنا عن هذا فهي نظرياً على الاقل موجودة ومعترف بها .ومادامت موجودة نظرياً فلا يوجد دليل على إنكار أن هناك من طبّقها واستطاع العيش لفترة طويلة وكلما طال عمره كلما ازداد معرفةً وكلما ازداد معرفة كلما أوجَد طُرق علاجية جديدة لديمومة الشباب والتمتع بفترة أطول من العمر وهكذا كان بمقدوره الحصول على الكثير من العلوم والتخصص فيها لدرجة أنه استطاع أن يتعلم كل شيء وهذا يبيح له لعب ذلك الدور الكبير في قيادة الإنسانية لحياة الرفاه والسلام والطمئنينة وإيصالها لمقام العصمة كما هو حاله...

أما فلسفياً : فلا محذور يُذكر في هذا المقام فلو عرفنا أن الإنسان ليس هو هذا الوجود الجسماني وأنه يعيش بِبُعده الروحي أكثر من بُعده المادي الجسماني وأن المعرفة التي يتلقاها تُخزَّن في ذلك الجانب المجرد ولا أحد من الفلاسفة يدّعي أن ذلك الجانب غير قادر على التعلم إلا بواسطة وجود البعد المادي للإنسان وهنا نتكلم عن الفلاسفة الذين لا يؤمنون بالأمبيريقية ، فذلك الجانب المجرد قادر على تلقي المعرفة دون اللجوء للحس المُشترك وعليه فبإمكاننا تجريد ذاته عن اعتبارية المادة لإحلاله متى شاء في قالبها وهذا لا يشبه التناسخ في حال . بل هو شيء مختلف من جهة انفصال الروح عن الجسد مع ابقاءه في قيلولة طويلة الأمد حاله في ذلك حال أبدان أصحاب الكهف .وبذات الطرائقية التي تكلمنا عنها قبل قليل عن تجديد الخلايا والأعضاء ، ثم بعيداً عن كل هذا لو حاولنا إلقاء نُتف من البحث الفيزيائي على طول عمر الإنسان فنرى أن العلاقة التي ربطها آلبرت آينشتاين بين التسارُع والزمن في نسبيته الخاصة وهي ثابتة لا تقبل الشك علمياً وتُقرر علاقة عكسية بين التسارُع الحركي وبين تباطُؤ الزمن ! ، بمعنى أن كل جسم تصل سرعته قريباً من سُرعة الضوء فإن زمانه الخاص يصبح بطيئاً وعليه فلا محذور علمي من إسقاط كشوفات الفيزياء على طول حياة الإمام المهدي خصوصاً وإن بعض المرويات في الموروث الديني نقلت لنا القول بأنه سيظهر وهو شيخ كبير في مظهر شاب ، وهذا يعني أن الزمن الخاص به قد ومن الممكن أنه تباطئ بفعل حركته السريعة فهذا وجه آخر يمكن إيراده ههنا بل لا يمكن دحضه نهائياً مع أن الأمر أبسط من ذلك بكثير ولكن هذا لإتمام الحجة . . .

إذن فلابد لانسان جمع كل هذا القدر من المعرفة والعلم أن يكون قد عاش لفترة طويلة وبقاءه لكل هذه المدة الطويلة كما اوضحنا ليس أمراً بعيداً بل هو أمر واقع .هذا من جهة عمره وأما من جهاته الأخرى ومزاياه .فمن المؤكد كما قلنا أنه قد بلغ مرتبة الكمال في كل شيء لأنه لو كان لديه نقص في جهة من جهاته لكان هذا النقص جديراً بإيجاد منافس له .ومع وجود المنافس فلا معنى للقول أن هذا هو القائد الموعود لأن هناك من يساويه من حيث الملكات والمقدرة وبالتالي تسقط كامل النظرية عن الاعتبار .

فإذن سيكون المهدي سلام الله عليه أكمل بني الإنسان في وسامته وتمام قوته البدنية وفي أخلاقه وفي علمه وفي حكمته وفي ذكاءه وفي تفانيه وفي إخلاصه وفي طهارته وفي التزامه وفي كل شيء على الإطلاق لأنه ببساطة سيكون إنسان كامل دون نقوصات تُذكر ولهذا سيكون بمقدوره قلب الموازين في حياة الإنسانية والقيام بتلك الحركة الكونية التي سيُسَخِّر فيها الكون بأسره لخدمة بني الإنسان ، فهذا هو الإمام المهدي !

ما هو البرهان الفلسفي على كونية حركة الإمام المهدي وتأثُّر كل الكون بها ؟

بعد أن ذكرنا الجانب المُتعلق بالإنسانية وإذا كنت تتذكر ففي بداية كتابنا هذا تحدّثنا عن اتحاد العالم والإنسان وأنهما شيء واحد .أرى من الضروري هنا الوقوف ولو وقفة سريعة على الجانب الكوني في إطروحتي هذه ، فمع أنني يفترض بي أن أعتمد على ذكاء وفطنة القارئ في استنباط النتائج المترتبة على ما قدمته بين طيّات النظرية دون الإسهاب في إيضاح الواضح . لكنني أرى نفسي مُلزماً لإيصال الفكرة للجميع على اختلاف مستوياتهم العلمية وأذواقهم وتوجهاتهم الثقافية وإمكاناتهم .ولهذا سأشرح الفكرة بعُجالة تاركاً المجال للقارئ في إعمال عقله والتفكُّر في النتائج وسأحصر دوري في إعطاءه بداية الخيط كي يُكمل ويُنجز هو الباقي...

قلنا أن المجتمع تحت ظل حكم القائد المعصوم سوف يصل لمراتب علمية لا نستطيع الآن وفق نظامنا التعليمي الذي درسنا فيه أن نكون قادرين حتى على مجرد تخيّل إمكاناتها وقدراتها المعرفية .فمن المؤكد أن هناك علوم جديدة سوف تظهر .والعلوم الحالية سوف تتطور أو تنصهر في علوم أخرى فتصبح فروعاً .المهم أن هناك ثورة معرفية ستحصل يتم فيها العمل من خلال مقتضيات العلم الحضوري أي أن المعلوم سيكون حاضراً بذاته عند العالِم كما فصّلنا في ذلك وقرأته أنت .والآن لدينا علوم مثل علم الفلك والفيزياء والفيزياء الفلكية ونظريات مثل نظرية الأكوان المتعددة ونظرية الأوتار الفائقة التي تتبنى القول بأن هناك أبعاد غير الأبعاد التي عرفناها في الرياضيات وهذه الأبعاد مختفية عنّا ، ثم هناك تطبيقات (جون ويلر) على ضوء شبيه النجم (الكوازار) والذي طبّق عليه نفس تجربة الشق المزدوج التي يعرفها كل من درس الفيزياء وأثبت بعض الباحثين من خلالها أن الإنسان هو من يضع تاريخ للكون واصبحت حقيقة علمية لا تقبل التشكيك ، كل هذه النظريات وهذه العلوم سوف تتطور ، ونحن ومنذ أن وجِدنا على هذه الأرض كنّا مشدودين وبقوة لمعرفة ماذا يوجد في كل جزء من أجزاء هذا الكون الشاسع وهذا الشوق والفضول لتلك المعرفة يبدو واضحاً في إرثنا الفلسفي والعلمي والديني وحتى على صعيد المثلوجيا والسحر والشعوذة الى آخره...

ولن تجد إنسان على سطح الكوكب لم يتسائل ولو لمرة واحدة في حياته على الأقل عن حقيقة ما يوجد في هذا الكون الشاسع .فما هو الذي سيحصل بالضبط ؟

أولاً : إن هذه المساحة غير المُكتشفة من الكون والتي تتواجد على الورق فقط من خلال ما أوصلتنا له المعادلة الرياضية .هذه المساحة موجودة الآن بالقوة وسوف تخرج للفعل ! . بعبارة أبسط ، أننا نعلم بوجود مساحات شاسعة في الكون لكن تلك المعرفة معرفة نظرية لأننا عملياً لسنا قادرين على الوصول لتلك المساحات ومسحها وإيجاد الأجوبة عن بعض الأسئلة مثل ، هل للكون نهاية ؟ - أين تقع نهاية الكون ؟ - هل توجد أكوان أخرى ؟ - هل توجد حضارة أخرى في مجرّة أخرى ؟ - هل سنترك كوكبنا يوما ما لأننا وجدنا كوكباً آخر يوفر لنا حياة

أفضل ؟ - هل الجحيم والنعيم مكانان موجودان في مكان ما أم أنهما في بُعد آخر في كون موازي لكوننا هذا ؟ - تلك الأكوان الموازية لكوننا هذا هل فيها حياة ؟ - وإذا كانت هناك حياة فهل هي مثل الحياة التي نعرفها ؟ - هل يمكن أن نجعل الزمن يتوقف ؟ - هل الزمن له وجود مادي أم وجوده مجرد فحسب ؟ - كيف بدأت الحياة ؟ - ولماذا بدأت الحياة ؟ - وأين بدأت ؟ - والى أين تتجه ؟ - وكيف ستنتهي ؟ - بل كيف بدأ كل شيء ولماذا وأين ومتى ؟

ثانياً : بعد حصولنا على تلك الأجوبة سيكون الكون مختلفاً باعتبار أننا استطعنا من خلال المعرفة الهائلة التي سنمتلكُها من تطوير وسائل النقل الفضائي والتي ستُتيح لنا مسح كل شبر من هذا الكون . أي أننا سنكون قادرين على رسم خريطة كونية وتوحيد الأمم والحضارات التي سوف نعثر عليها إن وجدت **!** تحت ظل حضارة واحدة وإن لم توجد تلك الحضارات فعلى الأقل وهذا ما نحن متأكدين منه الآن أننا سنكون قادرين على الإستفادة من موارد الكواكب الأخرى وتسخير طاقات الشموس لأن شمسنا لن تكون قادرة على تلبية متطلبات حضارتنا التي ستمتد لتستعمر الكون بأسره .وسنتمكن وببساطة من التحكم في الظواهر الطبيعية وهذا يشمل تغيير مسارات الكويكبيات والمذنبات التي ربما تشكل خطر على كوكبنا وكذلك التحكم بالمناخ من خلال التحكم بكمية الحرارة والرطوبة والضوء ومفتاح كل هذا يقع في المساحة الفاصلة بيننا وبين الشمس . لا بل سنكون قادرين على نقل الحياة لكواكب أخرى فحتى الآن وبمعرفتنا البسيطة التي نمتلكها اكتشفنا عدة كواكب نعتقد أنها صالحة للعيش فما بالك حين نمتلك كل تلك المعرفة الهائلة والمرعبة حقيقةً .وبعد أن أقمنا البرهان على حتمية ظهور هذا المستوى العالي من المعرفة في ما مرّ علينا من بحوث .

فلا يمكن أن لا يحصل هذا الذي تكلمنا عنه الآن ولا يمكن أن لا نستعمر الكون بأسره لأن عدم استعمار الكون وفهم القواعد فيه واكتشافه سيترك المعرفة لدينا منقوصة ونحن تكلمنا أن المعرفة ستكون مطلقة وهذا هو الفرق أصلاً بين دولة الامام المهدي أو القائد المعصوم عن باقي الدول .**!**

وبما أننا سنوجِد الكون . أي إننا بعد أن كانت هناك مساحات من الكون غير مُكتشفة وسنكشف عنها فستوجد تلك المساحات بعد أن لم تكن موجودة لأن الموجود بذاته غير قادر على التعريف بنفسه .فهو يبقى معدوماً ما لم يعرفه أحد ولا قيمة لوجوده ما لم يعرفه أحد وهذا قانون يشمل كل مفاصل الحقائق الإمكانية .

ولهذا فالرؤية الكونية وإدخال الكون أو الأكوان المُتعددة ضمن معادلة الحكومة الكونية أمر حتمي لا يقبل النقاش .ولهذا فبعض المناطق التي تشهد توتر في الكون مثل مناطق الجذب الكهرومغناطيسي والثقوب السود وحقول الطاقة ومساحات المادة المظلمة التي ينقّب فيها المخ ليستخرج منها الوعي كما يذهب لذلك بعض العلماء. والمادة المُضادة والكثير من المواد والمعادن الأخرى . سيتم تدوير كل شيء وإصلاح كل شيء وخفض مناسيب التوتر في تلك المناطق بما يبيح لمحيطها بالإزدهار والترقّي استعداداً لتلقي الحياة عليها أو في أقل تقادير لتستمر حياتنا نحن بطريقة مختلفة عمّا عرفناه .وعدم حدوث كل هذا الذي تكلمنا عنه .سيكون مجرد الكلام عنه أمر عبثي لا طائل منه .فالكون برمته سيكون داخلاً في معادلة الحكومة الكونية وهذا أمر حتمي غير قابل للنقاش ولا يمكن لأحد أساساً أن يشكّ بوقوعه لأنه سيكون مجنوناً بامتياز .

وبالمناسبة ففي موروث المسلمين الديني وفي القرآن الكريم بالتحديد يوجد إهتمام بالكون وبالنظريات العلمية بشكل ملفت للنظر ويكفي الباحث إلقاء نظرة سريعة على آيات القرآن الكريم ليرى عمق المسألة وأن الوعد باكتشاف الكون وتسخيره والسفر بين المجرّات والكواكب أمر حتمي الوقوع ، لقد ذكر القرآن الكريم لفظ السماوات (١٩٠) مرة وذكر السماوات السبع (٩) مرّات والكواكب السيّارة بعد إضافة الزهرة وعطارد تسعة وهي الكواكب المُحاطة بغلاف جوي والتعبير القرآني واضح الدلالة (وَمِنَ الأرضِ مِثلَهُنَّ) وما ورد في تفسير ابن شهر آشوب عن النبي قوله (إن لله ثمانية عشر ألف عالم أحدها الدنيا) وفي دائرة المعارف ومعجم البلدان عن النبي صلوات الله عليه في معنى (وَمِنَ الأرضِ مِثلَهُنَّ) قال :(وفي كل أرض آدم مثل آدمكم ونوح مثل نوحكم وإبراهيم مثل إبراهيمكم) والإشارة للبعد الكوني في الرسالة الإسلامية واضح تمام الوضوح (وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكونَ من الموقنين)سورة الأنعام الآية ٧٥...

وعشرات بل مئات المواضع التي تحدثت عن الكون في القرآن وفي السنة وفي الموروث العقائدي الإسلامي .

بل في الموروث المسيحي واليهودي أيضاً ، لا بل في كل الموروث الفكري الإنساني .لأن هذه القضية ظلت تشغل مساحة كبيرة من الفكر الإنساني على مدار آلاف السنين .

فمن غير الممكن أن تصل الحياة المعرفية والعلمية للإنسانية لكل تلك المراتب العالية ولا تتحرك من أجل اكتشاف وتسخير الكون من أجل الإستفادة منه فهذا يُعد ضرباً من ضروب العبث الذي لا طائل منه !

والكون كل الكون في حالة إنتظار لذلك القائد المعصوم وقد تتسائل ومن حقك أن تسأل كيف يمكن للغازات وللصخور وللمعادن أن تنتظر فهذا يستوجب أن يكون لها وعي والكون في النهاية ما هو إلا عبارة عن احجار وغازات ومياه ومعادن فهل أن هذه الجمادات تنتظر القائد وهي أساسا غير واعية ولا يقع عليها تكليف... ؟

فأقول لك إنك واهم .فخلال فترات طويلة كان البعض يتهم المسلمين أنهم ليسوا واقعيين حين يقولون أن كل شيء يمتلك وعياً .حتى استطعنا من خلال التجربة العلمية التي لا يشكك بها أحد أن نثبت أن الجُزيئات مادون الذرية تغيّر من سلوكها حين تعرف بوجود من يراقبها وهذا يعني أن للجزيئات إدراك للواقع الخارجي على تفصيل طويل فيمكنك مراجعة ما كتبه الفيزيائين المتخصصين في فيزياء الكم عن تغيير الجُزيء لسلوكه في حالة اكتشافه لوجود الراقب فاذهب واقرأ ثم سيرتفع عنك الشك في أن الكون كله مثل الإنسان بالضبط وكما برهنت لك على هذا في بداية هذا الكتاب من أنهما أي العالم والإنسان شيء واحد ،وهذا يعني أن الكون كله مثل الإنسان في حالة إنتظار لهذا القائد !!!

المهدي (ع) دينياً

إن الدين يرسم لنا ملامح لشخصية الإمام المهدي أو القائد المعصوم أو المُخلّص عبر عنه كما تشاء ، يرسم لنا الدين ملامح تلك الشخصية من عدة زوايا لعل الأكثر أهمية بينها هي تلك الرؤية التي تنسجم مع الهدف الأساسي للدين ، فالدين كمنظومة حيوية وظيفتها تصحيح مسار المجتمع وهدايته للأخلاق الحميدة وتقويم ما اعوَجَّ من بناءاته وبالأخص الفكرية منها وزرع المحبة والأُلفة بين أفراد بني الإنسان ، وفي مرحلة لاحقة النهوض

بالحضارة ككل مترابط غير معرّض للتفكك والإنهيار الى الإزدهار وعلى جميع الأصعدة ، وقيام تلك المعادلة برمتها على نحوين الأول يستهدف رِفعة الإنسان والثاني يستهدف رِفعة الإنسان أيضاً لكن الأول هو رِفعة الإنسان بما سيُحققه هذا الإنسان بمساعدة السماء له والثاني خاص بالسماء لوحدها وكلاهما رِفعة لكنهما مختلفتين من وجه وهما ذات الشيء من وجه آخر !

إن هذا الهدف الأساسي في منظومة الدين الفكرية والأصل الأصيل فيه .هو من أبرز ما يُحدثنا عنه الدين نفسه عن ذلك القائد الموعود ، فذلك القائد الموعود لن يكون له هدف أسمى من هذا الهدف الذي حاول ويحاول الدين أن يصل له ويُحققه ويُنجِزُه .إن المهدي هو الخلاصة التي انتهى لها ركب الحضارة الإنسانية وهو الغاية القصوى التي يأمل من خلال تجسُدها ملايين المظلومين في العالم أن تتحقق عدالة السماء وأن يوهب الإنسان حريته التي طالما قاتل من أجل الحصول عليها . فكل ما بذله الإنبياء من أجل أن يحققوا للإنسانية كرامتها كله سيتجسد في هذا القائد الموعود ، فما بذله الأنبياء من أجل هذا الهدف كان عظيماً بحق فبعضهم لجأ الى تجويف شجرة فنشروا الشجرة بالمناشير ونهشوا لحمه نهشاً وبعضهم رُميَ في الماء وهو حديث الولادة ، وبعضهم رُميَ في قعر جب مظلم وهو مازال طفلاً كي يتم اختباره وابتلائه من أجل القيام بتلك المهمة ، وبعضهم لم يكن يجد ما يأكله هو وأمه لأنه يبذل ما لديه من جهد في الدعوة لحرية الإنسان فلا يبقى له هو وقت أو جهد يعتاش منه أو عليه كل هذا من أجل الهدف الأسمى ، وبعضهم ابتلعه الحوت فأطبقت عليه ظلمة الليل وظلمة قعر البحر وظلمة بطن الحوت ، وبعضهم اتهموه بالزنا وبالسحر ، وبعضهم بكى حتى ابيضَت عيناه ، وبعضهم قال ذات مرة وهو الصادق الأمين ما أوذيَ نبي كما أُوذيت . ولك أن تتخيل هول ما عاناه إذن !

وكم سيطول بنا الحديث إن ذكرنا ما عانوه وكم يمكننا أن نحتمل من تلك المآسي التي مرّت عليهم وتحملوها من أجل هدايتنا لطريق الحق ومن أجل حريتنا وكرامتنا ، إنهم في كل ما تعرّضوا له لم يكن هناك شيء لأنفسهم بل كله كان خالصاً لوجه الله ثم لنا نحن الآثمين ، فهم صلوات ربي عليهم لا يمتلكون حتى حياة خاصة فما ذاقووه من ويلات كله كان يصب في نفس الهدف ولا فرق بين تعرّضهم للإبتلاء من أجل القيام بتلك المهمة أو إيذائهم من أقوامهم لأنه في المحصلة الهدف واحد وكل ما عانوا منه كان يصب في رافد واحد...

إن دعوة هؤلاء الأنبياء والى جانبهم المصلحين والأولياء منذ أن وجدت البشرية وحتى الوقت الذي تقرأ أنت فيه هذه الكلمات الماثلة بين يديك .إن دعوتهم كانت وستبقى من أجل كرامة وحرية وسعادة الإنسان ففي أي مكان كنت أنت فاعلم أن هناك من فكّرَ فيك ومن ضحى من أجلك ومن يُخطط لك ويرعاك ويهتم لأمرك ، لكنك غافلٌ عن هذا ولأنك غافلٌ عنه فأنت غير قادر على استشعار تلك الأنامل التي تحفُك برعايتها .

واعلم أن كل تلك التضحيات التي تمرُّ عليك الآن ومرّت عليك فيما سبق وأنت لا تُعيرها أي اهتمام بل لا تقف ولو قليلاً وقفة احترام وإجلال وإعظام لمن قدّم كل شيء من أجل أن يصلك نور الحق وأن لا تكون كالدواب والحيوانات والبهائم ، اعلم إنها لم تنتهي ففي هذا الوقت بالذات وفي كل وقت فهناك من يعمل من أجلك ويُضحي ويُخطط ومتى ما أصبحت أنت بالمستوى اللائق سيأتي اليك ويمسكك من يدك ويأخذ لك الى حيث توجد الكرامة والسعادة والحرية . فما أنت فاعل ؟

إن هذه هي الصورة التي يرسمها لنا الدين عن شخصية القائد الموعود ،وبهذا القائد الموعود سيحقق الدين هدفه في ربوع الإنسانية ، فلما خُلقت السماوات والأرض والمجرّات والأكوان والنبات والحيوان والجبال والبحار وكل شيء .

لما خُلق خُلق من أجل الإنسان وللإنسان لكن الإنسان انحرف وانحرافه أوجب إن تُرسل السماء مددها لكي تُصلح ما تم تخريبه وتعاقبت الدهور وجاء الأنبياء والمصلحين والأولياء فوجاً بعد فوج ورحلوا حتى عاث الإنسان فسادا في البر وفي البحر وخربت النفوس وتدنست القلوب وعُبد المال والجنس والمنصب والشهرة والجاه دون الله ووصلت القلوب الحناجر وتلوّث الحب وتمت المتاجرة بالفطرة وتغيرت الأخلاق وأصبح السارق ناجحاً والمُخادع ذكياً والكاذب براغماتياً وطُبِّقت الرأسمالية وبُشِّرَ بالعولمة وانتشرت المخدرات والدعارة والأوبئة ،والرجال أصبحوا بلا حياء والنساء بلا حشمة واختلط الأمر على المراقب فلم يعُد هناك حمية ولا غيرة ولا نبل ولا شهامة ولا شيء يُذكر إلا شتات هنا وهناك يحسبه الظمآن ماء ، فقد غيّر الإنسان طبيعته ودمّر جنته وأوثقَ نفسه بأغلال العبودية لغير الله فأصبح غارقاً في بدنه .فهو يعمل من أجل هذا البدن ويكدح ويبذل الوقت من أجل هذا البدن ويعتني أيما اعتناء بهذا البدن ويسرق لهذا البدن ويتزوج كي يلبي رغبات هذا البدن ويفعل كل شيء من أجل هذا البدن وهذا البدن يجعله عبداً ذليلاً وضيعاً خانعاً جاهلاً عاجزاً تافهاً سخيفاً محمّلاً بالقلق والخوف والرعب ،وكل هذا أعماه عن النظر للحقيقة والى نورها الساطع فأصبح وللأسف لا يفرق عن البائهم بشيء بل أنه أدنى قيمة من بعض البهائم ، ولن يتخلّص من كل هذه الأوبئة إلا حينما يعود لفطرته السليمة والتي تحتم عليه إحترام الكبير وتوقير أهل العلم والإبتعاد عن الموبقات وتغذية روحه وعقله بالمعرفة والتحلي بالمروءة والمثابرة في مجاهدة شهواته والتوكل على الله والتصديق الكامل غير المنقوص أن لا أحد يمتلك القدرة على الإضرار به أو نفعه من دون الله وحده وأن يجعل ضميره هو الميزان ويطهر قلبه من الحقد والكراهية والحسد والتباغض ، وأن يُحب الكل ويعامل الكل بالحب حتى إن آذوه وأن يكون مرهف الحس عالي الذوق بعيد الهمة عزيز النفس شامخ الرأس عنيداً في الحق متنمراً في ذات الله شجاع القلب شرساً في موضع الشراسة ووادعاً لطيفاً أنيقاً ودوداً بين قومه من المؤمنين ، فمتى عقد العزم على هذا أرسلت السماء ذلك القائد الموعود لكي يساعده على تحقيق العدالة في ربوع البشرية .فالدين يقول لك وبضرس قاطع أنت مهم بل مهم لدرجة أن كل القضية تعتمد عليك أنت ، وأن القرار في النهاية هو قرارك أنت فهل تعرف قيمتك أم لا تعرف ؟

وهكذا ، فالدين يريد منك كفرد له فاعلية في محيطه أن يبدأ الحركة .ووتيرة هذه الحركة ستتصاعد تدريجياً حتى تصل ذروتها في الصراع ضد الإنحراف وهناك سيكون من الحتمي ظهور قائد ولن يكون هذا القائد غير المهدي ، وعليه فإذا أردنا أن نعرف الصورة التي يعطيها لنا الدين عن شخصية القائد الموعود فليس علينا سوى أن ننظر لهدف الدين الأساسي وصراعه ضد الإنحراف .وهذا هو تعريف الدين الرسمي لهوية القائد الموعود...

المهدي (ع) فلسفياً

لما كان العالم بكل أجزاءه متوجهاً للحقيقة المطلقة ومُستشعراً لضغط تلك الحقيقة على وجدانه وهو يفسّر جموحه نحوها وجنوحه ونزوعه إليها بقراءته لبواطن الأحداث ، كان ولابد من وجود مكانٍ تتجلى فيه الحقيقة على صعيد وجودها الإمكاني بطبيعة الحال ،فالحركة دليل من بعض جهاتها على وجود حركة أكبر وأشمل .والفهم العميق من بعض جهاته دليل على وجود فهم أعمق وأكثر غوراً .وبما أن ظهور معالم النبوغ والفطنة لا يُنكران عند أحد من الفلاسفة .كما أنهما يتكاملان بكمال حاملهِما . كان من المؤكد وجود إنسان يتوفر على مستوىً من

النبوغ يُمَكنه في النهاية من الإجابة عن معضلات البحث الفلسفي ، لأن الجري خلف الفهم الكامل لم يتوقف على صعيد هذا البحث ومؤداه بلا شك ينتهي لفهمٍ عالٍ وإلا لفقد اعتباره بل معناه في ذلك العروج للأعلى ، فهذه النزعة المُتجذّرة في الإنسان للفهم ليس منشأً وجودها باطنياً فحسب لأننا نلحظ أن بعض أفراد بني الإنسان متبلدي الذهن لدرجة أنهم لا يهتمون لمعرفة أبسط الحقائق ومع إننا نُقر بأن كل بني الإنسان فلاسفة بنحو من الأنحاء إلا أننا نشهد من جهة أخرى بعض أبناء هذا الجنس خاملي الهمة وأفكارهم لا تتجاوز البهائمية وحتى أن الأطفال أكثر منهم فطنةً في طرح بعض الأسئلة فهذا في حقيقته لا ينفي أن لديهم نزوع باطني للفهم فهو موجود دون أدنى شك لكنهم عطّلوه وتغاضوا عنه .وهذا يحتم أن النزوع للفهم على مستويين الأول باطني وقد يضعف ويقوى تبعاً للثاني وهو الخارجي الذي هو دائماً قوي ومهمته تتلخص في تحفيز الأوّل ، ورفده بمقومات السؤال . إذ إن السؤال غالباً يقع عن المجهول من جهة ما وهذه الجهة هي التي يقع عليها السؤال وهي نفسها مركز ذلك التحفيز الخارجي ، ولما كان هذا الخارجي دائماً وأبداً مستمر الحركة ولا يتوقف فهو بهذا يتجه للأعلى ومتى ما توقف الإنسان عن الإرتقاء للأعلى معه فهناك إنسان آخر يصل شوطاً أبعد .ومع كل الأفهام يبقى هذا المحفز الخارجي مستمراً في حركته والحدّ الذي يقف عنده هو الحدّ الفاصل بين المحدود والمطلق، وهنا نتكلم عن المطلق الإمكاني لا المطلق الوجوبي لأن عالم الممكنات متوفر ومحتوٍ على اللامحدود من إحدى جهاته ومحدوديته من إحدى جهاته الأخرى كالأعداد على سبيل المثال ، فليس ممتنعاً عقلاً أن لا يكون في الخارج إنسان وصل مرتبة الفهم المطلق لعالم الإمكان بل من الضروري وجود ذلك الموجود لأنه ضرورة تثبتها النزعة نحو المعرفة الإمكانية المطلقة !

ولهذا فعلى صعيد الإثبات الفلسفي يكون القائد الموعود هو الإنسان الكامل الذي توفرت فيه كل شرائط ومقومات التصدّي لمثل هذه المهمة ويبدو جلياً أن لا مفرّ من التسليم بمثل هذا الإعتقاد وهو لا يختلف عن الإعتقاد الديني بضرورة وجود هذا الموجود ،وإذن فالإمام المهدي كما أنه ضرورة دينية فهو كذلك ضرورة فلسفية يقرّ بها العقل ويسلم تسليماً مُطلقاً بوجودها . وبقي أن نرى هل أن العلم يُشارك الدين والفلسفة ذات الرأي أم لا ؟

المهدي (ع) علمياً

هنا سنتكلم بلسان مادي بحت لكي نرى هل أن هناك طريق تستطيع أن تُغلق من خلاله الحضارة الغربية المادية الأبواب أمام فكرة المهدوية الدينية في الأساس والفلسفية بالضرورة أم لا . ولنبدأ من البداية التي يدعونها !

حصل الإنفجار العظيم : وانطلق الزمان والمكان وهذا ما سيكون بعد ذلك عامل للتوازن في كل الكون ، فالزمن محكوم بالحركة والحركة محكومة بالمكان وهكذا ، بدأت ملامح إولى النجوم تظهر ثم بدأت تتشكّل المجرّات والأنظمة الشمسية وبفعل التفاعلات الكيميائية في النهاية أصبحت هناك بيئات قابلة لاستقبال الحياة ولا ندري هل مثل هذه البيئات بعيدة عنّا أم قريبة أو هل هي موجودة أم لا . كل ما نعرفه ونحن متأكدين منه أن الأرض كانت بيئة مناسبة لظهور الحياة بعد أن تكوّنت بفعل ملايين السنين وتغذّت على المخلفات الكونية من نيازك وكويكبات وكلما زاد حجمها أي تكاثفت كتلتها كلما زادت قوة الجذب فيها وفي النهاية استقطبت الماء من خلال نيزك أو كويكب سيّار ما أو أن الماء نشأ عليها لعدة عوامل أهمهما نشوء غلاف جوي لها مما يجعلها تحافظ على

مستويات معينة من الرطوبة والحرارة وهذا أسهم في ظهور عدة أنواع من العناصر ولعل من ضمنها الماء . المهم كانت الأرض في بادئ الأمر خالية من الحياة ثم فجأة ودون سابق إنذار ظهرت الحياة عليها وهذا قبل ما يقارب (٦٥) مليون سنة وبدأت تلك الحياة من الماء بكائن أُحادي الخلية ليتطور فيما بعد ، وبغضون ملايين السنين الأخرى أصبحت الأرض مُستعمرة بالنباتات وهناك عمالقة تسمى الداينصورات تحتلها وتحتل سماءها كما أن هناك كائنات صغيرة أيضاً ، واستمرت الحياة بالإزدهار والترقّي وقفزت لمراحل متقدمة حتى جاء في يوم من أيامها السعيدة نيزك أحرق الأخضر واليابس فأهلَك تلك العمالقة التي كانت تحتلها ثم انبعثت الأتربة والغازات لمئات الكيلو مترات للأعلى وحجبت أشعة الشمس وهذا أدّى الى توقف عملية التركيب الضوئي التي تقوم بها النباتات من أجل أن تتغذّى وبالتالي لتستمر في الحياة .لكن هذا لم ولن يعني أبداً أن الحياة توقفت البتة بل ناضلت أيما نضال من أجل البقاء ولربما كانت من أكبر النعم التي حلت على الأرض هي نعمة وصول ذلك النيزك المحمّل بالموت فبعض الكائنات الصغيرة لجأت الى الشقوق والصدوع الأرضية وهناك في عمق جحورها بدأت تتشكل لديها قشرة دماغية هي التي ستكون بعد ذلك المعنية بالذاكرة والوعي ورويداً رويداً تلاشى الغبار من سماء الأرض ورجعت الشمس تعانق الأرض من جديد وبعض البذور التي كانت تتساقط ودُفنت تحت سيول أمواج التسونامي التي ضربت الأرض بفعل ارتطام ذلك النيزك بها عادت لتظهر من جديد ثم لم تلبث الحياة إلا عدة آلاف من السنين حتى عادت أقوى مما كانت عليه قبل الإنقراض الجماعي لكنّها هذه المرة كانت تحتوي على الوعي المركّز وللمرة الأولى بعد الإنفجار العظيم ووجود الحياة نشهد إنبثاق إنجاز هائل للطبيعة ألا وهو الوعي والذكاء والعقل في حقبة لاحقة كما نعرفه نحن ! . وفي النهاية تم اختتام المشهد بالحدث الأعظم وهو وصول صاحب الجلالة لمملكته وصاحب الجلالة هذا هو ملك الأرض دون منازع والذي سخّرها وحاز عليها واصبحت الارض كل الأرض ملكاً له ولوحده وهذا الملك الجديد هو الإنسان...

وبدأت المرحلة الثانية من الحياة والتي اختتمت مرحلتها الأولى تصاعدياً حتى وصلت لظهور الإنسان .ثم بدأت بعد ظهور الإنسان مرحلتها الثانية فكان في بادئ الأمر يعتاش على الصيد ثم انتقل نقلة نوعية بل عملاقة حينما اوجَدَ اللغة فأصبح يُسمي الأشياء والآلات التي كان يصنعها من أجل الصيد واستمر الوضع هكذا حتى شعر هذا الإنسان بأن له أشياء أكثر عُمقاً من مجرد حاجته للأكل وللجنس وللشرب وللنوم ، فبدأ يفكّر بأحلامه وبكوابيسه وبالشعورات التي تنتابه من غضب وسعادة وحزن وحب وكراهية الى آخره .فكان ولابد من ظهور إنجاز عظيم آخر بعد إنجازه الأول وهو إيجاد اللغة لكنه هذه المرة وجد شيء أعمق وهو الدين !

فظهر لديه ما يسمى بـ(الطوطم) وأسند كل تلك الظواهر الطبيعية التي يراها في العالم والأُخرى التي يعجز عن تفسيرها ومنبعُها عمق ذاته هو كالاحلام والهواجس والحزن .أسندها كلها لقوة غيبية يلجأ لها ويقدم لها الأضاحي من أجل أن تحميه من شرّ الظواهر الطبيعية كالفيضانات والزلازل والعواصف .

وهكذا نشأة العائلة ونشأة بواكير الأنظمة المحدودة التي تحكم العشيرة بعد أن اكتشف النار فكانت من بين أهم اكتشافاته التي وفّرت له فرصة التفكير بعد أن كان يقضي ساعات طويلة في الأكل والهضم فقد أصبح إعداد الطعام سريعاً مع وجود النار وهضمه أكثر سهولة وسرعة أكله كانت الحدث الأهم ، وظهرت الحرب وظهر مفهوم الإختلاف وظهر معه الإدراك بعد أن نظر الإنسان لنفسه فرأى أنه مختلف عن باقي الكائنات بل أنه مختلف عن أبناء جنسه من القبائل الأخرى بل حتى أنه مختلف عن أفراد عائلته بعد أن اكتمل معنى وجود العائلة .ونظّم الزواج باختلاف معتقداته ونظم أمور الحرب وأسند لكل فرد من أفراد مجتمعه مهمة يقوم بها

.وهكذا ظهرت التجارة لأول مرة وبدأ يُدجّن الحيوانات وفق معرفة مسبقة فجاء إنجاز عظيم آخر وهو الزراعة ، فلما كانت الزراعة كان ولابد له أن يستقر بعد أن كان دائم الحركة ولما استقر زادت المخاطر التي تأتي من الأعداء الذين يشنون الغارات بحثاً عن المؤن والنساء والمواشي والعبيد ، ثم قفز قفزة كبيرة جداً وهي ما حدث في بلاد ما بين النهرين إذ شُرّع القانون الذي يمنع الإعتداء وظهرت الدولة ومعها ظهر مفهوم الحضارة لأوّل مرة فكان قُدامى العراقيين أول من اختطّ سِفر الحضارة للبشرية ، ولم يتوقف التطور هنا . فمنذ ذلك الكائن أُحادي الخلية الذي خرج من الماء وحتى الوقت الذي بُنيت فيه الجنائن المعلقة في بابل ووجود القوانين والأنظمة ومفاهيم الدين والدولة وظهور بدايات التفلسُف في بلاد ما بين النهرين وقطع شوط كبير من المعرفة والأهم اختراع الكتابة التي حفظت الطرائق العلمية والعمل في حقول الكيمياء والهندسة والرياضيات والأدب والموسيقى وكان للشعر أهمية قصوى ، فحتى ذلك الوقت لم يتوقف التطور بل اتخذ حركة ومنهج آخر فبدأت المنظومة الفكرية والعقدية والعلمية لدى الإنسان تتطور . هذا من جهة ومن جهة أخرى أن التطور الذي يطرأ على الأجناس لا يكون بفترة عشرة أو عشرين ألف سنة بل هو يحتاج لفترات أطول كي تظهر علاماته واضحة وجلية ولهذا فإذا سألنا الآن لماذا لم يتطور الإنسان مثلاً لتكون لديه أربعة عيون فهو يحتاج لهذا حاجة فعلية فالجواب أن عمر البشرية مازال صغيراً وحتى يتطور الإنسان يحتاج لفترة أطول من هذه التي عاشها على الأرض ، وعلى العموم فقد بدأت تلك المنظومة الفكرية والإعتقادية والعلمية تتطور عند البشر فشهدنا ذروتها حين قامت الإمبراطوريات وتمت المعاهدات الدولية ونشأة الثقافات المتعددة والمذاهب الفلسفية التي قلبت الدنيا على رأسها فكانت ثورة للعقل تعج بها عواصم مثل (إثينا) واصبح هناك جيوش رهيبة ودول عظيمة وكان الصراع بين الحضارات على أوجّه وهذه الأفكار بدأت تتبلور على شكل أديان فظهرت الزرادشتية وغيرها من الديانات البدائية ثم أدرك الإنسان أنه بحاجة لدين يكون أعمق وأكثر تعقيداً من كل ما سبق فظهرت اليهودية ثم ظهرت المسيحية ثم ظهر الإسلام الذي كان له صولة وجولة أخرى فكما أن ثورة الفكر الإنساني كانت تستعر نارها في بلاد الإغريق ووصلت الفلسفة الى أعلى عليائها فحينما جاء الإسلام أحدث صدمة فكرية في حياة الإنسانية جعلها تتقدم بخطوات هائلة للإمام فقد حوّل الفلسفة والعلم والفن ونقل هذه المعارف نقلة مرعبة حتى إننا يمكننا القول أن الإنسانية قبل الإسلام شيء وبعد الإسلام شيء آخر ، وهكذا استمر تطور الفكر الإنساني حتى وصلنا لعصر النهضة .والفتوحات العلمية فظهر علينا نيوتن بقوانينه التي غيرت فهمنا للعالم وللحياة وبدأ عصر الصناعة وتطور الى أن وصلنا وبرفقة هذا التطور الصناعي الذي يعجز اللسان عن وصف إبداعه الى هواتف الآيفون وعصر الإتصالات واكتشاف الفضاء والحواسيب الكوانتومية ولم يتوقف التطور للآن ولن يتوقف البتة !!!

وكما أسلفنا فهذا التطور أخذ أكثر من وجه وطريق .ووفقاً لهذه المُعطيات فيمكننا القول بل الجزم . أن هناك لون من التطور التراكمي أي أن الإنسان الذي يستطيع أن يمارس التفكير الحر لفترات أطول يُمَرّن عقله أكثر وكما مرّ عليك فيما سبق أن للآن ومع كل هذا المُنجز المعرفي الذي حققناه لم نستخدم سوى عشرة بالمائة من طاقات عقولنا فلك أن تتخيل ما هو المستوى المعرفي والعلمي والفكري الذي سنبلغه حين نستخدم مائة بالمائة من عقولنا وهذه حتمية لكل أطوار ومراحل التطور ولا يمكن النقاش فيها بل مجرّد الشك فيها وفق مقررات العلم الحديث ووفق نظرية التطور العلمية يُعد ضرباً من الهذيان !

وإذن فالمهدي أو القائد المعصوم هو نتيجة لتطور الحياة على مدار ملايين السنين وهو حتمية لا تقبل التشكيك أبداً ، لكن يبقى سؤال مهم يجب أن نطرحه .

وهو في الوقت الذي سيظهر فيه القائد الموعود سيكون قد وصل ذروة التطور العقلي والفكري لكن ليس لوحده بل هناك كل بني الإنسان في عصره سيكونون بذات إمكاناته وقُدراته العقلية والفكرية وبالتالي لن يعود هناك من مبرر لقبوله قائداً إذ إنه فقد خاصيته والميزة التي تجعله مؤهلاً لقيادة الإنسانية فكيف ندفع هذا الإشكال المنطقي ؟

وجوابه سهل ويسير كل ما عليك أن تفعله هو العودة لما حدّثناك عنه في هذا الكتاب من إمكانية إطالة عمر الإنسان وأن هذا الأمر أصبح حقيقة علمي قيد التنفيذ وهناك من نجح في إطالة عمره البايلوجي بل هناك من تحدّث عن محو الموت جملةً وتفصيلاً ، فلا مانع علمي أو عقلي أن يكون القائد المعصوم استخدم تلك العقاقير في بقاءه يتمتع بالشباب ويبتعد عن الشيخوخة ولعله استخدم هذا في وقت مبكر جداً من حياة الإنسانية وبما إنه قد ثبت لدينا أن التطور له عده وجوه واحد أهم هذه الوجوه هو التطور التراكمي فكلما زادت حياة الإنسان كلما زادت فرصته للحصول على المعرفة أكثر ، وهكذا ففي الوقت الذي سيظهر فيه القائد الموعود سيكون قد فاق المعاصرين له بآلاف المرّات من المراحل الفكرية والعقلية ولهذا سيكون مؤهلاً تماماً لقيادة الإنسانية والتي ستكون بدورها قد تطورت لديها إمكاناتها العقلية والعلمية والفكرية وكنتيجة لكل هذه العوامل المترابطة ارتباطاً جوهرياً سيكون من السهل على القائد المعصوم أن يُقيم نظام تعليم مبني على العلم الحضوري كما أخبرناك بهذا ،وهذا سوف يُسهّل مهمته بدرجة كبيرة جداً ، وبهذا نكون رفعنا آخر عقبة أمام هذه النظرية !!!

القيمة العلمية والفلسفية والدينية لهذه النظرية ولهذا الكتاب

ربما لستُ أُغالي إن قُلت أن القضية المهدوية ومجيء مُخلص يُحقق على يديه السعادة للإنسانية فكرة بأهمية فكرة وجود خالق لهذا الكون . وكما أن فكرة وجود خالق لهذا الكون أخذت مساحة واسعة جداً وشغلت الفكر الإنساني منذ أن وجد الإنسان ولهذا اليوم فكذلك المهدوية باعتبارها فكرة إنسانية بحتة من جهة ونتيجة فلسفية من جهة أخرى ومن ثالثة مشروع ديني وهذا ليس بخافٍ .أخذت مساحة كبيرة جداً.

والظاهرة اللافتة للنظر في هذه الفكرة هي أنها قادرة على صناعة جوّها الخاص كل حين . أي أنها لا تتخلف عن زمن دون زمن لأنها بالدرجة الأولى ضرورة إنسانية بغض النظر عن حيثياتها ، فبحيث وجد الإنسان وجدت هي . وإن لم تكن هي ببناءاتها وماهيتها موجودة بل المفهوم العام لها لا يمكن أبداً أن ينفصل عن الإنسان وأين ما وجد مكاناً وزماناً لأن ضرورة الحاجة للتغيير ضرورة مُتجذّرة في ذات الإنسان وأعماقه والمهدوية كفكرة عامة لا تتجاوز هذا الوصف من إحدى وجوهها وعليه فهي ناشطة حتى في أكثر المجتمعات الإنسانية استقراراً وترفُّهاً ورخاءً ، ذلك أن المجتمع بطبيعته يسير وفق متبنيات أفراده ومادامت الفردانية فاعلة فلابد من وجود تمايُز طبقي أو عرقي بل حتى فكري وهذا ينشأ عن تبايُن الأفراد في إمكاناتهم وطبائعهم والفردانية أبداً ودائماً تُعنى بالأنا ولذلك فمن المحتم والوضع هذا أن يكون هناك توجه للتغيير ولو على الصعيد النفسي للأفراد لأن التغيير يحمل في طياته إعادة التدوير للأماكن والوظائف والوجاهات الإجتماعية وهنا تبرز هذه الفكرة بأجلى صورِها لأن مُعتنقها يأمل بمجيء من يُحرره من الآخر الذي غالباً يُمثل عقبة في الطريق يجب التخلص منها وإن كان على صعيد الإستبدال فحسب . وبطبيعة الحال هذا يُمثل الخط السلبي في هذه الفكرة !

إنني أشعر بالأسف البالغ حين أقرأ لبعض الكتّاب وأرى منهم التركيز فقط على الجانب الإيجابي لهذه النظرية وهذا خلاف الموضوعية التي تستلزمها الكتابة ، إن القضية المهدوية وأي قضية من القضايا المرتبطة بحياة الإنسان ارتباطاً عضوياً بحيث لا يمكن انفكاك دوائرها عن الدائرة التي يتواجد فيها الإنسان. ولا يمكن التغاضي عن تلك السلسلة والحُزمة من المفاهيم فأي قضية ذات طابع ديني أو فلسفي أو علمي أو اقتصادي أو سياسي لا يمكن أبداً لها أن تتكون خارج تلك الدوائر وتلك السلسلة ، وارتباطها العضوي هذا بحياة الإنسان وإن لم يكن يظهر للعلن واضحاً في كثير من الأحايين إلا أنه موجود بأجلى صورة حتى في أبسط الحركات التي يأتي بها الإنسان في أحايين كثيرة أخرى ،فأيُّ قضية لها طابع من الطوابع المذكورة تؤثر في الإنسان سلباً وإيجاباً وليس بالضرورة أن تكون ذات الفكرة منطوية على السلب أو الإيجاب فلربما تكون إيجابية بالكامل إلا أن تطبيقاتها وفهمها منطوٍ على السلب وربما تكون سلبية بالكامل لكن تطبيقاتها وفهمها منطوٍ على الإيجاب ، وربما تكون سلبية وإيجابية في آن واحد ، أو ليست هي المسؤولة عن الإيجاب والسلب بل فهمها هو الذي يعطيها الكيفية التي تكون عليها وهكذا...

والمهدوية كقضية تحتوي على أكثر من بُعد وأكثر من طابع ليست استثناءً من هذا القانون ولربما تكون معرّضة للإشتمال والتوفر على هذا القانون أكثر من غيرها وهذا باعتبار أن مدارها هو مدار الحياة الإنسانية برمتها وما ستؤول إليه ! وهي توفر مساحة شاسعة وبيئة مناسبة لزراعة الخُرافة والإحباط والإستغلال والدجل والشعوذة حتى ، لأن المجتمع للأسف لديه إصرار منقطع النظير لتحويل أي قضية دينية لا يستطيع أن يفهمها فهماً عميقاً ووفقاً لإملاءات العقل وبعيداً عن العاطفة والميتافيزيقا .

الى قضية تتمحور في كثير من مفاصلها على الإعجاز والخرق لقوانين الطبيعة وبالتالي تحويل الفكرة والمفهوم الديني الى بؤرة من الخُزعبلات التي تصل في بعض الأحيان حدّ التهريج ، وكنتيجة لهذا يظهر الدجالون والمنتفعون والمتصيدون بالماء العكر ويكثَرون وهذا يُرسِّخ الفكرة بثوبها الخُرافي الوهمي الطارئ الدخيل عليها في عقول العامة من جهة ومن ثانية يُعطي مبرراً لبعض المهاجمين للدين ولقضاياه التي يتبناها مع اصرار هذه المجموعة الأخيرة على التشبث بهذا الجانب وغض الطرف تماماً عن الجانب الحقيقي للفكرة والذي يُقدمه أهل الإختصاص من العلماء والمفكرين والمحققين فهؤلاء المهاجمين للدين يدركون تمام الإدراك أن الفكرة التي يقدمها الدين مباينة ومختلفة تمام الإختلاف عن نسختها العامية التي يعتنقها ويعتقد بها عوام الناس ومع هذا تراهم ينسبون فكرة العوام للدين دون التطرُق للفكرة الأصلية التي يقدمها الدين وهذا أغلب ما تراه في المجتمعات التي تشهد اضطراباً سياسياً لأنها تكون أرض خصبة لمهاجمة الدين أو العكس وهو مهاجمة خصومه لأن المتدينين ليسوا بأقل من غير المتدينين تزويراً وتشويهاً للحقائق فهم بدورهم أيضاً يزورون بعض الأفكار التي ليس لها منشأ ديني وغالباً هؤلاء المتدينين يكونون من العوام بل دائماً هم من العوام والدهماء لأن هذا ليس من شيم وأخلاق العلماء وحاشا علماء ومفكري الدين من هذا بل الواقع يشهد على العكس من هذا تماماً...

ومن المؤاخذات على القضية المهدوية أنها تكرس الركود والخمول في المجتمع فهي لا تقدم حلول آنية مرتبطة بالواقع مباشرة ولا تعمل على إيجاد حركة تفاعلية مع الأحداث لكي تدفع المفسدة وتجلب المنفعة بل هي تُسند كل هذا للمستقبل الذي لا ندري متى يأتي حاملاً معه رايتها . فالفرد تحت وطأة اعتقاده وتبنيه للمهدوية يبقى جامداً لا يُدافع عن نفسه ولا يسعى لتحقيق الحرية والكرامة والسعادة لنفسه وهذا ينبع من سببين :

الأوّل- هو تعليقه لكل شيء على الأمل بتحقيق العدالة له !

والثاني - هو إيجادُه للتطبيق العملي لضرورة شياع الفساد والخراب حتى يبزغ فجر المهدوية !

بعبارة أبسط هو تارة يستكين ويتوقف عن الحركة النضالية آملاً بالغد الواعد ولأن هذا الغد سيأتي فهذا يسلبه الكثير من الزخم الذي يجب أن يكون عاملاً مُشجعاً له على الوقوف بوجه الإنحراف .

وتارة أخرى . هو لا يتحرك ولا يفعل شيء ليس لأنه عاجز عن الحركة ولا يملك القوة الكافية التي تؤهله لأخذ حقوقه . بل هو ساكن وممتنع عن الحركة بسبب اعتقاده أن الحركة التي ستؤدي لرفع الظلم عنه وإن جاءت بنتيجة إيجابية على المدى القريب إلا أنها سوف تأتي بنتيجة سلبية على المستوى البعيد وذلك من خلال إبعادها لشبح الفساد والظلم العام ولو جزئياً وهذا بدوره سوف يؤخر الوقت الذي ستنطلق به المهدوية !

بل في مرحلة متقدمة من هذا الإعتقاد قد يلجأ هو الى الإفساد مُعتقداً بصحة الغاية التي بررت له وسيلته تلك . وهذا ينطبق على كثيرين .كما أن هذا الفساد له الكثير من الوجوه التي يتمظهر بها ولا نملك دليل على القول أن مثل هذا الإنسان يُبطن السوء ! ولهذا كان العالِم أعلى مرتبة من العامل ولذات السبب حصراً...

إن أدعياء المهدوية في كل زمان إذا نظرت لهم بنظرة الفاحص المدقق (ولا أقصد بالمهدوية هنا مفهومها الإسلامي فقط بل الصورة الأشمل لها على اختلاف معتقدات من يتبنى هذه الفكرة !)إن أدعياء هذه الفكرة لم يكونوا كاذبين على حدّ تعبير أحدهم ! بل هم فاشلون ، إذ أن هناك من يقول أيضاً ليس هناك أدعياء للنبوة مثلاً .فمسيلمة الكذاب ليس كاذباً بل هو فاشل ، بعبارة أخرى هناك أنبياء ناجحين وأخرين فاشلين فالناجحين منهم هم الذين حققوا إنجازاً بإيجاد قواعد لهم وتركوا بصمة أما الفاشلون فهم الذين لم يكتب لحركاتهم النجاح ولم تحقق إنجازات مهمة تُذكر . وحال المدّعين للمهدوية لا يختلف من حيث المضمون مع هذا ، (هكذا يقول البعض) !!!

ثم هذه الفكرة بصورة عامة ليست منطقية لأنها تجمع بين المتناقضين فليس معنى أن الملحد يعتقد بضرورة المستقبل السعيد للبشرية وأن الشيوعية أو أي فكرة سياسية أخرى ستنجح في إيجاد قائد أو إيجاد حل أو إيجاد طريقة وبأي شكل من الأشكال . ليس معنى اعتقاده هذا أن يكون هو والمسيحي والمسلم في كفة واحدة !

يعني ليس من الضرورة أن يكون اعتقاده بهذا دليل أنه يتفق مع المسيحي بأنه سيكون كذا وكذا ولا مع المسلم بأنه سيكون كذا وكذا فذاك الإعتقاد شيء وهذا الإعتقاد شيء آخر ولا يمكن قبول الرأي الذي يدعيه أحمد الجبوري وأمثال أحمد الجبوري من أن كل تلك الأفكار في حقيقتها هي فكرة واحدة !!!

وهكذا والى آخره.....

والحقيقة إن هذا الذي قرأت له وجه منطقي لكن المشكلة بمن يتكلم بهذا المنطق ينسى تماماً إننا نتكلم عن قضية فوق المنطق أصلاً ، وبعبارة أدق نحن نتكلم عن قضية لا يمكن فهمها بالوسائل المنطقية المتوفرة لدينا ، ونحن نستعرض بعض خصوصيات المهدوية وفقاً لفهمنا نحن ولكي نبرهن أن هذه الفكرة ليست منافية ولا منافرة للمستوى الفكري الحالي للإنسانية .مع إننا لم ولن نتكلم عن إنها ستأتي إدبان سيطرة هذا المستوى الحالي !

والأهم . أنه ليس لأحد أن ينكر حتمية هذه الفكرة وقوعاً ، أي أن ليس لأحد أن يُنكر حتمية تطور الحياة العقلية والفكرية الإنسانية لأن إنكار هذه القضية يُعد ضرباً من ضروب نُكران الواقع المُعاش ففي كل يوم نشهد ونلحظ هذا التطور .وهو في وتيرة تُصاعدية وإطرادية مستمرة ويوماً بعد يوم تزداد وتيرةُ سُرعته وهذه السرعة كلها تُقدم قراءة واضحة للمستقبل ومعالم وملامح ذلك المستقبل كلها تشير للمهدوية في وجه من وجوهها وبالتالي لم نتكلم عن المهدوية باعتبارها خيال جامح لكاتب ما . أو إسطورة يجب أن تأخذ مكانها في رف المثلوجيا . بل نحن تكلمنا ونتكلم عن حقيقة حتمية الوقوع لكن بفارق وحيد وهو عدم اليقين التام من السيناريو الذي سوف يكون لها في الواقع لأننا في ذلك الحين على الأغلب لن نكون حاضرين !

هذا على صعيدها الفلسفي والعلمي أما على صعيدها الديني فنحن نأمل أن نكون حاضرين وشاهدين على تطبيقها !

وقيمة هذه النظرية قيمة مرتفعة جدا باعتبار أنها تُحاكي تطبيقات الفكرة المهدوية بأكثر من كيفية .ولا تؤمن بأن المهدوية يمكن اختزالها بمفهوم أو سياق واحد بل يجب أن تكون متوفرة على كل المناهج لأنها بالتالي فكرة كونية . وهذه النظرية هي واحدة من مئات أبدع فيها الكتّاب والمفكرين وهي بدورها وبشكلها هذا قائمة بشكل أو آخر في أمكنة أخرى ولدى كتّاب آخرين أو على الأقل في أذهانهم .وليس لهذا الكتاب الماثل بين يديك قيمة أو لكاتبه قيمة تُذكر وإذا كان هناك من قيمة فعلاً فهي للنظرية وقيمة الكاتب والكتاب تأتي تبعاً لتلك النظرية وللفكرة التي قامت عليها تلك النظرية .وهذه النظرية لها من التمامية الشيء الكبير لأنها تضع العقل البشري أمام الحتمية التي لا يمكن أن يفند وقوعها أو يُحاول الإلتفاف حوله أو الدوران من الخلف لمواجهة الفراغ والإدعاء أن ليس ثمة شيء هناك ، فهذه النظرية على العكس من النظريات الأخرى غير قابلة للدحض وللإنكار وللتشكيك بل مجرد الإعتراض عليها يُعتبر خروج عن أدنى مراتب المنطقية ومن هنا ، اعتقد أنها توفر دفعة معنوية كبيرة جداً لمن يعتنق الفكرة المهدوية بنسختها الدينية فليس عليه إن وجَد من يعترض على فكرة المهدوية إلا أن يقول له خُذ واقرأ هذا الكتاب !

إننا نعتقد أن القضية المهدوية أكبر وأكثر قوة ومتانة بهذا المنظور الذي قدّمناه . ولأنها في الأساس ليست محصورة بفهم دون فهم آخر كما أن تعريفها بالشكل الذي جئنا به لا يتعارض مع أي ثابت عقدي أو فلسفي أو علمي وبهذا تكون جامعة لكل الإتجاهات لأنها في حقيقتها جامعة لكل الإتجاهات وعابرة للفهم الضيق الذي يحاول البعض إلباسها رادءه . إنها فكرة كونية يتجه الوجود كله نحوها وبالتالي من غير المنطقي حصرها في زاوية معينة لأنها أشمل وأكبر من أن توضع في زاوية معينة وفقاً لفهمٍ ما بغض النظر عن صحة ذلك الفهم أو خطأ وقصر ذلك الفهم ،ولهذا فقيمة هذه النظرية فلسفياً وعلمياً ودينياً هي في الحقيقة قيمة الفلسفة والعلم والدين في حياة الإنسان لأنها لم تخرج عن مقررات هذه المناهج والمسالك !

الممكن وغير الممكن

تواجهُنا وكما هو واضح بعض الإشكالات المتعلقة بالقضية المهدوية خصوصاً في قُدرات وإمكانات شخصية الإمام المهدي بالذات . وبشكل عام في الطرح الديني لشخصيته .وبعبارة أدق بما يعتقده البعض في الدين ومتبنيات الدين واعتبارهُ إيّاها أمور غير منطقية !

وهذه المشكلة قديمة جديدة . بمعنى أنها دائماً حاضرة وبشكل لافت ضد الدين مع العلم أنها غير متواجدة بهذا الشكل ضد العلم مثلاً ! فبعض النظريات العلمية تقفز فوق المنطق كما هو الحال في بعض القضايا التي يطرحها الدين إلا أنها هناك لا تواجه هذا الكم الهائل من النقد والرفض على العكس من الوضع فيما لو كانت نابعة من توجه أو فكرة دينية فإنها سوف تتعرض للكثير الكثير من النقد والتضعيف بل حتى التسخيف في كثير من الأحيان...

وبطبيعة الحال هذه ازدواجية غير مبررة أبداً ولا يجنح لها من يحترم عقله قطعاً ويقيناً ، لكن هذا لا يعني أن كل التصوّرات الدينية مقبولة ! لأنك إذا فحصت هذه التصوّرات بنظرة الباحث الموضوعي تجد أن هناك الكثير منها ما هو إلا محض سخافات وهراء وترهات لا ترقى لأن تُستعمل كطُرفة أو لطيفة للضحك عليها ، وهذا ليس ناشئاً من الدين بطبيعة الحال بل هو ناشئ عن تخريف وتهريج بعض المتدينين بقصد في بعض الأحيان من خلال دسّ الأحاديث والأخبار ذات الطابع الديني والتي يوجد الكثير منها جاء في حقب متقدمة من ظهور الدين ، وفي بعض الأحيان بفعل عوام الناس الذين لديهم غريزة جامحة نحو الخرافة والتهريج ، وإلا فالدين أبعد ما يكون عن هذا الأمر في حقيقته وأما عن بعض الديانات ذات الطابع المثلوجي الإسطوري فليست داخلة ضمن قائمة الدين الذي نتحدث عنه . فنحن نتكلم عن الشرائع السماوية لا تلك الأرضية !

وحتى يرتفع الشكّ في مثل هذه العقائد والأمور الخارقة للطبيعة والتي يتبناها الدين في قناة من قنواته المُتعددة والكثيرة يجب أن نفهم ما هو الأمر الطبيعي والأمر غير الطبيعي كي نحكم بالتالي هل أن هذا التصرُّف الذي أخبرنا عنه الدين بأنه وقع أو سيقع هل هذا التصرُّف أو الفعل أو الأمر منطقي أم غير منطقي أم أنه لا هذا ولا ذاك بل هو فوق المنطق أصلاً !

والحقيقة أنه لا يمكن لإنسان يحترم عقله أن يُصدق أن هناك رجل ضرب بعصاه البحر فانفلق لطودين أو أن هناك رجل كان يُحيي الموتى أو ما يُشابه هذه الأمور ، لا يمكن لشخص يحترم عقله أن يُصدّق مثل هذه الأمور وهو من أولئك الباحثين عن الدليل والحجة في كل شيء . نعم هناك من يؤمن بهذه الأمور دون الحاجة لدليل أو حجة وهذا هو الإيمان والتسليم وهو محترم بطبيعة الحال ، لكننا في معرض كلامنا عمّن لا يقبل مثل هذه الخوارق إلا بالبرهان العقلي فليس من الممكن أن يتم قبولها دون المقايسة مع ما سواها من ثوابت في طبيعانية المنحى ...

إنك إذا ما تفحصت الموجودات من حولك فستجد في كل حركة من حركات هذا العالم ما يمكن أن نعتبره وبضرس قاطع أنه معجزة ، فحتى الحركة نفسها تُعد معجزة إذ أن (زينون الأيلي) وهو من فلاسفة الإغريق أقام أدلة على عدم حقيقتها .وافترض أنك إذا ما رميت بسهم حتى يُصيب هدف ما . فإن السهم في كل مرحلة من مراحل قطعه لتلك المسافة وفي فترة معينة سيكون متوقفاً .وكلما حاولنا تقليص تلك المسافة التي يقطعها السهم فسوف ينتهي بنا المطاف لا محالة إلى مسافتين هما أقصر مسافتين في العالم وهذا يعني أنه لا يوجد شيء بينهما وما المفترض أن يكون كذلك ! . وبناءً على هذا جاء (ماكس بلانك) واخترع لنا طوله المعروف بطول بلانك ثم ضرب هذا الطول بسرعة الضوء فظهر ما يُعرف بزمن بلانك .وهذا الطول أي طول بلانك هو أقصر طول في العالم وهذا الزمن أي زمن بلانك هو أقصر زمن في العالم .وما الحركة التي نراها أنا وأنت إلا كميات من الصور في كل من الزمان والمكان وليست الحركة حقيقة البتة .ثم إن الأجساد التي تتحرك ماهي إلا موجات ! وهذا الفهم جاء بعد أن اخترع لنا (أديسون) اللمبة الكهربائية ونظر لها العلماء فوجدوا أن لون السلك يتغير كلما تغيّرت كمية الطاقة القادمة له فهو يتدرج من الأحمر الى الأصفر ثم الأبيض بفعل ارتفاع درجة حرارته ثم بعد أن يصل للّون الأبيض لا يتحول الى لون آخر وإن زدنا نسبة الطاقة الواصلة له والتي تُسهِم في زيادة حرارته .وهنا وبعد البحث الفيزيائي الطويل إكتشفنا أن الألكترون إذا أخذ مقدار معين من الطاقة وحقق كفايته انتقل من مدار الى مدار آخر داخل الذرة ثم حين عودته يعطي تلك الألوان التي نراها تتغير في سلك اللمبة .والعجيب أن الألكترون لا يتحرك من مدار الى مدار بقطع تلك المسافة بل يختفي من مداره ليظهر في مدار جديد أما كيف يختفي فلا أحد يدري .؟

ثم إن تلك الجزيئات تُغير من طبيعتها بوجود راصد ، وحتى أختصر عليك كل هذا التعقيد أقول ، أن كل الذي تراه أنت في الحقيقة أنت من أعطاه صفاته وبما أنك أنت الراصد له فكلما كنت واعياً أكثر كلما نتج عن ذلك أشياء أجمل وأفضل وأكثر إتقان ولهذا يوجد ما يُعرف بـ (تأثير زينو الكمي) ويفترض هذا أن من يستطيع أن يراقب حركة الذرات بفترات زمنية قصيرة يستطيع التحكم بذرات هذا العالم ويحكم الماضي والمستقبل والحاضر لأن كل هذه المسميات هي شيء واحد في حقيقتها ولأنه أستطاع النظر لها بشكل واحد فهو قادر على فعل كل شيء !

وهكذا فأين ما قلبت وجهك ستجد إعجوبة في هذا العالم . وراجع بحوث الفيزياء الكمية فهناك ستجد العجب العجاب وليس بحثنا هنا عن هذا الموضوع وإلا كنا توسعنا فيه .

المهم . أن كل ما تراه عيناك هو غامض مجهول ومنطوي على أمر غريب وفوق المنطق . فليس هناك من معنى لاستغرابك حين تُعرض عليك بعض الأشياء التي طبيعتها أنها فوق المنطق . لا تستغرب ابداً . بل لا يحق لك أن تستغرب وأن تعترض وأنت جاهل بكل شيء من حولك فلو إنك ملكت الجواب عن كل سؤال يُطرح عليك في الأحياء والفيزياء والفلسفة والفلك والدين والطب والهندسة ،فلو إنك استطعت أن تجيب عن كل هذا كان من حقك الإعتراض على ما تراه أمر غير منطقي والحال أنك غير قادر على هذا فأجعل ما لا تفهمه هنا كالذي لا تفهمه هناك ، ومن هنا فالممكن وغير الممكن يبقى قانون مجهول بالنسبة لنا فكلما توغل الإنسان أكثر في المعرفة كلما زاد يقينه أنه جاهل تماماً بما يحدث وهذا ما أثبتناه في أكثر من دراسة وكتاب !

إن التصرّفات الخارقة للطبيعة عند بعض البشر أمر واقع لا يمكن غض الطرف عنه ولا يمكن انكاره وهو ليس أمراً خارقاً للطبيعة في حقيقته لأن الطبيعة بحدّ ذاتها تنطوي على العجب العجاب .وبعد : فليس ضرب موسى للبحر بعصاه وانفلاق البحر لطودين عظيمين بالأمر الخارق للطبيعة إذا نظرنا له بنظرة علمية بحتة .وهكذا يرتفع وهم الممكن وغير الممكن من عقولنا .وهذه التصرفات التي يقوم بها بعض البشر ونعتبرها خارقة للطبيعة متأصلة في العقل الإنساني فأنت بنظرة سريعة للأساطير ولأفلام الأبطال الخارقين وحتى للأرشيف العلمي والديني تجد هذه القضية حاضرة بقوة لكن المشكلة ليست في تقبل وجود أشخاص خارقين للطبيعة الإنسانية بل المشكلة في فهم الأفعال الصادرة عن أولئك الأشخاص وفهم وجه الحاجة لمثل تلك التصرفات والأفعال .وإلا فالممكن وغير الممكن لا حدود لهما .أي أنه لا توجد حدود تفصل بين ما هو ممكن وبين ما هو غير ممكن وبناءً عليه لا يوجد شيء نفرق به بين المنطقي وغير المنطقي والمقبول وغير المقبول وهكذا . ولهذا يجب أن نتعرف على وجه الحاجة لمثل تلك الأفعال الخارقة للطبيعة ووجه الحاجة لوجود مثل أولئك الاشخاص الخارقين وهل يمكن الوصول لمراتبهم أو لا ، وبعبارة أوضح ما نصطلح عليه بالمعجزة ما هو في حقيقته ولماذا توجد معجزة خصوصاً وإن لهذا المصطلح حضوره القوي في الفكر الديني فعلينا فهم ذلك المفهوم الذي كثيراً ما نجد أنه مشوش ، فما هي المعجزة ؟

المعجزة

إن فهمنا للأمر المُعجز ظل موقوفاً على القول بخرق قوانين الطبيعة وهذا بطبيعة الحال لا يتوافق مع كل الأذواق وإن كنّا نُسلّم به كمؤمنين تسليماً مُطلقاً بعد ثبوت الوقوع للأمر المُعجز وليس التسليم بأي حدث منقول كما يعتقد البعض !

وبما أن الأذواق مُتباينة ومُختلفة في قبول حقيقة أن هناك معجزات حدثت وتحدث على يد أشخاص مخصوصين كالأنبياء والأئمة والصالحين والأولياء ، لا بل حتى أنها تقع وتحدث على يد بعض المشعوذين والدجالين والسحرة وفي أحيان كثيرة على يد أشخاص عاديين من حيث المبدأ ، بما أن هناك اختلاف في قبول مثل هذه القضايا وهو أمر طبيعي ! . فهذا الإختلاف يُوجب علينا تقديم قراءة منطقية لحدوث مثل تلك المعاجز والأحداث الغريبة .ولا أقصد بالمنطقية هنا المنطقية بمفهومها الرسمي وإنما مقبولية وتخريج لتلك القضايا بما ينسجم مع مقررات العقل ...

قال الطباطبائي في الميزان ج ١ /ص /٧٥ ،في عرض تعريفه للأمر المُعجز فلسفياً بأنه (تحقّق الأمر الخارق للعادة الدالّ على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادّة لا بمعنى الأمر المبطل لضرورة العقل !)

وهذا هو التعريف الفلسفي وهناك تعريفات أخرى كلامية تُعنى بتعريف المعجزة المقرونة بالتحدي أو إثبات أو نفي أو تأييد مفهوم ما .وما يُهمنا بطبيعة الحال هو التعريف الفلسفي ، فالمعجزة من وجهة النظر الفلسفية ليست خرقاً لقوانين الطبيعة لأنها كما قال الطباطبائي قدس سره ،ليست مبطلة لضرورة العقل ولكن القيام بالأمر الذي قامت به المعجزة له أكثر من طريق !

مثلاً - قلب العصا الى ثعبان كما في قصة موسى عليه السلام . ليست خرقاً لقوانين الطبيعة لكن غاية ما في الأمر أن هناك طريقة لقلب العصا الى ثعبان ونحن لا نعرفها .أي أننا نحن من يجهل كيفية القيام بذلك الأمر وليس معنى إننا حين نعجز عن ذلك بأن الأمر معجزة ابداً ، وإذا رجعنا لكلام العلامة الطباطبائي فهو يقول أن المعجزة ليست خرقاً لقانون العلية ولا السببية ولا خرقاً لأي قانون فيزيائي أو رياضي أو عقلي البتة .وإنما هو عمل وفق كل هذه القوانين وغاية مافي الأمر هو إننا عاجزين عن الوصول لتلك المعرفة ، وهذا العجز عن الوصول لتلك المعرفة والعجز عن فهم كيف يسير الأمر ليس في هذا المورد فحسب فهناك كم هائل من القضايا العلمية والفلسفية والدينية نحن عاجزين عن الوصول لطبيعتها ولحقيقة كيف تحدث ، فعلى سبيل المثال لا الحصر - كيف لجُسيم ما أن يتحرك من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين في ذات وعين الوقت وهذا ما ثبت بالقطع واليقين في الفيزياء ! ثم كيف يمكن للألكترونات أن تغير من سلوكها وكيف يمكن أن يتحول الألكترون من مدار الى مدار آخر داخل الذرة بعد أن يختفي تماماً وفجأة من مداره الأول ليظهر فجأة في مدار آخر ! وهكذا دواليك فالأمثلة لا حصر لها في كل باب من أبواب العلم .فنحن لا نفهم كيف يسير الأمر في حقيقته وإذا كان الحال هكذا ونحن نسلّم بعدم الفهم في مكان ما فلا معنى ولا منطق من إنكار وقوع الأمر المُعجز بذريعة أنه غير مفهوم أو غير منطقي .فهناك مئات الموارد في كل من العلم والفلسفة والدين وكل منهج فكري انساني غير منطقية وغير مفهومة فهل يمكننا أن نسقط كامل منظومة الفكر الإنساني لأننا لا نفهم !!!

وبطبيعة الحال الخطأ هنا يكمن في استيعابنا لما هو منطقي أو غير منطقي .لأن المنطق الذي نتعامل به نحن هو منطق أحول بائس لا قيمة له ولهذا فالميزان الذي نستخدمه ميزان يجرُّنا للخطأ جرّاً !

وعلى العموم فالمعجزة لا تعدو كونها عمل طبيعي وضمن قوانين الطبيعة وهذا ما تقوله بعض النظريات المعاصرة وإن لم تكن تقصد به هذا البحث لذاته ولكنها تفتح له باباً واسعاً ، كنظرية الأوتار الفائقة مثلاً وهي نظرية متينة جداً تفترض وجود أبعاد أخرى غير الأبعاد التي نعرفها . وهذا يقرّب الأمر كثيراً لأذهاننا...

والسؤال المطروح بعد هذه المقدمة هو [هل سيستخدم القائد المعصوم المعجزة في حركته ! . وإذا استخدمها فما هي طبيعتها] !

وللجواب على هذا السؤال نحتاج للعودة الى بداية هذا الكتاب قليلاً حين قُلنا أن لهذا العالم باطن وظاهر وباطنه هو الأصل فلما كان هو الأصل فكل حركة نراها في ظاهره تكون قد انطلقت من ذلك الأصل على شكل قانون ما ثم قلنا إن الفيزياء تثبت أن من يستطيع أن يراقب ذرات المادة في العالم الحسّي يكون له القدرة على التحكم في ماضي وحاضر ومستقبل هذا العالم .وبما إننا قلنا أيضاً أن العالم والإنسان شيء واحد وسقنا حججنا هناك . وقلنا كذلك وفي أكثر من موضع أن مسألة وجود قائد معصوم مسألة ينتهي لها العلم والفلسفة والدين وحتى الفن . فإذا تم الربط بين كل هذه القرائن فيمكننا حينئذ أن نستخلص الجواب على هذا السؤال وكلٌّ حسب ذوقه .

لأن إيجاد جواب على هذا السؤال من قبل كاتب هذا الكتاب سيكون بمثابة التجاوز على حق الآخرين في التفكير لأن ذوق وتوجه الكاتب هنا سينعكس على الجواب ولا يمكن أن يكون جوابه هنا متجرداً ولذلك فما عليك أيها القارئ الكريم إلا أن تجمع بين البراهين والقرائن التي قدمناها لك لتجد الإجابة عليها وتأكد إنك كيفما كانت إجابتك عن هذا السؤال فهي إجابة صحيحة لا تقبل الخطأ !!!

الفصل الرابع

الإنحدار الكوني المُعاصر

قد يبدو جلياً للكثيرين أن هناك خلل يعتري مفاصل النظام الكوني الذي نُعاصِره . بكلمة أخرى أن (الفساد) ظهر في البر وفي البحر بل في الفضاء أيضاً . بفعل الأضرار التي تُخلّفها الماكنة التكنلوجية للإنسان . وهذا الفساد أو الإنحدار على جهتين: معنوي وهو ما يتعرّض له المجتمع الإنساني بوجه الخصوص ولست أُثبت أو أنفي تأثُّر باقي الأجناس معنوياً بهذه الجهة وهي الأولى ! ومن جهة ثانية انحدار أو خلل يظهر في عالم الطبيعة وهو ما يشتمل على تلوّث المناخ والمخلّفات التي يتركها الإنسان في الفضاء كالحُطام الموجود في مدار الأرض وبعض الأجهزة التي أرسلها لسطح المريخ وحتى تلك التي مازالت تسبح في الفراغ الكوني !

ثم يجب الأخذ بنظر الإعتبار أن الطبيعة بنفسها تبدو للوهلة الأولى مُساهمة وبشدة في هذا الإنحدار ، فهناك الصفائح التكتونية التي يُمزّق بعضها البعض الآخر مع كل ما يُصاحبها من زلازل وموجات تسونامي وثوران للبراكين ، هذا إذا تكلمنا عن جيلوجيا الكوكب الأزرق ، وفيما عدا ذلك فالكون بطبيعته يتمدد وتتباعد المجرّات فيما بينها والكواكب كذلك الى درجة أن الأرض التي نعيش عليها تبتعد عن شمسنا كل ما مرّ عليها وقت أكثر ولا ندري متى يأتي اليوم الذي نكون فيه بعيدين عن الشمس لدرجة معها يتوقف كوكبنا عن الحصول على حصته من الطاقة ثم يتجمّد !

أضف الى ذلك تعرّض منطقة نفوذ الإنسان الكونية لخطر مُستمر بفعل الوقت ، فكلّما مرّ الوقت كلّما زادت إحتمالات تعرّض منطقة نفوذ الإنسان الكونية لخطر المذنبات الكبيرة والكويكبات وموجات الأشعة الفضائية فضلاً عن هرم وتقدم الشمس التي تمدّنا بالطاقة في السن وهي عاجلاً أم آجلاً سوف تنفجر لتتحول أما لقزم أبيض أو ثقب أسود أو شظايا كونية وفي كل هذه السيناريوهات تكون الأرض ضمن مساحة الإنفجار وسوف تتمزّق هي الأخرى بفعل ذلك (السوبر نوفا) أو (المُستعر الأعظم) كما يُسمى ، وإذ عرفت أن لا وجود للعالم بغير وجود الإنسان كما مرّ عليك مفصّلاً فهذا يؤشر وبوضوح للإنحدار نحو الهاوية والذي نعيشه الآن بل عاشته الإنسانية منذ أن وجدت لا بل كامل النظام الكوني ومنذ اللحظة الاولى لكنه كان من طرف واحد وأُضيفَ له طرف آخر وهو عبثنا نحن بالنظام الكوني الطبيعي !

ثم هذا الإنحدار يبدو جلياً في بُعده المعنوي . فكلّما افتتحنا حقبة جديدة في تطوّرنا كبشرية كلما زادت عوامل التفكك الإجتماعي وبدأت تظهر تصدُّعات في مؤسساتنا الثقافية والفكرية والإجتماعية وزادت العادات السلبية الداخلة على نظامنا الإجتماعي والأخلاقي والفكري وبما أن العالم والإنسان شيء واحد فانحدار المجتمع الانساني معنوياً يُمثل انحدار في النظام الكوني الذي إذا نظرنا له بنظرة عميقة وجدناه يعمل ككُل مُتكامل وهذا الكل غير المجزّأ يفرض علينا احتساب الإنحدار المعنوي للحضارة الإنسانية على كامل النظام الكوني ...

من هذا قد يظهر أن ادعاء الارتقاء الإنساني والكوني للأحسن إدعاء بعيد عن صوابية المنطق . بعبارة أوضح . أن القول بأن هناك مستقبل واعد ومزدهر للنظام الكوني بكلا شقيه المعنوي والمادي يبدو قولاً منافياً للواقع إذ إن

الواقع يقول وبصراحة أننا كلّما تقدمنا في الزمان كلّما ظهرت تصدُّعات في النظام الكوني . فكيف يدعي أحد أن البشرية وقبل ظهور القائد الموعود أساساً ! ستصل لمرتبة عالية من الإدراك وهذه المرتبة تحتم أن يكون النظام الذي تتبعه نظام قويم وهو ما يساهم في تحسين النظام الكوني العام وبالتالي فهناك طريقين لا ثالث لهما . فأما أن القول بما تقدم باطل ولا يمكن قبوله . وأما أنه صواب وأنه هو ما سيحدث فعلاً لكن إذا قبلنا بأنه سيحدث ستكون هناك مشكلة أكبر وهي انتفاء الحاجة للقائد المعصوم من الأصل إذ إن وجه الحاجة له هي الإرتقاء بالنظام الكوني فإذا وصل هذا النظام لمرتبة راقية من حيث كل أجزاءه ودون الحاجة للقائد المعصوم فبهذا تنتفي الحاجة للقائد المعصوم ويكون ظهوره تكريس للدكتاتورية أي أن ظهوره سيكرس مفهوم احتكار السلطة دون مبرر وهذا بالخلاف تماماً مع الرأي الذي يطرحه البعض أمثال كاتب هذه الوريقات !

والجواب : هو أننا نعرف وبالضرورة أن النظام الكوني تطوّر نحو الأحسن خلال ملايين السنين وظهرت وفقاً لهذا التطور نحو الأحسن الحياة وهذه الحياة تزداد تطوّراً . وبالتالي لا يوجد للآن مبرر للقول أن هذا التطور نحو الأحسن توقف . نعم قد يكون هناك انتكاسات في هذه الرحلة لكن هذا لا يعني أنها ستتوقف ، ثم نحن لم نتكلم عن جزء من النظام الكوني ، فمثلاً الكلام عن التلوّث البيئي للأرض يبقى كلاماً عن جزء صغير من النظام الكوني وفي أي عملية انتاج ناجحة يجب عليك حتى ترتقي بباقي الأجزاء أن تجعل هذا الارتقاء على حساب بعضها الآخر وإلا ستسير كل الأجزاء نحو الإنحدار المؤكد ! وبما إننا تكلّمنا عن جهتين .

وواحدة منهما هي الجهة المادية من النظام الكوني فأي خلل في هذه الجهة لا يُثبت وجهة النظر المُغايرة والمُعاكسة لأن هذا الكون أكبر من أن يُحصر في جزء صغير وهو الجزء الذي نرى فيه التمدد الكوني والتلوّث ونتعرض فيه للخطر من النيازك والكويكبات فهناك أجزاء أخرى في النظام مازالت تحتفظ بشبابها وعُذريتها ويمكن أن تكون كامل الحركة المهدوية فيها فهذه فرضية من الفرضيات التي نقدمها ، ثم أن إصلاح هذا الجزء ليس مُتعسّراً جدا إذا وصلت الإنسانية الى مرتبة عالية من المعرفة وهذا الوصول لتلك المرتبة أمر حتمي لا يقبل الشك أبداً . لا بل أن بعض المنظّمات المعاصرة نجحت ولو جزئياً في إصلاح بعض الأنظمة البيئية ولو على نطاق محدود وهذا ما يمكن ببساطة توسيع دائرته ليشمل كامل النظام الكوني المادي ! وأما عن التمدد الكوني وابتعاد المجرّات عن بعضها فحتى لو قلنا أن لا علاج له وهذا أمر بعيد إذ من الممكن نظرياً إيجاد علاج له ! فحتى لو قلنا أن لا علاج له ، فهو لا يؤثر من حيث المبدأ على المتبنيات التي تقدمها المهدوية إذ إنه يحتاج لفترات زمنية طويلة جداً كي يكون مؤثراً بشكل سلبي في النظام الكوني ، و وجوده بالأساس له طابع فلسفي ! . بمعنى أن الحركة للنهاية دائمة فمنذ اللحظة الأولى لولادة الشيء يبدأ رحلته نحو النهاية ويجب أن يلاحظ هذه النهاية والحركة نحوها دائما وهذا هو الحاصل فعلياً من خلال التمدد الكوني .

ثم إذا أردنا أن نُعالج قضية الجانب المعنوي من النظام .فمع أننا نشهد حالياً تفكك بعض الأنظمة الإجتماعية والأخلاقية بفعل التقدم التكنلوجي المُعاصر وهذا أمر لا يُنكر ولا يُنكر كذلك أنه سيبقى لفترة قد تكون طويلة نسبياً لكنه في النهاية سيرتفع ، لأن هذه التكنلوجيا في مرحلة من المراحل ستدفعنا للرجوع للذات وهذا الرجوع سيكون بواسطتها ، ومثال على ذلك ! روى لي بعض الأصدقاء وهو ضابط برتبة عالية أنه حين انتقل لدائرة أمنية حساسة صدمه وجود لون من الكذب المتفشي بين أفراد تلك الدائرة وبما أنه هو المدير الجديد فكان عليه إصلاح هذا الوضع وبسرعة لأن وجود الكذب والإلتواء في مثل ذلك المكان الأمني الحساس يُعرّض عمله لخطر شديد وحقيقي . وعليه قرر أن يجتمع بأفراد تلك الدائرة وفي الإجتماع أخبرهم أن هناك فريق من الخُبراء

سوف يحضُر غدا ليقوم بنصب غرفة مجهزة بأحدث الأجهزة الألكترونية ومن ضمنها جهاز يكشف الكذب وجهاز آخر يراقب حركات الجسد كالعين واليدين والشفتين وإن الكاذب حين يتكلم تظهر عليه ملامح ارتباك وإن كانت خفيفة غير ظاهرة وأن تلك الأجهزة وظيفتها كشف هذا اللون من الكذب . وبالفعل في اليوم الثاني جاء أصدقاء هذا الضابط وهم أيضاً ضباط برتب عالية ويحملون حقائب معهم ودخلوا غرفة المدير الذي نبه الجميع بالأمر الصادر منه بعدم دخول أي أحد لها لأن مكتبه كان عبارة عن ثلاث غرف فواحدة منها هي التي دخلها الضباط .لكنهم لم يقوموا بشيء سوى تناول الشاي والضحك لمدة ٦ ساعات ثم خرجوا . وفي اليوم التالي أمر المدير الجديد أحد أفراد حمايته بأن يذيع في الدائرة خبر أن للكل حق استعمال تلك الغرفة وكل ما عليهم هو تقديم طلب رسمي يتضمن الخلافات التي تحدث بينهم واذا عجز المدير عن حلّها سوف يقرر إدخالهم للغرفة الغامضة ومن يظهر أنه كاذب سوف يتلقى أقصى عقوبة ممكنة . يقول لي وهو يضحك أنه خلال ثلاث أشهر استطاعت هذه الكذبة البيضاء (على حد تعبيره) من أن تجعل موظفيه في أقصى درجات الإنضباط حتى في التعامل فيما بينهم كأفراد وهو ما عجز المدير السابق لمدة ثلاث سنوات من تحقيقه والفضل يعود في النهاية للتكنلوجيا وحدها...

من هذه القصة يبدو واضحاً إن هذه التكنلوجيا تُساعد في إيجاد لون من الإنضباط وليس ببعيد عنك كاميرات المراقبة التي تجبر كثيرين على تحسين سلوكهم وامثال هذا كثير . وهذه الأجهزة تساعد بالفعل في تغيير سلوك بعض الأفراد لأنه إذا كان في البدء ملتزماً بالسلوك الحسن بفعل الرقابة المفروضة عليه من خلال هذه الأجهزة فبالتدريج يتحوّل سلوكه هذا الى طبيعة دائمة وبالتالي حتى إذا رُفعت تلك الكاميرا أو جهاز التنصت عنه سيبقى محافظاً على سلوكه المحترم .وبهذا يبدو واضحاً الدور الذي ستلعبه التكنلوجيا في إعادتنا للذات وللفطرة السوية لكن الأمر يحتاج الى وقت فنحن لم نكتشف هذه التكتلوجيا إلا من ثلاث عقود أو أربعة وهي مازالت تتطوّر وستصل الى درجة من الإتقان بحيث تكون رقيباً على الفرد أينما ذهب وهذا سيجبره في البداية على الالتزام والنظام لكنه فيما بعد سيقتنع أن هذا الالتزام هو أفضل ما حصل عليه وبالتالي فليس من المعيب أن يُفرض عليه وسيتصرف بدافع ذاتي ويلتزم بقناعة ذاتية وهذا ما سيعزز بالنتيجة الدور الإجتماعي وتنتفي الظواهر السلبية في المجتمع وهكذا ستبدأ الرحلة نحو الدولة العالمية تحت قيادة القائد المعصوم...

أما عن القول بأنه إذا وصلت البشرية لمثل هذا المستوى من الإنضباط وقامت بإصلاح بعض العيوب في النظام الكوني وبشقّيه المادي والمعنوي . فبهذا تنتفي الحاجة للقائد المعصوم من الأساس !

والجواب: أننا قلنا أن هناك ظاهر وباطن .والبشرية مهما اتفقت في الظاهر على مفاهيم حسن السلوك والالتزام بالنظام والقوانين فهي لن تتفق في الباطن والرحلة نحو المجتمع الأعلى أو الأسمى تبدأ من الباطن ومهمة القائد الموعود هي جمع الإنسانية على اتجاه واحد يكون الكل مقتنعين به والكل يتبنى ذات وجهة النظر وبالتالي فالقول بأن المجتمع بعد أن يصل تلك المرتبة من الالتزام يكون غير محتاج للقائد المعصوم . قول لا محل له من الإعراب جملةً وتفصيلاً !

وإذن ؛ فالإرتقاء نحو الأفضل وتجاوز هذا الإنحدار المُعاصر في النظام الكوني سوف يحدث . غاية ما في الأمر أننا لانعرف متى سيحدث كما لا نعرف كيف سيحدث لا بل لا نعرف هل سيحدث بالطريقة التي ذكرناها لك قبل قليل أو بطريقة أخرى الله أعلم ... غاية ما يمكن أن نقوله هو أن الإرتقاء نحو الأفضل سنة من سنن هذا النظام الكوني وفي كل مفصل من مفاصل هذا النظام توجد شواهد على أن الارتقاء للأفضل سنة من سنن هذا النظام !

سُنن التاريخ توجب الإرتقاء

إننا إذا مررنا بعُجالة على طبيعة التاريخ الذي نقرأه بين أيدينا اليوم سنجد وبوضوح أن السنن التاريخية توجب الإرتقاء للأفضل وهذا ما يجعلنا متيقنين من أن الإنسانية تسير نحو الدولة العالمية التي سيكون قطبها والمركز الذي تدور حوله هو القائد الموعود...

فتاريخ الحضارة الإنسانية شاهد حي على ارتقائها للأفضل فمن الكهف الذي سكن فيه أجدادنا وصلنا اليوم لطائرات البوينغ والإيرباص والهواتف الذكية و و و الى آخره ..

وحصل لدينا ارتقاء على صعيد الأفكار والمجتمع أيضاً ارتقى من الهمجية الى الإنسانية والى وقت قريب كانت العبودية للبشر موجودة وتجاوزناها والى وقت أقرب كانت القبلية والعشائرية واعتمادها نظام الغزو والسبي موجودة أيضاً واليوم تجد رئيس العشيرة وبشكل شبه عام يوجه أصابع الإتهام للنظام الذي كان عليه أباؤه واجداده . حتى إن بعض الظواهر التي وعينا عليها دون أن نشهدها داخل نظامنا العشائري مثل (الفصلية) وهي امراة بريئة تُساق لبيت زوج مفروض عليها بالقوة والإجبار لا لشيء سوى لأن أهلها أو أحد أفراد عشيرتها ارتكب جريمة ما بحق أحد أفراد عشيرة أخرى وكنوع من دفع التعويض المادي والمعنوي معاً للعشيرة التي وقع عليها الضرر تُساق هذه المسكينة كدية لذلك الفعل ، مثل هذه الأمور اليوم تُعتبر أمور همجية وأول من يرفضها هم زعماء العشائر والقبائل ، بمعنى أن التاريخ يُثبت لنا وبالدليل القاطع أن كل المفاهيم والعادات ترتقي للأفضل .أما عن موت بعضها مع أنها إيجابية فالمشكلة فيمن يراقب موت تلك السنن أنه يركز عليها لوحدها فقط ولا يلتفت لضرورة بروز قيم وعادات وسنن تولد كتعويض عن تلك التي ماتت وتكون أكثر رصانة ، وغالباً حين تموت ظاهرة إيجابية في طبقة اجتماعية معينة تولد ظاهرة إيجابية في طبقة اجتماعية أخرى وبالتالي فالإرتقاء مستمر دون توقف !

وكما أسلفنا فالأمر المهم هو أن يرتقي كامل النظام الكوني دون الالتفات لتأثُّر بعض أجزاءه بهذا الإرتقاء وإن كان تأثُّرها سلبياً المهم أن النظام بباقي أجزاءه يكون قادراً على الارتقاء وهكذا يحدثنا التاريخ عن حضارات قامت واندثر وماتت بعد أن وصلت للذروة لأن موت تلك الحضارات هو مفتاح ولادة حضارات جديدة تأتي معها مفاهيم جديدة وبالتالي ترتقي للأفضل كل أجزاء النظام الكوني .وهذا يُعمَّم على العادات والتقاليد فبعضها يموت ليولد جيل جديد من المفاهيم والعادات والسنن...

وبنظرة سريعة للماضي وللحاضر تستطيع أن تجد وبسهولة التفاوت الشاسع بين الوضعين وكيف أن الإنسانية ارتقت من مستوى أدنى الى مستوى أعلى ومازالت هذه العملية مستمرة حتى تصل ذروتها بظهور القائد الموعود !

الفلسفة توجب الإرتقاء

بمرور آلاف السنين تطوّر الفكر الإنساني من إدراك البسائط والبديهيات الى إدراك الكُليات ، وهذا التطوّر جاء كنتيجة لثورة الأسئلة التي واجهها الإنسان ، فعندما تجاوز الإنسان مرحلة التصوّر البدائي عن نفسه وعن العالم وبدأ بطرح الأسئلة الأكثر تعقيداً وسُرعان ما اكتشف أنه بحاجة لشيء يُسند له قوة التحكم في الظواهر الخارجة عن فهمه كأن تكون ظواهر طبيعية كالفيضانات والبراكين والزلازل أو أن تكون باطنية كالأحلام والكوابيس والشعورات المتباينة مثل الحزن والخوف ، فسُرعان ما اكتشف نظاماً بدائياً للدين ثم ما لبث أن تمت مُعارضة ذلك الدين (الطوطمي) البدائي بفعل إثارة العقل لأسئلة أكثر إيغالاً في التعقيد وبرز السحر أيضاً ثم انتقل الإنسان لتكوين أنظمة أكثر تعقيداً وهكذا...

كل هذا حصل حين واجه الإنسان فورة تلك الأسئلة وهي في أغلبها أسئلة فلسفية ، بمعنى أنها كانت تزدحم بعقل الإنسان لا لشيء حسّي يتأتى من خلال تعامله اليومي مع العالم الخارجي بالمباشرة .وإنما من خلال تفكيره فيما بعد هذا التعامل الحسّي اليومي والمباشر مع العالم الخارجي ، وبعد أن انتهى من وضع أساسات لترتيب هذه الأفكار ووجِدت الفلسفة ظلّت حالة التطوّر مُستمرة ولم تتوقف بل إنها تزداد بشكل إطرادي كلّما تقدّم العلم لأن العلم يفتتح للفلسفة أبواب جديدة ويُثير أسئلة تحتاج بدورها لأجوبة وكلّها جديدة وهكذا تستمر عملية الإنتاج الفكري والفلسفي ولا تتوقف وهي في وضع تصاعدي دائماً وتنتقل من الأدنى للأعلى ولا تتوقف لأن توقفها يعني أن العالم الخارجي قد توقف وبما أن العالم الخارجي يتحرّك باتجاه الأعلى فهي تواكبه وبالتالي هي محكومة بالإرتقاء بل إن الإرتقاء مفروض عليها بفعل تطوّر كامل النظام الكوني الذي يوماً بعد يوم يكشف عن نفسه أكثر وكلّما انكشف أكثر كلّما زادت الأسئلة أكثر وكلّما كثرت الأسئلة كلّما ظهرت أفكار أكثر من الأسئلة المطروحة وكلّما ظهرت أفكار ظهرت أفكار تُعارضها وكلّما وجد التعارض بين الأفكار كلّما اشتدت قوة الجدل الفكري وبهذا تنتعش الفلسفة لأن هذه هي البيئة الأكثر خصوبة لإنتاجها...

ومادامت الفلسفة تتغذى على الجدل فمن الواضح إنها تصل لمرحلة الذروة ، لأن طبيعة الجدل أنه يبدأ من نقطة باردة لينتهي لنقطة ساخنة من حيث الحدّة والفلسفة تُجاريه في الفتور والشدّة ولأننا في مرحلة الجدل البارد حول بعض الأفكار مثل زراعة الأنسجة والحياة الإصطناعية والكثير غير هذا فمن المؤكد إننا سنصل لمرحلة الذروة وما هذا التأكد إلا نتيجة للتفلسف وعليه سيترقّى هذا التفلسف لا محال وإذن فالفلسفة توجب الإرتقاء للأعلى والأفضل ويكفيك أن تنظر للإنتاج الفكري الإنساني لترى أين كان وأين وصل ..!

العلم يوجب الإرتقاء

لا شك ولا شبهة بأن كلام العلماء وادعائهم أن العلم سوف يُجيب عن الأسئلة التي ظلّت مُحتفظة بغموضها للآن . لكنه يحتاج للوقت ، كلام دقيق ودقيق جداً مع إن هناك مؤاخذة على بعض العلماء وهي قولهم أن العلم قادر على الإجابة عن كل شيء لأن هذا خلاف المنطق العلمي !

ولكن الكثير من الأسئلة التي يتم توجيهها للعلم اليوم والعلم عاجز عن الإجابة عنها سوف تتم الإجابة عليها لاحقاً دون شك أو ريب غاية ما في الأمر أننا نحتاج للوقت كي ندرس طبيعة هذه الأسئلة ثم نجد وسيلة للإجابة عنها .وهذا الكلام هو تقريباً ما يُجمِع عليه العلماء وهو كلام قديم جديد وثبت أنه واقعي لأننا في مرحلة من المراحل كُنّا لا نفهم من الفيزياء مثلاً إلا الشكل العام والعلماء الذين عاصروا تلك الحقبة كانوا يقولون دائماً أن العلم سوف يكشف الحقيقة ويأتي بالأجوبة لكن يحتاج للوقت وبالفعل لما توفر الوقت الكافي تمت الإجابة على الكثير من الأسئلة وافتتحنا عصراً جديداً للفيزياء وصل ذروته بفيزياء الكم وظهر لدينا فيزيائين مثل آلبرت آينشتاين الذي قضى تقريباً على فيزياء نيوتن وبعد موت آينشتاين بعقود طويلة تأكد لدينا صحة بعض ما اثبته هو إذ تم تصوير ثقبين أسودين كما أثبت هو وجود هذه الثقوب نظرياً .أي أنه تم تأكيد كلامه عملياً ! وهكذا فالعلم في حالة من الإرتقاء نحو الأفضل دائما...

والعلم بطبيعته يُحتم الإرتقاء .أي أن مفهوم الإرتقاء نحو الأفضل جزء لا يتجزأ من طبيعة العلم .فهو يبدأ عند الأفراد من مراتب مُتدنية ثم يرتقي شيئاً فشيئاً لمراتب أعلى هذا من جهة فرديته .وأما من جهته هو كمفهوم عام فكذلك هو بذاته يبدأ من مراحل متدنية ليصل مراحل عُليا ومُتقدمة كما أن آثاره التي تنتج عنه تُحتم مثل هذا التقدُّم للأمام وبما أنه أي العلم لم يكتشف للآن كل شيء ومازال الطريق أمامه طويلاً فهذا يُعطيك لمحة عمّا سيؤول له الأمر وبالتالي فالإرتقاء أمر مفروغ من التسليم به وفقاً للإعتقاد العلمي...

الدين يوجب الإرتقاء

إن من أوضح الواضحات أن الدين يُصر على حتمية الإرتقاء نحو الأفضل . بل يعتبر هذا واجباً على المُتدين في أن يلتزم بالسعي الحثيث لِتحقيقه ، لا بل أن وجود الدين لا ينفك عن هذا إذ أن الدين بخلاف الفلسفة والعلم اللذين يوجبا الإرتقاء لما هو موجود ، أما الدين فيوجب الإرتقاء من الصفر وإن وجوده والهدف منه قائم على العمل من أجل تحقيق هذا الهدف ، فمهمة الدين ليست في وجه من وجوهها إلا الإرتقاء بالإنسان ورفع مستواه من مرتبة أدنى لمرتبة أعلى .وعلى هذا الأساس كانت النظرة الدينية دائماً تُبشِّر بالمستقبل الواعد للإنسان بغض النظر عن حيثيات هذا الوعد أفي الحياة كان أو فيما بعدها . المهم أن الوعد بالمستقبل الواعد للإنسان إذا ما التزم بلوازم التديُّن وعد ثابت لا يقبل التغيير ولا النقاش...

والدين يذهب لأبعد من كل هذا في ربط مفهوم الإرتقاء بحياة الإنسان ! إذ إنه يرى أن الإنسان خُلق في الأساس كي يرتقي (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) النحل ٧٨ ، وهو يؤكد أن الأفراد لا تكون مستوياتهم مرتفعة أو منخفضة إلا على أساس ما لديهم من مرتبة علمية

بفعل ارتقائهم سلّم المعرفة (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) المجادلة ١١ !

وجاء في سِفر (يشوع بن سيراخ) في الكتاب المقدس .٤٢: ١٩ ، ٢٠ ، (علّم الرب كل علم واطلع على علامة الدهر مخبراً بالماضي والمستقبل ،وكاشفاً عن آثار الخفايا) ! وهذا الكشف والحث على التعلّم ما هو في حقيقته إلا حث ودفع للإرتقاء بالإنسان والموضوع أوضح من أن يُشرح أو أن نُسهب في الكلام عنه ، وإذن فالدين في أحد جهاته هو دعوة للإرتقاء من الأسوأ للأفضل ولا يتوقف عند حدّ ما . بل يأمر دائماً وأبداً بأن يظل الإنسان يسعى للكمال لأن وجوده كإنسان وسبب خلقه هو أن يتكامل ويرتقي للأفضل بما يوفر له الحياة الرغيدة السعيدة التي يُعبد فيها الله وتتحقق فيها أحلام الإنسان ، فإذا التزم الإنسان بهذا الهدف ولم يحصل على السعادة في الحياة فبعد هذه الحياة تأتي الحياة الأبدية التي سيدخل فيها للنعيم وبالتالي سوف يتحقق الوعد الالهي بالإرتقاء بوضع وحال الإنسان للأفضل...

ولهذا فالدين يدفع ويؤكد باتجاه أن الإرتقاء سنة من سنن الوجود التي لا يستطيع أحد أن يُنكرها . وعلى ما تقدم يكون الدين أيضاً مساهماً في إثبات أن الإرتقاء ضرورة من ضرورات الوجود وأنه لا بد منه عاجلاً أو آجلاً !!!

حتمية الإرتقاء

بعد الذي قدّمناه لك أيُّها القارئ الكريم يبدو من الواضح أن الإرتقاء نحو مستقبل أفضل للبشرية أمر حتمي لا يقبل التشكيك .والى هنا أعتقد أننا أغلقنا جميع الثغرات التي من الممكن أن يتسرب منها الشك ، أضف الى ذلك أننا إذا ابتعدنا قليلاً عن لغة الدليل فالوجدان السليم يحكم بأن الإرتقاء أمر حتمي ولو على صعيد الوجدان الفردي ، بمعنى أن الأفراد بغض النظر عن صواب أو عدم صواب شعورهم فهم لديهم شعور باطني نفسي دائماً بمجيء الأفضل والإرتقاء للأفضل . وهذا هو الأمل ولا شيء آخر .

إن الإنسان بطبيعته يسعى لكي يرتقي من مرتبة إلى مرتبة أعلى وهذا الهاجس متى ما انفكّ عنه تحوّل الإنسان لكتلة من الجليد غير القابل للحياة ولكن مادام الإنسان يعيش ويحلم ويأمل فهذا الحلم وهذا الأمل والهاجس بالإرتقاء نحو الأفضل يبقى ملازماً له . وهو يستشعر هذا الإرتقاء في كل مفصل من مفاصل وجوده فمن الضعف الذي كان يعتريه في طفولته يتحوّل للقوة البدنية ومن الجهل بأبسط الأمور الى العلم بأكثرها تعقيداً ومن الطموحات والأحلام البسيطة إلى أقصى ما يمكن أن يصل له خيالُه وهكذا . فهو يعيش دائماً في حالة إرتقاء ولا يغيب عنه الشعور بضرورة أن يبقى على قيد الأمل بأن غداً سيكون أفضل بالنسبة له ، وبطبيعة الحال هذا الشعور لا يأتي من فراغ بل هو آلية وقانون عام في النظام الكوني ، وهو يشمل كل الموجودات فكل الموجودات تسعى للإرتقاء من تلك الجُسيمات الصغيرة داخل الذرة الى أكبر المجرّات في هذا النظام ومن أصغر الكائنات المجهرية وصولاً إلى الإنسان ، الكل دون استثناء يسري عليهم نظام الإرتقاء والتطوّر للأفضل . لأن هذا القانون هو قانون محرّك للعالم ودافع نحو التكامل فكل شيء في هذا العالم يطلب التكامل ويبحث لنفسه عن مستقبل وعن وضع وعن مكان أفضل وعن تكيُّف وتأقلم أفضل ، فهذه الصخرة الصمّاء الموجودة داخل قعر المُحيط توجد بداخلها حركة نحو الأفضل ، فحتى في تفكُّكها هي تتجه للأفضل باعتبار أنها لا تفنى على صعيد الوجود ، اي إنها وإن غابت كمادة وتحوّلت الى طاقة مثلاً فهي لن تتلاشى من سفر التكوين بل هي أضافت

للنظام الكوني العام حركة جديدة وهذه الحركة أفضل من كونها محتجزة في قاع المحيط لملايين السنوات وبالتالي لو وجدنا أرشيف للفعاليات في النظام الكوني العام لوجدنا أنه في اليوم الفلاني تحوّلت هذه الصخرة الى طاقة وبفضل تلك الطاقة حدث كذا وكذا ، أي أنها لن تُمحى من الوجود بل ستبقى كحركة مُستمرة لكن بماهية وبعنوان آخر ، ولذلك فكل شيء في هذا الكون يتجه للأفضل ، الحيوانات التي تُكافح من أجل الصيد تسعى لحياة أفضل لها ولصغارها ، النباتات التي تُغيّر مسارات انتصاب جذوعها نحو الشمس تسعى لحياة أفضل ، الأنهار التي تُغير مجراها بفعل الحفر المُستمر في الأرض تسعى لوجود أفضل لها وكل شيء يتجه نحو هذا الإرتقاء نحو الأفضل ، ولذلك فالإرتقاء أمر حتمي متلازم مع الوجود ، ويبقى علينا فهم التسافُل الذي يحصل للبعض فهذا التسافُل لا يكون إلا في جزء معين وأما باقي الأجزاء فتبقى مستمرة في الإرتقاء ولا تتوقف كما مرّ عليك وشرحناه مفصّلاً فراجع !

إن المهمة التي يفرضها الدين على الإنسان هي الإرتقاء للأفضل ، والغاية التي يتكلم عنها العلم من خلال طرح نظرية التطوّر هي ارتقاء الكائنات الحية نحو الأفضل ، والفكرة التي تدور حولها الفلسفة برُمَّتِها هي إيجاد وضع أفضل ، لكن يبقى هذا الأفضل دائماً وأبداً وعن كثيرين مُختفياً غير ظاهر وهو لا يُدرَك بالحس بل يحتاج لنظر خارق وطريقة في التفكير تكون مختلفة عمّا سبقها ، ولربما هذه المشكلة والعقبة الأكبر التي تواجه الإنسانية في كل زمان ، ألا وهي التفكير العميق والمنظم في الأحداث والظواهر ، فلو وجدنا طريقة تجعل الناس يلتفتون لأهمية هذا اللون من التفكير العميق لوجدنا الحل لكثير من مشاكل الإنسانية ولهذا نعتقد بأن الأمام المهدي عليه السلام أول ما سيسعى لتحقيقه بعد استتباب الأمر لحكومته هو إيجاد كيفية يجعل من خلالها الناس تبدأ بالتفكير المُعمَّق وهذا ما سنتبينه في ما يأتي من هذا الكتاب !

والمهم للآن أننا أكدّنا على أن الإرتقاء أمر حتمي ودونه يكون كل شيء عبارة عن عبث كبير بالنسبة لبعض العقول ، فالإرتقاء أمر حسّي نراه بوضوح في الطبيعة وكل يوم ننظر للأشياء تتغير من حولنا وما هذا التغيُّر إلا ارتقاء للنظام العام وإن ظهر على شكل إهتراء وقِدم وتفكك في بعض أشكال المادة فهو في النتيجة يتجه ويصب في نهر كبير واحد ومجرى مُحدد واضح وهو التقدُّم للأمام ، وهذا التقدُّم للأمام مستمر منذ ملايين السنين ولن يتوقف حتى يبلغ الغاية التي رُسِمت له مُسبقاً والتي يسير نحوها كامل النظام الوجودي بخُطىً ثابتة ، وهذا التخطيط الذي نعتقد أنه تخطيط إلهي يُنكره البعض لأنه ينكر وجود الإله أصلاً ولكنه لا يستطيع أن يُنكر أن هناك مجهولية تامة له فيما يتعلق قبل بدء كل شيء ، أي أنه لا يعلم من أين أتى كل شيء ولماذا حدث وأنه لا يستطيع الوصول لكل أجزاء الكون المادي الحسّي فضلاً عن ذلك المجرد الباطني وإذا كان الوضع هكذا فلا يحق له أن ينفي أي شيء لأنه لا يمتلك دليل على أي شيء وفي ذات الوقت لا يستطيع إنكار مبدأ حتمية الإرتقاء وعلى أساس هذا المبدأ نحن نُعالج القضية التي نحن بصددها ولذلك أيضاً نهجنا هذا النهج دون سواه حتى لا يأخذ البحث منحى ديني أو فلسفي فقط وبالنتيجة يكون عاماً شاملا !

والى هنا تأكدنا من أن الإرتقاء أمر حتمي وهو أمر ملموس يُدركه الكل ويُعايشونه ويتعاملون معه .ويبقى السؤال متى يظهر ذلك القائد المعصوم ؟ بعبارة أخرى لأي درجة يجب أن يصل مدى الإرتقاء كي تكون الإنسانية مهيأةً لظهور الدولة العالمية ! وهذا الأمر أمر مهم جداً لكامل هذه النظرية...

الفصل الخامس

موعد الظهور

لا يُمكننا بهذه العُجالة إعطاء صورة مُكتملة الملامح عن قضية مثل هذه التي نحن بصددها خصوصاً وإن هناك محظور ديني يمنع من التوقيت وفي المرتبة الاولى يوجد محظور عقلي يمنع من إعطاء توقيت للظهور ، ولأننا نلتزم بالمنهج الفلسفي أولاً وقبل المنهج الديني والعلمي فلا يمكننا والحال هذه البت والقطع بالموعد الذي يكون فيه الظهور مع أن لدينا ثابت عقائدي يمنعنا من جهة ثانية من التحديد والتشخيص (كذب الوقاتون) وليس امتناعُنا عن إعطاء وقت محدد للظهور منشأه إلتزامنا بالثابت العقائدي في هذا الكتاب ، لأن من لا يؤمن بتلك الثوابت العقائدية التي نؤمن بها قد يستشكل علينا في هذا المورد ، فليس الأمر كذلك ، بل العقل يقطع بعدم تحديد وقت معلوم للظهور لأنه في الواقع الموضوعي لا يوجد وقت محدد ولأن أكثر ما ورد في هذا الباب جاءنا من الموروث الديني وهذا الموروث الديني الذي نتبناه نحن ليس حجة على الجميع وبالتالي لا يمكننا أن نفرضه على الآخرين مع إيماننا وتمسُكنا به ، ولكن هناك دلالات وقراءات عامة نحاول من خلالها إعطاء لمحة عن الوضع العام الذي يكون فيه وقت الظهور وسنعمل على ذلك وفقاً للمنهج الذي ارتأيناه في هذه الدراسة ووفق الشرط الذي وضعناه بأن يكون البحث عاماً وليس لفئة مُعينة !

فممّا يُلاحظ ويبدو ! أن الوقت الأنسب الذي يكون فيه ظهور القائد المعصوم هو وقت استثنائي من حياة البشرية ، بمعنى أنه يكون وضع مرتبك على صعيد العالم ككُل ، ومثل هذا الوضع مرّ على البشرية في كثير من الحقب المُختلفة ، أي أن البشرية عاشت أوضاعاً استثنائية في كثير من الحقب ، ففي الموروث الديني مثلاً تُحدّثنا الديانات الإبراهيمية الثلاثة عن طوفان نوح ومن الواضح أن وضع كهذا يكون وضعاً استثنائياً بمعنى الكلمة ، وفي التاريخ الحديث تحدثنا المصادر بل سمعنا مباشرة من بعض الذين عاصروا الحرب العالمية الثانية أن الوضع كان استثنائياً بالنسبة للبشرية ، وشخصياً أنا عاصرت مثل هذا الوضع إبان مجيء الألفية الثالثة إذ كانت هناك أقاويل من هنا وهناك تتكلم عن نهاية العالم وفيما بعد ظهر لي أن مثل هذه الأقاويل كانت موجودة في كل أصقاع العالم وإن الترقب كان هو سيد الموقف على الكوكب بأسره وهذا وضع استثنائي بطبيعة الحال ، وبعبارة اوضح ما نقصده بالوضع الإستثنائي هو الوضع الذي تكون فيه كل البشرية متجهة الى اتجاه واحد ويجمعها نفس الهاجس وتفكر في نفس الشيء ، أي أن البشرية سوف تتوحد على شيء معين وتهتم بشيء معين ،لأن البشرية الآن لا تجتمع على شيء وقتي محدد يكوّن لديها شعور بالقلق أو الخوف أو السعادة أو الرخاء ، فطبيعة الإنسان الشرقي واهتماماته الحالية مختلفة عن طبيعة واهتمامات الإنسان الغربي ، ويا يهتم به الصيني أو الهندي أو الروسي الآن يختلف عمّا يهتم به العربي أو الأمريكي أو الأوربي ، وهكذا فالبشرية تعيش حالة من التشتت والتشظي على صعيد الدين والثقافة والوضع الاقتصادي والسياسي الى آخره...

نعم هي تجتمع على مفاهيم عامة مثل السلام والحرية وإيجاد سُبُل الرفاهية وضرورة التقدم العلمي والعمل من أجل الخير ، كل هذه المفاهيم والقضايا تجمع البشرية في الوقت الراهن لكنها مفاهيم عامة تبقى موجودة على طول الخط ولايمكن إعتبارها واعتبار آثارها التي تنتج عنها أساسات متينة لوضع إستثنائي ، فهذه القضايا موجودة دائماً وهي ووجودها لا يُعتبر وضعاً استثنائياً ، ونحن بحاجة لوقت تكون فيه البشرية مهتمة بشيء محدد وأنظارها متوجهة لذلك الشيء ومشدودة له . ومثل هذا الوقت والوضع لا يكون إلا في أوقات الحروب أو دخول حقب جديدة أو الظواهر الكونية الكبيرة أو التبدُلات السياسية الضخمة أو التغيُّرات والأزمات الإقتصادية التي تعصف بالعالم كله وهكذا !

إذن لابد أن يكون الوضع إستنثائياً في الوقت الذي تبدأ به حركة الظهور . أما لماذا يجب أن يكون استثنائياً فهذا واضح ، لأننا بحاجة الى لفت انتباه البشرية لشيء محدد كي تسهُل عملية مخاطبتها وهذا سنتعرض له لاحقا.

ومن جهة ثانية بالإضافة لهذا الوضع الإستثنائي يجب أن تكون البشرية وصلت الى مرتبة من الوعي تجعلها مؤهلة لتتقبل الدولة العالمية كحل نهائي لكل أزماتها ، وهذا يستلزم أن يكون وقت الظهور هو وقت انتهت فيه البشرية من محاولاتها لإقامة أنظمة توفر لها العدل والمساواة والرفاهية وتكون قد جربت كل النظريات الوضعية المطروحة من اشتراكية ورأسمالية ومادية ودينية وكلها أنتهت لنفس النتيجة وهي الفشل الذريع في تحقيق العدل والمساواة والرفاهية لبني البشر ولهذا ستكون فكرة تقبُّل الدولة العالمية رائجة وربما هي الحديث الأكثر تداولاً في ذلك الحين !

كما أنه ليس من المفترض أن يكون الوضع الإقتصادي مثلاً في وقت الظهور وضعاً مُتدهوراً ولا الوضع العلمي ولا الثقافي ولا الديني حتى .

فربما تكون هذه التفاصيل كلها تسير على خير ما يرام هذا من وجهة نظر عامة بطبيعة الحال وأما من وجهة نظر دينية بحتة فذلك كلام آخر ، إذ يوجد في الموروث الديني إصرار وتأكيد على أن الوقت الذي يكون فيه الظهور هو وقت حروب ومجاعات وهلاك جماعي لبعض الأمم ، لا بل بعض المرويات الدينية تؤكد أن ثُلثي البشر سوف يموتون . فلو فرضنا أن نفوس البشرية إدبان وقت الظهور هو تسعة مليارات إنسان فستة مليارات منهم سوف يموتون بالأوبئة أو الحروب النووية أو الكوارث الطبيعية أو بأي شكل من الأشكال ، والموروث الديني في تأكيده على هذه الأمور التي يعتبرها البعض من رجال اللاهوت ضرورة ! ينحو منحى المبشّر للمؤمنين ويفصّل كذلك في نوعية تلك الحروب التي ستُعاصر وقت الظهور لا بل يُعطي لمحة عن كل فئة من الفئات المتحاربة وقادة هذه الفئات وأوصافهم في كثير من الموارد أيضاً...

والمهم من جهة المنهج العقلي الذي اتخذناه في هذا البحث . أن كل هذا ليس ضرورة عقلية يقطع بها العقل ، ومن جهة ثانية لا يعد التنصل عنه نقض للموروث الديني لأن الموروث الديني بطبيعة الحال على نوعين نوع منه مقبول عقلاً وهو ما يمكن أن يُناقَش . ومنه ما هو فوق هذا وبطبيعة الحال لا يمكن مناقشته مع إننا نسلّم به تسليماً كاملاً إلا أن لغة الإيمان تختلف عن لغة الدليل والبحث العلمي ، وعليه فليس من الضرورة أن يكون الوضع المعاصر للظهور وقت حروب وأزمات كما لا يمكننا أن ننكر أنه ربما يكون كذلك ، ولكن المُرجح وفقاً للمذهب العقلي الذي نتبناه هنا هو أن يكون الوضع مستتباً على الصعيد الأمني وأما ما ورد في الموروث الديني عن وجود ضوضاء وفوضى يمكن أن يؤوَّل الى غير ما هو عليه ، أو يمكن أن نلتزم به في مورد آخر ودراسة أخرى لها طبيعة مُغايرة لطبيعة هذه الدراسة !

مع أنه يجب أن يكون الوضع في تلك المرحلة وضع مرتبك لكن بأي شكل هو مرتبك لا نعلم ولا يمكن القطع بأي مفهوم سيكون ذلك الإرباك وأغلب الظن أنه سيكون من خلال الظواهر الكونية الطبيعية التي يصنفها الموروث الديني تحت عنوان (العلامات) ومما يبدو والله أعلم أن هذا هو السيناريو الأكثر ملاءمة للـ (الهرج والمرج) وعلى العموم يجب أن يكون الوضع استنثائي ومثل هذا الوضع الإستثنائي الذي يكون مصحوباً بوصول الإنسانية الى مرتبة عالية من النضج الفكري لا نراه متوافراً في الوقت الراهن وربما يكون متوافراً ولكننا نحن لا نراه والله أعلم !

والله أعلم كذلك ، متى سيكون هذا الوضع الإستثنائي ، فمن المؤكد أن هناك جملة من الشرائط يجب أن تتوفر وتجتمع من أجل ظهور القائد العالمي فليس كل وضع إستثنائي هو وقت ملاءم لظهور القائد العالمي كما ليس وصول البشرية لمرتبة عالية من النضج الفكري لوحده كافٍ في ظهور القائد العالمي . فلابد أن تجتمع الشرائط كلها لكي يتحقق المطلوب ، ومتى تجتمع هذه الشرائط يكون الظهور ولا ندري متى سيحدث هذا بعد ساعة من الآن أو غداً أو الشهر المقبل أو العام المقبل أو بعد عشرة ملايين سنة . لا ندري !!!

كما يجب أن تكون البشرية قطعت شوطاً كبيراً في تقدمها الفكري بما يُتيح لها فهم المهدوية بشكل عميق ، مع إن الواضح أن هناك دائماً من يكون عاجزاً عن الفهم وغير قادر على استيعاب الصورة كاملة ، وليكن في العلم إن هؤلاء الذين لا يستوعبون ليسوا على ما نفهمه نحن من لفظ عدم الإستيعاب فقد يكونون على مستوى علمي وفكري راقي بالنسبة لنا نحن الذين نعيش في القرن الحادي والعشرين ولكن في ذلك الوقت قد يكونون متخلفين بالنسبة لباقي أفراد المجتمع ومع كل امكانتهم العلمية والمعرفية يظلون عاجزين عن فهم المهدوية بل عاجزين حتى عن فهم كلام القائد الموعود الذي سوف يوجهه لهم ولذلك لا يُستبعد وجود معارضة في البداية للدولة العالمية وإن كانت معارضة بسيطة من حيث المضمون !

لكن يبقى علينا فهم القصد من لفظ (الظهور) لأن في هذا اللفظ توجد الكثير من المشاكل التي يجب أن نُعالجها فهذا اللفظ يسبب لون من الحساسية عند البعض وعلينا رفع هذا الإشكال...

معنى الظهور

إن هناك أكثر من رأي ومن توجه للطريقة التي يكون عليها ظهور المخلّص ! وبطبيعة الحال كل حزب بما لديهم فرحون والكل يعتقد أنه على صواب ويبقى الإطمئنان لأي توجه من التوجهات التي تكلَّمت عن هذا الموضوع تابع للأفراد ، بمعنى أن للكل الحق في اختيار الرأي الذي يراه أنسب بالنسبة إليه وهذا الاختيار لا يُفسد في الود قضية باعتبار أن الأصل مُتفق عليه فتبقى الجزئيات التي يمكن أن يتم التعامل معها وفقاً للمُتبنيات التي يتمسك بها الفرد ، فهناك في الحقيقة أكثر من نظرية تُعالج هذه القضية وغالباً تلك النظريات تتأثر بطبيعة أصحابها العقدية أو الخلفية الفكرية التي يأتون منها وهذا أمر طبيعي إذا ما نظرنا له بميزان المنطق ومع تسليم هؤلاء المنظّرين بوجود الآخر أما لو تم إلغاء الآخر تماماً فتكون آراؤهم فاقدة للقيمة العلمية وإن لم تكن في الأساس حجة على غير من يؤمنون بذات توجهاتهم !

وهناك كما أسلفنا أكثر من قول في هذا الصدد حتى بين أتباع الديانات إذ لكل فرقة وكل دين رأي مختلف في هذه القضية ولعل أبرز من أولى هذه القضية أهتماماً بالغاً هم المسلمون باعتبار أن القضية المهدوية لديهم داخله في صلب التزامهم العقائدي وعليه فهم ينقسمون لقسمين أساسيين الأول يذهب للقول بأن هذا القائد الموعود لم يولد بعد والقسم الآخر يقول بأنه مولود وهذا الأخير أي القسم الذي يدعي أنه مولود وحي يُرزق يقدم نظريتين لهذا الرأي الأولى نظرية خفاء الشخص والثانية نظرية خفاء العنوان واللتان ناقشهما وأشبعهما درساً وتحليلاً السيد محمد محمد صادق الصدر (قد) في كتابه موسوعة الإمام المهدي والذي لا يجد الباحث بدّاً من الإطلاع عليه وعلى آراء كاتبه الذي أبدع فيه أيما إبداع .

وهناك أيضاً آراء تنتسب لمفكرين خارج إطار ادين ، أي أنهم ليسوا ممن يُحسب على الدين وهناك آراء تنتسب لبعض الطبقات العلمية وأخرى لبعض الفلاسفة وهكذا...

المهم أن الموضوع متشعب وله مداخل كثيرة ولكن حاولنا أن نجمع هذه التشعبات وهذه الآراء في خلاصة نستند لها في وضع فكرة أو تصوّر عن الظهور ومعناه وهو ما سيأتي .

وما نعنيه بالظهور هو وجود للمفهوم سابق على بروزه بعيداً عن تعيُّن المصداق ، أي أننا لا نناقش هذا الظهور من جهة تحديد الشخص بل نتكلم عن المفهوم بمعزل عن الشخص وهذا المفهوم كما هو واضح موجود والدليل أننا نتكلم عنه الآن ! غاية ما في الأمر أن هذا الكلام النظري الذي تكلّم به آلاف الأشخاص سيخرج الى حيّز التنفيذ بمعزل عن هوية الشخص فحين نقول (ظهور) لا يعني أننا نقدّم توجه مُعين على توجه آخر ، بل نحن نقصد معنى اللفظ بما هو ! بعيداً عن التوجهات المذهبية لأن هذا خلاف ما نتبناه في هذه الدراسة ، وقد يسأل سائل لماذا الظهور وليس الوجود ، فلماذا مثلاً بأن هذا القائد أو هذا المفهوم موجود وسيظهر لماذا لا نقول أن المفهوم والقائد كلاهما غير موجودين الآن ولاحقاً سوف يوجدان أو أن المفهوم موجود لكن القائد غير موجود وبالتالي فلفظ الظهور ليس في محله ؟

والحقيقة هي أننا مع قولنا أننا نتكلم عن المفهوم بمعزل عن الشخص إلا أن الشخص هو ذاته المفهوم ، أي أنه هو الفكرة الأساسية فهذه القضية لم تتكلم عن شيء أكثر من الشخص وهذا الشخص تحوّل الى مفهوم فأصبح هو المفهوم وفي ذات الوقت هو مصداق ذلك المفهوم ! بمعنى إنك إذا تكلّمت عن مفهوم الصدق مثلاً فهناك الكثير من مصاديق الصدق وهناك أشخاص أكثر ينطبق عليهم هذا المفهوم لكن حينما نتكلم عن مفهوم المخلّص أو مفهوم القضية المهدوية فمدار هذه القضية يكون هو ذاته المخلّص أو الإمام المهدي (ع)ولا تجد شخصاً آخر ينطبق عليه القول أنه هو مصداق هذا المفهوم وبالتالي نحن ملتزمون بمناقشة المفهوم فقط بمعزل عن الشخص ولكن الشخص هو ذاته المفهوم وهو ذاته المصداق كما هو ذاته القائد الذي سيظهر !

ولذلك نحن من الذين يذهبون لأنه موجود وحي حالياً لأننا إذا ما أبعدنا الجانب الإعجازي عن المسألة وتدخل السماء فيها فلابد أن نسلّم بحقيقة أن ذلك الشخص لديه من الإمكانات العلمية والمعرفية ما يجعله متفوّق بمراتب ودرجات لا تُحصى على باقي الناس والوصول لمثل هذه المراتب يحتاج لوقت طويل من الدراسة والإطلاع وهو ما لا يسمح به العمر الذي يتمتع به الناس في عالمنا المُعاصر ، وإذا كان العمر الطويل ممكن أن يوجد لأحدهم كما أثبتناه لك ونقلنا لك كلام البرفيسور (ديفيد سينكلير) الأستاذ في علم الوراثة في جامعة (هارفرد) ونقلنا لك كلام الدكتور (سام بارنيا) في كتابه (محو الموت) وتكلمنا كذلك عن أنزيم (التيلوميراز) وكلام الدكتور (ميتشو كاكو) وإن هذا الأمر أصبح حقيقة علمية بل تأمَل بعض المؤسسات بإنتاج عقار يُعادل سعر القرص الواحد منه سعر فنجان قهوة في ظرف خمسة سنوات ، فيمكنك أن تُراجع هذا الكتاب ! ، فإذا كان مثل هذا العمر الطويل ممكن نظرياً على الاقل فلا محظور من القول بأن القائد المعصوم عاصر كل هذه الحقب من تاريخ البشرية وسيأتي علينا في فصول هذا الكتاب كم سيبلغ متوسط عمر الإنسان تحت ظل الحكومة العالمية وهناك سوف نفصّل تفصيلاً كاملاً مع ذكرنا للأسباب !

فإذا كان الأمر كذلك فلا ضير من القول بأن القائد موجود أو أن المفهوم موجود على الأقل وهذا لا ينكره عاقل غاية ما في الأمر أن الشخص هو نفسه المفهوم وهذه خاصية تنفرد بها القضية المهدوية !

وأما لو قلنا أنه غير موجود قبل وقت ظهوره بزمن طويل فبهذا يفقد أهم عناصر تميُّزه عن أقرانه الذين سيعاصروه وسيكون من يُنكر أي قضية دينية في مأزق وإلا كيف سيشرح لنا حصول القائد الموعود على كل تلك المعارف التي لابد من التسليم بأنه يتمتع بها لأنه إن لم يكن كذلك فلا معنى لأن يكون هو القائد فهناك غيره يستحق أن يكون قائداً أيضاً ومثل هذا الإشكال قد يحوّل من يُفترض أنه حلم البشرية بالخلاص من الدكتاتورية الى دكتاتور فعلي ، فلابد أن يكون القائد الموعود متميزاً بشكل خارق للوضع المألوف ومثل هذا لا يتحصَّل في الحياة والعمر الطبيعي للإنسان لأننا نتكلم عن شخص متخصص في كل العلوم وسوف يغير كل المناهج تقريباً .

ومن الواضح أن أبرز النظريات وأكثرها ملاءمة هي القائلة بخفاء العنوان أي أن هذا القائد الموعود موجود حالياً ولكن عنوانه مختفٍ عن الآخرين وهذا ما يُعطيه حرية في الحركة ويجعله يدرس احتياجات المجتمعات المختلفة عن كثب ولحقب متباينة ومتباعدة بما يُتيح له إيجاد العلاجات المناسبة لمشاكل المجتمع الإنساني والطريقة الأفضل التي تمكّنه من صهر كل تلك المجتمعات في مجتمع واحد عالمي !

إذن هذا هو المعنى الذي نقصده من الظهور ويبقى أن نتكلم عن كيفية ذلك الظهور وكيف سيحدث وماهي أبرز الإحتمالات لذلك الظهور !

كيفية الظهور

فيما يلي بعض المناقشات التي من خلالها سنعرض الكيفية التي يمكن أن يكون عليها الظهور .وليكن في العلم إننا شخصياً لا نتبنى كل ما سيأتي ولكننا ملزمين بتقديم قراءة للكل وهذا الكل متشعب ومختلف بالتالي هذه السيناريوهات التي ستأتي ليست نابعة عن اعتقادنا الشخصي فنحن نعتقد على الصعيد الشخصي بالنظرية الإسلامية الجعفرية الإثنا عشرية بالتحديد ! أما في هذا المورد فنحاول أن نقدم قراءة تنسجم مع متبنيات ومزاج وذوق الكل وإليك بعض هذه الكيفيات والآراء فيما يختص بقضية الظهور !

المُناقشة الأولى

إذا عرفنا أن المخلّص أو القائد الموعود أو الإمام المهدي (ع) سوف يسيطر على العالم بأسره ليقوده نحو الخلاص فلابد من طريقة ما يجب أن يتّبعها كي يُحكِم سيطرته على العالم ، ومن الواضح جداً أن الظرف الذي سيظهر به القائد ويبدأ حركته الإصلاحية ظرف استثنائي من حياة البشرية كما أن الواضح من ظاهر النصوص الدينية أن هناك ظواهر كونية سوف يكون لها دور فاعل في حركة الظهور بل حتى العقل بعيداً عن المنظور الديني يذهب لضرورة وجود أحداث في النظام الكوني تدعم وتقوّم حركة الظهور وهذه الأحداث هي ما جاءت تحت مُسمى الـ(علامات) في الموروث الديني وسوف نتعرّض لها بالتفصيل لاحقاً بإذن الله...

المهم أن القائد المعصوم يحتاج من أجل أن يبدأ حركته الإصلاحية الى وسيلة تجعله يصل للسلطة . وأي سلطة ؟ سلطة تُخوّله قيادة العالم بأسره .وهذا ما لم يتوفر عليه أحد من قبل فيما نعلم !

أحد السيناريوهات المطروحة هو ، أنه يظهر كقائد عسكري ناجح ثم يستولي على مركز القيادة الأعلى أو هيئة الأركان في الجيش الذي برز فيه هو كقائد عسكري ثم ما يلبث أن يستولي على السلطة التنفيذية في ذلك البلد بانقلاب عسكري وبعد استيلائه على حكومة ذلك البلد يبدأ بحركةٍ أوسع من حيث السيطرة على البُلدان المجاورة وشيئاً فشيئاً ينتقل للسيطرة على كامل مراكز القوة في العالم ، وهذا يكون تحت غطاء شرعي أغلب الظن وهو حماية المجتمعات من خطر ظاهرة طبيعية .وإذا كان العكس أي إذا كان الأمر لا يكون إلا بالحرب فمن المؤكد أن تلك الحرب ستكون في أول الأمر بين القوى الكُبرى في العالم والدول ذات الثقل العسكري وهذا يُحتم أن يكون القائد الموعود قد استولى على السلطة في بلد له من الثقل العسكري والقوة الهجومية والدافعية في الحرب ما يكون مساوياً للقوى العسكرية الأخرى ، بعبارة أوضح إذا أخذنا وضعنا الحالي بنظر الإعتبار ومن أجل تقريب فكرة ! فلا يمكن أن يستولي القائد الموعود على السلطة في بلد مثل العراق أو مصر أو سوريا لا بل في أي بلد من بُلدان الشرق الإسلامي لأنه بهذا لن يكون قادراً على مواجهة القوة العسكرية الغربية وبالتالي فلابد أن يكون قد استولى على سلطة في دولة مثل روسيا أو أمريكا كي يكون قادراً على بسط نفوذه على كامل العالم ، وبطبيعة الحال هذا قياساً على وضعنا الراهن ولا نعلم في المستقبل كيف يكون الوضع ولكن من المؤكد أن الوضع العالمي سيكون مختلف حينئذ وقد تبرز قوى عالمية جديدة خصوصاً في الشرق وبالتحديد في بلاد ما بين النهرين والشام لأننا نجد في الموروث الديني أن هذه المنطقة إدبان حركة الظهور منطقة ناشطة جداً ولا يوجد مبرر لاستبعاد هذه الغرضية من الموضوع صدد البحث...

وإذن . لابد أن تكون هناك حرب وحرب بنوع من الأسلحة الفتّاكة ومن المؤكد أن أنظمة القوة العسكرية حينئذ تكون قد تطوّرت كثيراً على صعيد منظومات الرادار وسلاح الجو والقوة الصاروخية الباليستية وحتى منظومات الدفاع البايلوجي والنووي ستكون ذات فاعلية عالية وبناءً على هذا ستكون تلك الحرب حرب ضروس وهو ما يفسّر بعض ما ورد في الموروث الديني بأن (ثلثين من العالم يفنى) ! فمن المؤكد والحال هذه أن يفنى ثُلثي العالم ،ولكن من جهة أخرى هذا لا ينسجم مع القراءة الدينية لأن القراءة الدينية تشترط بأن يكون القائد (عراقي) وهذه القراءة هي القراءة الإسلامية حصراً ، أي لابد أن تكون حركة ظهوره في العراق لأنه في النهاية عراقي الجنسية والأصل ، والقراءة الإسلامية تستبعد أن يكون للمسلمين دور في تلك الحرب الضروس لأنهم مشغولون في حروب داخلية تدور راحها في الشام بين ثلاث فرق !

ومن الممكن التوفيق بين القراءة الدينية الإسلامية والقراءة التي نقدّمها نحن إذ بإمكاننا مع الأخذ بنظرية خفاء العنوان أي مع القول بأن هوية القائد الموعود مخفية عن الناس لا هو المختفي .كأن يكون ظاهراً للناس بعنوان آخر وصفة أخرى ، مع الأخذ بهذه النظرية يُمكننا القول أن القائد الموعود رغم (عراقيته) وأصله العربي قد يظهر في بلاد أخرى وبما أنه يخفي هويته الحقيقية سيعلن عنها بعد استتباب الأمر له وبعد سيطرته على العالم ، أو أن تكون بلاد ما بين النهرين والمنطقة العربية عموماً قد تحوّلت لقوة عظمى في العالم وبهذا تكون قادرة على دخول مثل هكذا حرب شاملة ومدمرة حتى دون أن يدخل أحد العراقيين للحرب مباشرة وكل ما يكون حينذاك أن

القادة فقط يكونون من هذه المنطقة أما عامة الجيش فيكون من جنسيات أخرى بفعل الإتفاقات الدولية المُبرمة وهو ما يُسمى في المصطلح السياسي المُعاصر (الحرب بالنيابة) وكم له من نظير !

وبغض النظر عن الحيثيات التي تجعل هذه القراءة تبدو مضطربة الى حد كبير ، فبغض النظر عن هذه الحيثيات والجزئيات تحتاج هذه الفرضية للكثير من أجل أن تكون مقبولة عقلاً وهي تحتوي على الكثير من الأمور التي تجعلها بعيدة عن القبول التام والتسليم !

المُلاحظة الأولى على المُناقشة الأولى

هذه الملاحظة مُلاحظة منهجية ! فمن المُفترض أن يكون ظهور القائد الموعود هو من أجل تخليص البشرية من الآلام والويلات والأحزان ، وهل هناك ويلات جرَت على البشرية أبشع من ويلات الحروب ومصائِبها ، ومن عاصروا الحرب يعرفون عن ماذا أتكلم فالحرب مرض يأكل البشرية أكلاً وينخر بناءاتها نخراً ناهيك عمّا يترتب على المجتمع بعد انتهاء الحروب فهي لا تُخلف إلا الدمار والبُنى التحتية المُدمَرة والأيتام والأرامل والعوائل المشردة والنازحة والإضطرابات الإقتصادية والسياسية والمُجتمعية حتى أن بُنية المجتمع الأخلاقية أثناء وبعد انتهاء الحروب تكون شبه قابلة للتفكك والإنحلال في كثير مما رأينا وفي كثير مما رأينا أيضا أن تلك البُنية الأخلاقية للمجتمع تُهدَّم بالكامل فهؤلاء الذين قُتل آبائهم في الحرب تحوّلوا فيما بعد لمجرمين بفعل انتفاء الرقابة الأُسرية وغياب دور الأب في كثير من الأحيان وما يزيد الطين بلة أن الحكومات بعد الحروب تكون ضعيفة وهذا يُضعف دورها في السيطرة على الوضع الاخلاقي والإجتماعي العام فيبدأ البعض بالترويج للدعارة والمخدرات وتكثُر عصابات السرقة والنهب والقتل الذي تارةً يكون بفعل السطو المسلح والسرقة وحروب العصابات فيما بينها وتارةً يكون قتل مُمنهج بفعل الإرهاب أو الصراعات السياسية التي تعقُب انتهاء الحروب .ناهيك عن الاوضاع السياسية التي ولابد أن تكون مضطربة خصوصاً في الدول التي تخسر الحرب وبعد هذا فهل يمكن أن يبدأ القائد الموعود حركته في الظهور بالحرب !!!

أليس هو الذي شيّدت البشرية بناءها عليه من أجل تخليصها من العذاب .فكيف يمكن قبول هذا الرأي وهو لا ينسجم مع مقررات العقل . فكيف يُصبح حلم البشرية بالخلاص هو كابوسها الأعظم !

وحتى لو أردنا أن نجد علاج بأي شكل من الأشكال لهذه المعضلة فهو بعيد المنال .لأن الحرب بأي شكل من الأشكال كانت هي كارثة وقد يقول قائل إن هذا الكلام يشمل كل الحروب بما في ذلك تلك التي يعتبرها الكثيرين حروب مقدّسة أو فتوحات أو حروب دفاع مقدّس ، وأقول نعم دون أي شك أو ريب كل الحروب هي شرّ وشرّ كبير ، لكن بعضها يكون مفروضاً بالقوة وبعضها يكون اختيارياً ونحن إذ نتكلم عن القائد الموعود فنحن نتكلم عن شخص ظلّ لفترات طويلة في حالة سكون ولم يظهر منه حركة ظاهرة على الاقل من أجل تغيير الوضع وأقول (حركة ظاهرة !)فلماذا عندما يظهر لا يكون له خيار إلا خيار الحرب فما هي فائدة بقاءه كل تلك الفترة دون حِراك إذا كان في أول حركة له يتخذ الحرب وشرور الحرب طريقاً لعهد حُكمه !

المُلاحظة الثانية على المُناقشة الأولى

وهنا سنفترض أن القائد الموعود نجح في الوصول لسدة السلطة العالمية بعد خوضه للحرب ضد القوى الأخرى ، فكيف سيقوم بتوحيد أطراف نزاع الأمس اليوم ؟

أي كيف يمكن لك أن تتصور أن جندي يقاتل في طرف وجندي آخر يقاتل في طرف آخر في هذا اليوم أن يكونان في جبهة واحدة غداً!

وتخيّل أن أحد افراد منظمة حماس الفلسطينية يقف الى جانب جندي من كتيبة المشاة الثالثة في الجيش الإسرائيلي أو أحد المُجاهدين الأفغان أو العراقيين أو اللبنانيين أو الإيرانيين يقف الى جانب ضابط أمريكي !

أو أن ضابط أمريكي برتبة متوسطة يقبل الخضوع لأوامر ضابط روسي برتبة أعلى !

فمثل هذا الأمر إن كان ممكناً نظرياً فهو يحتاج لسنوات طويلة كي يتقبله هؤلاء الأفراد ومثل هذه السنوات الطويلة لن تكون متوفرة بعد انتصار القائد الموعود في الحرب فمن الواضح أنه لا توجد فترة انتقالية بين انتهاء الحرب وبين بسط نفوذ القائد الموعود على كامل الكوكب ! فإذا تم الإبقاء على أفراد تلك الجيوش المُتحاربة بالأمس كُلٌّ في بلده أو عدم جعلهم يلتقون في معسكرات تجمعهم فطال الزمان أو قصُر سوف تبقى المشكلة قائمة ولن تُحَل ! ثم في الأساس هل سيخوض القائد الموعود حربه تلك بجيش واحد من قومية وبلد واحد أم سوف يعقد تحالفاً مع دول وجيوش أخرى .وإذا كان الأمر كذلك فكيف سيتمكن من عقد تلك التحالفات وهو لذلك الحين لم يُعلن عن هويته وحتى لو أعلن عن هويته الحقيقية فهذا لن يغير من المُعادلة شيء إذ أن العقل يحكم أنه سوف يظهر له أعداء لا محالة في كل الأحوال وتحت كل السيناريوهات . فبماذا سوف يَعِد حُلفاءه الداخلين معه للحرب .مع الأخذ بنظر الإعتبار إننا هنا استبعدنا الجانب الإعجازي من القضية وفقاً للمنهج الذي ارتأيناه ووفقاً للذوق العلمي والثقافي المُعاصر ! فلو كان الجانب الإعجازي حاضراً لوجدنا ما يبرر تصديق أولئك الحلفاء لدعوى القائد الموعود أما إذا لم يكن شيء من كل هذا موجوداً فعلى ماذا سيستند القائد الموعود في حربه وما هو الهدف منها أساساً حين يسأله حلفاءه حتى قبل أن يقبلوا الدخول معه في الحرب .وإذا لم يكن له حلفاء فكيف سيصدق المجتمع العالمي كله أن هذه الدولة وهذا الجيش على حق وهنا سوف تدخل حركة القائد الموعود في مواجهة مع الشعوب لا مع الأنظمة فقط وهذه كارثة ما بعدها كارثة وهي لا تنسجم تمام الإنسجام مع ما يُفترض أنه سيظهر لكي يحققه !!!

المُلاحظة الثالثة على المُناقشة الأولى

وهنا لنفترض أنه تم للقائد الموعود ذلك ولم يجد مشكلة في أقلمة أفراد تلك الجيوش فيما بينهم ، فالسؤال هو ما مصير تلك الدول التي دخلت الحرب ضد القائد الموعود فهل يمكن مساواتهم مع الدول والشعوب التي كانت الى جانب القائد الموعود في حركته للوصول لسدة سلطة العالم ! وكيف يمكن أن يتساوى العدو والصديق . فمثل هذه المساواة حتماً سوف تؤثر في حلفاء القائد الموعود وتنخر دولته الحديثة النشوء من الداخل ، إذ كيف يمكن أن يكون الذي وقف ضد حركة الظهور كالذي وقف الى جوارها وقدم التضحيات الجِسام والشهداء والجرحى من أجل تحقيق العدالة ومن أجل انتصار دولة العدل العالمية كيف يُمكن إقناع أُم أرسلت أولادها للحرب مع

القائد الموعود وبعضهم لم يرجع لها ولن يرجع أبداً ، كيف تقبل مثل هذه الأُم أن تُساوى مع تلك الأُم التي أرسلت أولادها ليقفوا ضد حركة القائد الموعود ! ففيما أرى لا توجد قوة فكرية أو سياسية أو دينية قادرة على إقناع مثل هذه الأُم بضرورة قبول مساواتها مع تلك الأُخرى !

وأغلب الظن أن مثل هذه المشكلة ستبدأ من المجتمع النسوي لأن المنظومة العقلية التي تتعامل بها النساء منظومة حسّاسة جداً فربما يقبل الرجال هذا اللون من المُساواة ولكن أن تقبل به النساء اللواتي يشكّلن نصف المجتمع من جهة ومن جهة أخرى يتحكَّمن في نصفه الآخر بهذه المُساواة فلا يمكن تصوّر مثل هذا الأمر إلا في حالة واحدة وهي أن المجتمع وصل لمرتبة فكرية عالية جداً بحيث أصبح إقناع الناس بهذه المساواة وجعلهم متأكدين من أنها ضرورة بعد أن يحللوا ويقرأوا هم الموقف بما لديهم من إمكانات فكرية راقية ففي مثل هذه الحالة يكون من الممكن القبول بهذا الطرح ، ولكن لو كان المجتمع الإنساني فعلاً وصل لتلك المرتبة الفكرية العالية فهل كان من الممكن أن يدخل الحرب أصلاً !!!

ثم كيف للقائد الموعود أن لا يساوي بين أفراد المجتمع الإنساني فبالتأكيد أنه سوف يساوي بين الجميع لأنه أرفع من أن يرضخ للأحقاد أو أن يفكّر بعقلية الثأر أو عقلية المُنتصر الذي يجب أن يُعرّض أعدائه للويلات ويسومهم سوء العذاب ، فلابد أنه سوف يساوي بين أفراد البشرية .وإذا ساوى بينهم سوف تكون لديه مشكلة كبيرة على الصعيد الداخلي للدولة الفتية الحديثة البروز وبهذا لن يُحَل شيء من مشاكل العالم .وغاية ما في الأمر أننا استبدلنا مشاكل محلية بأخرى لها طابع عالمي !

المُناقشة الثانية

وهنا نفترض أن ظهور القائد الموعود يكون بطريقة الدعوى ، أي بمعنى أنه يظهر كمُصلح إجتماعي أو فيلسوف أو رجل دين ومن خلال أفكاره يؤلب الشعوب على حكوماتها مُستغلاً تقصير تلك الحكومات إزاء شعوبها !

وبطبيعة الحال في مثل هذا الإفتراض يجب أن تتوفر للقائد الموعود سُبُل إيصال خطاباته وكتاباته وأفكاره لكل أصقاع الأرض .وهذا يُحتم أن تكون له موارد ضخمة على الصعيد الإقتصادي من جهة ومن أخرى فهو يحتاج لوكلاء مُتعددين بتعدد الشعوب التي يجب أن تصل أفكار القائد لها ، ومن الواضح أن هذا يستتبع إمكانات هائلة على صعيد الترجمة والبث المباشر إذا افترضنا أنه سيوجه أفكاره من خلال موجات البث التلفزيوني الفضائي والحقيقة أنه لا يمكن غض الطرف عن هذا ،أو أنه سوف يخاطب كل أمة بلسانها وهذا أنسب من حيث الإمكانات المعرفية والثقافية التي يتمتع بها القائد الموعود ،ونفترض أيضاً أنه في البدء سوف يتحرّك كأُستاذ جامعي أو رجل دين له وجهة نظر مُغايرة لمحيطه الكلاسيكي أو داعية مبشّر وربما رجل علم يحاول نقل المعرفة للعامة من الناس في تلك الظروف التي ستمر على البشرية ، وبما إننا الآن شبه متأكدين أنه ولابد أن يكون هناك ظرف طارئ يجعل الحكومات غير آبهة بصعود نجم هذا المُصلح أو المُفكر لأنها ستكون مشغولة

في معالجة ذلك الظرف الطارئ والإستثنائي ولأن القائد الموعود يعلم مُسبقاً بموعد بدء تلك الظواهر الإجتماعية أو السياسية أو الكونية وهذا الأوفر حظاً ! فهو بطبيعة الحال يكون قد بدأ حركته قبل هذا بفترة ليست بالقصيرة جداً ولا بالطويلة جداً مما يُمكِّنه من إيجاد موطئ قدم على حلبة الصراع الفكري العالمي .ويكون قد برز له بالفعل مؤيدين وآخرين منتقدين ونوقشت أفكاره سلفاً وكتب البعض عنه ممّا أتاح له ولأفكاره إنتشاراً كبيراً في العالم...

والحكومات إدبان تلك الفترة لن تكون مُهتمة بأمر هذا الشخص لأنه لا يتعرّض لسياساتها بشيء يبلغ من الأهمية أن تُخطط لاغتياله أو تصفيته مثلاً وهو سيُضمر أمره حتى اللحظة التي تبدأ فيها تلك الظواهر والظروف الإستثنائية من حياة البشرية وبما أنه قد أصبح معروفاً عند الجميع ففي تلك الحالة سيكون مسموعاً عند الجميع وبالتالي يبدأ في تأليب الشعوب على حكوماتها بعد ظهور التقصير الواضح من تلك الحكومات في أداء واجباتها المُناطة بها ، وهنا ستكون تلك الحكومات عاجزة عن اتخاذ إجراء ضد هذا الشخص الذي بدأ يهددها في عقر دارها فعلاً .وهكذا تبدأ الشعوب بالثورة ضد حكوماتها ولن يلبث العالم طويلاً حتى يتم الإعلان الرسمي أن كل حكوماته قد سقطت وسوف تتولى جماعات المُفكرين والوجوه النافذة إجتماعياً وقادة الجيوش القيادة المؤقتة كُلٌّ في بلده ريثما يتم الإعلان عن النظام العالمي الجديد !

المُلاحظة الأولى على المُناقشة الثانية

يجب أن نفهم بأي منهجية سوف يتكلم القائد الموعود ! فمن المعروف أن لكل مُفكر أو كل فيلسوف أو رجل دين أو علم منظومة من المبادئ التي يسير عليها في أفكاره ، وهذا النمط من التفكير مهما بلغ مرتبة من الإتقان والحبكة فمن المؤكد أنه لا ينسجم مع أذواق الجميع ومن المؤكد أيضاً أنه سوف يُبرز له خصوم فكريين يُناقشون مدلولات ذلك الطرح الذي يُقدمه...

فللآن لا ندري مع هذا السيناريو الذي افترضناه . هل سيكون ذلك الشخص رجل علم أو دين أو فلسفة أو أياً كان . ومعرفة المنهج الذي سيتحرّك به يُعتبر في عِداد الضرورات إن صح التعبير ! فالطريقة التي سوف يُخاطب بها الجمهور بغض النظر أكانت من خلال كتاباته أو خطاباته المُتلفزة هي التي ستحدد ميول هذا القائد الموعود ومن المؤكد أن الكل لن يقبلها وهؤلاء الذين سوف يُعارضون أفكاره على نوعين :

الأوّل : هم أولئك المتضررين من أفكاره مباشرة وهم رجال الحكومات التي يهدد القائد الموعود وجودها بالزوال والإنمحاق!

والثاني : هم أولئك المفكرين والعلماء والفقهاء الذين يختلفون معه في الرأي ، أضف الى ذلك بعض العوام الذين كثيراً ما رأينا في حياتنا اليومية المُعاصرة أنهم يُعارضون لأجل المُعارضة فحسب دون علمٍ أو فهم !

والحقيقة أن المشكلة ليست في النوع الأوّل ولا في رجال العلم والدين في الثاني لأن هؤلاء سيستجيبون للقائد بمجرّد أن يوضح لهم بواطن الأفكار التي عارضوها .ولكن المشكلة الفعلية هي في عوام الناس ، فبأي لُغة سوف يتكلم القائد الموعود وبأي منهج سيسلُك طريقه لإصلاح النظام العالمي !

المُلاحظة الثانية على المُناقشة الثانية

كيف سيتسنى للقائد الموعود جعل الكل يقبل بفكرة الحكومة العالمية الواحدة ! بعبارة ثانية أنه إذا استطاع بالفعل تأليب الجماهير على حكوماتها وثارت تلك الجماهير وأسقطت حكوماتها . فكيف سيتمكن القائد الموعود من إقناع تلك الشعوب بالإنضمام الى نظام عالمي واحد وحكومة عالمية واحدة مع العلم أن الدول وتبعاً لمواقعها الجغرافية وإمكاناتها الصناعية وثرواتها الطبيعية تتفاوت ولا تندرج تحت مستوى واحد من حيث الطبيعة البيئية أو الثروات ، فالبلدان المُنتجة للنفط مثلاً ليست كغيرها وهي لن تقبل بأن توزع ثروتها على الآخرين لا لشيء سوى لأن هناك حكومة عالمية يجب أن يستوي فيها الجميع !

فبأي آلية يمكن للقائد الموعود أن يجمع شتات هؤلاء جميعاً ، وإذا افترضنا أن العالم في ذلك الوقت سيكون متساوياً من حيث الموارد الإقتصادية وإن النفط مثلاً مضى على زمن نفاذه فترة طويلة ولم يعُد هناك شعوب ثرية وشعوب فقيرة والكل أصبح متساوي ، فمثل هذا الإفتراض ينفي النظرية كلها . بمعنى إذا كان الكل متساوي فلا داعي لظهور القائد الموعود لأن من أولويات المهدوية هي إشاعة مبدأ المُساواة بين بني البشر !

ثم هناك مُشكلة الديموغرافيا . فبعض الشعوب تمتلك تعداد سكاني كبير على مساحة صغيرة وبعض الشعوب تمتلك تعداد سكاني صغير بالمقارنة مع المساحات الشاسعة التي تمتلكها فهل سيقبل أحد ما أن يُعطي أرضه لمن كان يعتبرهم بالأمس القريب غرباء وربما أعداء في كثير من الحالات ، فهب أن القائد الموعود أقنعهم بالثورة على حكوماتهم فكيف سيقنعهم بهذا وكيف يوحدهم تحت ظل حكومة واحدة مالم يلجأ للقوة العسكرية !!!

فمن المؤكد أن هناك فائدة للجميع .ولكنها ستغيب في الآن واللحظة عن كثيرين فكيف سيحملهم على الإذعان إذا استبعدنا الخيار العسكري ! .وإذا كان الخيار العسكري حاضراً فكيف سنجد الإجابات على الأسئلة التي طرحناها حين ناقشنا الخيار العسكري !

المُلاحظة الثالثة على المُناقشة الثانية

يواجهُنا سؤال جوهري هنا وهو :

هل كل البشرية وصلت في مرحلة ظهور الإمام المهدي أو المُخلّص الى مرتبة فكرية عالية تجعلها مؤهلة لقبول الدولة العالمية الواحدة والعيش تحت ظل تلك الحكومة التي يحكمها مبدأ المواطنة أم لا ؟

وإن ناقشنا مسألة المواطنة هذه ، فحتى لو كان أصل دعوة القائد الموعود على أساس ديني وهو كذلك ! فحتى مع هذا الطرح لا يوجد تنافي مع مبدأ المواطنة لأننا نفترض أن أصحاب الديانات الأخرى سُرعان ما سوف يندرجون تحت الدين الرسمي الذي يتبناه القائد الموعود وبالتالي فمن المؤكد أن التعامل سيكون مع الرعية على أساس المواطنة بالدرجة الأولى ! ، ولنعود للفكرة الأساسية وهي هل الجميع سيكون بذلك المستوى الفكري العالي الذي يجعلهم مؤهلين لأن يقبلوا تلك الحكومة الكونية أم لا ... وواضح أننا في أكثر من موضع شدّدنا على ضرورة أن تكون البشرية وصلت لمراحل فكرية متطورة وهذا ما تُحتمه سُنَّة الإرتقاء التي تحكم كامل النظام الكوني !

ولكن مع هذا لن تزول الفوارق الفكرية ، بمعنى أنه كلّما ارتقت طبقة اجتماعية للأعلى ظلت مُحافظة على الصدارة مع أن الطبقة التي دونها أيضا ارتقت للأعلى لتحل محل تلك التي صارت في طبقة أعلى وهكذا ، أي أن الجميع سوف يرتقون لتلك المرتبة الفكرية والعلمية والثقافية العالية .لكن التفاوت في المستوى سيبقى موجوداً لأننا لو افترضنا المساواة بين الجميع لنقضنا بهذا جوهر القضية المهدوية فلا يبقى للقائد الموعود شيء يُحققه . وعليه فلابد أن تكون البشرية قد وصلت الى مستوى عالي من الفكر لكنها ظلت فيما بين أفرادها تتفاوت من حيث الإمكانات المعرفية وهذا بطبيعة الحال قبل استتباب الأمر للدولة العالمية إذ سوف يأتينا لاحقاً أن من أهداف الدولة العالمية هو القضاء على هذه الطبقية وسوف تنجح بهذا الصدد لكننا الآن نتكلم عن مرحلة تكوّن الدولة وبداياتِها !

وهنا لابد أن نناقش جزء مما ناقشناه في المُلاحظة الأولى على المناقشة الثانية ! وهو هل أن الجميع سيكون قادراً على فهم المنهج الذي سوف يتخذه القائد الموعود طريقاً لنهضته ! وهناك قلنا أن العوام سيشكلون العقبة الأكبر كما كانوا دائما ! ولكن يجب أن لا يتبادر الى ذهنك حين أقول (عوام) إنني أقصد العوام بمعناها المُعاصر .. فعوام الناس في الزمن الذي يظهر به القائد الموعود بمستوى العلماء في وقتنا الراهن ! ولكنهم في ذلك الوقت ولأن الآخرين وصلوا لمراتب عُليا على صعيد المعرفة لن يُنظر لهم إلا على كونهم عوام .ولأن القائد الموعود سوف يتكلم بلغة الرجل الذي يتربع على العرش المعرفي والثقافي والفكري حينئذ سيكون من الصعب على هؤلاء فهم المغزى من قراراته وتصرفاته ولذلك سوف يندرج كثير منهم في قائمة معارضيه دون فهم أو علم بما يجري في حقيقة الأمر .. لأن القائد الموعود كما أسلفنا سيكون مطّلعاً على عالم الباطن وهو يحكم وفقاً للحقائق الوجودية في ذلك العالم وهؤلاء لن يكون بمقدورهم فهم تصرفاته لأنهم لا يُشاهدون أمام أعينهم ما يدعو لأن يتصرف القائد الموعود بهذا الشكل أو ذاك !

وقد يتبادر الى ذهنك سؤال في هذه اللحظة وهو : إذا كنّا نحن . أي أنا وأنت الآن نناقش هذه القضية ونحن بعيدين عن عصر الظهور ونضع سيناريوهات للكيفية التي يمكن أن تكون عليها الأمور ، إذا كنّا أنا وأنت نقوم بهذا الآن فكيف سيخفى هذا على أهل ذلك العصر !!!

والجواب : إننا هنا أنا وأنت نفترض فحسب ! أي ليس لدينا دليل قاطع على أن الأمر سيكون بالسيناريو الذي نكتبه ونتخيّله الآن ودورنا هنا هو دور المُخمن ونحن نأخذ بأقرب الإحتمالات وفقاً لدراسة المدلولات ذات الطابع الفلسفي وليس أكثر من هذا ! هذا من جهة ومن جهة أخرى فأصحاب ذلك العصر سيكونون خاضعين للإبتلاء ومن يكون في داخل الحدث ليس كمن يكون خارجه فنحن الأن نفترض ونحلل وندرس ونتوقع أما هم فلن تكون هذه الخيارات متوفرة بكثرة لهم فأما أن يُنفذ وأما أن يُعتبر متمرد على الدولة ولاشك أنه سيكون هناك نظام عقوبات من نوع ما لأننا لا يمكن أن نفترض أن المنطوي تحت سلطة الدولة يساوي من يُعارض الدولة وقد فصّلنا في هذا فيما سبق فراجع !

المهم : أن الكل لن يكون متساوٍ في المكانة العلمية والمستوى الفكري ، وعليه فبأي طريقة يُفترض بالقائد الموعود أن يُخاطب الجماهير فوجود شرائح من المجتمع معارضة له ولنهضته أو لم تتمكن من فهم حركاته وقرارته يشكّل كارثة فعلية ، لأننا نتكلم عن دولة يُفترض أن يقبلها الجميع باستثناء رجالات الحكومات المُستبدة .على أن رجال تلك الحكومات ليسوا كلهم شياطين بل هناك منهم وهذا شبه مؤكد من سيختار الإلتحاق بالقائد الموعود ولكن يبقى شبح وجود معارضين للدولة قائم ما دُمنا لم نُحدد المنهج الذي سيتخذه القائد الموعود في حركته الإصلاحية !!!

المُناقشة الثالثة

وفي هذه المُناقشة نُحاول أن نكرّس البحث لما ورد بالتحديد في الموروث الديني وهو أن المهدي (عليه السلام) أو الماشيح أو ابن الإنسان كما في اليهودية والمسيحية ، يظهر مؤيَّداً بالقوة الإلهية ليجعل الناس تعود من جديد للدين القويم (ليظهره على الدين كله)وهو بهذا يختتم مسيرة طويلة شقّ طريقَها من قبل الأنبياء والمرسلين لكنهم لسبب ولآخر لم ينجحوا بجعل كامل المجتمع الإنساني يتبنى آرائهم وعقيدتهم التي جاؤوا بها لأن المجتمع الإنساني في تلك الحقب الغابرة من تاريخ الإنسانية كان بمستويات فكرية مُتدنية ولذلك تمرّد على الدين ونبذه خلف ظهره وانطلق في لذائذه الدنيوية الخسيسة دونما أي اعتبار أو احترام لإنسانيته أو للدين من وجه آخر . وعليه سيكون ظهور المُخلّص هو بشارة الدين العُظمى بعد أن عرفت البشرية أن لا خلاص لمصائبها وهمومِها ومشاكلها وأزماتِها إلا بالعودة للدين والتمسك به من جديد وبعد أن جرَّبت كل النظريات الأخرى وأثبتت تلكم النظريات فشلها الذريع في إيجاد السعادة والرخاء لبني الإنسان . فيكون ظهور المُخلّص مُفتتح لإعادة الحياة للإنسانية من جديد . وإذا كان الدين يفترض وجود أنصار وأعوان للمُخلص فمن المؤكد أنه يفترض وجود أعداء وأعداء كثيرين له ولسوف يكون المُخلص أو القائد الموعود مُسددا بالعناية الإلهية وبالوحي وسوف ينتقم من المفسدين في الأرض الذين طالما أشاعوا الفاحشة في ربوع المجتمع الإنساني ، وهم على نوعين :

الأول- المجرمون !

الثاني - المُذنبين الجهلة !

أما النوع الثاني فلن يتخذ ضده القائد الموعود إجراءات صارمة جداً ولن يُخضعه لعقوبات جسيمة لأنه في النهاية جاهل أرعن مشدود لغرائزه وخاضع للنزوات التي تدفعه للمهالك دفعاً . فالقائد الموعود سوف يتخذ إجراءات بحق هؤلاء لكنها إجراءات بسيطة بالقياس مع ما سوف يتخذه مع النوع الأول وهم المجرمون !

وهؤلاء (المجرمون) هم الرؤوس الكبيرة التي تقف خلف تجارة المُخدرات والرقيق والإتجار بالجنس .وهم كذلك مافيات الجريمة المُنظمة ومافيات الفساد الإقتصادي والسياسي وغالباً يكون هؤلاء من رجالات الدولة أو المسيطرين والداعمين لرجالات الدولة أو المحميين والمُتَسَتِّر عليهم من قبل رجالات الدولة ، وسوف يجتثهم القائد الموعود من على سطح الكوكب لا لأنه يستلذ بسفك الدماء بل لأن هؤلاء أصبح علاجهم مُتعسِّراً بل مُستحيلاً ولذلك سيأتي فعله هذا دون أن يتنافى مع المبدأ العام الذي نتحدّث عنه ههنا . ولأننا قلنا أن فشل بعض الأجزاء في النظام العام ليس مُهماً بل المهم أن ترتقي باقي الأجزاء وهي الأكثر لكي تصل مرتبة الكمال الذي قُدِّر لها أن تصِله...

والموروث الديني في طرحه هذه يُحاول إغلاق كل المنافذ التي ربما يتسلل منها الشك بالطريقة التي سيقوم بها القائد الموعود بتصفية حساباته مع المجرمين والكيفية التي سيواجه بها المصاعب والمستحيلات من أجل بناء تلكم الدولة . فتراه ، أي الموروث الديني ، يُصِر على عدم استبعاد دور العامل الإعجازي في هذه القضية ، فكلُّ قضيةٍ سوف يتعسّر حلها بالطُرق الإعتيادية سوف يستخدم فيها القائد الموعود قواه الإعجازية المُتأتية من العناية الإلهية التي حفّته برعايتها وسددته بدعمها من أجل إتمام المهمة المُناط به إتمامُها ، وهو في كامل نهضته تلك وفقاً للرؤية الدينية ! يُحاول إعادة الناس للدين فعودتهم للدين هي وظيفته الأساسية التي ادّخَرته السماء لأجلِها

وأما باقي المفاهيم مثل الرخاء والسعادة والحرية فهي في حقيقتها من لوازم الإلتزام بالدين ، أي أنها ليست شيء آخر غير التمسك بالدين ، وهذا يجعل القائد الموعود يُركِّز على شيء واحد وبعد أن ينجح فيه سوف تأتي كل تلك الأمور تِباعاً له لأن تلك الأمور من مظاهره ولوازمه ،وبعبارة أخرى أن القائد الموعود لن يهتم للإقتصاد بل سوف يهتم للدين الذي في جانب منه يوجد اهتمام بالإقتصاد وشتان بين هذا وذاك !

المُلاحظة الأولى على المُناقشة الثالثة

إن ما يبدو مُشكلة أو إشكالية على ما يُقدمه الطرح الديني فيما يختص بالقضية المهدوية ، يبقى إذا ما نظرنا له من خارج الفكر الديني مُحمّلاً بالقلق في أقل تقدير ، فمثلاً ، إذا كان القائد الموعود سوف يُحاكم من ارتكب بعض المُخالفات الشرعية أو من يعتبرهم مجرمين وفي مرتبة أدنى مُذنبين على ما اقترفوه من خطايا ، فمن المنطقي أن يُقال ، ما ذنبهم ؟

بمعنى كيف تتم محاسبتهم وهم ضحية موروث فكري مُعين طويل الأمد ، فهم في حقيقة الأمر ضحايا وليسوا مجرمين من جهة اعتراف الفكر الديني نفسه أن الناس انحرفوا عن الدين وأن معالم الدين الحق تم طمسُها وتغيّرت ملامِحُها ، فكيف يتسنى لهؤلاء الذين سوف يُحاكمهم القائد الموعود أن يعرفوا حقيقة رأي الدين الحق في القضية الفلانية أو القضية الفلانية ولم يصلهم الواقع الذي عليه الحكم الديني !

وهذا ليسَ في واقعه مُتعلق بالمهدوية فقط ! بل هو يشتمل على كامل المنظومة التاريخية . فالتاريخ باعتباره سِفر يُدَوّن فيه الماضي والحاضر والمستقبل وبالأخص التاريخ الديني كان ولم يزل مُحمّلاً بمثل هذا الإستشكال ، فإدبان حركة نبي الإسلام صلوات الله عليه وآله كانت الحركات التي صدرت عن المسلمين في بعض الموارد تُخالف في الظاهر ! مُسلّمات المنطق وفيما بعد أصبحت أرض خصبه للمستشرقين ولكل من لديه موقف من الإسلام لزراعة الشُبُهات وبكل أنواعِها وكلها كانت موجهة للإسلام والبعض منها كان له من الأهمية أن قد أثَّر في كثيرين وخصوصاً قضايا مثل القبول بالسبي واحتلال أراضي الشعوب الأخرى والجزية الى آخره...

والمشكلة الأساسية أن هناك عدم فهم لهذه الحركات الدينية وهذا سوف أتعرّض له لاحقاً لنرى هل هذه الأفعال منافية لجوهر الدين ودعواه أم لا...

على العموم تواجِهنا في القضية المهدوية هذه المشكلة مشكلة نظام العقوبات ، فالعالم المُتحضر يرفض أن تُطبّق عقوبة الرجم ضد الزاني مثلاً أو عقوبة قطع اليد ضد السارق، فكيف سيكون نظام عقوبات القائد الموعود وبأي شكل سيكون فدائماً نفس المُشكلة تواجهنا باعتبار إن الدين يقول بالرحمة وتخليص الناس من العذابات والصفح عن المذنبين وإعادة تأهيلهم ليكونوا عناصر فاعلة في المجتمع .ثم بعد أن يتولى المتدينون السلطة وعلى رأسهم القائد الموعود سوف يتجهون مباشرة لتطبيق العقوبات على الناس ، وبالتالي هذه مشكلة حقيقية توجهنا في هذا الصدد !

ويبدو أن مثل هذا الإشكال مهم جداً وهو يُزعزع الفكرة المهدوية في نُسختها الدينية خصوصاً حين النظر للمسألة من عين غير المُتدينين ، فكيف يمكن أن نعتبر أن القائد الموعود سوف يعمل لتخليص البشرية من عذاباتها وآلامِها ثم يبدأ عهده بطريقة قد يعتبرها غير المُتدينين - إنتقامية - مع أن الدين يُصرّح باتخاذه - للرحمة- منهجاً فكيف يتفق هذا مع ذاك !

المُلاحظة الثانية على المُناقشة الثالثة

ثم أليسَ هذا يتنافى مع مبدأ احترام الحقوق الشخصية للناس ويُعتبر سلب لإرادتهم في تقرير وجه النظام السياسي الذي يتولى الحكم في بلدانهم !

بمعنى أليس هذا الأمر مُهمِّشاً للآخرين الذين يرفضون الفكر الديني جملةً وتفصيلاً وهم بهذا الرفض يتحركون من مبدأ الحرية الشخصية في تبني أو عدم تبني الأفكار والنظريات المطروحة على حلبة الصراع الفكري العالمي ،فكيف يمكن أن ينسجم القول بإيجاد الحرية والكرامة للناس مع القول بفرض فكرة ونظام مُعيّن عليهم !

ألا يُعد هذا خروجاً واضحاً عن المنطق ، لا بل يُعد تناقضاً جلياً لأننا قلنا فيما سلَف أن مهمة الدين هي تحقيق الكرامة والعدالة والحرية للناس ثم يأتي الدين فيعمد أول ما يعمد لسلب الناس حريتهم وكل هذا يحدث تحت مسمى (سلطة الله) خصوصاً وأن التأريخ شاهد حي على ما حدث تحت ظل السلطات الدينية .فليس ببعيد ما فعله الأمويون والعباسيون والعثمانيون حينما تسلّطوا على الناس تحت ذريعة حكم الإسلام ! وليس ببعيد ما فعلته محاكم التفتيش المسيحية في أوربا الى درجة أن كل من خالف سلطة الكنيسة يُعتبر خارج ومتمرد على سلطة الله ومن ثم يُقتل باسم الرب ! وقد قُتل العلماء والمفكرين وبالأخص الفلاسفة تحت هذه اليافطة والذريعة .ثم ليس ببعيد أيضاً ما فعله وما يفعله اليهود من مجازر بحق الأُمم الأخرى وكل هذا تحت ذريعة الحكم باسم الله ! ناهيك عن الحروب الداخلية ، ففي مذبحة (سان بارتيليمي) مثلاً . التي وقعت في العام ١٥٧٢ في باريس تم ذبح عشرات الآلاف من البروتستانت على يد المتعصبين الكاثوليك ! وهذه واحدة فقط من المجازر وهناك منها العشرات ومثلهن في الاسلام وفي اليهودية والبوذية و و و الى آخره.....

فأي حرية ستبقى للناس إذا فرض عليهم القائد الموعود أحكامه الدينية مع الأخذ بنظر الإعتبار أن الذاكرة الإنسانية ملآى بالجراح من التاريخ الديني وصراعاته وما جلبه على العالم من ويلات وهذا ما أوجد نفور من النهج الديني عند الكثير من أفراد المجتمع الإنساني وبالتالي فما هي الطريقة التي سيُوفِق فيها القائد الموعود بين ثوابت الدين ومنها الإصرار على أن يكون الناس أحراراً وبين إخضاع هؤلاء الناس لسلطة دولته الحديثة الولادة !

المُلاحظة الثالثة على المُناقشة الثالثة

وكذلك نواجه سؤال مهم على هذه المُناقشة وهو إذا كان أصل الدعوة الذي سيتحرك على أساسه القائد الموعود ديني .فبأي دين سيكون ؟

بمعنى : أن هذه الحركة الدينية التي سوف يقودها القائد الموعود هل ستكون إسلامية أم مسيحية أم يهودية أم ..الى آخره... ؟

وإذا لم تكن من أي واحدة ممّن ذكرنا .فهل من الممكن أنه سوف يأتي بدين جديد ؟ . وإذا جاء بدين جديد هل سوف يتحرّك بنفس الطريقة التي تحرّك بها الأنبياء في الرسالات السابقة عليه أم لا !

وقضية أنه سوف يأتي بدين جديد تتعارض كُليّاً مع الموروث الديني الإسلامي واليهودي والمسيحي على وجه التحديد ، فهذه الديانات وهي الديانات الإبراهيمية الكُبرى ترفض هذا رفضاً قاطعاً وبالأخص في الإسلام الذي تُقرر أنظمته العقائدية أن لا نبي بعد نبي الإسلام على الإطلاق ثم أن تبشير هذه الديانات بالقائد الموعود كان على أساس أنه هو الممثل الشرعي عنها في آخر الزمان وبالتالي فالقول بأنه يأتي بدين جديد يُحمل على التأويل في هذه الديانات ولا يُسلّم به على ظاهره ، وكذلك إذا درسنا المجتمع الإنساني المُعاصر وعلى ضوء هذه الدراسة أخذنا فكرة عمّا سيؤول له مصير هذا المجتمع فسيبدو واضحاً أن القواعد الجماهيرية غير قابلة للتأقلم مع دين جديد ومن الأساس لا توجد حاجة لدين جديد لأن بعض الأديان وخصوصاً الإسلام قطع مراحل طويلة في بلورة نُظُم حضارية ممّا جعله صالحاً لكل زمان ومكان وهو يمتلك من الليونة والرشاقة الى درجة أنه يُعضد باقي المفاهيم في الديانات الأخرى ويتعرّض له بالتأييد والتنقيح والتصحيح وله قابلية على التأقلم مع المفاهيم العلمية الحديثة والفلسفية والفكرية ، لا بل لا يجد مشكلة في مُخاطبة الكفّار والملاحدة ويعتبرهم جزء لا يتجزأ من النظام العام ويُناقش أفكارهم فيرفض بعضها ويؤيد البعض الآخر ولا دليل أقرب على هذا أكثر من هذا الكتاب الماثل بين يديك وكاتبه صاحب التوجه الإسلامي البحت !!!

إذن لا حاجة لدين جديد . هذا من جهة ومن جهة أخرى دراسة المجتمع وفقاً لقواعد علم الإجتماع المعاصر تؤكد أن هذه الفكرة لم تعد فكرة مقبولة ، فيبقى لدينا الإشكال الذي تعرضنا له فيما سبق وهو دائماً نفسه يظهر وفي كل جُزئية ،وهو كيف سيتم للقائد الموعود أن يوفق بين حرية الأفراد وبين اعتناق الدولة لنظام ديني مُعيّن !

رفع اشتباه

هنا سنحاول أن نضع القارئ أمام حقيقة يُقررها النظام الإسلامي بالتحديد لأنه هو المعني بها أكثر من غيره ولأن الأقلام وللأسف البالغ حتى إن توجهت لغيره فهي لا تكون بذات الطريقة العُنفية حين تتوجه له ، فمحل النزاع هو دائماً الطريقة التي يتبعها الإسلام في نظامه السياسي . فبعض الكُتّاب يتحذلق بالمنطق الذي لا يعرف عنه شيء ! ويقول كيف تنسجم الدعوى لحرية الإنسان وأنه (لا اكراه في الدين) مع فرض الجزية على غير المسلمين مثلاً !

وفات أمثال هذا الكاتب وغيره أن الإسلام يفرّق بين الدولة والعقيدة ففي العقيدة الناس أحرار إذ لا اكراه في الدين أبدا ولكن في الدولة يجب أن ينصاع الكل مسلمين وغير مسلمين للنظام الحاكم وما يفرضه الإسلام على غير المسلمين من جزية تذهب لخزينة الدولة هو نفسه ما يفرضه على المسلمين من زكاة وخمس وصدقات الى آخره . وما يتغيّر هو اسم تلك الأموال المدفوعة للدولة من جهة ومن جهة ثانية فهي ضامنة للتكافُل الإجتماعي . فليس للإسلام عين حولاء ينظر من خلالها للمسلمين بأكثر ممّا ينظر لغيرهم . بل الكل سواسية وليس لأحد فضل على أحد في مفهوم المواطنة الإسلامي ، وبطبيعة الحال هذا النظام موجود ومعمول به في اكثر الأنظمة الديمقراطية المعاصرة وهو ضروري لتبقى الدولة محافظة على مواردها فهناك الضرائب وهناك الفوائد وغيرها وكلها موجودة في الأنظمة المعاصرة فلماذا توجه أصابع النقد للإسلام فحسب !

ثم أن في كل الأنظمة يوجد نظام عقوبات وهذا أمر متسالم على منطقيته ووظيفة نظام العقوبات هذا هو ردع المسيء عن الإساءة لأن هناك دائماً من سيخرج عن السرب ويرتكب الجريمة فالمنطق يحكم بحماية الدولة للمجتمع من خلال تطبيق العقوبات بحق الأفراد الخارجين عن سلطة القانون ولكن للأسف حين تُطبِّق الدولة الإسلامية هذا المفهوم الإنساني الواضح يتهمها البعض بالتناقض بين النظرية والتطبيق . وما يُهمنا هنا هو هل القائد الموعود سيستخدم نظام عقوبات أم لا . والجواب أنه سيفعل دون شك لأنه من غير الممكن أن لا يفعل ، وهو كما أسلفنا في المُناقشة الثالثة إذا تحرّك بدعوى دينية فمن المؤكد أن عقيدة الناس سوف تكون لهم ولكن نظام الدولة سيشمل الجميع ، لأن هناك فرقاً بالأصل بين العقيدة وبين طبيعة الحكم . وقد ورد في الموروث الديني الإسلامي أن المهدي (ع) سوف تُجبى له جزية أهل الذمة . بعبارة أخرى أن كل صاحب دين سوف يبقى على دينه وبكامل حريته والكل متساوون أمام القانون مسلمين وغير مسلمين حتى أن القيامة تقوم كما ورد في بعض المرويات وهناك نصارى ويهود لكن مع فارق وحيد وهو أنهم سيكونون على اليهودية والمسيحية الحقّه بعد أن يستخرج لهم القائد الموعود كتبهم السماوية من غارٍ في (انطاكية) ! ، كما ورد والله أعلم...

وإذن فلا معنى من هذا الخلط بين الدين ونظام الدولة الدينية وهذا ليس خاصاً بالإسلام فحسب بل هو عام ، فلا يجوز الخلط مثلاً بين الإسلام وتصرّفات المسلمين ولا بين المسيحية وتصرّفات المسيحيين ولا بين اليهودية وتصرّفات اليهود وهكذا ، وبالتالي يجب أن يتم الفصل بين المفاهيم لكي تتضح الرؤية وهكذا يمكن تجاوز الكثير الكثير من الإشكالات التي يتفوه بها البعض دون نظرٍ منهم للعمق الكافي الذي لا يمكن فهم الأمور إلا من خلاله وبه !

المُناقشة الرابعة

في هذه المُناقشة ندّعي أن القائد الموعود يظهر كمصلح إجتماعي ومُفكر عصري وفي ذات الوقت يكون هذا المصلح رجل دين نخبوي ومن علْيَة القوم ولا شك ولا شبهة أنه مؤيدٌ بالقوة الربانية !

والأمر ولابد وأن يكون كذلك ! ، على الأقل من ناحية الواقع الموضوعي ، فلا يمكن إلا أن يكون القائد الموعود شخصية بارزة جداً وهذا البروز لا يتأتى إلا من خلال الطريق المعرفي لأن هناك أنواع أُخرى من البروز والظهور تُعنى بالوجاهات الإجتماعية أو العلمية أو الإقتصادية أو السياسية كلٌّ على حِدا ، وما نتكلم عنه نحن يتجاوز كل هذه الفردانية ليتحد في ذات الشخص فيكون هذا الشخص هو الأعلى من حيث كل تلك الوجاهات وبالتالي ينتفي دور مُنازع شخصي له وإن كان هناك مُعارض لحكومته أو بعبارة أوضح . مُعارض لسياسة حكومته لا لشخصه هو فشخصه سيكون محل إجماع من الكل ولكن طبيعة وماهية الشكل الحكومي هو من سيقع فيه الإختلاف !

وفي البدء والله العالم بطبيعة الحال ، ستبدأ حركته كتعبير عن تيار فكري مُحدد ثم تتوسع لتناقش كُليات المفاهيم والقضايا الأعمق وسيأخذ الأمر ردحاً من الزمن وهو يُعالج قضايا ذات طابع علمي أو ديني أو فلسفي ولن يكون هناك ذكر للسياسة إلا بنحو العارض وبما تقتضيه ضرورة البحث العلمي الأكاديمي ، ثم يحدث أن تبدأ أُولى العلامات الكونية وتتدرج في قوتها بوتيرة تصاعُدية ويبدأ الجدل بالإتساع رويداً رويداً إلى أن يتحوّل الى مشكلة حقيقية تواجه المجتمع الإنساني وأثناء ذلك سيبقى القائد الموعود بعيداً عن هذا الجدل ليتأكد الكل أن لا أحد يمتلك حلول فعلية لهذه المشكلة العويصة التي تواجه البشرية حينئذ ، ولما تعجز الحكومات والمجتمع الدولي عن إيجاد الحلول المناسبة سوف يبدأ القائد الموعود بِمُعاودة الظهور الإعلامي من جديد ليُعطي الحلول لتلك المشاكل ، وهنا ستكون الحكومات مضطرة للأخذ بآراءه من التلفاز دون تنسيق مباشر لأنه هو سيرفض التعامل مع تلك الحكومات لأنها بالأساس ليست أهلاً للتعامل المُباشر وهذا التعامل المُباشر له تبعات قد تؤثر فيما بعد على حركة القائد الموعود وتمثل خنجر في خاصرة حكومته المُستقبلية التي وكما يبدو أنها تبدأ بالتبلور في هذه المرحلة بالذات مع ظهور مؤيدين ومناصرين لفكر القائد الموعود ، كل هذا يحدث ولا يعرف أحد أن هذا الشخص هو المُخلّص إلا المُخلّص نفسه وبعض الأفراد والذين غالباً سيكونون من الوسط الديني المُنفتح لما لهذه الطبقة من إمكانات فكرية وثقافية وعلمية ، وهكذا تنتهي بعض المُشكلات التي كانت تواجه المجتمع الإنساني بفضل توجيهات القائد الموعود ثم يبدأ القائد شخصياً حملة إعلامية لكن هذه المرة من طراز مختلف ، أي أنه سيعتمد لغة علم السياسة في هذه الحملة ويشن غارات كلامية شرسة ضد الحكومات التي فشلت في إدارة الأزمات وسيؤلب الجماهير ويحُضها على انتزاع السلطة من تلك الحكومات وهنا سوف تنقسم الجماهير الى قسمين أساسيين :

الأوّل - هم الذين سيقولون ..(شكرا للمُفكر والمُصلّح [فلان الفلاني] على ما قدّمه لنا من معونة ونُصح في الأزمة الأخيرة . وأما بشأن دعواه لانتزاع السلطة من يد الحكومة {الكذائية) فهذا ما لا نوافقه عليه لسببين ، وهما - أنه لا بديل عن هذه الحكومة ! وثانياً ليس معنى أن حكومة ما أخفقت في مرحلة مُعينة أن ينفي الشعب

سلطتها بالكامل فهذا أمر حدث عبر تاريخ البشرية وهو طبيعي جدا ولكن نحن نؤيد فكرة إحداث إصلاحات جذرية في النظام الحكومي الحالي.....)

أما القسم الثاني فسوف يقول - (إننا بعد ثبوت فشل هذه الحكومة في إدارة أزمة كان من الممكن أن تؤدي لفناء الشعب [الـ.....] وعجزها الكامل عن إيجاد حلول ولو آنية أو ترقيعية تتفادى من خلالها الكارثة التي كان من الممكن أن تحدث ، لا نرى ضرورة عقلية لبقاء مثل هذه الحكومة ورجالاتها الذين لا هم لهم إلا ترسيخ سلطانهم بمعزل عن الأمن المُجتمعي للشعب وعليه لن نقبل ببقاء هذه الحكومة)

ومما يبدو أن هذا ليس كافياً في حل الجدل الذي سوف يكون حينذاك . وعليه تأتي الموجة الثانية من العلامات الكونية وهذه المرة تكون أقوى من سابقتها ومن جديد يثبت فشل تلك الحكومات في إدارة الأزمة وسيشهد العالم ركود اقتصادي مؤقت ومن جديد يختفي القائد الموعود عن الإعلام والبروز حتى إذا اشتد الخطر وتفاقمت الأزمة بحثت استخبارات وأجهزة مخابرات تلك الدول عن القائد الموعود وإذا به اختفى تماماً دون أن يترك أثر يُذكر لأنه يعلم أن تلك الحكومات لن تُخاطر مرة ثانية بتركه يجد الحلول للأزمة التي تمر بها بلادهم وعلى الهواء مباشرةً لأن هذا كفيل في إسقاط تلك الحكومات دون شك أو ريب.

فتضع خطه لاعتقاله وإجباره على إيجاد الحل لتتبنى فيما بعد فرضية أن مستشاريها هم الذين أوجدوا مثل هذه الحلول وبعدها تتم تصفية القائد الموعود وهذا بدوره سوف يُساهم في إسكات النوع الثاني من الجماهير الذين ذكرنا رأيهم قبل قليل ، ولكن القائد الموعود بما لديه من معرفة باطنية كان يعرف كل هذا فاختفى وتوارى عن الأنظار حتى تشتد الأزمة أكثر فأكثر ومعها يشتد الضغط الشعبي على الحكومات أكثر فأكثر الى أن يصل خطر العلامات الكونية الى مكان لا يكون فيه من الممكن أن يؤجَّل إيجاد حل لها ، فيُعاود القائد الموعود الظهور من جديد في الوقت الذي تكون تلك الحكومات قد تفككت من الداخل واستقال الكثير من أركانها هرباً من المسؤولية وهي في أضعف حالاتها ، فيبدأ القائد الموعود بوضع الخطط العلمية والإدارية لتفادي هذه الأزمة وعلى الهواء مباشرةً أيضاً أو بأي وسيلة أخرى ستكون متوفرة في ذلك العصر ،ولكنه يبقى في مكان مجهول تماماً مع ظهوره الإعلامي ،وبعد دفع خطر الكارثة يُعاود الهجوم على ما تبقى من تلك الحكومات المُنهكة والمُفككة من الداخل وهنا سوف تنقسم الجماهير الى قسمين أيضاً:

الأوّل - وهم الغالبية العُظمى سيؤيدون دعوى القائد الموعود في اسقاط تلك الحكومات . لكنهم سوف يُطالبونه بإيجاد خطة لبديل يحل محل الحكومة المُرتقب إسقاطها !

والثاني - وهم الذين لم يفهموا شيء من كل تلك الجلبة فهؤلاء لا يهمهم أكان زيد من يحكم أو عمر وقسم منهم سيعارض الفكرة بالتأكيد كما كان يعارض تلك الحكومات من قبل فهو خُلق كي يعارض دون فهم منه للأسباب الحقيقية التي تدفعه لمعارضة الفكرة (أ) أو الفكرة (ب)...

في الأثناء تبدأ مرحلة السُفراء الذين يلعبون دور الوسيط بين القائد الموعود وبين نخبة الجماهير الثائرة . لأن الوضع سيكون حسّاساً لدرجة أنه من غير الممكن أن يغض القائد الموعود الطرف عن الكيفية والطريقة التي

يجب أن تتحرّك بها الجماهير .لأن تلك الحكومات ستكون يائسة تماماً واليائس لا يمكن إلا أن تتوقع الأسوأ منه دائماً فيجب أن تتحرّك الجماهير بشكل مدروس تجنُباً لصدام دموي بينها وبين عناصر الأمن في تلك الحكومات والذين سيكون أكثرهم في هذه الحالة قد انضموا للجماهير وظلّ قسم منهم مُتشبث بالواقع الفاسد لأنه لا يرى نفسه في مكان آخر ، والسُفراء الذين سوف يندبهم القائد الموعود لإتمام المهمة هم خواص القائد وأصفياءه وهم على مستوىً عالٍ من الإنضباط والمعرفة والورع حتى ، وهؤلاء هم الذين سوف تظهر على أيديهم بعض الكرامات والأفعال التي ستبدو للوهلة الأولى خارقة للطبيعة لكي يتأكد الجمهور من صحة دعواهم بالسفارة عن القائد الموعود من جهة ومن جهة أخرى هذا يُدعِّم رأي القائد الموعود ويحُض المؤمنين من الجماهير خاصة على زيادة اندفاعهم وهنا بالتحديد تبدأ مرحلة الإعلان الرسمي عن هوية القائد الموعود وأنه هو المُخلّص الذي وُعِدت البشرية به من السماء وتنبأ به الفلاسفة والمفكرين والعلماء على مرّ التأريخ ، وهكذا سيختلف الجمهور في حقيقة أنه هو المُخلّص مع اتفاق هذا الجمهور على أحقية فكرته باسقاط هذه الحكومات وما سيكون مُهماً حينذاك هو إسقاط تلك الحكومات وبطبيعة الحال سيدور بين الفترة والأُخرى نقاش في هذا الصدد بين مؤيد ومُعارض !

سيعمل منذُبو القائد الموعود على جمع نخبة تلك الجماهير من اساتذة ومفكرين وعلماء ووجهاء اجتماعيين ويتم تقسيم الجماهير الى فرق تنطوي الأصغر منها تحت الأكبر وهكذا يتسلسل هرم السلطة والقيادة وتبدأ عملية تشكيل الدولة العالمية فعلياً دون أن يكون أحد قد التفت الى هذه الفكرة لأنها سوف تبقى في دماغ القائد الموعود لوحده ولن يُخرجها أو يتكلم بها لتلك اللحظة لأنها ستكون حقيقةً مثبطة لعزيمة الجماهير ولأنها من جهة ثانية تبدو بعيدة المنال وسوف تجلب مشاكل مبكرة للثورة ويجب أن لا توجد مثل هذه المشاكل في الوضع الراهن وعليه لن يُخبر أو يتكلم بها القائد الموعود مُنتظراً المرحلة التالية من انطلاق الثورة وهي مرحلة فرار رجالات الحكومات وترك مناصبهم فارغة وسقوط مقرّات الحكومة بيد الثوّار الذين سُرعان ما سيأخذوا ترتيبهم في سدة السلطة كُلٌ حسب مكانه ومنصبه الذي كان يشغله إدباء مرحلة قيادة الجماهير وكُلٌ حسب اختصاصه ،وتأتي مرحلة الهدوء التي من الممكن أنها سوف تستمر لأكثر من شهرين أو ثلاث أشهر يكون الوضع خلالها قد عاد لطبيعته من حيث المبدأ ومن حيث الأحوال ذات الطابع الداخلي للدولة ، لكن هذه المرحلة لن تطول فسوف تظهر لدينا مشاكل خارجية بين الدول وإن كانت طفيفة وبهذا يكون سُفراء القائد الموعود قد أنهوا دورهم ومهمتهم المُناط بهم إنجازُها وعادوا ليلتحقوا بالقائد الموعود الذي سوف يظهر للعلن دون خشية من أحد ويكون له عنوان معروف ولدى الجميع ، وهكذا يبدأ القائد رحلته المكوكية لكل تلك الدول مبشّراً بدولته العالمية ، ومُفاجِئاً القادة الجُدد في حال رفضهم للفكرة وقولهم أنها صعبة المنال بأنهم فعلياً كانوا جزء من تلك الحكومة العالمية التي كانت تُقاد بإرشادته وتوجيهاته هو والواضح أن بعضهم سوف يتخذ موقفاً سلبياً في البدء باعتبار أن الدول تتفاوت في إمكاناتِها الإقتصادية والجغرافية وسيرفض الفكرة من منطلق أن فيها غُبن لبلده ودولته ولكن سُرعان ما يعمد القائد الموعود الى رفع هذا الإشتباه عن أمثال هؤلاء الأشخاص من خلال النظرية الجامعة الشاملة للاقتصاد والسياسة وكل شيء وهي النظرية العالمية الأولى من نوعها والتي سيجتمع فيها كل شيء دون استثناء !

وتتم البيعة للقائد الموعود ليكون رئيساً مؤقتاً للحكومة العالمية الإنتقالية المؤقتة أيضاً ريثما يتسنى ظهور منافسين مُحتملين للقائد الموعود لكي تُعقد إنتخابات عالمية ، وبطبيعة الحال فلا مُنافسين سيظهرون ولا انتخابات ستكون لكن هذا شيء شكلي وروتيني من أجل إتمام الحجة لا أكثر وكي لا تُصادر حُرية الناس في اختيار طبيعة النظام الذي سوف يحكمُهم ، وسيؤكد القائد الموعود على ضرورة التفريق بين الدين والحكومة المُنبثقة عن الدين لأن الدين يومئذ سيظهر (على الدين كله) وسيجمع أتباع الديانات كلها على كلمة واحدة بعد

أن يُثبت لهم وبالبراهين القاطعة أن كل ذلك التعدد في الديانات ليس له حقيقة فعلية وأن الدين واحد ولكن فهمه مُتعدد أو هكذا كان ! فيبقى لدينا من لم يكونوا مُتدينين فهو أيضاً سيعمد للبراهين العقلية والعلمية وربما الإعجازية في بعض الموارد المحدودة في إثبات أحقية رأيه وهكذا تكون لدينا نظرية في الحكم قائمة على اساس الدين لكنها في نفس الوقت تُلبي طموحات واحتياجات غير المُتدينين فلا يرون ضير من قبولها والتسليم لها مادامت لا تُجبرهم على الإعتقاد بدين الدولة الرسمي الذي سيتم الفصل بين عقيدته وبين حكومته فالدين لله والحكومة للجميع !!!

وفي هذه المرحلة الإنتقالية سوف يشهد العالم تطوّراً ملحوظاً في أنظمته الضريبية والإقتصادية والعسكرية ، لأن القائد الموعود في مرحلة من المراحل كان قائداً سياسياً أو عسكرياً أثبت نجاحه على الصعيد المحلّي ثم اعتزل هذا العالم وتفرّغ للبحث العلمي فالمُجتمع الإنساني يعرف أن له خبرة في هذا الميدان وهو من خلال علاقاته حين كان في ذلك المنصب تعرّف على كبار الضباط الأكفّاء وبعض السياسيين الشُرفاء وسيستخدمهم فيما بعد لترسيخ سلطان حكومته التي كما أسلفنا ستُحرز تقدُّما ملحوظاً في فترة قياسية مع الأخذ بنظر الإعتبار أنها تُعنى بقيادة العالم كله ، ويأتي اليوم الذي يجب أن يحدث فيه اجتماع لقادة العالم الجُدد من أجل الترتيب للإنتخابات العالمية الأولى فإذا بهم يستوعبون تمام الإستيعاب أن فكرة وجود شخص مُنافس للقائد الموعود فكرة غبية جداً وساذجة جداً وعليه لن تكون هناك انتخابات ويخصصون يوم لتقليد القائد الموعود السلطة المُطلقة على العالم وهذا هو اليوم الذي بُشِّرت به الإنسانية !

وللمرة الأولى يكون القائد الموعود مُطلق اليدين فيعزل من يشاء ويُنصّب من يشاء وهذا بطبيعة الحال تبعاً للنظام الإداري والسياسي الذي عرضه على مجلس الأعيان أن صح التعبير ، وهو ما سيُتيح له تطوير الحياة الإنسانية فيبدأ بإرساء مفاهيم العدالة الإجتماعية وأوّلُها إلقاء القبض على الفارين من وجه العدالة والذين سيكونون أعدّوا العُدة لزعزعة نظام الدولة العالمية وهم يظنون أنهم بعيدون عن أنظار الدولة وغاية ما في الأمر أن الدولة كانت تتجاهل وجودهم لانشغالها بما هو أهم من حيث الأولوية ، وتتم مُحاكمتهم وفقاً لمُقررات الشريعة والتي ستكون حينئذ مُنسجمة مع الذوق العام بعد أن وصلت البشرية لمرتبة من الوعي قبل الثورة حتى جعلتها تتقبل الأفكار التي جاء بها الدين لأنها جرّبت باقي النظريات وثبت لها فشل تلك النظريات ، صغار المُذنبين فسوف يتم إعفاؤهم من العقوبة لينصهروا من جديد في المجتمع وهكذا تنطلق المرحلة الثالثة من مراحل نشوء الدولة العالمية وهي مرحلة تطوير الإمكانات الاقتصادية وإيجاد نظام اقتصادي عالمي لا يُغبن به أحد فالدول التي لديها ثروات طبيعية سوف تستفيد من الدول ذات المواقع الجغرافية الاستراتيجية والدول التي لديها كثافة سُكانية ستستفاد من مساحات باقي الدول التي ليس فيها كثافة سُكانية والدول الحاضنة لأتباع هذه الدول ستستفاد من الأيدي العاملة ودخول أنظمة اقتصادية جديدة تُحرّك السوق العالمي المُوحد ، وسوف نُفصّل بإذن الله في هذه المواضيع لاحقاً !

ولكن يبقى أن ندرُس ظاهرة العلامات الكونية ونشرح الغاية والضرورة من وجود العلامات المُنبئة باقتراب موعد الظهور وهل أن تلك العلامات ضرورة دينية أم أنها ضرورة يُحتم علينا العقل مناقشتها وأخذها بنظر الإعتبار بل التسليم بوجوب وقوعها !

العلامات

يبدو من اجتماع القرائن الدالّة على حتمية الإرتقاء أن هناك هدفاً يتحرّك الوجود بأسره نحوه . وتبعاً لهذا لابد أن تكون هناك دالّة على الوصول للغاية المنشودة ! والغريب أن بعض الكُتّاب الإسلاميين والمسيحيين وحتى اليهود إدّعوا أن الهدف هو القيامة وفقاً للإصطلاح الديني في الشرائع الإبراهيمية الثلاث ، وهذا يتنافى مع مبدأ السببية من جهة ومن جهة أُخرى يفتتح جدلاً عبثياً لا طائل منه ، بمعنى إذا كان الهدف من إيجاد الوجود بكُل تمظهُراته وموجوداته وكائِناته هو الوصول به للقيامة والتي يُفترض بها وفقاً لاعتقاد هؤلاء الكُتّاب والمفكرين أن تكون حاكمة بالفناء على كل الموجودات الإمكانية فهذا في أقل التقادير يُعتبر مضيعة للوقت وعبث نُنَزِّه الحق تقدست أسماؤه عن مثله ! على إننا لا نعتقد أن القيامة هي هذا الذي تكلّموا عنه واعتقادُنا فيها مُختلف تمام الإختلاف وليس هذا المورد محل نقاش لهذا الأمر ! ، ولكن من المحال أن تكون القيامة هي الهدف الذي يتحرّك نحوه الوجود إلا إذا غيّرنا فهمنا للقيامة وفي الواقع هؤلاء المُفكرين مع جُلّ احترامنا لهم لا يقولون بأكثر ممّا مؤداه أن القيامة هي فناء الوجودات الإمكانية المادية أي فناء هذا العالم بكل ما فيه من مظاهر وجودية وابتداء العالم الآخر بعد انتقال الكائنات التي يقع عليها التكليف لذاك العالم !

والسؤال الذي يُثيره المنهج الفلسفي هنا سؤال كبير جداً ؟ فإذا كان الهدف من الخلق وإيجاد الموجودات هو الوصول الى القيامة والتي تُعادل الفناء "من وجهة نظرهم" فما من معنى لكل هذا التعدد المُخيف إذا كانت المسألة هي مسألة وقت لا أكثر !!!

بعبارة أوضح : أن الغاية القصوى للوجود هي بلوغه الفناء وهذا يعني من إحدى جهاته أننا نعيش لكي نموت باعتبار أن السُنن الكونية والوجودية واحدة في كل الموجودات ولا تختلف من وجود لوجود آخر ! فأنا مثلاً وذرة الرمل نبدأ بمرحلة التكوّن ثم البلوغ ثم الفناء وما هناك من فرق يُذكر بيني وبين ذرة الرمل تلك من جهة أننا نحن الإثنان من موجودات العالم المادي الإمكاني ! وإنما الإختلاف يقع من جهة أن وضعي أنا قبل هذا العالم وبعده يختلف عن وضع ذرة الرمل وأما داخل هذا العالم فذات القوانين والسُنن تجري عليَّ وعلى ذرة الرمل وبالتالي فلا معنى للتفاضُل بيننا من حيث الوجود بما هو وجود إذا كنّا محكومَين بهذا المقدار الزمني الذي يبدأ من التكوّن وينتهي بالفناء !!!

وبطبيعة الحال ليسَ ثمة خطأ في المُعادلة ولكن الخطأ في فهم هذه المُعادلة ! فمن الواضحات التي لا تقبل الشك أن كما لهذا العالم بِدء ولا أُريد استخدام مصطلح فلسفي مثل "إفاضة" ! فكما أن له بِدء فمؤكد أن له انتهاء ، ولكن الفرق بين الإنتهاء والنهاية شاسع كما أن الفرق بين القيامة بمفهومها الشائع بين الناس وهو الفناء المادي والقيامة بمعنى بدء مرحلة جديدة بعد انتهاء مرحلة سابقة شاسع أيضاً ! فالأصل صحيح ولكن فهم البعض لهذا الأصل فهم مغلوط وعلى العموم هذا بحث مستقل لا نُريد الخوض فيه كي لا نخرج عن البحث الأصلي ولكن تحتم علينا الإشارة له !!!

إذن فلا يُمكن وفق البُرهان العقلي الفلسفي أن تكون القيامة هي هدف هذا الوجود ! وبما أن كل حركة من الحركات في هذا العالم تتجه للقيامة بثبات ، أي أن كل لحظة تمرُّ على هذا العالم وعلى موجوداته هي لحظة تبتعد عن المصدر الذي جاء منه كل شيء وبدأ منه كل شيء وتتجه الى القيامة أو الفناء عبِّر عنه كما تشاء ،فهذا يجعلُنا أمام خيارين لا ثالث لهما !

الخيار الأوّل : أن نقول بأن كُل شيء تكوّن بالمُصادفة وبالتالي ليس هناك من هدف للوجود أصلاً ! ، وهذا بطبيعة الحال يتنافى مع المُسلّمات العلمية والفلسفية لأننا نشهد حركة تصاعُدية في الكون وتكلّمنا عنها حين ناقشنا مفهوم الإرتقاء ! ، ثم أن الأخذ بهذا الخيار يجعلنا في قِبال مسؤولية إيجاد تفسير منطقي لكل ما هو مُجرّد في هذا العالم على تفصيل طويل ناقشناه في أحد كتبنا السابقة فمن شاء الإستزادة فهناك عشرات بل مئات الكتب في هذا الباب !

الخيار الثاني : هو أن نقول بأن هُناك هدف وغاية يسير لها الوجود وفق قوانين سابقة على الوجود نفسه بغض النظر عن حقيقة تلك القوانين والعلل والأسباب أكانت الطبيعة أو الصدفة أو القوة الإلهية ! ففي كل الأحوال ما يهم هو أن هناك قوة دفعت بالوجود للأمام وأن الوجود له غاية وهدف يسير باتجاهه . وهذا يُفسّر لنا حركة الإرتقاء الدائمة في الكون من الأسوأ الى الأفضل وإن كان لا يفسّر لنا بعض الظواهر الموجودة في هذا النظام الكوني ، فالمُهم أن الوجود يتحرّك لغاية وحدّ مُعين !!!

وهنا يجب أن نتسائل من جديد عن طبيعة هذه الغاية وهذا الهدف ، فلو كان الفناء بأي فهم لهذا اللفظ ! ، بمعنى إذا نظرنا للمسألة من جهة علمية بحتة وقلنا أن هذه الكائنات ترتقي لكي تفنى فهذا خلاف الواقع العلمي على الأقل في المدى المنظور ! لأننا نعرف أن أي موجود من الموجودات يمر بمرحلة التكوّن ثم مرحلة الإزدهار والبلوغ ثم مرحلة الإنحدار والذي يجلب بدوره المرحلة الأخيرة وهي مرحلة الفناء ! فلا تموت الشجرة في الوضع الطبيعي هكذا دون مُقدمات تُشير لمرضها وكذلك الإنسان والحيوان والكواكب والمجرّات حتى ! ، فكلُّها في الوضع الطبيعي تمر بمرحلة الإنحدار قبل الفناء وهذا لا نُلاحِظُه في الكون وفق نظرتنا المُعاصرة بل نرى أن الكون يرتقي وهو محكوم بمبدأ الإرتقاء للأفضل ! فلو قال قائل أن عُمر العالم مازال مُبكِّراً لمُلاحظة هذا النوع من الإنحدار وإننا ربما بعد مليوني أو ثلاث ملايين سنة سنشهد مثل هذا الإنحدار بعد أن تبتعد الكواكب التي تحتضن الحياة عن نجومِها بفعل التمدُّد الكوني فتتجمد وتبدأ مرحلة الإنحدار قبل تجمُّدها إذ يكون من العسير على النباتات أن تقوم بعملية التركيب الضوئي وتبعاً لهذا ينهار السُلّم الغذائي للكائنات الحية من الأسفل لتتبعه باقي الأجزاء . وتبدأ العناصر الكيميائية بعد تغيُّر ظروفها بالتفكُّك وهذا يُساعد في إطلاق السموم وإيجاد أنماط جديدة من التفاعُلات الكيميائية الضارة . وتقل قُدرة الجاذبية على ضبط الإيقاع الكوني فتتلاشى المجرّات وتتفكك وبعضُها يمزَّق من الداخل بفعل الارتطامات المُتتالية بين الكواكب ناهيك عن موت الكثير من النجوم والتي ستترك بعدها مجموعاتِها الشمسية كاليتامى دون مُعيل بعد انتحار مصدر رزقها بانفجار يسمى المُستعر الأعظم أو الـ (السوبر نوڤا) و و و و الى آخره.....

فلو قال قائلٌ هذا الكلام مُعتقداً أنه وجد ثغرة في ما نطرحه ! فشخصياً أنا أعذره ، والواقع أن هناك الكثير من العلماء المُعاصرين يستحقّون الإعذار ! . إذ إن هذا الكلام مردود عليه لأنه وقع في ذات المُشكلة التي وقع فيها غيرهُ مع فارق بسيط هو أن غيرهُ يُسمي هذا قيامة وهو يُسميه فناء ، وكلاهما لم يفرّقا بين النهاية الحتمية للعالم المادي وبين الغاية والهدف الذي على أساسه يتحرّك العالم من الأسوأ للأفضل !!!

فالارتقاء الكوني من الأسوأ للأفضل لا يُمكن ربطه بأي شكل من الأشكال بالقيامة أو بالفناء بل لا مُلازمة بين الأمرين من الأساس !

فأنت مثلاً أيّها القارئ الكريم . تبدأ تعيش حياتك بين بداية ونهاية ! البداية كانت عند ولادتك والنهاية ستكون عند موتك . لكن هذا لا يعني أن الموت هو الغاية التي تعيش من أجلها ! ، بل لك أهداف وغايات تريد تحقيقها بعيداً عن فكرة الموت ، والموت ليس إلا نهاية الخط الذي بدأ بالولادة ، فهناك خط يبدأ طرفه الأوّل عند الولادة وينتهي طرفه الثاني بالموت وبين الولادة والموت هناك غايات وأهداف للوجودات وعلى أساس تلك الغايات والأهداف تتحرّك الموجودات بمعزل تام عن البداية والنهاية ولسبب بسيط أن البداية والنهاية خارجان عن عالم هذه الموجودات ، فإيجاد الشيء وموت الشيء كلاهما ليسا من هذا العالم أبداً لأن نقطة البداية للوجود نتلاقاها نحن من طرف عالمِنا لكن ما قبلها من عالم آخر ونقطة النهاية نصل معها من الطرف الثاني من عالمِنا فتنتقل لعالم آخر ، وبالتالي فغاية الموجودات في عالمِنا نحن مُختلفة تمام الإختلاف عن لغة الإيجاد والفناء ، فهذه الزيتونة التي تحتاج العشرين سنة كي تُنتج ثمرها . هي تترقّى لأجل الغاية التي ترومُها بمعزل عن فكرة الفناء ، وهكذا الشمس التي تجري لمُستقرٍ لها ! ترتقي من أجل غاية لا تمت لفكرة الفناء والإيجاد بصلة لا من قريب ولا من بعيد ... وهكذا كُل موجودات هذا النظام الكوني الذي نعيش فيه نحن فكلّها محكومة بالإرتقاء بمعزل عن مفهومي الإيجاد والفناء !

وإذن - فما هي الغاية التي يتحرّك لها العالم ؟

الجواب : أنها المهدوية . أو الطور الشيوعي الأعلى . أو الأنسنة الكاملة . أو النضوج الإنساني . أو مرحلة كمال الإنسانية . أو وصول التطوّر لأعلى مراتبه . عبِّر عنها كما تشاء . فهذه هي الغاية التي يجري لها ويسير لها النظام الكوني وليس شيء آخر!

ومن الواضح أنه ولابد أن تكون هناك دالّة على الوصول لهذه الغاية أو الإقتراب منها أو الدخول في عصرِها ، أو بدء مرحلتها !

فعصرُنا الحالي وكدالّة عليه نقول "عصر الإتصالات" مثلاً في إشارة الى تطوّر نُظم المعلوماتية والإنترنت ، وهناك "عصر النهضة" وكذلك زمن "الحداثة" و "ما بعد الحداثة" و"عصر الجاهلية" و "العصور الوسطى " ! فأنت ترى دائماً أن هُناك دالّة يُعنْوَن بها أي عصر من العصور واحداث خاصة يتسم بها ذلك العصر ، وبما إننا نتكلم عن "عصر الظهور" فيجب أن لا يكون هذا استثناء ويجب أن تكون له أحداث خاصة يتميّز بها عن غيره.

ولهذا نجد أن الضرورة العقلية تؤكد على فكرة وجود (علامات) لكن على تفصيل سنتعرّض له . إذ هناك توجُهان أساسيان الأوّل هو المبني على منهجية الإستقراء والتحليل والحدس والإستنتاج ، والثاني مُبتني على ما جاء في الموروث الديني . وسنفصّل في كلٍّ منهما بإذن الله !

العلامات على ضوء القراءة العامة

ذهب كثير ممّن ناقشوا قضية علامات عصر الظهور للقول أن تلك العلامات ليست علامات يُمكن التحقُّق منها في الواقع الخارجي ، بمعنى أنها لا تعدو كونها كنايات عن قضايا أخرى يمتاز بها عصر الظهور ، والحقيقة أننا إذا ناقشنا هذه الفكرة من وجهة نظر الموروث الديني فلا مناص من التسليم بوقوع تلك الظواهر والعلامات في الواقع الخارجي ، أي أنها حقيقة ستقع حتماً ، ولكن البحث ينصب على فهمنا نحن لكلام الموروث الديني عن تلك العلامات ، بعبارة ثانية أن ما تكلم عنه الموروث الديني سيقع بالصورة التي تكلم عنها هذا الموروث بحيث يتطابق كلامه مع وقوع ذلك الحدث ولكن لهذا الحدث أكثر من طريقة ليكون عليها ، فهذا ما نعتقده ولم نجد بُدّاً من التسليم به ، هذا من جهة ومن جهة ثانية إذا تركنا الموروث الديني واتجهنا للقراءات الإجتهادية والتي بطبيعة الحال ليس فيها من الحُجية على أحد شيء يُذكر ! فيُمكن لنا أيضاً أن نجد تخريج مناسب لتلك العلامات دون أن نخرق القاعدة المُتعلقة بالثوابت التي يتكلم عنها الموروث الديني !

فقد تكون تلك العلامات على عدة أشكال :

الجسمانية : كأن يكون المجتمع في عصر الظهور قد ظهرت فيه طبائِع وأمزجة غريبة لم تكن قد ظهرت في أي حقبة من حقب التأريخ البشري ، كأن يستطيع بعض الأفراد تحريك المعادن دون ملامستها وإنما يُحركونها بعقولهم ،ومع أن هذا الأمر موجود حالياً ويبحثه العلماء في (الباراسايكلوجي) إلا أنه يبقى مُنحصِراً في أفراد قلائل جداً وما ندّعي أنه سيكون علامة من العلامات الدالّة على زمن الظهور هو انتشار هذه الظاهرة بين الأطفال حديثي الولادة بفعل انتقال مورثات جينية لهم أكثر تطوراً من تلك التي انتقلت لي ولك ! وكذلك الحال بالنسبة للتخاطر .وتطوّر الحدس ، واستخدام أجزاء جديدة من الدماغ الذي لا نستعمل من إمكاناته للآن إلا عشرة بالمائة ، فإذا استخدمنا أكثر من هذا يُمكننا تشغيل أجهزة السونار في أدمغتنا كتلك الموجودة عند الدلافين كما يُمكننا تفعيل نظام الجي بي أس كذلك النظام الذي نجحت السلاحف في تشغيله ، وكلما زادت أجزاء الدماغ العاملة كلما زادت قوة الحواس ، فقد نتمكن يوماً ما أن نصل بقوة بصرنا الى ما يُعادل قوة بصر الصقر ونُفعّل نظام الرؤية الليلة كما تفعل الاسود . وهكذا .فكل هذا يعتمد على الحدّ والنسبة التي نستطيع بها أن نستخدم أدمغتنا ، وهكذا فقد تكون واحدة من علامات الظهور هي هذه المسألة وهي من وجه آخر إذا حدثت ستُثير السؤال القديم الجديد وهو أن البشرية وصلت لهذه المرحلة ومازالت تعيش في تعاسة مُطبقة وإذن فليس الذكاء والوعي والمعرفة هم الأساس الذي عليه تستطيع أن تبني البشرية سعادتها فهناك عامل آخر وهنا يدفع هذا السؤال وبقوة سؤال آخر أهم وهو عن وقت ظهور القائد الموعود لكي يحقق السعادة للبشرية فتكون هذه الظاهرة بمثابة تنبيه على اقتراب عصر الظهور !

الإجتماعية : لاشك ولا شبهة في أن المجتمع يتطوّر جيلاً بعد جيل فتظهر الأنماط والسلوكيات في جيل معين دون أن تكون قد ظهرت في الجيل الذي سبقه . وهذا التطوّر لابد وأنه يوماً ما سيُنتج مُتبنيات مُختلفة تمام الإختلاف عمّا نعرفه الآن ، وتبعاً لهذا فمن الوارد جداً . وهنا أؤكد على مفردة (الوارد جداً)! أن يُنتج المجتمع سلوكيّات وأنماط مُباينة عمّا عرفته البشرية عبر حقبِها المُتطاولة . وهذا الأمر وفقاً لما نراه اليوم أصبح من المُسلّمات وعُلماء الإجتماع مُطالبين بالإلتفات لهذا الأمر ! . فبغض النظر عن تطوّر السلوكيّات الإجتماعية من حيث طبيعتها سلباً وإيجاباً فنحن لا نمتلك فكرة واضحة عن الهندسة الإجتماعية إلا بما لدينا نحن من أفكار وما

جاء و وصل لنا تاريخياً ، وبطبيعة الحال هذا الفهم العلمي لهذه المسألة والمخصوص بما نراه نحن مناسباً أو غير مناسب يبقى عاجزاً عن تصوّر الحالة التي نتكلم عنها ولذا فمن الممكن أن تكون العلامة الأبرز على عصر الظهور أو العلامة الوحيدة هي ظهور نمط جديد من السلوك داخل المجتمع لدرجة إننا إذا قايسناه مع ما نُعاصره اليوم أو ما عاصرته البشرية على مدى وجودها فوق سطح الكوكب لكان شيئاً لا يمت للمجتمع البشري بصلة من حيث ما نعرفه نحن لا من حيث الإنتماء للكل العام وهو المجتمع البشري !

السياسية : وقد تظهر العلامة على شكل نظام سياسي متطوّر جداً وينتُج عنه نظريات جديدة في علم السياسة وفلسفتِها مُدعّماً بأوضاع فكرية مُلاءمة ممّا يؤدي الى إيجاد مفهوم جديد للنظُم السياسية وعليه يكون رأس هذا النظام مفقوداً لكي تكتمل النظرية أو أن يكون هناك نظام بالفعل لكنه مُعطّل في بعض جوانبه بسبب رأس النظام الذي يُفترض به أن يكون مُختلفاً عمّن سبقه من الرؤساء وفي الواقع هذا في جزء كبير منه يشبه ما تذهب إليه الفكرة المهدوية التي نحن بصددها !

الإقتصادية : وكذلك يمكن أن تكون إحدى العلامات على عصر الظهور هي القوة الإقتصادية . لأن المال كما في بعض الأدبيات الفلسفية عامل مهم في تطوّر المجتمع بل حتى في الموروث الديني توجد مثل هذه الإشارات الى درجة أنها تربط الإيمان بالله وعبادته بالجانب الإقتصادي من بعض الوجوه ولذلك ورد (لولا الخُبز لما عُبِد الله) وليس ببعيد كلام الإمام علي بن ابي طالب (ع) إذ يقول (لو كان الفقر رجُلاً لقتلته) أي أن الإقتصاد عامل أساس حتى من وجهة نظر دينية بحتة .فما بالُك بالنظريات الدُنيوية الضيقة ! فالعامل الإقتصادي يرتبط إرتباطاً مُباشِراً بالنسبة للجريمة وللسياسة وللتديُّن وللأنظمة الصحية والتعليم وبالتالي الهندسة الإجتماعية كَكُل ، فليس من البعيد أبداً أن يكون تطوّر نظام إقتصادي مُعين هو علامة على عصر الظهور وليس المقصود هنا أن يكون هذا التطوّر إيجابياً في كل مفاصله أو في كامل ما يأتي به فربما يكون منفعة للبعض على حساب البعض الآخر وربما يكون كله ضاراً وعلى الجميع وربما يكون مُفيداً للجميع وهذا الأخير هو المُنسجم أكثر كما نراه والله أعلم...

وعلى العموم الإحتمالات لا حصر لها ونعتمد على مُخيلة القارئ في تعداد تلك الإحتمالات والنظر في إمكانية حدوثها وحتى نتجنب نحن بدورنا الإطالة ههنا ، فالمهم أن مثل هذه الظواهر ربما تكون علامة من علامات عصر الظهور ولا يوجد محظور من اعتبارها كذلك لا شرعي ولا عقلي ولا فلسفي ولا علمي وبالتالي لا يمكن استبعادُها من المُعادلة على إننا نُسلِّم تسليماً تاماً بالعلامات التي جاء بها وتكلم عنها الموروث الديني وهي في أغلبها تُعنى بالظواهر الطبيعية مع أن جزء مهم منها تكلّم عن حروب وعن حركات فكرية ودينية وسياسية تظهر قبل عصر الظهور ولكن تبقى العلامات التي هي محل قبول من العقل أكثر هي تلك التي تعتني بالظواهر الطبيعية النادرة من حيث توقيت وقوعها وغرابة وقوعها ولأننا التزمنا أن نُقدّم قراءة تلبي رغبات جميع الأذواق فعلينا الآن تقديم فكرة الموروث الديني عن العلامات إدبان عصر الظهور !

العلامات على ضوء الموروث الديني

كما أسلفنا أن أهم ما يُشدد عليه الموروث الديني هو العلامات بمعناها الطبيعي .إذ إن هناك علامات أخرى لكنّها قابلة للتأويل.

فمثلاً - هناك الدجّال والسفياني واليماني والشيصباني وهناك الحديث عن الرايات السود وما تم التنبؤ به من زوال دولة بني أمية وكذلك اختلاف أهل المشرق والمغرب وثورة صاحب الزنج التي حصلت فعلاً **!** والفزعة والصيحة والنداء والمطر والنفس الزكية وخروج يأجوج ومأجوج والبقرة الحمراء كما عند اليهود و و و الى آخره.....

فكل هذه علامات جاءت في الموروث الديني للديانات الإبراهيمية الثلاث الكُبرى واغلبها يُحمَل على التأويل كما أن هناك جزء كبير منها لا يتجاوز كونه أكاذيب تم دسُّها ولا طائل منها .

ويجب النظر لهذه الرؤية ذات الطابع الديني والتي تتحدث في أمور الميتافيزيقا ، يجب النظر لها بتمَعُّن وتحقُّق بل يجب النظر لها بعين الريبة والشك **!**

وذلك ليس لأن الشك يقع على ذات الموروث بل هو يقع على التلاعب الذي وقع عليه وفيه وعلى الفهم العام له من حيث المبدأ ، وفي الأغلب يوجد ما أُدخِل على هذا الموروث بفعل التيار العصبي المشؤوم ، وهذا لا يدع مجالاً لقبول شيء ممّا ورد في هذا الموروث دون إمعان النظر فيه والتملّي فيما يعترض جملتهُ وتفصيلهُ .وهنا لا نريد أن نناقش هذا بل أردنا أن ننوه ونؤشر فحسب ، والمهم أننا يجب أن نُناقش الفحوى فممّا ورد على سبيل المثال في الموروث الديني كعلامة على اقتراب عصر الظهور هو ذلك الكلام عن الحروب الداخلية في البلاد الإسلامية خصوصاً فيما يتعلق بأحداث بلاد الشام وهي بواكير اشتعال تلك الفتنة فهناك ثلاث فرق ستخوض حرب طاحنة فتنتصر جهة وتخسر جهة ثم تزحف الفتنة الى الداخل العراقي الذي يُمثل نقطة الإرتكاز في كل هذه القضية فيتم ذبح الناس وقتلهم وتهجيرهم ثم تنبري عُصبة من المؤمنين لتتصدى لذلك الزحف الشرير . فهذا مثلاً يقول البعض أنه تحقق على أرض الواقع وهو ما حدث فعلاً في الحرب الأخيرة التي دارت رحاها في سوريا وامتد شرارُها ليدخل الأراضي العراقية والذي تمثّل بداعش وامثال داعش من عصابات الشر والخوارج والعابثين بِمُقدرات الدين والمُستخفين بدماء الناس ، لكن هذه القراءة على الرغم من أنها مُنسجمة تمام الإنسجام مع ما ورد في الموروث الديني لكنها تبقى مجرد فرضية فيمكن أن تحدث في المستقبل أحداث شبيهة بهذا الذي حدث ويمكن أيضاً أن يكون الذي حدث هو علامة من العلامات فهذا علمه عند الله ومن يدّعي خلاف ذلك فقد زاغ عن الجادة...

لأن لا دليل قاطع على أن هذا الذي حدث هو ما تم ذكره في الموروث الديني على أنه علامة من علامات عصر الظهور وفي المقابل لا يوجد دليل على أن هذا الذي حدث ليس هو ما تم ذكره في الموروث الديني فكلا الإحتمالين وراد ومقبول وهذا يسري على كل ما نقلناه لك **!**

وكذلك ما ورد عن فتنة صاحب الزنج والدّجال والنفس الزكية والتنبؤ بزوال دولة بني أُمية والبقرة الحمراء فكلّها أمور إن حصل ما يُحاكي منها الوارد في الموروث الديني ووقع فعلياً ، فلا يوجد دليل على أن المُطابقة في الواقع حصلت فعلاً كما لا يوجد دليل على النفي كذلك ، ثم لدينا مُشكلة فيما يتعلق باليهودية والمسيحية فاليهود ينتظرون (الماشيح) الخاص بهم والذي هو عند المسيحيين الدّجال والدّجال هذا يحتمل أكثر من رأي عند المسلمين فبعض المسلمين لديه أخبار عنه والبعض ليس لديه أخبار عنه فتبقى كل هذه المسائل والأطاريح موضع بحث وجدل وتقصّي للأحداث والوقائع وهذا ما يُبعد الناس عن الفكرة الأساسية وربما واللهُ عنده العلم أن قد دُسّ هذا وتم إدخاله للموروث الديني لهذا الغرض لا أكثر وهو إبعاد أنظار الناس عن الحقائق وعن العلامات الفعلية لعصر الظهور وأقول . ربما !

فبغض النظر عن كل شيء نرى أن الموروث الديني الأهم في كامل المعادلة هو الموروث الديني الإسلامي فهو من جهة ينطوي على ما في الديانات الأخرى ومن جهة اخرى يقدّم قراءة واضحة فيما يتعلق بعصر الظهور مع أنه يُشير لعلامات أخرى مثل الخسف في البيداء والصيحة الى غير ذلك ذكرناه لك وبعضه لم نذكره حفاضاً على الاختصار ، فهذا الموروث هو الأهم من جهة ضبطه لهذه القضية أيما ضبط ووفقاً لهذا الموروث توجد علامة واحدة فارقة وهي من الأهمية بحيث ينقلب بسببها كامل النظام الكوني ، بمعنى أنها ممّا لا يمكن أن يدفعه دافع .وهي ظاهرة الخسوف والكسوف وحصولهما بشكل يختلف عمّا عليه العادة . فقد أخرج الطوسي في (الغيبة) ص ٢٧٠ بسنده عن بدر الأزدي قال :

(قال أبو جعفر الإمام الباقر (ع) آيتان تكونان قبل القائم لم تكونا منذ هبط آدم (ع) إلى الأرض . تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره فقال رجل : يا بن رسول الله ، تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف ، فقال أبو جعفر إني لأعلم بما تقول ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام)

وأخرج السيوطي في العرف الوردي عن الدارقطني في سننه عن محمد بن علي الباقر (ع) قال :

(إنّ لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق الله السماوات والأرض : ينخسف القمر لأول ليلة من رمضان ، وتنكسف الشمس في النصف منه ولم يكونا منذ خلق الله السماوات والارض)... الحاوي للفتاوى / ج/ ٢ ، ص / ١٣٦.

فهذين الآيتين مما لا يمكن دفعه باحتمال آخر وهما ما يجب أن ينصبَّ البحث عليه وللسيد محمد محمد صادق الصدر (قد) كلام طويل في موسوعة الإمام المهدي عنهما ، وكذلك للأستاذ عالم سبيط النيلي رحمه الله تحليلات علمية على ضوء نظريته في اللغة عن القضية في كتابه الطور المهدوي . فمن شاء الإستزادة ليُراجع هناك...

فما يُهمنا هنا هو إيصال القارئ الكريم للخُلاصة كي لا يضيع في خضم البحث ! فهاتين الآيتين مما يجب أن يتتبعهما من يحمل الموروث الديني على محمل التسليم المُطلق . لأهميتهما البالغة، فمن الوارد جداً وصول مذنب كبير كما يقول صاحب الطور المهدوي ، يُغير طريقة دوران الأرض وبالتالي نشهد هذا الإختلاف في

أزمنة كل من الخسوف والكسوف وبالتالي تتغيّر الأنظمة البيئية على الكوكب بل في كامل المجموعة الشمسية وإذا عرفنا أن الكون وحدة متكاملة فهما سيُغيّران كامل النظام الكوني وهكذا . وكذلك يقترح السيد محمد الصدر قدس الله نفسه الزكية أن مثل هذه الرؤية حدثت في سبعينات القرن الماضي حين وصل رواد الفضاء الى القمر أو من الممكن أن تحصل بعد أن يكون بني البشر على كوكب آخر وهذا من ضمن ما قدمه من براهين علمية واستقراء توصل إليه بالبحث والنظر...

والمهم أن العلامات على ثلاث أقسام :

الأول - هو ما يجب أن لا نهتم به إطلاقاً.

والثاني - هو ما يجب أن ينصب البحث عليه بقوة لأنه لا يحتمل التأويل.

والثالث - هو ما يجب قراءته والتمعُن فيه دون التسليم بحتمية وقوعه .

وهذا يشبه الأحاديث الواردة عن الدّجال مثلاً،

أخرج مسلم بسنده عن حذيفة قال :قال رسول الله(ص) **(لأنا أعلم بما مع الدجال منه ، معه نهران يجريان ،أحدهما : رأي العين ماء أبيض ،والآخر رأي العين نار تأجج ،فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً ،وليغمض ،ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه ، فإنه ماء بارد ، وإن الدجال ممسوح العين ، عليها ظفرة غليظة ، مكتوب بين عينيه : كافر، يقرأه كاتب وغير كاتب)** صحيح مسلم .ج/ ٨/ص/ ١٩٥ ، ونحوه في البخاري .ج /٩/..ص/ ٧٥.

وأخرج البخاري عن أنس بن مالك . قال . قال النبي (ص) **(يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة . ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات . فيخرج إليه كل كافر ومنافق)** صحيح البخاري . ج/ ٩ / . ص/ ٧١.

وأخرج الصدوق في إكمال الدين بإسناده عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) يتحدث فيه عن الدجال ويقول عنه **:(ينادي بأعلى صوته يُسمع ما بين الخافقين . . . يقول : إليّ أوليائي ، أنا الذي خلق فسوى وقدر فهدى أنا ربكم الأعلى ، وكذب عدو الله ، أنه أعور يطعم الطعام ويمشي في الأسواق ،وإن ربكم ليس بأعور ولا يطعم الطعام ولا يمشي في الأسواق ، ولا يزول تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)** واتباعه اولاد الزنى وأهل الطيالسة الخُضر الى نهاية الحديث . . .

فمن الممكن والوارد بل كما أعتقد والله العالم أن هذا الذي ذكرناه يُحمَل على الرمز والإشارة وليس على حقيقته بخلاف ما ذكرناه عن ظهور الشمس من مغيبها إذ إن الإشارات في الموروث الديني تكلّمت عن تلك الظاهرة بالقطع والتسليم ولا يمكن على الاقل من وجهة نظر العبد الحقير دفع ذلك بالتأويل والإستقراء . فهذا على

الإجمال وأما على التفصيل فيجب أن نعود للنقطة التي بحثناها سابقاً وهي الخلط بين علامات الظهور وعلامات القيامة ، وهنا لابد أن نفهم أن القيامة هي ختام البدء وليست هي الغاية فلو صح هذا الفهم كما فصّلنا فيه فيكون كل ما تم ذكره عن أخبار وأحداث القيامة هو معني بتسليط الضوء على قضية الظهور للقائد المعصوم ، فعلى الإجمال هناك آراء مُتعددة لبعض الديانات الأكثر أتباعاً في العالم نذكرها بشيء من السرعة ونمر عليها مرور الكرام...

الإسلام : ويعتقد المسلمين أن الزمن الذي يظهر فيه الإمام المهدي والسيد المسيح تكون فيه علامات وهذه العلامات تتوزع على الفتن والظواهر الطبيعية وإن الإمام المهدي يظهر كي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجورا وان ظهور الشمس من مغربها هي العلامة الأبرز يضاف لها ظواهر إجتماعية تطرأ على حياة الناس وهكذا تتصاعد حتى تنتهي بقتل البعض داخل أطهر بقعة من بقاع الارض بالنسبة للمسلمين وهي مكة المكرمة وبالتحديد داخل الحرم المكي وعلى بعد خطوات من الكعبة المشرفة وتكون هناك حروب في الشام والعراق وبلاد الحجاز إضافةً الى حرب عالمية شاملة في الغرب يفنى فيها ثُلثي سكان الكرة الأرضية دون أن يمُس المسلمين شرُّها ويظهر الدجال الأعور والسفياني المنحرف وتظهر شعوب يأجوج ومأجوج وتأتي الصيحة فيظهر القائد الموعود !

اليهودية : وفقاً لتصوّر اليهود فإن هذا الحدث الكبير يحدث إذا ظهر أمران الأوّل هو (المسيانية) وهذا المفهوم يتضمن **عدة** أمور منها : جمع الناس الذين تم إهدار حقوقهم وبناء المعابد والتضحيات باستخدام الحيوانات أما العلامة الثانية هي (أولام هابا) وفي هذا المفهوم يدّعون أنه سوف يتم تدمير العالم القديم لأسباب عديدة ثم يظهر عالم جديد يوقظ كل البشر الذين عانوا من الموت ولذا فهم يعتقدون أنه يتوجب لمواجهة الأيام الأخيرة فعل المزيد من الخير والتقرّب لله أكثر !

المسيحية : في منظومة الإيمان المسيحي تم توقع هذا الحدث الكبير للكثير من الوقت ومع هذا ما يزال مجيئه سرّاً لحد الآن إذ ورد عندهم أنه يأتي **(كلص في غسق الليل)** أي فجأةً فهو سيحدث حينما تستمر الأمور الرهيبة بالحصول وتموج الأرض دون رحمة وإن الإختبارات الثقيلة للبشر هي علامة أولى لاقتراب ذلك اليوم وكل هذا يحدث بسبب الدمار الكوني والتمرد والحرب !

البوذية : من وجهة نظر (سوترا بيتاكا) فإنه يحدث عشرة أشياء غير أخلاقية قبل وصول ذلك الحدث الكبير وهذه الأشياء هي - السرقة والقسوة والكذب والقتل والزنى والغيبة والنميمة والسباب وحب النفس والبخل على المساكين - فإذا حدث هذا سيمُر العالم بخمسة إنحدارات .

الأوّل : هو التدهور في رؤية الحياة البشرية ، فإذا مُلئت الأرض بالآراء السلبية فهذا يُقرّب حصول ذلك الحدث الجلل .

الثاني : هو الشهوة ؛ فإذا كان الناس أقبلوا على حُب الثروة والسلطة والشهوة فإن النهاية تكون قد لوَّحت من بعيد .

الثالث : تدهور الحالة الصحية للبشرية من الناحية البدنية وهذا يعني موت الكثير من فئة الشباب والأطفال .

الرابع : تدهور الحالة العقلية بسبب الضغط النفسي الذي سيكون في أعلى نسبة يمكن تصوّرُها .

الخامس : التدهور الدائم في الأنظمة الطبيعية وحصول كوارث طبيعية كثيرة يكون لها اليد الطولى في انتاج بعض الظواهر السابقة الذكر خصوصاً النوع الثالث والرابع !

الهندوسية : المُلاحظ في الهندوسية أنها تدّعي أن يوم القيامة ليس نهاية كل شيء ففي مفهومهم عن العالم يقولون أن هذا العالم لديه دورة من الخليقة حتى نهاية الوقت وبعد نهاية هذا الوقت تبدأ حياة جديدة تسمى هذه الدورة في الهندوسية (الكالباس) الدورة الواحدة منها تمتد لمدة ١/٤الى٨/ ٢ . مليار سنة ، وقبل النهاية يؤمن الهندوس بقدوم (الكالكي) وهو ما تكلّمنا عنه فيما سبق من هذا الكتاب وذكرنا وجه التشابه بين رؤيتهم ورؤية المسلمين وعقيدتهم في الإمام المهدي (ع) ، ففي الإعتقاد الهندوسي يعتقد المؤمنون الهندوس أنه في اليوم الأخير يظهر الكالكي أو الصورة الرمزية (لفيشنو) سيأتي على شكل حصان أبيض الى آخره... !

وبطبيعة الحال هذه الإعتقادات خصوصاً فيما يتعلق بالديانات التي ذكرناها باستثناء الإسلام تبقى ليوم القيامة والذي برهنا للقارئ أنه من المحال أن يكون هو الغاية التي يجري لها الوجود وبالتالي يجب أن تُحمل هذه الإعتقادات على موعد عصر الظهور . بغض النظر عن صحة أو عدم صحة ما ورد فيها ولكن ذكرناها من باب الإحاطة بكل ما يوجد على حلبة الفكر الإنساني !

فبين تشييد الهيكل عند اليهود وولادة العجل الأحمر وبدء معركة (هرمجدون) وعودة السيد المسيح للأرض كما في المسيحية وشروق الشمس من مغربها والخسوف والكسوف كما في الإسلام .ومجيء (الكاكي أفتار) كما في الهندوسية وظهور الطبائع السيئة العشرة كما في البوذية... فبين كل هذه الإطروحات يوجد عامل واحد مشترك وهي أنها كلها من ضمن الموروث الديني الإنساني ، ولأن الموروث الديني جزء لا يتجزأ من الركائز الأربعة التي يقوم عليها الوجود الإنساني ، الدين ، العلم ، الفلسفة ، الفن ، فكان لزاماً علينا الكلام عنه وإن كان هذا الكلام باختصار شديد جداً تماشياً مع المنهج الذي اتخذناه في البحث .

واعتقد شخصياً أن الأهمية والقيمة الفعلية لوجود هذه العلامات الدالّة على عصر الظهور ليست هي العلامات من ناحية كونها ظاهرة مُجرّدة وإنما على الغاية من خلف حدوث هذه العلامات والسبب الذي من أجله يجب أن تكون هناك علامات وهذا ما سنُسلط عليه الضوء بعد قليل !

لماذا يجب أن تكون هناك علامات

يبدو من العسير للوهلة الأولى فهم المغزى من وجود علامات دالّة على وقت ظهور القائد الموعود ، حتى أولئك المؤمنين بالموروث الديني جملةً وتفصيلاً في أحايين كثيرة يتسائلون عن معنى وجود مثل هذه العلامات إذ يمكن أن تجري الأمور في أعنّتها دونما حاجة لمثل هذه الظواهر وهذه الإشارات ناهيك عن إن هذه العلامات قد تكون بمثابة إنذار مُبَكِّر للمناوئين والمعارضين للوضع الجديد والذين لا يمكننا وفق المنهج التحليلي ومن خلال النظر للمستوى الثقافي الإنساني المُتصاعد أن نؤمن بأنهم لن يكونوا على علم بالقضية المهدوية فهذا ضرب من ضروب الجنون في أقل التقادير ، فهذه العلامات ربما تكون إشارة الهروب لمثل هؤلاء من جهة ومن ثانية فقد ترَسّخ في أذهان كثيرين أن الأمر يأتي بغتةً لكي يصدِم الطواغيت ويأخُذهم على حين غرة وبالتالي فلا معنى يُذكر لتلك العلامات أو بعبارة مُتسامحة يُطلقها البعض إذ يقولون لانفهم العلة خلف تلك العلامات ؟

والحقيقة أن هذه العلامات ليست مجرّد دالّة على موعد ظهور القائد المعصوم ، أي ليس دورُها محصوراً في التنبيه على اقتراب ظهور القائد الموعود أبداً ! بل هي داخلة في الحركة الإصلاحية التي سيقودُها القائد الموعود وهي جُزء لا يتجزأ من تلك الحركة إن لم تكن من الأهمية بمكان بحيث تأخذ الترتيب الثاني بعد القائد نفسه في سلسلة الأحداث التي تسعى الحركة التي يقوم بها القائد الموعود لإصلاح النظام الكوني برُمَّته...

فمن المُفترض بتلك العلامات أن تُحدِث نقلة نوعية في طبيعة النظام العام . فإن كانت علامات تظهر في المجتمع كما فصّلنا الكلام عنها ، فهي سوف توجِد لوناً من ألوان التغيُّر في سلوك الكيان الإنساني وبالتالي فسيكون إنسان ما بعد ظهور القائد غير إنسان ما قبل ظهوره ، وهذا وإن كان هو الوظيفة الحقيقة والدور الفعلي للقائد ولكن لا ضير من حيث المبدأ أن تكون الخطوة الأولى قادمة من هذا المكان . أي من فعل العلامات وتأثيرِها على السلوك الإنساني وفي الموروث الديني وكذلك في الرؤية الفلسفية تتواجد مثل هذه الإشارات فيما يتعلق بالعلامات !

وأما لو كانت هذه العلامات هي عبارة عن ظواهر كونية ، فمن الواضح أنها سوف تفتتح عصراً جديداً للنظام الكوني العام . فالتغيير الحاصل بفعل هذه العلامات حتى لو كان على صعيد النُظُم البيئية على سطح كوكب الأرض سيكون بمثابة تغيُّر في طبيعة الكون كَكُل مُتماسك واحد إذ أن أي جزء من أجزاء هذا الكُل حينما يتطوّر يُحسب هذا التطوّر للكُل باعتباره وحدة مُتماسكة لا تتفكك ولا يمكن فصل جزء عن جزء آخر داخل كيانِها العام ، وحتى لو كانت هذه العلامات في البُعدين أي أن هناك علامات تظهر في المجتمع وعلامات أخرى ذات طابع كوني طبيعي ففي كلا الحالين هي لها ذات التأثير وذات الهدف وهو نقل واقع النظام الكوني العام من مرتبة الى مرتبة أُخرى وبما أن الإنسان والعالم شيء واحد فهذه العلامات دورُها في أي مكان ظهر في الوضعين فهي سوف تؤدي للنتيجة ذاتها ومن هنا ندّعي أنها داخلة ضمن الخطة العامة الشاملة لحركة القائد الموعود وعامل أساسي من عوامل تطوّر النظام الكوني للأحسن والأفضل وهذا ما سنفصّل به لاحقاً بإذنه تعالى...

ثم إذا تتذكر ! فنحن تكلّمنا عن كيفية الظهور وقُلنا أنه ولابد من وجود عامل يشُدُّ انتباه البشرية ويجمعها على شيء مُحدد يكون بمثابة توحيد لنظرة بني البشر باتجاه واحد وهكذا يكون من السهل مخاطبتُهم إذ إن البشرية

مُشتتة بفعل أنماط الحياة التي يعيشُها كل مجتمع وكل شعب بل حتى على صعيد الأفراد يوجد هذا التبايُن والإختلاف فالبعض لا هم له إلا تكديس الثروة والبعض الآخر لا يهتم إلا بالمعرفة والبعض لا هم له سوى السياسة وأخبار السياسية أو الرياضة أو الأدب أو الحرب أو أو أو الى آخره...

وهذا التشتُت يجعل مُخاطبة الناس على تنوّع أذواقهم واهتماماتهم أمراً شاقاً عسيراً مُحتاجاً للكثير من الجُهد والعمل الدؤوب ناهيك عن الوقت الثمين الذي سوف يستغرقه جمعُهم على فكرة واحدة وهذه في الحقيقة هي واحدة من أبرز المشاكل التي واجهت الانبياء والمُصلحين والفلاسفة والمُفكرين والعُلماء عِبر حقب التأريخ الإنساني ، إذ أن تشتُت أهواء الناس واختلاف أذواقِهم واهتماماتهم ظلّ دائماً عقبة كبيرة وكبيرة جداً في طريق الإصلاح الفكري والعلمي والديني والاخلاقي والاقتصادي والفني أيضاً ، ولذا لابد من وجود وسيلة تشُدّ انتباه المُجتمع الإنساني لجهة واحدة وهذا الأمر شهدناه مراراً في واقعِنا المُعاصر وإن كان بوتيرة أخف وأقل مما يجب أن يكون في تلك العلامات الدالّة على عصر الظهور ، ففي تصفيات كأس العالم على سبيل المثال ترى أن كل من له هوىً في كرة القدم وفي كل أصقاع الأرض مشدود لحدث واحد .

وكذلك في الإنجازات العلمية ترى كل من يهتم لأمرها وفي كل أصقاع العالم مشدود لجهة واحدة وكذا في السياسة وفي الحرب وفي الإقتصاد كلما طرأ طارئ تجد الكُل على اختلاف أعراقهم وأديانهم وأذواقهم مشدودين لجهة مُعينة ولحدث معين وبالتالي فنحن قد عاصرنا مثل هذا الأمر وما يُفترض بتلك العلامات أن تفعله هو جلب الناس لجهة معينة وشدّ انتباههم لها بحيث يكون من السهل مُخاطبتُهم والحديث معهُم عن شيء مُحدد و واضح دون تشتيت للجهد وللبحث ، وهنا يبدو واضحاً أنك كلّما قلّصت مواضيع النقاش والبحث كلّما امتلكت المزيد من الوقت وادّخرت الكثير من الجُهد للتأكيد على صحة وجهة نظرك وهذا ما سيفعله القائد الموعود حتماً وسيستغل تلك العلامات أفضل استغلال في سبيل تسخيرها لخدمة حركته الكونية الشاملة...

ثم من المُفترض بهذه العلامات أن تفتتح نمطاً جديداً من التفكير العميق عند الناس ، فهي إضافةً لدورها في شدّ انتباه الناس لها مما يُسهِّل عملية مُخاطبة عقلهم الجمعي على القائد الموعود فكذلك من وظائِفها الحيوية أن تبعث نمطاً جديداً من التفكير المُعمَّق عند بني البشر ، فمع أنهم وبلا شك سيكونون قطعوا مراحل مُتقدّمة من التطوّر الذهني والعقلي وأفكارهم وقتئذ مُتفتحة بكثير عمّا عاصرناه نحن ، فمع كلِّ هذا لا يُمكن لنا افتراض أنهم بلغوا من الفطنة والنباهة ما يؤهلهُم لفهم كلِّ الأعمال والأفعال الصادرة عن القائد الموعود ، لأننا نتكلم عن شيء مُختلف تماماً بالنسبة للمستوى الذهني والعقلي للقائد الموعود ، وعليه فلابد من إن السؤال الفلسفي خلف طبيعة تلك الظواهر أو العلامات سيكون بمثابة انطلاق الرحلة نحو نمط من التفكير العميق وهو ما سوف يُساهم بقوة في بناء مؤسسات الدولة العالمية ويضع كل شخص أمام المسؤوليات المُناطة به ،ولذلك فهذه العلامات تلعب دوراً حيوياً وفي أكثر من ميدان ولا غنى عنها من حيث المبدأ ! كما أنها تُمهد أرضية مهمة لسيل الرؤى والأفكار التي ستطرحها منظومة القائد الموعود الثقافية إذ أن مهمة القائد لا تتلخص برفع المستوى الإقتصادي والسياسي والإجتماعي للمجتمع البشري فحسب بل هو سيعمل على كامل الوجود الإنساني إلى درجة أن البشر تحت ظل دولته لا يُشبهوننا نحن أبناء القرن الحادي والعشرون إلا من حيث الشكل ، أما المضمون فسوف يختلف جذرياً ! فدور العلامات دور بالغ الأهمية بل لا يمكننا الحديث عن عصر الظهور دون التطرُّق لها أو بالأصح لا يمكن الحديث عن الفكرة كلّها دون المرور بهذه العلامات !

دلالة العلامات دينياً

في معرض كلامنا عن العلامات أوضحنا القيمة الفعلية لهذه العلامات والدور الذي يجب أن تلعبه في حركة القائد الموعود ، ومن الواضح أن أمراً بهذه الأهمية وهذه الخطورة لا يمكن أن يُهمله الدين باعتباره قيمة إنسانية عُليا وباعتباره موجود من أجل الإنسان وهو يهتم بكل ما يُهم الإنسان لأن محوَر الدين الأساسي هو الإنسان ، فمن المؤكد أن لهذه العلامات قيمة دينية لأننا نقرأ في الكتب السماوية ما يؤشر لهذه العلامات بشكل واضح . ولذا فيجب أن تكون هناك قيمة ودلالة لهذه العلامات ، ومن الواضح أن قيمتها الكُبرى تكمن في التأكيد على أحقية الدين الذي نبذه الناس خلف ظهورهم ولم يلتزموا بتعاليمه وبالأخص أولئك الذين رفضوه جملةً وتفصيلاً واعتبروه مجرّد خرافة لا تمت للواقع بصلة ، فحين يبدأ تسلسل تلك العلامات بالطريقة والكيفية التي أشَّرت ونصَّت عليها الكُتب السماوية والأديان بشكل عام فهذا سيكون سبباً أساسياً في رجوع هؤلاء عن أفكارهم ولذا قلنا فيما سبق أن المُفترض بهذه العلامات أن تفتتح عصراً جديداً من التفكير العميق ، فهؤلاء مع أن بعضهم قد يكون وصل لمراتب علمية عالية جداً كما نشاهد بعضهم اليوم ! مع هذا يكونون متخلّفين عن الإلتحاق بركب الدين لأنهم نبذوه وسيطر عليهم الفكرة المادي البحت ولهذا حين تتطابق بشارة الدين التي ربما يمرُّ عليها حينئذ ملايين السنين مع الظواهر والعلامات التي سيشهد عليها هؤلاء فلا يُمكن أن نعتقد ولو في أقل التقادير أن لا أحد منهم سوف يرجع عمّا هو عليه من رأي ، بل من المؤكد أن تكون تلك الآيات دليلاً قاطعاً على صدق الدين وأحقيته بالإتباع وعلى هذا تكون لهذه العلامات دلالة ورمزية وقيمة دينية مُرتفعة جداً ، أما إذا أخذنا بالإطروحة الدينية للقضية المهدوية ،فالقيمة الفعلية لهذه العلامات سوف ترتفع أكثر وأكثر لأنها ستكون بمثابة البرهنة على الدين الذي سيتخذه القائد الموعود ديناً رسمياً للدولة . وهذه القيمة توجد على شكلين في الموروث الثقافي والفكري الديني ، فكما أسلفنا أن الفهم الخطأ لموضوع القيامة جعل كثيرين من الكُتّاب والمُفكرين يقعون فريسة الخلط وعدم الفرز بين الأحداث ، فإذا حملنا ما فهموه على أنه إشارة للقيامة بأنه إشارة لاقتراب عصر الظهور فسوف نجد الكثير من التقريرات في الموروث الديني تتكلّم عن هذه العلامات وهذا هو الشكل الأوّل ، أما الشكل الثاني فواضح وصريح في أنه يتكلّم عن مرحلة سابقة عن مرحلة القيامة وبطريقة مفهومة جداً وللكل حتى بمن فيهم عوام الناس والجهلة والبسطاء وهذا هو الشكل الثاني ولذلك سنقسّم البحث في هذا على خارطة تشتمل على ما ورد في الموروث الديني السماوي للديانات الإبراهيمية الثلاثة الكُبرى وعلى الآثار المُترتبة على ظهور العلامات وحسب التسلسل الزمني لمجيء تلك الديانات...

الأثر في التوراة

[ويخرج قضيب من جزع يسي وينبت غصن من أصوله . . . ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم . . . فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل والمسمن معا . . . ويمد الفطيم يده على حجر الافعوان لا يسوؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الارض تمتلئ من معرفة الرب] أشعياء ، ١١ / ١-١٠ .

[ويكون في آخر الأيام أن جبل الرب يكون ثابتا في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم . . . فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل لا ترفع أمة على أمة سيفاً لا يتعلمون الحرب فيما بعد] أشعياء ٢ / ٢-٤ .

[لأنه يولد لنا ولد ونعطى أبنا وتكون الرياسة على كتفيه أسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا ورئيس السلام لنمو رياسته وللسلام لا نهاية . . . غيرة رب الجنود تصنع هذا] أشعياء ٩ / ٦ .

[لأني هأنذا خالق سماوات جديدة وأرض جديدة فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال] اشيعا . ٦٥ -١٧ .

[تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس يزهر ازهارا ويبتهج ابتهاجا ويرنم . . . يدفع اليه مجد لبنان . بهاء كرمل وشارون . هم يرون مجد الرب بهاء إلهنا] أشعياء . ٣٥ -١ .

من الجلي الواضح أن التوراة تُعطي ملامح ازدهار كبير يحل في ربوع البشرية الى درجة أن الصحراء والبقاع المُقفرة الخاوية تبتهج بذلك الإزدهار **(يبتهج القفر ويُزهر كالنرجس يزهر ازهارا ويبتهج ابتهاجا ويرنم)!** وهي تؤكد كذلك على عدم مطابقة الوضع الذي سيكون عليه العالم مع العالم الحالي **(هأنذا خالق سماوات جديدة وأرض جديدة فلا تُذكر الأولى ولا تخطر على بال)!** وهذا يعني كما أسلفنا أن النظام العام سوف يتبدّل الى درجة أن تصوّر الأرض القديمة والوضع الفكري الإنساني القديم يُعد أمراً مستحيلاً ولا يخطر على بال لأن الاجيال ستكون قد تبدّلت تماماً ولم يعُد هناك من وجه شبه بين الوضع الحالي وبين الوضع الذي سوف يكون . وكذلك يؤكد العهد القديم على أن الحرب سوف تنتفي **(لا يتعلمون الحرب فيما بعد)!** لأن الأجيال التي ستأتي مُتلاحقة في دولة العدل الإلهي لن تكون قد رأت الحرب أبدا وهي تعيش في مجتمع معصوم خالي من الإساءة والجريمة وهذا ما تؤكده التوراة من خلال النص **(لا يسوؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي)** !

فكل هذا لن يكون إلا بانقلاب في عوامل الطبيعة الكونية والإنسانية . وهذا الإنقلاب هو ذات العلامات التي يُفترض بها أن تقلب المُعادلة من الجذور أو في أقل التقادير تفتتح عهد هذا الإنقلاب في النظام الكوني العام ، كي يُكمل القائد الموعود إتمام هذا الإنقلاب بما يمتلكه من إمكانات علمية تجعله مُطّلعاً على بواطن الأمور وبالتالي يستطيع من خلال المُعادلات الكيميائية والفيزيائية والمعرفة التامة بقوانين البايلوجيا والجيولوجيا أن يُحسِّن الأنظمة البيئية والأنظمة الحيوية في كل أجزاء النظام الكوني بكائناته الحية وغير الحية كما نُقسِّمها نحن اليوم !

فهذه النصوص التي ذكرناها تتحدّث عن العلامات من خلال آثارها وعن الوضع بعدها ويجب الإشارة أن هناك نصوص أخرى من الشكل الآخر الذي تكلّمنا عنه وهي تلك التي تم فهمُها بالخطأ على أنها تتكلم عن القيامة ونذكر البعض منها ونناقشها :

[هوذا يوم الرب قادم قاسيا بسخط . . . فإن نجوم السماوات وجبابرتها لا تبرز نورها تظلم الشمس عند طلوعها والقمر لا يلمع بضوءه] أشعياء . ١٣-٩ .

[فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشا ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود] ملاخي . ٤-١ .

[ذلك اليوم يوم سخط يوم ضيق وشدة ، يوم خراب ودمار ، يوم ظلام وقتام ، يوم سحاب وضباب] صنفيا .١-١٥ .

المُلاحظ أن أجواء السياق العام لهذه النصوص هي أجواء ترسم ملامح يوم مهول عظيم شديد لكن يجب علينا أوّلاً أن نصنف الجهة التي وقع عليها الكلام في سياق النصوص وعلى هذا فهناك جهتان اثنان !

الأولى : هي إشارة النصوص الى ظواهر كونية الى درجة **(تظلم الشمس عند طلوعها والقمر لا يلمع بضوءه) !** كما أن ذلك اليوم **(يوم ظلام وقتام ، يوم سحاب وضباب) !** فواضح أن هناك ظواهر كونية مهولة سوف تحدث وتقع في ذلك اليوم...

الثانية : وهي إشارة النصوص إلى مجموعة أو طائفة من الناس يكون بالنسبة لهم هذا اليوم يوم **(يوم سخط يوم ضيق وشدة) !** وأن هذا اليوم هو يوم انتقام من المجرمين و **(كل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشا ويحرقهم اليوم الآتي) ! .**

وإذن فهناك جهتين تتحدث عنهما النصوص الأولى أن هناك أحداث كونية رهيبة ستحدث والثانية أن هناك طائفة من الناس سوف يكون ذلك اليوم عليها يوماً شديداً . وممّا لا يحتاج للبرهنة أن شدّة وخوف ورعب هؤلاء الناس هي بفعل هذه الظواهر الكونية المُخيفة !

والسؤال المهم الذي يجب أن نطرحه الآن هو عن هؤلاء القوم ؟ فهل هم عامة الناس أم طائفة مُعينة منهم . . .

والجواب أنه من الغريب أن يصف النص هؤلاء بأنهم مستكبرين وفاعلي شر دون وجود طائفة أخرى يقع عليها الإستكبار وتتأذى بفعل الشر الذي تُقدِم عليه الطائفة الأولى ، فهؤلاء من يقع عليهم (يوم سخط)! و **(يحرقهم اليوم الآتي)** لكي تتخلص الطائفة الثانية وبهذا **(لايتعلمون الحرب فيما** بعد) ! ولهذا أيضا **(يبتهج القفر ويزهر ازهارا) !** بعد أن تتخلص الأرض من شرور تلك الطائفة "المُستكبرة" و "فاعلة الشر " ، إذ لا معنى للقول إنَّ هذه النصوص الثلاثة الأخيرة تصف يوم القيامة لأن القيامة تعني النهاية التامة للعالم المادي وفق التصوّر الديني فلا معنى للتخصيص الكلام على **(فاعلي الشر)** إذ لو افترضنا أن كل الناس في تلك الحقبة "فاعلي شر" لما

كان لهذا معنى فمعنى أن هناك شر يُحتم وجود خير وفي أقل التقادير يُحتم وقوع فعل الشر على مجموعة ضعيفة يُمارِس عليها " المُستكبرين " استكبارهُم وطُغيانهم ، وفي النهاية فهذا ما نقوله نحن عن الظهور وعلامات ظهور القائد الموعود فممّا لا شك فيه أن ذلك اليوم يوم **(يوم سخط ، يوم شدة وضيق)** على المُستكبرين وفاعلي الشر لأن دولة العدل الإلهي لن تسمح ببقائهم وسوف تستأصل شأفتَهُم وتمحوهُم عن بكرة أبيهم فمن الطبيعي أن يكون ذلك اليوم يوم رهيب عظيم مهول على هذه الطائفة وأما تلك الظواهر الكونية فهي العلامات التي تؤكد موعد اقتراب ظهور القائد الموعود وحتى لو تنزَّلنا في البحث وقُلنا أن كل الناس سوف ينتابُهم الفزع والرعب بفعل تلك الظواهر الكونية فلا مُشكلة في هذا إذ من المُفترض أن هذا الرعب والخوف سوف يوحدهم ويجمع آرائهم ويلفت أنظارهم لشيء محدد وهو ما تكلّمنا عنه فيما سبق وأكّدنا على ضرورته ! كما لا شك أن تلك العلامات الكونية التي تسبق ظهور القائد الموعود بشكل علني هي ظواهر مرعبة مُخيفة في أقل التقادير ولولا ذلك لما كانت قادرة على إحداث هذا الحجم من لفت النظر ولما كانت قد أخذت هذه المساحة الكبيرة من الأهمية !

الأثر في الإنجيل

[ثم رأيت سماء جديدة وأرضا جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا والبحر لا يوجد في ما بعد وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله ، هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم] رؤيا يوحنا . ٢١ ، ١ -٤ .

[وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يكون في ما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في بعد لأن الأمور الأولى قد مضت] رؤيا يوحنا ، ٢١ .

لا فرق يُذكر في الإنجيل من حيث المبدأ مع ما ذكرته التوراة وكما سيأتي في القرآن الكريم ! إذ أن الكلام يدور عن وضع يَعُم فيه الرخاء والسلام .فلا حروب ولا موت عبثي ولا دموع ولا حزن ولا صراخ ولا وجع لأن **(الأمور الأولى قد مضت)!** فقد ذهب زمن القتل العشوائي وزمن الطواغيت والجبابرة الى درجة أن كل شيء تبدّل حتى المُدن القديمة حلَّ بدلاً عنها مُدن جديدة **(رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء) !**

وهذه النصوص واضحة الدلالة على أن الوضع سيتبدّل تماماً وإذا تابعنا نصوص أخرى في الإنجيل سنجد أنها تتكلم عن خوف ومجاعات وأوبئة وظواهر كونية كمرحلة سابقة على عصر ظهور القائد الموعود ، وفيما يلي بعض النصوص نذكُرها ونعلِّق عليها :

[وللوقت من بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السماوات تتزعزع حينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير فيرسل ملائكته ببوق عظيم] متى . ٢٤ ،٢٩-٣١ .

هذا النص يتكلم عن وقت فيه ضيق وشدّة يسبق ظهور العلامات الكبيرة وإذا يتذكر القارئ الكريم فنحن قُلنا أن من الممكن تقسيم العلامات الى قسمين الأول طويل الأمد كظهور القتل والكذب والزنى والإنحدار الإخلاقي والثاني هو ظهور العلامات البارزة الكبيرة الدالّة على اقتراب موعد ظهور القائد الموعود ، والنص واضح إذ يقول **(من بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه) !** وكذلك **(قوات السماوات تتزعزع)!** فالإضطراب سيكون إضطراب كوني شامل **(والنجوم تسقط من السماء)!** أي أن هناك تبدُّل كامل في الخريطة الكونية بحيث أن جُغرافيا الكون تأخُذ شكلاً جديداً . وبعدها سيحدث أن تظهر العلامة الكُبرى **(حينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء) !** وهي الدالّة على ظهوره للعلن وإن هذه الظواهر هي بمثابة الإعلان الرسمي عن ظهور القائد الموعود ، وكذلك هذه الظواهر سوف تولِّد حالة من الفزع والرعب **(حينئذ تنوح جميع قبائل الأرض) !** لأن الخوف سوف يتمَلَّكُهم لكن لن يطول نواحُهم وخوفهم لأنهم **(يبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير) !** وعليك الربط بين هذا وبين أن **(قوات السماوات تتزعزع)!** وهم سيبصرون القائد الموعود آتياً من السماء بقوة ومجد كثير . وهنا يواجِهُنا سؤال مهم عن طبيعة "قوات السماوات" تلك **!** إذ أنّها تحمل الكثير من الإشارات عن طبيعة الموجودات الكونية ، ولكن واضح النصوص الدينية وقراءة كثير من المفكرين تذهب إلى أن الإنسان سيمتلك قوة عسكرية تتمركز في الفضاء لكنها بشكل أو بآخر سوف تنحرف عن الجادة وتتمرّد على طبيعتها الإنسانية ولن يكون هناك لها من رادع إلا القائد الموعود ، ونحن وإن كنّا لا نقبل هذا الطرح بهذا الشكل **!** إلا إننا أيضاً لا نمتلك ما يدحضه وينفيه ولن نخوض فيما لا نعلم ونترك الأمر لمن لديه قدرة على إثباته أما نحن فعاجزون عن هذا أو بالأحرى جاهلون به **!**

[فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال قائمة في المكان المقدس ليفهم القارئ] متى .٢٤ -١٥ .

[لانه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في اماكن ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع . . . ويبغضون بعضهم بعضا] متى . ٢٤ -٧ .

هذه النصوص تتحدّث عن الوضع العام قبل مجيء العلامات الكبيرة المُرعبة مع أنها ايضاً تحمل خوف ورعب فلا يمكن أن تعتبر المجاعة والزلازل والأوبئة أشياء لا تحمل في طياتها الرعب والخوف ومع هذا فهي ليست شيء يُذكر بما سيحصُل لاحقاً ولهذا يقول النص **(ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع) !** وأما بداية انفلات الوضع تكون إذا رأيتم **(رجسة الخراب التي قال عنها دانيال في المكان المقدس) !** ولا شكَّ أنها هذه الرجسة حصلت في كل الأمكنة المقدسة أي أن البداية لا شك أنها حصلت .والتباغض حاصل أيضاً **(ويبغضون بعضهم بعضا) !** وكل هذا يحدث حينما **(تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة) !** والمُضحك المُبكي أن كل هذا يقع بين أهل التوحيد وعبادة الله الواحد الأحد **!**

وقد يَرِد إشكال ههنا وهو إشكال منطقي بطبيعة الحال ، أنه أنتم أيُّها الإبراهيميون مسلمين ومسيحيين ويهود ، تقولون أن ظهور القائد الموعود هو من أجل جلب السلام للأرض وللإنسانية فكيف يفتتح قائِدُكم المُنتظر عصره بهذا الرعب والخوف فكيف يجلب مصدر السلام كل هذا القلق الرهيب وإذا افتتح أمره بهذا فكيف سيكون الوضع أثناء دولته !

والصراحة أن هذا الإشكال والإعتراض منطقي جداً ونحتاج لعلاجه...

والجواب : أن كثيراً من الأحداث الجيدة والأمور الجميلة الخيِّرة تبدأ بالخوف والرعب ، الطالب قبل دخوله الإمتحان ، العذراء ليلة زفافها ، المريض الذي يرتعب قبل دخول عميلة لاستئصال غدة سامة ، رائد الفضاء الذي يركب المكوك قبل إقلاعه ، والعشرات من الأشياء التي نحن متأكدين أنها سوف تعود علينا بالنفع وبالخير والسلام تبدأ بالخوف والرعب والقلق فطبيعة الإنسان أنه يخاف ويرتعب والأمر يشبه كثيراً شابة حديثة الزواج مُرتعبة من فكرة الطلق عند الولادة مع علمها أن هذا الوليد سيأتي لها بحياة مملوءة بالسعادة والجمال ، فليس هذا الطلق عذاب لها بقدر ماهو قيمة وجودية تُشعرُها بمكانة وأهمية ذلك الوليد المُنتظر ، فهذا مثل ذاك !

الأثر في القرآن

[يومَ تُبدَّلُ الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا للّه الواحد القهار] إبراهيم .٤٨ .

إطّلَعتُ شخصياً على عشرات التفاسير التي يذهب أصحابُها الى جعل هذه الآية من ضمن الآيات التي تتكلم عن القيامة ، ولا أدري أين الغموض فيها والقرآن الكريم **(تبيان لكل شيء)** ! والظاهر أن لفظ (برزوا) هو الذي سبب هذا الفهم ، فقد فهم جمهورهم منها أن "البروز" بمعنى الظهور والخروج وهو صحيح لكن يوجد ما يُعارضه عقلاً في نفس الآية ، فالمفهوم الإسلامي الرسمي عن القيامة يعتقد أنّها نهاية العالم المادي ! أي أنَّ هذا العالم الذي نعيش فيه سوف يتلاشى وينتهي ويبدأ عالم روحاني مُختلف تمام الإختلاف عن هذا العالم الذي نعيش فيه . وإذا كان الأمر كذلك فما معنى أن يستبدل الله جلّت قُدرته الأرض بأرض أُخرى !!!

فهذا ضرب من ضروب العبث تعالى الله عن هذا علواً كبيرا ، فالأرض لم تعد مأهولة لأن سُكّانها انتقلوا لعالم آخر .ولكن إذا فهمنا معنى لفظ (برزوا) على أنه التفوّق وهذا من ضمن اختصاصات هذا اللفظ في اللغة ، فيُقال (برز الطالب) أي بمعنى تفوّق وأظهر تميُّزاً واجتهاداً ، فبهذا الفهم يستقيم لدينا الأمر ، أي بعد أن تُبدّل الأرض من خلال تغيير القوانين الطبيعية فيها سوف يجعل هذا التبدُّل الأرض أرض أخرى مُختلفة عن سابِقتِها والناس سيكونون قد (برزوا) لله الواحد القهار . أي تفوقوا واجتهدوا لله ولوجه الله ، فأنت حينما تُسأل عن عمل جيد قُمت به تقول فعلته "لله" وكذلك الناس بعد أن تتبدّل الأرض غير الأرض سوف يجتهدون ويبرزون لله !

وما يُهمُنا هو الإشارة لهذا التبدُّل فهو سيكون أثراً من آثار علامات الظهور وهذا ما تدل عليه آيات أخرى منها :

[إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت ، وإذا البحار فُجِّرت ، وإذا القبور بُعثِرت] الإنفطار . ١ - ٢ - ٣ - ٤ .

[القارعة ، ما القارعة ، وما أدراك ما القارعة ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعِهن المنفوش] القارعة . ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ .

[يوم نطوي السماء كطي السجل] الأنبياء . ١٠٤ .

من الواضح أن هُناك أحداث كونية سوف تُحدث هذه التبدُّلات في نظام الأرض فالكواكب ستنتثر والسماء تُطوى والبحار تتفجّر ، بعبارة أبسط ستكون هناك إعادة لبناء النظام الكوني وهذا سوف يجعل الناس "كالفراش المبثوث" من شدّة الرُعب والخوف ولكن هذا لا يعني أنهم سيهلكون بهذه الظواهر العنيفة فالإرادة الإلهية سوف تحفظهم من كل سوء ولأن هذه الظواهر ستكون في الوقت الذي ينتظر الناس فيه ظهور القائد الموعود أي أن القائد موجود وحاضر لكنه مازال في مرحلة تستدعي عدم ظهوره العلني وببركاته سوف ينجوا الناس من أهوال هذه الظواهر العنيفة وهذا قد حصل مثله فيما سبق ويُحدّثنا القرآن الكريم عنه في الآيات التالية :

[ولما جاء أمرنا نجينا هودًا والذين آمنوا معه برحمةٍ منا ونجيناهم من عذاب غليظ] هود . ٥٨ .

[فلما جاء أمرنا نجينا صالحًا والذين آمنوا معه برحمةٍ منا ومن خزي يومئذٍ إنَّ ربك هو القوي العزيز] هود . ٦٦.

[ولما جاء أمرنا نجينا شُعيبًا والذين آمنوا معه برحمةٍ منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين] هود . ٩٤ .

وسياق الآيات واضح أن الذين نجوا من ذلك الهلاك الجماعي هم الذين آمنو دون تشخيص الفرقة التي ينتمون إليها فهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدليل الآية المباركة :

[إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهُم أجرُهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون] البقرة . ٦٢ .

وهؤلاء الذين آمنوا وهم المسلمون والذين هادوا وهم اليهود إضافةً للنصارى والصابئة وكل من آمن بوجود الله وعمل أعمال صالحة فهو من ضمن قائمة الذين سوف ينجون من أهوال علامات الظهور ، والقرآن الكريم يرسم صورة مكتملة الملامح لهذا اليوم العظيم في تاريخ البشرية وبشكل يجعلك تشعر بالدهشة والحيرة في آن واحد

فقد اختزل كل شيء من خلال شبكة من الآيات المباركة موزعة في أرجاء القرآن الكريم بشكل يؤشر لإبداع السماء الذي لا نظير له !

ثم إذا تجاوزت البشرية مرحلة الإنقسامات والصرعات والتباغض و وصلت الى اليوم الموعود الذي يظهر فيه القائد وظهر القائد الموعود وصارت الأرض ملأى بالقسط والعدل تحقق وعد الله لكل الإنبياء ولكل المؤمنين ولكل المُستضعفين في الأرض وذلك مصداق قوله تعالى :

[ونريد أن نمن على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين] القصص . ٥ .

وكذلك :

[ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنَّ الأرض يرثُها عباديَ الصالحون] الأنبياء . ١٠٥ .

وكذلك :

[وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ، وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ] الزمر . ٧٣ . ٧٤ .

ولاحظ قولهم **(أورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء)** ! وهي دلالة واضحة على أن كل شيء سيحدث على الأرض فلا فصل بين وراثتهم للأرض وبين دخولهم للجنة وهذه الآية لوحدها كافية في دحض بعض أقوال المفسّرين !

وهذه الوراثة وهذه الإمامة لابد وأن تكون على غير هؤلاء فجعلهم (أئمة) يستدعي وجود مأمومين ! والصراحة توجد عدة نظريات في هذا الصدد لها طابع مذهبي فيمكنك أن تراجع لكننا كنّا مضطرين لتنبيهك !

فهذا بعض ممّا جاء في الكتب السماوية عن آثار علامات ظهور القائد الموعود فيبقى أن نُعالج القضية بقيمتها الفلسفية والعلمية بعد أن عالجناها دينياً...

دلالة العلامات فلسفياً

إن طبيعة السؤال الفلسفي هو التحليق في المجهول الغامض والسؤال عنه ومُحاولة التعرُّف عليه وعلى حدوده وعلى الطُرُق المؤدية إليه ، وكلّما افتتح الإنسان صندوق أحد المفاهيم أو الأشياء الغامضة المجهولة فإنه سوف يطمح لافتتاح ما هو أعمق وأكثر غموض ومجهولية ، وديناميكية البحث الفلسفي لا تتجاوز هذا الوصف إذا أردنا تبسيط العبارة !

وكلّما عرَف الإنسان أكثر واطّلع على أسرار الغوامض أكثر وفهم القوانين التي تحكم الطبيعة والنفس الإنسانية والوجود أكثر كلّما ارتفع من مرتبة دُنيا في التفكير الى مرتبة أعلى ، ومع هذا الإرتفاع سوف يشهد تغيُّر واضح في الإهتمامات والأولويات حتى أن بعض الطِباع والملكات والصفات التي اكتسبها في مرحلة سابقة تنتفي وتضمحل وتتلاشى تبعاً لتغيُّر مستواه الفكري ، فالطفل مثلاً يرى العالم كله عبارة عن لُعبة مُسلية وبعض قطع الحلوى اللذيذة واصدقاء يُشاركونه اللعب ، وهو لا يهتم لما تعنيه الفيزياء أو الفلسفة أو الجنس أو السلطة أو الوجاهة الإجتماعية ، فالعالم بالنسبة له محصورٌ في اللعب والأكل والمرح والملابس الجديدة ، حتى إذا بلغ مستوى معرفي مُعين تغيَّرت هذه الإهتمامات لتحل بدلاً عنها اهتمامات أكثر تعقيداً من سابقتها ويبقى هكذا يتدرّج في المعرفة واكتشاف العالم على حقيقته وكلّما تقدّم في اكتشاف شكل جديد من أشكال وظروف ومُلابسات وأقدار ومصائب وسعادات هذا العالم كلّما تغيَّرت اهتماماته واصبحت تتسم بطابع أعمق وهذا يضطره للتفكير أكثر ، ومعنى ذلك أننا لا نتقدّم في السن على صعيد المستوى العقلي بل نتقدّم في المعرفة ، وما الفيلسوف إلا نمط مُتقدِّم من الأفراد الذين أتعبوا وارهقوا أنفسهم في اكتشاف أكبر قدر ممكن من حقائق وطبائِع وقوانين هذا العالم !

من هُنا تبرُز الحاجة للصدمات العنيفة في حياة الإنسان لأنها الصانع الأكثر براعة في توجيه الإنسان لمزيد من التأمل والتفكير والتحليل في إرهاصات ومُلابسات الحوادث التي وقعت له أو لغيره ، فقد ترى بعض الفلاسفة أو علماء الإجتماع أو الطب النفسي يتكلّمون عن الضغط النفسي الذي تُحدثُه العنوسة على النساء مع أنهم ذكور ومتزوجون ! وكذلك قد يتكلّمون بأوصاف دقيقة عن الضغط النفسي الذي يُسببه العُقم مع أنهم آباء ، الى درجة أن الذي يسمع كلامهم يُصاب بالدهشة لوقوفهم على أدق التفاصيل ومع أنه هو المعني بكلامهم فهو سوف يشعر بالحيرة لأنه لم يفهم الذي فهموه هم عنه ، وهذا يأتي بسبب طول التأمل والتفكير المُعمّق في المفاهيم والحقائِق والقوانين النفسية والطبيعية والإجتماعية وحتى الكوارث التي تحدث دون أن تمُس بعض الأفراد فهي كذلك ستزوّد هؤلاء الأفراد بترسانة معرفية مع أنهم لم يكونوا ممّن تعرّض لها مباشرةً .

وهكذا فكُل ما يتوضّح لنا عن أشياء كانت غامضة يفتتح عصراً جديداً من التفكير المُختلف عن سابقه . فمن يُريد أن يحصُل على شهادة الدكتوراه في الفيزياء الذرية لا يطرح السؤال الذي يطرحه طالب المرحلة الثانوية عن طبيعة الذرة وشكلها ! فالأوّل قد تجاوز هذه المرحلة بكثير وهو الآن يسأل أسئلة أعمق وأكثر غموضاً وتعقيداً وبالتالي فهو يعمل أكثر ويجتهد أكثر وتتلاشى عنده بعض الأمور التي كانت أولويات أكثر وكنتيجة لهذا لا يُمكن مقارنة الإنجاز الذي سوف يصنعه طالب الدكتوراه في الفيزياء الذرية مع الطالب في المرحلة الثانوية أبداً !

وحتى تنقُل شخص ما من مستوى معرفي مُعين الى مستوى أعلى يجب أن تجعلُهُ يكتشف قوانين وحقائِق وآليات جديدة فإذا اكتشفها انتقل بشكل تلقائي للتفكير فيما هو أعمق وأهم ، فبعد فهمِك لخصائص كل عنصُر من العناصِر الكيميائية وطبيعته وتأثيره وتفاعُلاته مع باقي العناصر ، حينذاك تكون قادر على معرفة نتيجة خلط العُنصر (a) مع العُنصر(b) وقبل هذا أنت لن تستطيع فعل شيء لأن مُستواك المعرفي لا يجعلُك مؤهلاً لفهم ما

هو أعمق وأكثر تعقيداً وغموضاً وبالتالي وكنتيجة لمُستواك العلمي فأنت لن تبذل المزيد من الجُهد والوقت في سبيل أي شيء لأنه كلّما تصاعدت وتيرة المعرفة أصبحت المعرفة السابقة أسهل من المعرفة المُقبلة والجهد المبذول في كُلٍّ من المرتبتين المعرفيَّتين سيكون مُختلفاً بشكل جذري !

والفلسفة الكامنة خلف علامات عصر الظهور هي هذه ! فوظيفة تلك العلامات والظواهر من أحد وجوهها هي افتتاح نمط جديد من التفكير العميق في الذهن الإنساني ، فنحن نعيش اليوم في عالم أقصى ما نطمح له فيه أن نكتشف بعض القوانين الفيزيائية أو المُعادلات الرياضية أو الكيميائية التي تجعلُنا قادرين على إيجاد طرائق جديدة لحياة أسهل وأكثر رخاءً ، وطبعاً هذه اهتمامات أهل العقول المُحترمة أما غيرهم وهم الأكثرية لا يهتمون إلا بجمع الثروة واكتشاف طُرُق جديدة لمضاجعة اكبر عدد ممكن من المُنحرفين والمُنحرفات أمثالهم وهذا هو الجنون بعينه ...

فماذا لو اكتشفنا مثل تلك القوانين الغامضة التي تجعلُنا قادرين على إيجاد حياة أفضل ؟

من المؤكد أننا سنسعى للبحث عن ما هو أفضل ويتضاعف الجُهد المبذول في سبيل الحصول على ما هو أعلى معرفياً ، وهذا هو الغرض من العلامات السابقة على عصر الظهور من أحد وجوهها فهي حين يشهدُها الناس سوف يفهمون أن هذا النظام الكوني قابل للتبدّل التام وبالتالي ففهمُهم للحياة بأسرِها سوف يتغيَّر ولأنهم سيكونون مُعاصرين للقائد الموعود فمثل هذا الفهم العميق بعد اكتشافهم لقوانين جديدة سيكون لازماً لمواكبة التطوّر العُمراني والعلمي في دولة القائد الموعود ، فبعد أن تتبدّل العوامل الطبيعية بفعل العلامات الدالّة على عصر الظهور سوف تكشف الطبيعة عن بعض قوانينها لأن الجيولوجيا مثلاً ظلت قواعِدُها غامضة لأننا لم نكن موجودون حين تكوّن الأرض ولكن في عصر الظهور وبفعل ما سوف تصنعه العلامات سوف تكون الكثير من الطرائِق التي تُعطي للأرض بكل تنوّعاتِها الجيلوجية أشكالها وطبيعتها ظاهرة واضحة لأن البعض سيكون شاهداً عليها وعلى الكيفية التي ستتكوّن بها قشرة الأرض الجديدة وكذلك الحال بالنسبة للكون المنظور كله ، فنحن نعلم نظرياً ما يجري داخل حقول الجاذبية على سبيل المثال لكن لا نعرف حقيقة الجاذبية بشكلِها المعنوي وكم يمكن أن تكون مؤثرة فإذا عرفنا هذا انتقلنا لمحاولة معرفة ما هو أعمق بل من المؤكد أن تلك المعرفة سوف تُفيد الأجيال المُتلاحقة في دولة القائد الموعود لصناعة حقول جاذبية واستعمال الكواكب الأُخرى ، وقد يبدو هذا حالماً بعض الشيء ولكن حتى في عصرنا الحالي يجري كلام وفق مُعادلات علمية لبناء كرة كبيرة من المعادن تحتضن كامل المجموعة الشمسية كي لا تتسرب طاقة الشمس وتتبدّد هباء في الكون الشاسع .هذا في زمننا المُعاصر ! فكيف إذا كان الزمان هو زمان المعرفة العُليا تحت ظل القائد الموعود وهو الزمان الذي سيشهد فيه العُلماء حدوث ظواهر فلكية وطبيعية تجعلهم يتعرفون على الكيفية التي تتكوّن بها الأشياء والعوامل التي أدّت لمثل هذا التشكُّل ، وبهذا تنتقل المستويات الذهنية لدى الإنسانية الى مواضيع أكثر أهمية ، وهذا بطبيعة الحال سوف يؤدي ولا شك لارتفاع بعض التصرُّفات والأفعال وتلاشي بعض العادات وتغيُّر الأولويات عند الناس فتنتفي وتختفي بها الكثير من المظاهر التي كانت موجودة فيما سبق لأن تلك العلامات ستكون بمثابة نقطة الإنطلاق للإنسانية لتترُك خلفها ماضيها المُظلم وتنعَم بهذه المعرفة اللذيذة .وعليه سيكون من السهل على القائد الموعود أن يُغيّر مناهج التعليم لمناهج أعمق تتماشى وتلبي طموحات ذلك المجتمع المُزدهر بكل ما للكلمة من معنى . فهذه هي الفلسفة الكامنة خلف العلامات الدالّة على اقتراب عصر ظهور القائد الموعود !

دلالة العلامات علمياً

قبل ملايين السنين ضرب جرم سماوي ضخم الأرض وتسبب في انقراضات جماعية للكائنات التي كانت تستعمر الأرض في ذلك الوقت ونتيجة لهذا الإنقراض فُسح المجال لكائنات أخرى استطاعت أن تطوّر انظمتها الحيوية وأصبح لديها قشرة دماغية هي فيما بعد ستكون مركز الذاكرة وتغيَّر المناخ بشكل ملحوظ وبالتالي ساهم هذا في ظهور الإنسان !

وإذا نظرنا للمجموعة الشمسية وعرفنا أن لا أحد من كواكبها يحتوي على الحياة باستثناء كوكب الأرض بسبب المسافة الفاصلة بينه وبين الشمس والتي تؤدي لاعتدال مناخه ثم وجود القمر وتأثيره على ظواهر المد والجزر والحفاظ على الأرض في مدار مُحدد و وجود حقل مغناطيسي للأرض بفعل وضعها العام واكتشفنا أن لكل كتلة جاذبية وكلما كبر حجم الكتلة ازدادت جاذبيتها .

إذا عرفنا كل هذا سنفهم أهمية تلك العلامات التي تُعلن عن بدء عصر ظهور القائد الموعود .إذ أن الأرض بفعل التخريب الدائم لها من قبل الحضارة والذي بدأ يكون ممنهجاً مع بروز عصر النهضة وتلوّث أنظمتِها البيئية بسبب هذا ناهيك عن البقايا والمُخلّفات الفضائية التي يترُكُها الإنسان فوق الغلاف الجوي للأرض وظاهرة الإحتباس الحراري الناتجة عن تسرُّب الغازات الدفيئة وتقليص مساحات الغابات الطبيعية التي تُمثل رئة الكوكب من خلال صناعتها للأوكسجين وهذا يتم أما باقتلاع أشجارها من أجل التجارة والبيع في الاسواق الدولية وأما بفعل تمدُّد المُدن وهذا يُسهم في تسريع عمليات الإنقراض لبعض الأجناس وكذلك يُغيِّر طبيعة النظام البيئي للكوكب وبالتالي هو نمط من أنماط التخريب الشنيعة يُمارسها الإنسان ضد موطنه الأزرق...

فالأرض بفعل هذا التخريب الدائم تحتاج لإعادة ترميم نظامها البيئي .فمع أنها ترتقي للأفضل وفق قانون كوني عام إلا إنها تشهد انحدار في بعض الأجزاء والمفاصل ما يستدعي إخضاعها لجراحة تخرج منها معافاة وبثوب أخضر جديد ، والعلامات الدالّة على عصر ظهور القائد الموعود ستلعب دور الجرّاح الذي يقوم بهذه العملية الحسّاسة المهمة ، فكما أن في السابق ابتدأ وارتبط ظهور الإنسان بمجيء مذنب عملاق كان سبباً في انقراض الدينصورات ليفسح المجال أمام الإنسان ليظهر ويحتل العرش الذي كانت الدينصورات تحتله .فكذلك هذه الظواهر والعلامات سوف تفعل الشيء نفسه . وبغض النظر عن طبيعة تلك العلامات والظواهر هل هي نيزك يضرب الأرض أو يمرُّ قريباً منها فيُغيِّر محور دورانها ممّا يُتيح لها وضعية أفضل قِبال الشمس وبالتالي يتغيَّر مناخُها للأفضل أو أن الشمس تُنتج لون من الأشعة بفعل التفاعلات النووية داخل نواتِها وهذه الأشعة حين تضرب الأرض تتفاعل مع التُربة وتنتج نظاماً بيئياً فريداً الى عشرات بل مئات الإحتمالات عن طبيعة وحقيقة تلك الظواهر ، فبغض النظر عن كل هذا ، إذا عرفنا أن الأرض محكومة بالتطوّر والإرتقاء حالها حال باقي أصقاع وأجزاء النظام الكوني فلابد من وجود مثل هذه الأمور بعيداً عن كل شيء ، أي بغض النظر عن النظرية والقضية التي نُناقشها في هذا الكتاب ،فمسألة وجود وتدخُل عوامل خارجية في تحسين الأنظمة البيئية على كوكب الأرض أو أي كوكب آخر مسألة علمية لا سبيل إلى إنكارِها ودحضها فالكشوفات العلمية تُبرهن على أن مثل هذه الظواهر قد حدثت بالفعل وساهمت إسهام مباشر في ازدهار أو اندثار أجناس وحيوات وأنظمة

كثيرة في كل الحقب التي مرّت على الأرض والبعض يدّعي أن هذا ما حدث على غير الأرض أيضاً ، فمن الناحية العلمية فهُناك قيمة ودلالة مُرتفعة وعالية جداً لهذه الظواهر والعلامات الكونية ، ناهيك عن فائِدتها على صعيد البحث العلمي وهذا ما تكلّمنا عنه حين بحثنا دلالة العلامات فلسفياً فراجع.....

فهذه العلامات أو الظواهر إذن - حاصلة بالفعل في الماضي وستحصُل بالتأكيد في المُستقبل بل حصولها وارد في كل لحظة ومهما طال الزمان أو قصُر فالعُلماء يؤكدون على أنها ستقع لا محال بغض النظر عن القضية موضع البحث ، وربما يطرح البعض التساؤل التالي - وهو لماذا يجب أن نفترض أن تلك الظواهر سوف تطوّر النظام الكوني للأفضل فربما تمحوه عن بكرة أبيه وتنقرض الكثير من الأجناس كما حصل في الماضي ؟

والجواب : إن هذا خلط واضح بين التدمير الشامل للنظام وبين التطوير الشامل للنظام مع أن الإثنين واردان وقد يحدُثان في أي لحظة ولكن نحن نُناقش الثاني وهو التطوير للنظام وبناءً عليه نتكلّم أما الأوّل وهو التدمير فوارد أيضاً وفي كل ثانية لكن نحن لا نُناقشه ههنا ،فالإحتمالات أكثر من أن تُحصى ولكن القرائن العامة تُشير الى التطوير لا التدمير مع أن تلك القرائن ليست بالقوة الكافية لتدحض نظرية التدمير ولكن من خلال تعضيد الرؤية العلمية بالرؤية الدينية ترجح كفة نظرية التطوير مع أن هذا التعضيد يبقى ضعيفاً غير مستوفي للشروط العلمية في المُناقشة ولكنه على كل حال يمثِّل قيمة فكرية إنسانية شئنا أم أبينا مع أنه ليس حجة على أحد إطلاقاً إلا من اعتبره كذلك وهذا بحث آخر بطبيعة الحال .

الفصل السادس

ملامح الدولة العالمية

ليسَ من المُفترض أن الدولة العالمية تحت رياسة القائد الموعود سوف تفرض وجودها من الأيام الأولى أو حتى الأشهُر الأولى ، فلا شك أن بعض الهاربين من وجه العدالة سيكونون قد ابتعدوا بما فيه الكفاية عن أنظار السلطة الجديدة والتي سيكون رجال الأمن فيها هم قُدامى المحاربين وجزء ممّن كانوا موجودين فيها قبل الظهور وتم جمعهم بنداء عام للتطوّع بعد أن عرفنا أن العلامات كان لها أثر كبير على المجتمع الإنساني ومع هذا الأثر يكون من المُستصعب بقاء أفراد الأمن في مواقعهم بل من شبه المؤكد أنهم انسحبوا ليُشاركوا عوائلهم المصير المُرتقب .وهذه القوات المُتعددة الجنسيات حينئذ ستكون على قسمين قسم في صف السلطة الحاكمة قبل الظهور وهم الذين سوف يختبئون ويهربون من الدولة الحالية والقسم الآخر هم الأفراد البعيدين عن السلطة رغم أنهم جزء فاعل في منظومتها الأمنية والعسكرية . فمن شبه المؤكد أن بعض العناصر سوف تختبئ لتظهر فيما بعد كمجموعات حركية وتمارس نشاطها الإرهابي ضد مفاصل الدولة حديثة الولادة ، ولكن سُرعان ما سيتم القضاء عليهم أما بفعل الضربات الجوية الدقيقة أو بفعل جهاز المخابرات التابع للقائد الموعود والذي يبدو أنه تشكَّلَ قبل هذا بمدة متوسطة الطول ويبدو كذلك أن عناصر هذا الجهاز أيضاً من جنسيات مُتعددة وفي الغالب أنهم أيضاً كانوا رجال مخابرات في أنظمة أخرى لأن الوضع العام يبدو مُنفلتاً دون هذه الفرضية أو إذا أردنا أن نختصر الكلام ولا نُطيل فيه ، فلابد أن للقائد الموعود عناصر موالية داخل تلك الدول وأنه ولابد بأنه قد نظّمهم في جهاز مُعين قبل مدة ليست بالقصيرة كما أنها ليست بالطويلة وأنه كشف لهم هويته الحقيقية ولذلك انصاعوا لأوامره .وبطبيعة الحال هذه القراءة التي نُقدمها هي قراءة بعيدة عن القراءة التي يطرحها الموروث الديني وإلا فالموروث الديني يُحدثنا عن أصحاب القائد الموعود وعن صفاتهم وإمكاناتهم ، وقد وجب التنبيه !!!

بل إن الموروث الديني يُعطينا الخطة الكاملة عن هؤلاء وبأدق التفاصيل الى درجة أن القارئ يتصوّر الأحداث تمرُّ أمام عينيه كأنه يعيش في داخلها ، ولكننا التزمنا بمنهج مُغاير لمنهجية الموروث الديني ولذلك اكتفينا وسنكتفي ببعض الإشارات لهذا الموروث ، وعلى العموم فالمُهم أن القائد الموعود سيُحاول بناء جهاز أمني رصين يكون قادراً على تزويد الدولة بالمعلومات الكافية عن كل مفصل من مفاصلها الحيوية ناهيك عن قُدرة القائد الموعود ذاته على الحصول على معلومات دقيقة من خلال ما لديه من قُدرات بواسطة العلم الحضوري والتي تكلّمنا عنها فيما سبق ، وهناك ذكرنا أن طبيعة العقل الإنساني قادرة من حيث المبدأ على الوصول الى عالم الباطن ، ومن هنا حتى إذا تنازلنا عن فكرة علم القائد الموعود بدقائق الأمور فلا يمكننا استبعاد الفكرة الثانية وهي أن له أذرُع في كل دولة من دول العالم وهم من سيؤلبون الجماهير ضد حكوماتها إبان ابتداء العلامات والظواهر الكونية حين تكون الحكومات عاجزة عن إيجاد حلول لتلك الأزمات وهم الذين سيرتبون كل شيء وفي النهاية فهُناك جزء مهم منهم سوف يتسنم المناصب في الحكومة الإنتقالية وجزء آخر يستلم المناصب حين يُعلَن رسمياً عن الدولة العالمية فيما الأشخاص الأهم بين هؤلاء سيبقون في الظل وتبقى هوياتهم مجهولة بالنسبة للشعب الإنساني على الأقل في السنوات الأولى من عمر الدولة العالمية ...

وفي البدء كما أسلفنا سوف تنهار الحكومات فتختار الجماهير الثائرة أفراداً ليقودوا دفة الحكومة المؤقتة لكن ما يحصل مع الأخذ بالنظر الطريقة المنهجية التي نتبعها في البحث وهي التوفيق بين كل ما هو متوفر لدينا من معلومات عن تلك الحقبة من خلال الموروث الديني وما نعتمده من مُقارنات في فلسفة التأريخ وما يُمليه المنهج العلمي من قراءة سياسية مع الأخذ بنظر الإعتبار هذه التوليفة ، يبدو أن العلامات ستصل ذروتها بعد انتخاب أفراد الحكومة المؤقتة مباشرةً وهنا تحصل فترة من الفراغ الدستوري ينحل فيها النظام تلقائياً لأن الوضع وصل

ذروة التدهور وبدأت الحياة اليومية الإعتيادية تتوقف بفعل تأثير العلامات وستكون توجيهات القائد الموعود المنقولة عبر وسائل اتصال ذلك العصر والتي سينقطع الكثير منها بفعل الكوارث الطبيعية التي ستحدث . وستكون تلك التوجيهات هي الحاكم والمرجع الوحيد للشعوب فإذا مرّت العلامات وحصل الإنقلاب الكوني والذي "يفترض الموروث الديني أن كثيرين من أعداء الدولة الجديدة سيهلكون فيه " ! فإذا حصل الإنقلاب وبدأت مرحلته الأولى في سُلَّم الترقي وعاد الجو طبيعياً إلى حدّ ما .

باشرت الحكومة الإنتقالية عملها وعادت الحياة الطبيعية الى العمل وسيستمر الوضع على ما كان لفترة قد تتجاوز الشهور الثلاثة الى الستة مع توقف كامل في المُعاهدات الدولية مع أن التجارة الدولية سوف تستمر لأن القائد الموعود بما لديه من إمكانات سياسية كان يعرف تماماً الدور الذي تلعبه الشركات العالمية في السياسية ولذلك استولى عليها وبالقوة كما يبدو وعيَّن مُدراء لها إدبان الثورة الكُبرى فيما تحفّظ على مالكيها في مراكز الإعتقال الخاصة به والتي تُدار من قبل جهاز مُخابراته الذي تكلّمنا عنه وهذه المراكز بطبيعة الحال هي أماكن سرّية بعيدة عن أنظار الحكومات الآيلة للسقوط .

في الأيام الأولى كذلك سيكون الصمت سيّد الموقف باعتبار أن الشعب الإنساني خرج للتو من أهوال لم يشهدها من قبل ولم يُباشر في ترميم الأضرار التي خلّفتها الظواهر الطبيعية والواضح أن هذه الأضرار لن تتركز في قلب المُدن المأهولة مع أن لا دليل على هذا ! ولكن من خلال بعض المؤشرات في الموروث الثقافي الديني والعلمي فمن المؤكد أنه في أقل التقادير أن الكارثة تم تلافيها وهي وحتى وإن وقعت في بعض المُدن الكبرى فهذه المُدن تم إخلاء سُكانِها .لأننا الآن في القرن الحادي والعشرين نشهد تنبؤات علمية عن بعض الكوارث الطبيعية ويتم إخلاء ساكني تلك المُدن فكيف الحال بالنسبة للعصر الذي تكون فيه التكنلوجيا وصلت الى مراتب عالية فمن الممكن الآن في القرن الحادي والعشرين نظرياً على الأقل التحكم بمسارات العواصف وتغيير طريقها وكذلك فيما يتعلق بالنيازك والكويكبات السيّارة ، والمهم أن الخراب لن يصل إلا لأجزاء محدودة ممّا أنتجته الحضارة الإنسانية وإذن ففي الأيام الأولى سنشهد حالة من الصمت ويكون الشك في أحقية وحقيقة هذا الذي جرى كبيراً جداً . لأننا في علم النفس قرأنا أن آثار ما بعد الصدمة تكون مُختلفة عن آثارها أثناء الوقوع والتحقُق ، بعبارة ثانية أن القرارات التي سيتخذُها بعض الأفراد أثناء وقوع الظواهر الكونية سُرعان ما تُصبح موضع شك بالنسبة لهم لأن القرار أثناء حصول تلك الظواهر سيكون تحت ضغط الخوف والرعب وهذا يقدح في تماميته وبالتالي حين ينتفي الخطر سيُعيد بعض الأفراد النظر في قراراته .ولهذا أيضاً إذا تذكّر القارئ الكريم إننا قررنا أن هُناك دفعتين من العلامات وهذه الدفعتين ليس لها من سبب سوى هذا ، ومع هذا سيوجد من ينتابه الشك لأن الشك جزء أساسي من تكوين الإنسان العقلي ، ثم رويداً رويداً تُفتتح هذه الأحاديث وبصمت إلى أن تصل مرحلة الذروة بعد الشهور الأولى ثم وبلا شك سوف يظهر من يُنظّر لمسألة أنه قد تم التلاعب بالاوضاع واستغلالها وبطبيعة الحال هذا حق مشروع ، ولكن سيأتي الرد من قبل القائد المعصوم بإظهار بوادر على نجاح الدولة ويقول لهم بما معناه " إفترضوا أن هذا حصل فهل يمكن إنكار حدوث هذه الإنجازات وبهذه المُدة القصيرة " ! فحينئذ تخُف الوتيرة لكن لا تنتفي تماماً بانتظار المزيد من الإنجازات في الشهور القليلة المُقبلة . أما إذا ناقشنا المسألة على ضوء الموروث الديني فمن الواضح أنه إذا حصل مثل هذا الأمر فسوف يتخذ القائد الموعود الطريق الإعجازي لإثبات صدق دعواه !

بعد العام الأوّل سيكون بإمكاننا تلمُّس ملامح الدولة العالمية بعد أن بسط القائد الموعود سلطته بالكامل على العالم و وسَّع رقعة نفوذ قوات حفظ السلام الأممية وبدأت الحركات اليسارية واليمينية على حد سواء تُسلِّم بنجاح النظام الجديد وتفكّكت الكثير من المؤسسات والأحزاب والحركات السياسية وظهرت حركات ومؤسسات وأحزاب جديدة وفي كل مرة يكون السؤال المطروح هو التالي { هل يوجد شخص أجدر من القائد الموعود بالتصدي للقيادة } لأننا حتى ذلك الحين لا يُمكن أن نفترض أن الكُل آمن بأن هذا الرجل هو "المُخلّص" وكما أسلفنا بأن المجتمع سوف يكون على جبهتين جبهة تؤمن بالقائد الموعود على أنه هو "المُخلّص " وجبهة ثانية تؤمن بأنه رجل ناجح جداً وأنه أهل للقيادة لكنّها لا تؤمن بأنه هو "المُخلّص" الموعود ! وكما لا يُمكن لنا أن نتوقّع أن القائد الموعود إذا كانت حركته مبنية على مفهوم ديني ! لا يُمكن لنا أن نتوقّع حتى مع هذا أنه سيبدأ الدعوى الدينية من الأيام الأولى لا بل لا يُمكن أن يبدأها حتى في السنين الثلاثة الأولى فهذا ما يُقرره العقل ، وبعد مُدة حين يتأكد للجميع أن هذا الذي قامت به الدولة لا يُمكن أن يكون مُتأتياً من تخطيط بشري فهُناك فقط يُمكن أن ينصهر الجميع في النظام بكل مفاصله وتنتفي المُعارضة تلقائياً دون تقييد وكبت حُريات واعتقالات وتضييق وتشهير ، فسوف تتذوق البشرية وللمرة الاولى في تاريخها طعم الحرية وحرية التعبير عن الرأي وتتلقى في المُقابل كل الإحترام والتقدير من قبل الدولة...

وهكذا وبعد حصول هذه القناعة عند الشعب الإنساني سوف يبدأ القائد الموعود حركته الفعلية فكُل ما سبق وفعله ماهو في حقيقته إلا مُقدمات للحركة الفعلية وهي إصلاح الإنسان من الداخل وإعادته للفطرة السليمة . لأننا نتكلم عن إيصال المُجتمع لمرحلة العصمة كما يؤكد الموروث الديني الإبراهيمي حيث تجلس (الشاة مع الذئب) و (لا يسوؤون ولا يُفسدون في كل جبل مقدّس) كما جاء في اليهودية .وكذلك (هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم) كما في المسيحية . وكذلك (أشرقت الأرض بنور ربها) و (ونجعلهم أئمة) كما في القرآن الكريم .وستنقاد له النفوس والقلوب ويكون قد تخلّص وخلّص البشرية من الأشرار وخاطب كل أهل دين بما ينُص عليه دينهم فاطاعه الجميع ومع بدء دعواه سوف تبدأ الصفحة الثانية من صفحات دولته وهي مرحلة التطوّر الهائل وعلى جميع الأصعدة ويكون النظام العالمي القديم قد تلاشى تماماً عن الوجود لكن مع هذا لم ينقلب للآن كامل النظام الكوني للوضع الجديد وسوف نُركّز على هذا التطوّر ونُلقي عليه الضوء في المفاصل الأهم منه وصولاً الى نقطة انقلاب النظام الكوني للوضع الجديد تحت ظل الدولة العالمية العادلة والتي ستتحوّل للدولة الكونية دولة الله العُظمى ، ثم نمضي أبعد لنُقدِّم قراءة عن سيناريو النهاية إذا أبقانا الله وإياكم ومن الله التوفيق...

التطوّر

لدى البعض حساسية مُفرطة ضد لفظ (تطوّر) وكأنه غول يأخذُك من يدك للكفر والزندقة مباشرةً ! وما هذه الحساسية إلا جهل تام أو حفاظ على عقول الجهلة وفي الحالين المُشكلة كبيرة .

إن التطوّر سُنة كونية بوتيرة ثابتة لا تتغيّر البتة فقبلْنا أم لم نقبل فكلُّنا نؤكد على التطوّر بوجه من الوجوه ، والمسألة في بُعدها العقائدي تتجاوز مجرّد وجود نظرية التطوّر المعروفة باسم نظرية التطوّر الدارويني ، فأول من تكلّم عن هذه النظرية هم الإغريق ومع ظهور الحضارة الإسلامية برز الكثير من العُلماء المسلمين الذين قالوا بالتطوّر منهم اخوان الصفا ومنهم كمال الدين الدميري صاحب كتاب حياة الحيوان والقزويني في كتابه عجائب المخلوقات وأشار لهذا ابن خلدون في مُقدمته وبالتحديد في المُقدمة السادسة من الباب الأوّل ، ثم هناك من عاصر تشارلز دارون من العلماء الذين تكلّموا وكتبوا في التطوّر والحقيقة أن هذه النظرية اختلفت الآن أيما

اختلاف عمّا كانت عليه في تلك الحقبة و وصلت هي بدورها لمرحلة عالية من مراحل التطوّر لأن التطوّر يجري على كل شيء !

وإذن فأصل التسمية " التطوّر الداروينى" فيه لغط كبير لأن القضية أكبر وأقدم وأوسع ممّا قدمه السير تشارلز دارون ، وهذه النظرية لا تذهب لأبعد من مجرّد القول أن لكل الأنواع أصل واحد مُشترك إذا أردنا أن نُبسّط العبارة! وهذه الفكرة أي فكرة أن لكُلِّ الأنواع والأجناس أصل واحد مُشترك هي فكرة دينية عقائدية بامتياز !

لأنه على صعيد البحث الفقهي الأصل المُشترك حاصل بدليل قوله تعالى (ولقد خلقنا من الماء كل شيءٍ) ونظرية التطوّر تذهب لأن البداية كانت من الماء . ثم من يعتقد أن النظرية تتعارض مع المفهوم العقائدي الديني فهو أجهل من أن يوَجَّه له الخِطاب ! فالنظرية تتكلم بعد وجود الحياة لا قبلها وهي لا علاقة لها بالإلحاد لا من قريب ولا من بعيد ولا تمت له بصلة مُطلقاً . فمن أوجد الحياة ؟ ، هذه الجُزئية لا تتكلم عنها النظرية أبداً إذ إنها تُناقش قضية علمية بحتة لا دخل للعقيدة ولإعتقاد والتديُّن والإلحاد فيها لا من قريب ولا من بعيد !

وعلى العموم هذا بحثٌ طويل يمكن مُراجعته لمن شاء الإستزادة في محله ولكن إحتجنا للتنويه فحسب !

إن الحياة التي ظهرت بشكل بسيط وبدائي وتطوَّرت عبر ملايين السنين تجعلُنا أمام حقيقة لا تقبل الشك وهي أن النظام الطبيعي يتبدّل ويتغيّر بشكل دائم ليَخدِم استمرارية التطوّر الدائم للموجودات فحينما تنقرض بعض الكائنات لا يعني هذا أبداً أن عجلة التطور قد توقفت أو اضمحلت بل النظام العام يُعطي الأفضلية للأجدر والأجدر هو الذي يتطوّر ويترقى بفضل اختفاء المُنافس له وسبق وذكرنا أن المهم هو أن يتطوّر كامل النظام الكوني حتى لو كان ذلك على حساب بعض أجزاءه وهذا هو الحاصل بالفعل .

ولأننا نعرف تمام المعرفة أن هُناك تفوّق واضح جداً للإنسان على باقي الموجودات من ناحية تحكُّمهِ وتسلُّطِهِ عليها مع الأخذ بنظر الإعتبار أن الإنسان من ناحية حواسّه لم يصل مرتبة متطوّره عالية ، بمعنى إننا إذا ما قارنّا بين حاسة شم الإنسان وبصره وسمعه مع تلك الموجودة عند القطط مثلاً يبدو واضحاً أن حواس الإنسان قاصرة عن مُجاراة حواس القطط أو باقي الكائنات ومع هذا نُدرك تماماً أنه يتميَّز عنها بأجمعِها لا بشيء إلا بما يملكُهُ من قوة عقلية !

ونُدرك كذلك أن بعض الكائنات من ملايين السنين وهي على حالها من حيث الشكل على الأقل ، فشخصياً لم أسمع يوماً أن تمساح من تماسيح الأمازون تطوّر ليُعطينا نظرية في علم المنطق !

لكن هل يعني هذا أن التماسيح توقفت عن التطوّر ؟

وهنا يجب أن يستخدم الإنسان الميزة التي جعلته يُسيطر على الكون ليفهم بها هل توقفت التماسيح عن التطور أم لا وهذه الميزة هي العقل !

فلا شك أن التماسيح مازالت تتطوّر وهناك عشرات الأشكال لهذا التطوّر لا يسعُنا الحديث عنها أقلّهُ تأقلُمُها مع المناخ الحالي وهذا واحد من ألف فرضية ممكن أن تُطرح ! ولكن المهم هو كيف سيستخدم الإنسان قُدرته العقلية في فهم هذا التطوّر ! فهو من حيث المبدأ لا يمتلك القُدرة على العودة بالزمن للخلف لكي يفهم كيف يتم الأمر . لكنه يمتلك القُدرة للتقدم أكثر ليكتشف الحقيقة ، وبمُقارنة بسيطة يمكن أن نُلخّص الفكرة التي نُريد الوصول إليها ، فمع معرفتنا بأن بعض الأجناس توقفت عن التطوّر ظاهرياً لكنها مازالت تتطوّر من ناحية تغيير مواطِنها الأصلية ونظامِها الغذائي وتنمية قُدراتها في الصيد والإختباء والتخفّي .وكذلك إحتمالية تطوّرِها على صعيد القوى العقلية والذي لا نملك الآن دليل قاطع عليه مع أن ما ذُكِر أعلاه يُشير له بوضوح وبقوة !

فالسؤال المطروح هو هل كفَّ الإنسان عن التطوّر أم لا وإن كان الجواب لا فماذا يجري بالضبط !

وجوابه : أن الإنسان أيضاً مازال يتطوّر حاله حال تلك الكائنات ولكن للتطوّر أشكال عدة من أهمِّها هو تطوّر البناءات الفكرية والقُدرات العقلية عند الموجودات ، فلا يُمكن أن تنتظر من إنسان ما قبل التاريخ أن يفهم قوانين فيزياء الكم أو أن يُشارك في تطوير أجهزة السونار العسكرية ! فهذه أشياء عصيّة عليه من ناحية الإستيعاب .ولا أقصد هنا أنه يجهل هذه القضايا بفعل أنه لم يُعاصِرها بل هو لا يمتلك المقدرة الكافية لكي يستوعبها ويهضمها لأنها ستكون بمثابة قفزة زمنية لثغرة زمنية واسعة وهو ليس مُستعدّاً للتأقلُم معها ، وهكذا فلا يُمكنني أنا أو أنت أن نستوعب نظرية تتكلّم عن دمج ثلاث أو أربعة كواكب مع بعض لصناعة كوكب جديد كبير لاستثماره في الزراعة مثلاً ، فهذا محض تخريف بالنسبة لنا الآن ولن نُصدّق به أبداً مع أننا لا نمتلك دليل ينفيه ولا نمتلك دليل أنه هل حصل مثل هذا الأمر أم لا عند حضارات فضائية بعيدة عنّا ولا نمتلك فكرة عن الموضوع أصلاً ومع هذا نرفضه مع علمنا أنه ممكن من الناحية النظرية !

والسؤال هو " هل أنا وأنت مستعدون الآن لمثل هذه الإنجازات العلمية أم لا " !

وإذا عرفت الجواب عرفت موعد ظهور القائد الموعود ! ، أما أنا فلا أعلم بل أنا مُرتعب من مجرّد التفكير في هكذا إنجازات !!!

والأمر مُخيف جداً إذا تفكَّرَ فيه الإنسان بِعمق فتخيّل أنك تستيقظ صباح يومٍ ما لتجد الشمس قد اختفت مثلاً أو أن كوكب الزهرة أصبح على بُعد مائة متر من أحد أطرافه مع قمم جبال الأنديز !

هذا ما لم يتجرأ عليه أكثر كاتبي روايات الخيال العلمي فكيف يمكن تخليُّه كحقيقة فعلية مُعاشة ، والمهم أنه لابد أن تتطوّر عقولُنا أنت وأنا لكي نتقبّل هذه الفكرة وبمقارنة بسيطة بين إنسان ما قبل التاريخ وبيننا ، فكما كان عاجزاً عن الإستيعاب وتطوَّر لكي نكون نحن ما نحن عليه اليوم فكذلك سنتطوّر نحن لنصل مرتبة أعلى وهكذا

يستمر الوضع حتى نصل المراتب العُليا من التطوّر ،وبطبيعة الحال هذا كله على سبيل الإفتراض وإلا لا تتوفر لدينا غير الإفتراضات في هذا الصدد !

لكننا بما إننا أثبتنا أن الإرتقاء سُنة يشتمل عليها النظام الكوني العام فيمكن اعتبار الإرتقاء الوجه الثاني للتطوّر وإن كان هناك فارق واضح على الصعيدين الفلسفي والعلمي ويبقى أن نُعالج قضية تطوّر الحياة وأشكالها في الدولة العالمية تحت ظل قيادة القائد الموعود .

تطوّر الدولة العالمية على ضوء القراءة العامة

يبدو من الجلي الواضح أن الأنظمة السياسية المعاصرة غير قادرة على انتاج دولة بذات الصفات التي نتكلم عنها في الدولة العالمية تحت ظل قيادة القائد الموعود .فهذه الأنظمة المُعاصرة ترزح تحت فعاليات ونشاطات كحبل المشنقة تلتف حول عنق شعوبها وتخنقها أيما خنق ، إذ أنها تُسخّر الكثير من امكانتها المادية والمعنوية في سبيل خدمة مشاريع لا تمت للرخاء الإقتصادي بصلة ولو في المنظور القريب ، فمثلاً نرى موازنة الإنفاق العسكري في بعض الدول تتجاوز النصف وهذا بطبيعة الحال يُسخّر الاموال والخبرات في موضع غير الموضع الذي يُفترض أنه الأهم ، ولأن السياسة المعاصرة قائمة على مبدأ التخندق ضمن تحالفات مُعينة واتفاقات بين الدول وهذا يجعلها غير قادرة على التخلّص من تلك الأوهام بوجود عدو متربص دائماً بأمنها الداخلي ومصدر قلق فعلي لها على طول الخط .فهي مضطرة في كثير من الأحيان الى صرف الاموال والأثمان الباهضة على تمويل الجيوش وتسليحها وهذا يستتبع بطبيعة الحال إيجاد حلفاء محتملين والذين يتم شرائهم بالأموال تارة وتارة بالترهيب واخرى بالترغيب للحفاظ على النفوذ من جهة ومن اخرى إيجاد موطئ قدم في حال احتاجت تلك الدولة أو هذه للتدخل عسكرياً في اقليم الدولة التي زرعت فيها مُسبقاً عملائها وبَنَت مؤسسات وأحزاب ومنظمات غير حكومية وجهزتها بالأموال وبالقوة وبالدعم اللوجستي ومن الواضح أن هذا يُحمِّل خزينة الدولة الكثير فيما أبناء تلك الدولة قد يكونون قابعين على الأرصفة ولا يجدون ما يسدّون به رمقهم ولا واقٍ لهم من حر أو برد والأموال والطاقات البشرية واراضي الدولة مشغولة بالمصانع التي تصنع السلاح والذخيرة أو يتم استيراد الذخائر والأسلحة والتي لا تلبث ان تتلف بعد انتهاء مدد صلاحيتها أو تكون بلا جدوى مع تقادم العهد عليها بفعل التطوّر السريع واليومي والرهيب في صناعة الأسلحة ، وهكذا فبدلاً من أن تُصرف الأموال والطاقات العلمية وورش البحث العلمي والأيدي العاملة والوقت في تحسين مستويات الزراعة والصناعة والطب والتعليم والإسكان والبنى التحتية تراها تذهب لغير رجعة في هذا الجنون المطبق الذي أزرى بحال دول هذا العالم .

إن من المحال وشبه المستحيل أن يتحقق الإزدهار العالمي تحت ظل هذا النظام المعاصر لأنه ببساطة هذا النظام المعاصر تُستَنزَف إمكاناته في أمور ثانوية ليست من الأهمية في مكان بحيث يتم تسخير كل هذا لها ، مع انه الآن يُعتبر ضرورة وضرورة قصوى في بعض الاحيان لكنه يبقى في النهاية شيء لا طائل منه لأنه لا يصب في خدمة الإنسان ولا يخرج أحد حتى ان انتصر ظاهرياً في صراع المحاور وكسر الإرادات هذا إلا وهو خاسر بكل تأكيد ، وهذا في الجانب العسكري لوحده ناهيك عن النكبات إثر الكوارث الطبيعية وكساد الأسواق

والقوانين الجائرة وصراع الهويات العبثي الذي لا طائل منه .كل هذا يستنزف قُدرات الدولة ويسلب أبناء الشعب الكثير من الفرص لتطوير وسائل البحث العلمي وكذلك يُعطل الإزدهار في الميدان الصحي والفكري والثقافي والإجتماعي ، فلو تخلص العالم من كل هذه الأوبئة والأمراض الفتاكة التي تتآكل جسده المنهك سيكون هناك فرصة لكي يزدهر الإنسان ويجد الوقت والمال والإمكانات المناسبة لكي يتطوّر ويتطوّر معه كامل النظام السياسي والإقتصادي والفكري والإجتماعي وفي النهاية النظام الكوني برمته ، ومن شبه المستحيل كما قلنا أن يوجِد النظام العالمي الحالي حل مناسب لكل هذه الأزمات لأنه هو والعقلية التي أسست وخططت له المرض الحقيقي للعالم . وإذن فلابد أن تتلاشى كل هذه الأمراض لكي يزدهر الإنسان وهي لن تنتفي ولن تتلاشى إلا بوجود نظام عالمي واحد موحد تحت ظل زعامة واحدة .وتلك الدولة العالمية بعد أن يستقر الوضع فيها لن تكون بحاجة للجيوش مثلاً لأن مفهوم الدول المختلفة والمتعددة يكون قد انقرض فلا يمكن للدولة ان تحارب نفسها لأن العالم كله سيكون دولة واحدة فستحارب من لو ارادت اعلان الحرب ، وبما أن هذه الاموال والخبرات والايدي العاملة والورش العلمية والمصانع العملاقة والتي تكلف في بعض دول عالمنا المعاصر نصف خزينة الدولة، وبما انها كلها سوف تتلاشى فهنا سوف نوفر الكثير من الاموال والايدي العاملة و وسائل البحث العلمي من اجل تطوير المفاصل المهمة في الدولة وهذا سيعود على الانسان بالرخاء الاقتصادي وتبعاً لهذا سيكون لديه متسع من الوقت للبحث العلمي وفي النهاية يتطوّر الإنسان وينتقل من مرتبة الى مرتبة اعلى وتنتفي عوامل الجريمة المنظمة والسرقة والاحتيال والتزوير وبهذا نكون في حِل من المحاكم و و و الى آخره والقائمة تطول جدا...

ولك أن تضم الكثير من موارد الإنفاق الاخرى التي تُثقل كاهل الدول المعاصرة فإذا استطعت أن تمسك بالخيط بيدك ستدرك ان من المحال ان يزدهر الإنسان تحت ظل هذا النظام المعاصر وقد يقول قائل ما هو المانع من ازدهار بعض الدول في الظروف الراهنة ، وجوابه أن مثل هذه الدول وإن ازدهرت فهي غالباً دول صغيرة وضعيفة وازدهارها لن يكون إلا على ضوء امكاناتها الفعلية ، هذا من جهة ومن ثانية فهي لا تمثل ما نتكلم عنه ههنا إذ اننا نتكلم عن المجتمع الانساني كله وازدهاره كله وفي شتى أصقاع الارض فما فائدة أن تنعم بعض الشعوب بالرفاهية والرخاء فيما شعوب أخرى يقتلها الجهل والمجاعة والحروب والأوبئة وسوء الخدمات وتخلف انظمتها السياسية ، فنحن نتكلم عن المجتمع الإنساني الموحد والذي ينعم أفراده كلهم بالرخاء والرفاه وهذا لن يكون إلا إذا كان هناك دولة واحدة تحكم العالم ككل ،فهذه الدولة لن تكون بحاجة لجيوش ولن تكون بحاجة لسياسة خارجية ولن تكون بحاجة للإنضمام لمحور ما أو التكتل في تحالف ما ولن تخضع لمساومات الشركات الكبرى والتي تنهب الكثير من الاموال خصوصاً من البلدان التي ليس لها موقع استراتيجي على الخارطة العالمية وذلك بفعل وسائط النقل الجوية والبرية والبحرية فيما يوجد في بعض الدول أساطيل كاملة من الطائرات فائضة عن الحاجة ، فدولة بميزانية ضخمة كهذه الدولة وبقدرات علمية واسعة وامكانات ادراية قوية ورصينة ستكون ولوحدها قادرة على انتشال العالم من مآسيه وهي وحدها القادر على إيجاد وتوفير السعادة والراحة لكل بني البشر وبغير هذه الدولة لن تصل البشرية لذلك الحلم الذي راود الفلاسفة في جمهورياتهم الفاضلة والعلماء والانبياء والصالحين والفنانين وكل من حمل هم العرق البشري وجاهد وبذل من اجل ذلك الغالي والنفيس ، فهذه الدولة هي دولة الخلاص من الآلام والأوجاع والأمراض ، وهي دولة بما ستمتلكه من قدرات ذكرنا لك بعضها ومن موارد ومن وقت ثمين ستكون مؤهلة تمام التأهيل لكي تلعب هذا الدور الكبير في نقل البشرية من واقع الى واقع آخر ، فحتى لو وصلت البشرية لأعلى المراتب العلمية والفكرية والسياسية فمن المحال أن تتجاوز الفردانية أو تتجاوز و وتتخلى عن مفهوم الدولة والحال هذه فلا يمكن الخلاص من وجود دول متعددة ومختلفة ومادامت موجودة فالمشكلة ستبقى ولن ترحل حتى لو كان كامل المجتمع الانساني وصل

لمراتب فكرية عالية ، ولهذا التطوّر المهول الذي نتكلم عنه تحت ظل الدولة العالمية شيء لا يمكن حتى تخيّله اذا أردت الحقيقة لأنه شيء لم نسمع ولم نرى مثله في كامل التأريخ البشري .وهذه الدولة هي أول دولة وآخر دولة من نوعها في التاريخ البشري وفي عهدها لا وجود لشيء يسمى مستحيل لأنها تمتلك المستحيل بالفعل بل تكون قد حققته منذ انطلاقتها الأولى ، وأما لو قرأنا طبيعة التطور في هذه الدولة على ضوء القراءة الدينة فسوف تكون الأُمور أوضح بكثير !

تطوّر الدولة العالمية على ضوء قراءة الموروث الديني

نُصادف في قراءتنا للموروث الديني عن {المُخلِّص} وضوح تام في نبوءته المُتعلّقة بتطوّر الحياة الإنسانية ، ومن الجدير بالذكر قبل أن نتوسَّع في هذا المبحث أن نذكر بأن الموروث الديني السماوي حصراً ! موجود وحاضِر عند كل البشرية ، فحتى تلك الأديان غير السماوية في الصين وفي شبه القارة الهندية يتأتى كثير من اعتقاداتها من النبوات القديمة ، فهم كلهم في الأصل من أولاد آدم ونوح عليهما السلام وبالتالي بعض المفاهيم الدينية ترسّخت في عاداتهم وتقاليدهم وما الشبهة التي يطرحُها بعض المناوئين للدين بأن لو كانت الرسالات السماوية صحيحة لما وجدنا هذا التشابه بينها وبين بعض الديانات التي ابتكرها البشر فهذا دليل على كذب دعوى أنها سماوية ! وبطبيعة الحال أمثال هذا الإستشكال لا يصدُر عن باحثين متخصّصين يفقهون ألف باء المعرفة لأن كل الأنبياء بشّروا بنفس القضية وبنفس المنهج والطريقة وهؤلاء الذين يعتنقون ديانات غير سماوية يسري عليهم نفس المفهوم باعتبار ترسُّخ دعوات الانبياء الأقدمين فيهم .ومن هذه الإعتقادات التي ترسّخت هو اعتقاد مجيء {المخلص) ! وحتى اولئك الذين لا يُسلِّمون بأي دين من الأديان أأرضي كان أم سماوي يسري عليهم ذات المفهوم ويمارسون نفس الصيغة التي جاءت بها النبوات وهم داخلون في المعادلة جملةً وتفصيلاً . . .

وبالتالي فالدين ليس مجرّد اعتقاد يمارسه البعض دون البعض الآخر بل هو سُنة كونية متأصلة في ذات الإنسان ولا ينفك الإنسان منها حتى إننا نرى بعض الملحدين مثلاً يترك دينه ويُعلن عن إلحاده ثم لا يلبث أن يقضي حياته كلها وهو يتكلم عن الله ! وحتى أنه يُفكّر في هذا الأمر عشرين ضعف ما يُفكِّر فيه المؤمن فلا أدري متى سيُصدّق هؤلاء أنفسهم حين يقولون أن الله غير موجود فيكفّوا عن الحديث عنه ؟ ، وهذا مثير للضحك وطالما ضحكتُ عليه والله يشهد على ما أقول !!!

وإذن فالقراءة التي يُقدمها الموروث الديني لا يُعنى بها أتباع الأديان فقط وإنما هي قيمة فكرية إنسانية على الجميع دراستها دراسة وافية ودقيقة لأنها توفِّر كم هائل من الأفكار التي إن أخضعناها للمقاييس العلمية والفلسفية ستكون ذات قيمة عالية أو أكثرها هكذا حتى أكون دقيقاً في العبارة !

والموروث الديني الإنساني يُكلّمنا عن تطوّر كبير في الدولة أو الواقع الذي سيقوده القائد الموعود . إذ يُحدثنا النص التوراتي الآتي عن العدل الذي سوف يسكن ربوع البشرية وكيف تترفّه حياة الشعب الإنساني تحت ظل

قيادة ابن الملك الذي أعطى الله لأبيه الملك الشريعة وكتب له هو الحكم والمقصود هنا هو {المُخلِّص) بطبيعة الحال .

[اللهم أعط شريعتك للملك ، وعدلك لابن الملك ،ليحكم بين شعبك بالعدل ،ولعبادك المساكين بالحق ، فالتحمل الجبال والآكام السلام للشعب في ظل العدل ، ليحكم لمساكين الشعب بالحق ،ويخلص البائسين ويسحق الظالم ،يخشونك مادامت الشمس وما أنار القمر ،على مر الأجيال والعصور ، سيكون كالمطر يهطل على العشب وكالغيث الوارف الذي يروي العطشى ،يشرق في أيامه الأبرار ويعمُّ السلام إلى يوم يختفي القمر من الوجود ، ويملك من البحر الى البحر ومن النهر الى أقاصي الأرض] مزامير داوود / المزمور -٧٢

النص يتضمن إشارة واضحة للعدل الذي سينعم به المجتمع الإنساني ويُشير بوضوح لمقر قيادة الدولة العُليا الذي يمتد (من البحر الى البحر ومن النهر الى أقاصي الأرض) ! وهذا طبعاً مركز قيادة الدولة العُليا وليس حدودها الإدارية ! وكذلك فهذه الدولة ستبقى الى أن (يختفي القمر من الوجود) ! أي حين ينتهي كل شيء وفي هذه الفترة الطويلة جداً التي ستبقى (على مر الأجيال والعصور)! سيكون فيها الرخاء للصالحين إذ قال (ويشرق في أيامه الأبرار ويعمُّ السلام) ! فلا حروب ولا مجاعات ولا شيء من هذا كله . . .

وفي الإنجيل ورد القول [لأنه يخلص شعبه من خطاياهم] متى - ١:٢١ .

ولأنه سيخلصهم من خطاياهم فسوف يكون الطريق أمامهم واضح المعالم وسيسيرون نحو ذلك الإرتقاء العالي ويحققون حلم الإنسانية الكبير والمُخلِّص لا يأتي كي يُدين أحد أو يُجرِّم أحد أو يخدم أحد على حساب الآخرين :

[لم آتِ لأدين العالم ، بل لأُخلص العالم] يوحنا - ١٢ :٤٧ .

فكل العالم بكل من فيه من موجودات داخل في مُعادلة الخلاص . الإنسان ، الحيوان ، الطبيعة ، الغابات ، الأشجار ، كل شيء داخل في مُعادلة الخلاص وهذا المُخلِّص هو قال عن نفسه أنه :

[جاء لكي يخلص ما قد هلك] متى -١١:١٨.

أي أنه سيأتي لكي يُعيد الحياة لكامل النظام الكوني وتعود الحياة لكل مفاصل هذا النظام ولذلك جاء في القرآن الكريم :

[وآيَةٌ لَّهُمُ الأرضُ المَيْتَةُ أَحيَيْنَاهَا وأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ] يس - ٣٣

ولذلك سوف يعمُّ نور الخير والبركة كل العالم :

[وأشرقت الأرض بنور ربها و وضِع الكتاب] الزمر - ٦٩ .

والأرض ليس المقصود منها كوكب الأرض بل مصداق هذا اللفظ أوسع وأشمل وكل أرض داخلة فيه وهذا الواضح من ظاهر النصوص !

وإذن سيحدث هذا الرخاء والتطوّر الكبير والطفرة النوعية في حياة الإنسانية وتعود الأرض الميتة للحياة من جديد وتشرق بنور ربها ويوضع الكتاب أي يتم الحكم بشريعة الله التي لا يُظلم تحت حكمها أحد ولكن السؤال المهم هنا كيف سيحصل كل هذا ؟

أي ماهي الوسيلة التي سيتطوّر بسببها الواقع الكوني بهذا الشكل الكبير جداً ؟

وجواب هذا السؤال يأتي في النص التالي ،إذ ورد عن الأمام الصادق عليه السلام قوله :

{ العلم سبعة وعشرون حرفاً . فجميع ما جاءت به الرسل حرفان . فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة وعشرين حرفاً فبثها في الناس . وضم إليها الحرفين حتى يبثُّها سبعة وعشرين حرفاً } البحار / ج . ٥٢ /ص/ ٣٣٦.

فهذا الإزدهار الذي سيكون يمكنك أن تقيسه لما حققته البشرية اليوم ، فاليوم في عصر التكنلوجيا والفتح العلمي والإنجازات الكبيرة لم يستخدم الناس لكل هذا التقدُّم سوى أقل من ربع الخمس من العلم وحققوا ما تراه عينيك فما بالك لو تضاعف العدد بأضعاف ما هو موجود اليوم !

ولهذا يبدو أن الإنفتاح على الأكوان الأخرى إن وجدت أو باقي أجزاء نظامنا الكوني سيكون أمر يسير سهل وإن كان اليوم صعب علينا جداً فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قوله :

[أما إن ذا القرنين قد خُيِّر الساحبين فاختار الذلول وذخر لصاحبكم الصعب . قال سورة وما الصعب ؟ قال : ما كان فيه رعد وصاعقة أو برق فصاحبكم يركبه . أما إنه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب ، أسباب السماوات السبع والأرضين السبع ، خمس عوامر واثنتان خربان] البحار / ج/٥٢ /ص/٣٢١ .

فمن المؤكد أن هذا سيكون من أيسر وأسهل الأمور بعد أن عرفنا المستوى العلمي الذي سوف يعمل على إيجاده القائد الموعود في المجتمع الإنساني ، ناهيك عن الأنظمة والقوانين التي سيسُنها القائد في مجتمعه والتي سترتفع

مع تقدّم الدولة ليبقى هو الفيصل الوحيد في حل النزاعات التي ستحصل وتلك النزعات ستكون ذات طابع علمي في الأغلب وهدفها المصلحة العُليا للدولة إذ ورد عن النبي صلى الله عليه وآله قوله :

[تأوي إليه أمته كما تأوي النحلة الى يعسوبها ، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول ، لا يوقظ نائم ولا يهريق دماً] ابن حماد /ص/٩٩.

ومثل أمرهم الأول أي كما حدّثنا القرآن الكريم في سورة البقرة [كان الناس أمة واحدة]! يعمُّها السلام والحب وتنعم بالخير والبركة .وهكذا ستكون دولة القائد الموعود لا يُوقَظُ فيها نائم ولا تسلب راحته ولا يُراق فيها دم ، فلا أسلحة ولا ترهيب ،ولا خوف ،ولا حزن، ولا فقر ، لأن هذه الامور كلها تستنزف طاقة الإنسان فلا تجعله يُبدع ويتقدّم فكلُّها سوف تنتهي ولن توجد أبداً .

ويعم الرخاء الإقتصادي كامل مفاصل النظام ولذا قد ورد عن النبي (ص) قوله :

[يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ،لا تدع السماء من قطرها شيئاً إلا صبته ، ولا الأرض من نباتها شيئاً إلا أخرجته ، حتى يتمنى الأحياء الأموات] ابن حماد /ص/٩٩.

أي يتمنى الأحياء أن يكون الأموات حاضرين لكي يُشاركوهم هذه النعمة العظيمة ، وكذلك ورد عنه (ص) قوله :

[تُخرج له الأرض أفلاذ أكبادها ،ويحثو المال حثواً لا يعدُه عدًا] البحار - ج/ ٥١ / ص/ ٦٨ .

والأحاديث في هذا المورد أكثر مما يمكن الإحاطة به وكلُّها تشير لنفس الفكرة ، فالأرض سوف تُخرج للقائد الموعود أفلاذ أكبادها أي ما هو موجود في أعماقها من معادن نفيسة قد لا نكون اكتشفناها للآن وهذا سيحدث بفعل التطوّر العلمي الذي سوف يكتسح العالم تحت ظل قيادة القائد الموعود ونظامه التعليمي الجديد ، وكذلك ستظهر نباتات جديدة واصناف جديدة لأن المناخ يكون قد تغيّر بفعل العلامات والظواهر الكونية فسنشهد وجود أصناف جديدة دون شك بالإضافة للأصناف التي نعرفها اليوم والأرض سوف تُنبت كل هذه الخيرات والسماء سوف تجود بالمطر الوافر وتخضَر الحقول والقفار تبتشر كما في النص التوراتي (يبتشر القفر ويزهر أزهاراً) ! وهكذا تنتقل البشرية من نظام الى نظام جديد !

وتبعاً للرخاء الإقتصادي الذي سوف يحصل والسلام الدائم وطويل الأمد والمستوى العلمي الذي سيرتفع بشكل رهيب والأمن الإجتماعي والسياسي ، تبعاً لكل هذا فسوف لن تحتاج الدولة للكثير من الأشياء القديمة فهي ستصنع أنظمة وقوانين جديدة الى درجة أن إيقاظ النائم فيها يُعتبر جُنحة .

وبما أن المال سيكون وافراً الى درجة أن القائد الموعود (يحثو المال حثوا ولا يعده عدا) أي يُلقيه ويغترف منه اغترافاً إذ لا طائل من عده ، فهذا المال الوافر سوف يُساهم في تطوير المفاصل الإجتماعية ، فلا السارق بحاجة لكي يسرق ولا المرتشي بحاجة للرشوة ولا (...) بحاجة لممارسة الرذيلة ولا شيء من هذا ، وهنا قد يرد سؤال مهم جداً ؟

إذا كان الوضع كذلك ! فما هي الحاجة مثلاً للعمل إذ المال وفير والكل سيحصل عليه فلماذا يعمل ويجهد الناس واذا توقفوا عن العمل فكيف سيتطوّر نظام الدولة !!!

والجواب : أن العمل حينئذ سيكون على أساس التفاضل بين الأفراد وليس من أجل المال أبداً وبما إننا نتكلم عن مجتمع مؤمن بفكرة (خير الناس من نفع الناس) فهم سيتسابقون من أجل خدمة الدولة فتلك الدولة ستكون دولتهم بحق والجميع يشعر بالمسؤولية تجاه نجاحها وازدهارها . وما تكلّمنا عنه من انجازات يبقى على الصعيد الدنيوي ، ولا ربط له بالصعيد الأخروي أي أن الثواب ورضوان الله عنهم سيكون على قدر ما يقدموه في سبيل خدمة المجتمع المعصوم ولهذا وردت الإشارة في الحديث المروي عن الإمام الباقر قوله :

[يستخرج التوراة وسائر كتب الله عز وجل من غار بأنطاكية ، ويحكم بين اهل التوراة بالتوراة وبين أهل الإنجيل بالإنجيل وبين أهل الزبور بالزبور وبين أهل القرآن بالقرآن] البحار - ٥٢/ص/٣٥١ .

فقد أشار النص بوضوح الى البُعد الديني والعقائدي وكيف أن البُعد الأُخروي سيكون حاضِراً في المُعادلة ومبدأ الثواب والعقاب في الآخرة سيبقى موجوداً بغض النظر عن التطوّر الحاصل في الحياة الدُنيا ولكن شروط الإلتزام الديني كلُّها ستكون متوفرة وللجميع فلا معنى لأن يرتكب أحد ما المعاصي لأنه في رخاء تام وكل ما يريده متوفر له تماماً .وحتى الجنس سيكون متوفراً وللكل فلا توجد امرأة ستبقى عزباء ولا يوجد شاب دون زواج أي بعبارة أخرى سترتفع عوامل وجود الرذيلة ولن تبقى حجة لذلك وسنتعرض لهذا بالتفصيل في محله بإذن الله تعالى . . .

وعليه فالثواب سيكون على اساس تقديم الخدمة الأكبر للمجتمع وليس للقضية ربط بالمال لا من قريب ولا من بعيد !

كما يبدو من واضح النصوص أن التنوّع الديني والفكري سيكون حاضِراً لكنه سيكون مُختلفاً . إذ أن هذا الإختلاف الديني سيرتفع بعد أن يكتشف الجميع أن لا معنى للإختلاف وأن الأديان في جوهرها شيء واحد وبدليل أن القائد الموعود الذي بشّرت به كل الأديان هو نفسه الآن من يوضِّح لهم أن الحقيقة كانت خافية عنهم

لانهم انشغلوا بالدنيا وبالصرعات وجمع الأموال والشهوات واهملوا عقولهم ونبذوا فطرة الله خلف ظهورهم ولهذا اعتقدوا أن هناك اختلاف ولأن بعض كتبهم واعتقاداتهم التي جاء بها الأنبياء قد تم إخفاؤها عنهم ولذلك سوف يستخرج الكتب المقدسة من ذلك الغار وبطبيعة الحال هذا التعبير تعبير مجازي !

والمهم أن هذا ما يبدو من واضح النصوص كما يبدو من بعض النصوص أن القوانين والأنظمة ستكون موجودة في بداية ظهور الدولة ثم تدريجياً تتحوّل الى حبر على ورق لأن المجتمع يصل لمرتبة أنه ذاتياً لا يرتكب مخالفة للقانون بل هو من يشدد على ضرورة الإلتزام به وسيظهر لدينا نوع جديد من القوانين ذات الطابع الإجتهادي الفردي (وفي ذلك ليتنافس المتنافسون) !

ويُشير الموروث الديني كذلك في بعض النصوص لحروب في بدء تشكيل وظهور الدولة لكن سُرعان ما سوف تختفي وللأبد ،ولذا نحن أمام دولة متطورة بشكل لم نعرف له مثيل على طول حقب التاريخ الإنساني وزمن حكم هذه الدولة طويل جدا وقد يصل لملايين السنين والله العالم ويبقى أن نُفصّل أكثر في بعض الأنظمة المهمة ونلقي عليها الضوء . . .

تطوّر النظام السياسي

يبدو من اجتماع القرائن المُتاحة أننا أمام دولة بمفهوم جديد للدولة جملةً وتفصيلاً ، فمفهوم الدولة المُعاصر يبقى مشوشاً باعتبار الحدود التي يرسمُها القانون الذي تتبناه أي دولة من الدول ، خصوصاً فيما يتعلق بالأجانب الذين يجب أن يسري عليهم قانون الدولة التي يدخلون لها ، وحقوق الأقلّيات العرقية والدينية والمذهبية ، والصلاحيّات التي تخوّل الحكومة نفسها بها والتي تستتبع خرق الحقوق الشخصية في كثير من الحالات لأن الحقوق الشخصية بطبيعتها غير مُعرَّفة الحدود إذا ارتبطت بمفهوم الحريّة الفردية ، ناهيك عن مُعضلة توزيع الثروات والسياسة الخارجية وطبيعة الإدارة لتلك الدولة أو هذه .فأنواع الأنظمة السياسية كثيرة جداً والآراء حول أفضلية أي نوع أكثر . وهكذا يكون الحل الأنسب في الفكر السياسي المُعاصر هو حكم الأغلبية !

ومع أن هذا الحكم ينسجم مع مُقررات المنطق والعدالة الإجتماعية إلا أنه من وجه آخر يبقى سلاح ذو حدّين باعتبار أنه يهدُر حق المُشاركة في صناعة القرار وفق المنظومة الديموغرافية والتوزيع السُكّاني بين الأقلّية والأكثرية ، فلا معنى لاعتبار الأكثرية دائماً صاحبة الحق في فرض الرأي وتقرير طبيعة النظام السياسي الحاكم كما لا معنى لبقاء هذا النوع من الأنظمة إلا بسبب عدم توفُّر البديل المنطقي والعادل في الظروف الراهنة التي يعيشُها العالم "المُتحضِّر" !

وبما أن الدولة العالمية تحت ظل قيادة المعصوم سترفع كُل ما يُمكن اعتباره ظُلامة ضد مواطنيها فمن المؤكد إننا سنكون أمام نظام سياسي جديد لم تعرفه البشرية من قبل وهذا النظام سيكون العُمدة فيه " البُرهان" بمعنى

أننا اليوم حين نقرر انتخاب مسؤول ما فنحن نأخذ هذا القرار على أساس السيرة الشخصية للمرشح في بعض الاحيان وفي أحيان كثيرة على أساس البرنامج الذي سيقدمه . فهو سوف يطرح فكرة لتطوير النظام التعليمي مثلاً وهذه الفكرة لا يوجد دليل على نجاحها مع الأخذ بنظر الإعتبار أن هناك مرشّحين آخرين يطرحون أفكار أخرى وأنا وأنت كمواطنين يحق لنا الإنتخاب سوف نُقارن بين الأفكار والمشاريع المطروحة وعلى هذا الأساس فسوف ننتخب الأفضل بالنسبة لنا وهنا توجد ثلاث ملاحظات يجب الإلتفات لها ! :

الأولى : أننا لا نملك دليل على نجاح الفكرة التي انتخبنا الشخص الذي طرحها !

الثانية : أننا بهذا نكون قد أغلقنا الباب أمام الافكار الأخرى والتي من المؤكد أن لها قيمة وفائدة وإن كانت أقل من الفكرة التي انتخبنا الشخص الذي انتخبناه من أجلها !

الثالثة : أن هذا الإنتخاب للأفضل يكون بما أنا أقرر أنه الأفضل وأنت ، فكل شخص يحق له الإنتخاب سينتخب من يعتقد أنه هو الأفضل ونحن لن نتفق على هذا أبداً فيبقى مقياس الأفضلية حكراً على الأفراد ولا دليل على أن الفكرة أو الشخص الذي انتخبته أنا أو انتخبته أنت هو الأفضل إلا من وجهة نظري أنا ووجهة نظرك أنت وأنا وأنت لسنا معصومون عن الخطأ !

فهكذا هو النظام الذي يحكمنا الآن .ولهذا فقد يصل الكذابين والفاسدين للسلطة بفعل اعتقادي أنا وأنت أن من انتخبناهم هم الأفضل ! ، لكن السؤال إذا كان هذا النظام فاشلاً ولا يُلبي الطموح فما هو النظام الذي سيتخذه القائد الموعود في عهد حكمه . مع الاخذ بنظر الاعتبار أنه يجب أن لا يخرق الحقوق الشخصية ولا يُغيِّب رأي معارض بل أساساً يجب أن لا يكون له مُعارض ولن يكون دكتاتوراً بالتأكيد فما هو الحل إذن ؟

هنا توجد عدة سيناريوهات ولكن أكثرها وثاقة هو وجود آلية تسمح للجماهير بأن تتأكد من أن افكار القائد الموعود هي الصواب وأنه هو الوحيد القادر على النهوض بهذه المسؤولية .وهذا يحتاج "لبرهان" أي يحتاج لبينة لأننا ذكرنا أن النظام السياسي المعاصر لا يوفّر لنا دليل على النجاح أو عدم النجاح بعد وقبل الإنتخاب ولذلك سيكون النظام في الدولة العالمية قائم على أُسس مختلفة ومنها البرهنة على النجاح المحتم في المشاريع المطروحة أو البرهنة على مناسبة القائد لشغل هذا المنصب أو ذاك وهذا إذا تكلمنا عن رأس الهرم وإلا فباقي المناصب العُليا منها والدُنيا وكل مفاصل الإدارة في الدولة ستخضع لذات الآلية .وهذا يتم بطريقين :

الاوّل : بأن يكون نظام البرهان مطلوب من كل المرشحين .

والثاني : أن يكون المرشحين مقبولين باعتبار تزكية القائد الموعود لهم . وهو الذي تأكدت الجماهير بأنه لا يقع في الخطأ.

وهذا الطريق الثاني هو الأنسب وهو الواضح من القضية ، أما هذا البرهان فله صيغتين اثنتين :

الأولى : أن يكون عن طريق الإعجاز !

الثانية : أن يكون عن طريق التطوّر العلمي !

والثاني هو المُنسجم مع المنهج الذي اتخذناه في هذا الكتاب وحتى أنه لا يتعارض مع الفكرة التي يقدمها الموروث الديني ، وفي هذا المجال نجد أن كل من الفلسفة والعلم والدين وكل النِتاج الفكري الإنساني متفق على أن المسالة ستكون وفقاً للتطوّر العلمي ، ولكن ماذا يعني أن التطوّر العلمي يُنتج نظام "البرهان " ؟

حتى أُقرّب الفكرة للقارئ الكريم أُريد أن أضرب هذا المثال !

اليوم توجد أجهزة تسمى بأجهزة كشف الكذب .فهذه الأجهزة تراقب النظام العصبي للانسان وحين يكذب تتغير الإشارات الواردة من جسده من خلال حركة عينيه ويديه وحتى نسب الكهرباء في جسده ومع أنها ليست دقيقة بما فيه الكفاية إلا أنها تُقدّم فرصة أكبر للمحققين ...

مثال آخر : الكلاب مثلاً قادرة على شم رائحة الخوف عند الأشخاص وهذه خاصية فريدة جداً لدى هذه الحيوانات فقد يتظاهر الشخص بأنه ليس خائفاً وقد نصدقه نحن ولكن الكلاب لا ينطلي عليها هذا التمثيل فهي تعرف الحقيقة وهي أن هذا الشخص خائف ...

فاليوم توجد أدواة طبيعية وصناعية قادرة على كشف الخوف والكذب ، فلو تطوّرت الحياة واستطعنا صناعة جهاز يتأكد من صحة المعلومات والتي يقدّمها المرشح للإنتخابات ومطابقتها بيانياً مع الإحصاءات المسجلة في ارشيف الدولة ، فيمكننا أن نصل لذلك "البرهان" وقد يبدو الحديث الآن غير مقبول منطقياً ولكن تخيّل أن تُخبر شخص عاش في القرن الأول الميلادي أنه في المستقبل سيصنع الناس جهاز يكشف الكذب . فمن المؤكد أنه سيكسر عصاه على رأسك ويعتبرك مجنون ... فهذا الذي نحن فيه كذاك !

وهذا هو الطريق الأنسب للوصول لسدة الحكم بعد الفترة الإنتقالية التي تحدّثنا عنها فيما سبق . وبهذا يتطوّر النظام السياسي بشكل لم يسبق للبشرية أن وصلت له !

تطوّر النظام الإجتماعي

في العام ٢٠١٤ وفي اليوم الثالث والعشرون من الشهر السابع - نشرت جريدة (دير شبيغل) الألمانية على موقعها الرسمي تقريراً يؤكد فيه باحثون من برطانيا والولايات المتحدة يعزون فيه سبب ارتفاع نسبة المواليد الذكور على الإناث .الى أن الأجنة الأنثوية معرّضة اكثر من الأجنة الذكورية للموت في رحم الأم ، وهذا وفق ما كتب سفين هيشت وزملاؤه من معهد فريش بوند للأبحاث في كامبريدج البرطانية . . .

بعد هذا بعام سجّلت الإحصائيات الرسمية في ألمانيا أن المواليد الذكور فاقوا المواليد الإناث بنسبة ٥١ للذكور الى ٤٩ بالمائة للإناث .

وفي العام ٢٠١٧ نشرت مجلة دنيا الوطن احصائية رسمية صادرة عن قسم الولادات بمشفى الأطفال في دمشق ومن خلاله كشفت الدكتورة نوار فرعون أن نسبة ولادة الإناث تفوق نسبة ولادة الذكور بحوالي ١٠% ففي كل ١٠٠ ولادة ٥٥ منها إناث .

وإذن فمن الواضح أن هناك عدم استقرار على مستوى الولادات وتوزيعها بين الذكور والإناث لأن البيئة لها دور فاعل في هذا المضمار والحقيقة أنه لا يوجد نقص في ولادة جنس وزيادة في جنس آخر فالجنسين يولدون بالتساوي لكن على رقعة جغرافية أوسع . . .

وهذه المشكلة مشكلة كبيرة في الواقع . إذ إننا نشهد ما للحروب مثلاً من تأثير بالغ على أعداد الذكور المؤهلين للمُمارسة الجنسية . فالحرب تأكل أعمار الذكور ما بين الثامنة عشرة والخامسة والأربعون . أي السن الذي يكون فيه الذكر في ذروة نشاطه الجنسي وهو وقت شبابه ، فلا يلبث كثيراً حتى تأخُذه الحرب ، فيظهر بعض هذا النقص وإن كان ليس كبيراً جداً لكنه في النهاية نقص !

وتبعاً لازدياد نسبة الذكور في بعض المجتمعات ونقص في الإناث ، أو العكس في مجتمعات أخرى إذ تكون الوفرة في الإناث والنقص في الذكور ، تبعاً لهذا يكون لدينا فائض من جهة ونقص من جهة أخرى ، وغالباً الدوافع خلف عدم الزواج ليست هذا النقص وهذه الإحصائيات لكن إذا ارتفعت الموانع التي تجعل كل من الذكور والإناث يبتعدون ويعزفون عن الزواج فستكون هذه المشكلة التي نتحدّث عنها مشكلة كبيرة بالفعل !

فمن موانع الزواج في المجتمع الإنساني المُعاصر الآتي :

١- الوضع الإقتصادي الضعيف

٢-أزمة السكن

٣-المستوى الثقافي والعلمي لكلٍّ من الطرفين وعدم وجود تكافؤ في المستويات الفكرية

٤-الوضع السياسي العام للدولة خصوصاً في أوقات الحروب

٥-الإنسجام العاطفي

٦- الجمال والوسامة ، والذي يأتي تبعاً لانسجام الدماء في الجيل السابق وهو من لوازم "التكافؤ"

٧-الإختلاف في الهوية القومية

٨-الإختلاف في الهوية الدينية

٩-الإختلاف في الهوية الوطنية

١٠-الإختلاف في الهوية الطبقية

١١-الإختلاف على أساس الماضي وما يخلّفه من أحقاد وضغائن بين الشعوب

١٢-النزاعات المناطقية والعشائرية والمذهبية

١٣-الوضع الصحي للأفراد

١٤-النظام الأُسري

١٥-أنظمة الضمان الإجتماعي

١٦-ثقافة التناسل !

هذه بعض الأسباب التي تمنع الكثيرين من الزواج في عالمنا المعاصر ، ومن الواضح أن كل هذه الموانع سوف تزول تحت ظل الدولة العالمية إذ أن الجانب الإقتصادي سوف يرتفع جدا وسترتفع معه ازمة السكن والوضع الإقتصادي الضعيف وكنتيجة لهذا سيكون هناك مجال واسع للإزدهار الفكري والثقافي فيرتفع مانع التفاوت في المستويات الفكرية والعلمية والثقافية وهكذا بعد وصول المجتمع لهذا المستوى العلمي العالي سيكون قادراً على إجراء اللازم لتوافق الدماء قبل الزواج وهذا ما سينتِج جيل جديد على مستوى عالي من الوسامة وبعد هذا يكون الإنسجام العاطفي قد أصبح يحظى بفرصة أكبر ، وبناءً على كل ما تقدّم سترتفع باقي الموانع واحداً تلو الآخر لنكون في الواقع أمام مشكلة التوازن بين أعداد المواليد الذكور والمواليد الإناث من جديد وستكون هذه مشكلة حقيقية !

وإذن فلابد من وجود حلول ستسعى لها الدولة العالمية ، والحقيقة هي أن بعض هذه الحلول متوفر حالياً فقد أثبتت بعض الدراسات أن الممارسة الجنسية إذا كانت في اليوم الثالث عشر او الرابع عشر من تاريخ بدء العادة الشهرية للمرأة مع تغذّي هذه المرأة بشكل جيد خصوصاً وجبات الفطور وإيصالها من قبل الزوج أثناء الجماع للنشوة الجنسية والتي ستُساهم في انقباضات للرحم وهذا يُساعد الحيوانات المنوية الذكورية للوصول للبويضة أسرع وتلقيحها . إذ أن الحيوانات المنوية الذكورية تكون أقصر عمراً من نظيرتها الأنثوية لكنها أسرع .والعكس في الأنثوية فهيَ أطول عمراً لكنها أبطئ ومع القيام بهذه العلمية نضمن نسبة ولادة جنين ذكر والعكس أنثى !

هذا في الوقت الحالي فما بالك حين يقفز العلم كل تلك القفزة الكبيرة في التطوّر .

ولذا سنشهد بكل تأكيد حل لهذه المشكلة التي ترتبط بأوقات الجماع واللقاء الجنسي بين الأزواج من جهة وبالوضع البيئي والمناخي من جهة ثانية والذي سيكون في أعلى مستويات انتاجه وتحسُّنه في الفترة التي تظهر فيها الدولة العالمية بسبب تغيير العلامات والظواهر الكونية لطبيعة المناخ والبيئة .

وستنتهي العلاقات المشبوهة والخارجة عن نظام الزواج لسببين الأول وصول الناس لمستوى فكري عالي بحيث يتجاوزون قضية الخضوع للشهوات المؤقتة السخيفة والزائلة والسبب الثاني أن مثل هذه الممارسات في يومنا الحالي ووفقاً لقواعد الطب مكشوفة وظاهرة على وجه فاعلها فهناك تغيّرات هرمونية تتبع كل ممارسة جنسية وآثار جينية معروفة في DND وهذا شائع في الطب الشرعي وبعد وصول الناس لمستويات علمية عالية لا يمكن إخفاء مثل هذه الممارسات المنحرفة وأضف لذلك نظام الرقابة التكنلوجي الصارم الذي تُديره الدولة في كل متر من أمتار الأراضي الخاضعة لسلطتها وهو وإن كان سيوضع في بداية نشوء الدولة للمراقبة لكنه في ما بعد سوف يعمل من أجل وضع كامل أراضي الدولة تحت الرقابة الصارمة من أجل التطوير والملاحظات وجمع أكبر عدد ممكن من البيانات ،وفي الحالين لن يكون أحد قادر على الإتيان بمثل هذه الأفعال القبيحة لأنه في النهاية لا يوجد دافع لفعلها ولا مبرر غرائزي أو منطقي أو أخلاقي أو ديني ، وعليه فلابد أن مؤسسة الزواج سوف تكون مؤسسة نشطة جداً وتحت إشراف مباشر من الدولة التي ستتكفل بكل شيء تقريباً باستثناء "العلاقة الجنسية" بين الازواج بطبيعة الحال ، وحتى هذه العلاقة الجنسية بين الأزواج ستكون قد تغيّرت بالكامل ! إذ أن الطب سوف يتطوّر ومع تطوره سنجد طرائق جديدة توفّر الإشباع الجنسي لكل من الزوج والزوجة وهم في أحسن حالاتهم الصحية لأن المرض والضعف سيكون قد ارتفع ، وحتى سن اليأس بالنسبة للنساء سيختلف عمّا هو موجود حالياً بفعل التغيّر الحاصل على الأنظمة الغذائية والبيئية والنفسية والصحية ، مع أننا في كل الأحوال سنجد أن هناك تطوّر ملحوظ في متوسط عمر الإنسان تحت ظل الدولة العالمية وهذا ما سوف نناقشه لاحقاً بإذن الله . . .

وإذن فنحن أمام انقلاب كامل في قواعد علم الإجتماع وأمام مجتمع راقي ومتحضر ومحترم بكل ما للكلمة من معنى وكل نظام يتطوّر يُساهم في تطوير أنظمة أخرى فالنظام الإقتصادي مثلاً يؤثر في تطوير النظام الإجتماعي وهذا الأخير يُساهم في تطوير النظام الصحي وهكذا تستمر الحلقة فدعونا نكتشف الباقي !

تطوّر النظام الكوني

منذ اللحظة التي حدث فيها الإنفجار العظيم والكون في حالة تمدد مستمرة . وهذه الحركة تنحصر بين لحظة النشوء ولحظة الفناء بفاصلة زمنية لا يعرفها إلا الله .

ومن الطبيعي أن هذه الحركة تصاعُدية ، بمعنى أنها تبدأ بوتيرة أخف ثم تتصاعد لتصل ذروتها ، وبعد وصول الذروة تتفكك الحركة لتعود من جديد وتبدأ لكي تصل للذروة مرة أخرى ، وهكذا تجتمع الذرات والغبار الكوني ليُشكل كوكب هنا وكويكب هناك وجرم هنا ونيزك هناك من بقايا انفجارات الكواكب والشموس والتي يُدمّر بعضها الكواكب القريبة أثناء الإنفجار أو تتحوّل لثقوب سود وتلتهم ما يُحيط بها أو في أفضل الأحوال تتحوّل "لقزم أبيض" أو نجم "نيوتروني"

والمهم أن هذه الوتيرة كانت موجودة من ١٣ مليار سنة وفق التقويم الكوني وستبقى الى ما شاء الله .

والتطوّر مُستمر في هذا الكون فهو بدأ من نقطة بحجم نصف حبة الرز و وصل الآن لدرجة لا نستطيع أن نعرف حدوده بسبب المسافة المهولة وهو كذلك مازال يتوسّع ويكبُر يوماً بعد يوم ولحظة بعد لحظة . ومع البداية لم تكن بعض القوانين موجودة فيه لكنّها وجِدت فيما بعد .فلم يكن هناك لحظة وقوع الإنفجار العظيم حقول مغناطيسية للكواكب ولا عواصف شمسية ولا أنظمة شمسية ولا مجرّات ، لأنها ببساطة لم تكن موجودة ، لكنها ظهرت بعد أن قطع الكون مرتبة مُعينة من التطوّر .واستمر الوضع هكذا إلى أن وصلنا لمرتبة عالية من التطوّر وهي التي سمحت بوجود الحياة في هذا الكون الشاسع...

ثم تطوّرت الحياة الى أن ظهر الإنسان ، وحين ظهر الإنسان أخذ التطوّر الكوني شكل آخر . فمع أنه مازال يتطوّر بذات الوتيرة القديمة من جهة فقد أُضيف له التطوّر من جهة الإنسان لأن تطوّر الإنسان في النهاية يُسجَّل في خانة النظام الكوني كَكُلّ...

وفي بداية هذا الكتاب تكلّمنا عن الموضوع بالتفصيل وقلنا أن العالم والإنسان شيء واحد فيمكنك المراجعة !

ولمّا يصل الإنسان لمرتبة علمية يكون فيها قادراً على أخذ زمام المبادرة في إصلاح ما يتضرر من بعض أجزاء هذا الكون ، يكون بهذا طوّر النظام الكوني بما يخدم مصلحة بقاءه فيه ، وبوادر هذا بدأت بالفعل ففي العام ٢٠١٨ استطاع الإنسان صناعة أكثر آلة متطورة من حيث الشكل والمضمون وهي التي تستقر الآن في مدار الشمس وتواجه درجات الحرارة العظيمة والتي ستستمر مهمتها لستة سنوات أخرى ، فهي سوف تمكننا من فهم الفيزياء الشمسية إذ أن درجة حرارة الهالة الشمسية قد يصل لملايين الدرجات فيما سطح الشمس أبرد من هذا بملايين الدرجات وهذا من الالغاز الكبيرة التي سيعمل ذلك المسبار على حلّها .وهذه بادرة مُشجعة وخطوة كبيرة في اتجاه اصلاح النظام الكوني بعد الكشف عن أهم قواعده الفيزيائية التي ظلت غامضة بالنسبة لنا ، وحين تتطوّر العلوم في الدولة العالمية فمن أولويات الدولة هي العمل على إيجاد خطوط الربط الكوني . لأننا للآن لا نعلم على وجه اليقين هل أن أحداث الدولة العالمية كلها ستقع على الارض أم هناك جزء منها أو ربما كلها ستكون خارج نطاق الارض ونعني بالأرض هنا هذا الكوكب الأزرق الجميل الذي نعيش عليه...

وفي كل الأحوال حين تستقر الدولة العالمية سيكون النظام الكوني تطوّر تلقائياً بفعل تطوّر أحد أهم أجزاءه بل الرديف الفعلي له وهو الإنسان ، والذي سيسعى كما يبدو لإرسال الحياة للكواكب الصالحة لها وهذا بفعل المسابر الفضائية . فهُناك فرق شاسع بين اكتشاف الحياة في مكان آخر وبين إرسالها ، فمثلاً يوجد شك لدى المجتمع العلمي في أن قمر (يوربا) يحمل تحت جلده الجليدي المتجمد محيطاً من المياه السائلة والتي تحتوي على حياة ! فهذا شيء ، وارسال حياة لكوكب آخر شيء آخر . وبدفعة واحدة تم الكشف عن سبعة كواكب تدور حول النجم المعروف بـ (تشراكبست ١)ويبعد هذا النجم مسافة ٣٩ سنة ضوئية عن الأرض وهذه مسافة قصيرة نسبياً مع باقي الكواكب التي تم اكتشافُها .واحتمالية وجود المياه على سطح هذه الكواكب مرتفع جداً خصوصاً

ثلاثة منها ، ولذا فمن السهل جداً إرسال الحياة لتلك الكواكب حتى لو لم تكن تحتوي على حياة أصلاً ، ولو أردنا الكلام عن رأي الدين فالمسألة واضحة ففي الآية ٢٩ من سورة الشورى . يقول القرآن الكريم [ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بثَّ فيهما من دابةٍ وهو على جمعهم إذا يشاء قدير] !!!

فكما أن هنا على الكوكب الأزرق دواب ففي السماء دواب أيضاً فهذه إشارة واضحة لوجود الحياة في باقي أجزاء الكون وبقرينة نفس الآية المباركة إذ يقول (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) ! أي جمع سكان السماوات بسكان الأرض .

وإذا رجعنا للبحث العلمي وغادرنا البحث الديني فنجد مثلاً أنه في الخامس عشر من أغسطس في العام ١٩٧٧ وردت اشارة غريبة من كوكبة (القوس) عبر التلسكوب اللاسلكي في (هير)، هذه الإشارة التي عُرفت باسم إشارة (الواو) كانت أعلى بثلاثين مرة مقارنة بالإشارات المُعتادة وكانت مُدتُها ٧٢ ثانية ، جاء اسمها من رسالة كتبها في ذلك الوقت الشخص الذي اكتشفها وهو (جيري ايهمان) مُساعد في مشروع موضوعه البحث عن مخلوقات ذكية خارج الارض اطلقته وكالة الناسا في العام ١٩٦٠ ، ومن بين عشرات الإشارات التي وصلت الأرض تبقى إشارة الواو هي الأكثر ترجيحاً من قبل العلماء على أن تكون مُرسلة من كائنات ذكية فضائية للأرض على الرغم من أن مصدرها غير مؤكد حتى هذا اليوم ، وحديثاً نجح تلسكوب روسي بالتقاط موجة راديوية شبيهة بتلك التي وصلت في العام ١٩٧٧ وهذا كله يعطي حافز للقول بأن هناك حياة ذكية خارج الأرض وحتى لو لم تكن موجودة فهذا لا يُغير من القضية شيء !

فمهما يكن فالربط بين الأرض وبين باقي أجزاء النظام الكوني واقع لا محالة بغض النظر عن وجود أو عدم وجود الدولة العالمية ! وبما أن بروز وظهور الدولة العالمية وقائدها الموعود أمر لا يتسرّب له الشك من حيث بداهة الفكرة .فمن المؤكد حتماً أننا سنشهد في تلك الدولة تطوّر كبير في النظام الكوني من خلال صناعة حقول الطاقة وصدم بعض الكواكب ببعضها لإنتاج كواكب أكبر أو توجيه النيازك والكويكبات لتوجه تلك الضربات وإرسال النفايات الكونية الى الثقوب السود للتخلص منها ، بعبارة أخرى اعادة هندسة الجغرافيا الكونية من جديد والاستفادة بشكل كبير من المعادن والمواد الاولية الخام التي يوفِّرُها لنا هذا الكون البديع والفريد من نوعه !

تطوّر النظام الفكري

من استطاع أن يسبُر أغوار الفكر الإنساني وينبش السُنن التي تُقِرُّها فلسفة التأريخ وعرَف طبيعة البحث الفلسفي والمُحرّكات التي تقف خلف عجلة هذا البحث وتدفعه للأمام ، فهو بهذا يكون قد تيَقّن تمام اليقين من أن الفكر كائن حي يتحرّك ويتأقلم مع الظرف الموضوعي . ويتفاعل مع الحركة من حوله بشكل ديناميكي .وتتصاعد حركته إطرادياً مع ارهاصات وانعكاسات تلك الحركة المُحيطة به .

فالفكر يسير في خط ثابت دائماً وهو لا يتحرّك إلا إذا تحرّك مُحيطه وتغيّرت الرؤية لهذا المُحيط . فكشوفات الفيزياء والكيمياء دوافع أساسية خلف تحريك عجلة الفكر ، والنظريات الدينية والإعتقادات التابعة لها دوافع ومحرّكات للفكر أيضاً ، والعواطف والصدَمات العاطفية وما يعتمل النفس الإنسانية من مشاعر دوافع كذلك لعجلة الفكر ، والتقدُّم في العمر الذي يستتبع تغيّر الرؤية للمُحيط وإعادة النظر في المُسلَّمات دافع مهم جداً ومحرّك مؤثر جداً في الفكر وللفكر ، وهكذا - فكُلَّما طرأ طارئ أوجد لون من ألوان التغيّر في المُحيط وهذا يدفع الفكر للحركة .

وهذا القانون يشمل جميع الفعاليات التي نُطلق عليها صفة (تفكير) حتى أبسطها وهي تلك الموجودة عند بسطاء الناس بل حتى عند الأطفال ، فانتقال الكرسي من مكان الى مكان يبعث على التفكير في الشخص الذي حرّك الكرسي من مكانه ، وهكذا يبدأ الإنسان سلسلة من العمليات الحسابية والإستنباطية للوصول لنتيجة تُخبِرُه وتكشف له عن هوية الشخص الذي حرّك الكرسي من مكانه ، فهذا من أبسط أنواع الحركة الفكرية وهذا اللون من الحركة الفكرية موجود عند الجميع ، لكن مع وجوده عند الجميع إلا أنه يختلف بوتيرته من شخص لشخص آخر ، فمع أن القضية واحدة والسؤال واحد والحركة الفكرية ومحرّكاتها الخارجية واحدة ،إلا أن النمط والصيغة والطرائقية التي يسلُكها كُلٌّ من الأشخاص مُتباينة متفاوتة في الدقة والعمق وترتيب الأولويات الاستقرائية وتنظيم وسَلْسَلَةْ الأحداث !

ومن هُنا يبرز لدينا مفهوم الإحتراف ، أي من هنا يبدأ الفارق بين التفكير الإحترافي وبين التفكير الآلي الميكانيكي ، وهذا الفارق هو الذي يُحدّد هوية الإنسان من حيث المرتبة التي يجب أن يكون فيها وعلى أساسه أيضاً يكون التفاضُل والأفضلية .

فلو وقعت كارثة طبيعية على سبيل الفرض . كأن تكون عاصفة أو زلزال أو موجة تسونامي ، فهُناك عدة مُستويات فكرية ستتحرّك . فصاحب نمط التفكير الأولي البسيط سيُسند هذه الظاهرة للغيب وحكمة الله أو لا يهتم إلا بترتيب وضعه للتأقلم مع تبعات هذه الظاهرة ومدى تأثيرها عليه هو بالذات ، ومن يكون أعمق من هذا بقليل سيسأل عن المغزى من خلف حدوث هذه الظاهرة وبما أنه يعرف أن الله حكيم فلابد أن هناك شيء ما يحدث ، والأعمق من هذا سيسأل عن طبيعة القانون الذي يدفع بهذه الظاهرة للحدوث وهل هو قانون طبيعي أم أن هُناك مُهندس يقف خلف هذا القانون ، وكلّما كان صاحب التفكير أعمق كلما كان متوفّراً على المراتب الأدنى منه دون مُشاركة من هم أدنى منه مرتبته في التفكير ، والحقيقة أن هذا الإرتقاء للأعلى لا حدّ ولا نهاية له !

وطبيعة المجتمع الفكري الإنساني المُنتجة للفكر هي أنها تجنح الى جعله نِتاج اجتماعي محض ، بعبارة ثانية أن النِتاج الفكري العميق وإن كان بمجهود وإبداع فردي . إلا أنه لا يتخلص من شِباك مُحيطِه الإجتماعي لأن المُحرّكات التي يُفترض أنها تدفع بالفكر للحركة تكون قد تأتت من هذا المُحيط وهي تؤثر فيه سلباً وإيجاباً ولا يُمكن وجود قضية يتحرّك بواسطتها الفكر دون أن تكون قد وجِدت في المرتبة السابقة في هذا المُحيط وإلا لما كانت موجودة أصلاً !

ولهذا نعتقد أن الفكر ثابت لا يتحرّك إلا بِمُؤَثِر خارجي ومحرّك . فلا توجد في حقيقة الأمر أفكار جديدة وإنما أفكار تم تدويرُها وإعادة الحياة لبعض مفاصِلها وإلباسِها زيّاً جديداً وإخراجُها للعلن ، أو في أفضل الأحوال وأكثرُها إبداعاً إضافة بعض اللمَسات عليها لا أكثر ولا أقل ، لأننا لو افترضنا العكس لكان الفكر هو المُتحرّك ذاتياً وهذه الحركة الذاتية تحتاج لمادة ذهنية أولية بلا شك . والسؤال من أين يتم توفير مادة الفكر الأولية ؟

فواضح أنه لا توجد مواد أولية للفكر يتغذّى عليها بِمعزل عمّا هو موجود ومقرور في المُحيط وكنتيجة لهذا الترابط العضوي فكل نمط من أنماط التفكير مهما كان عميقاً ومُتفرّداً يبقى نِتاج اجتماعي محض وإن كانت الفردانية تقف بالمباشرة من خلفه !

بعد هذه المُقدّمة الوجيزة إذا أردنا العودة لموضوع بحثنا وطرح السؤال التالي :

- ماهي النتيجة المرجوة من وراء ظهور الدولة العالمية على المُستوى الفكري الإنساني ؟

- والجواب : أن النتيجة هي نقل الفهم العام للعالم وللحياة من وضع الى وضع آخر مُختلف تمام الإختلاف !

فبعد ظهور العلامات التي يُفترض أنها سوف تُعطي دفعة قوية لعجلة الفكر الإنساني وتغيُّر النظرة للواقع باعتبار أن الكثير من المُسلّمات الفكرية عند البعض ستكون قد انتقضت وهُدمت تماماً ، وبعد إدراك الكُل لوجود حقيقة كانت حاضِرة في كراريس مُفكري الجنس البشري وها هي ماثلة قائمة بين أيديهم ويلمسونها ويتعاملون معها مباشرةً ، أضف لذلك الفتوحات العلمية التي ستُضيف مفهوم جديد ورؤية جديدة لطبيعة القوانين التي تحكم النظام الكوني . وعلى أثر ذلك تخسر الفلسفة الكثير من مساحة نفوذها لصالح العلم لأن البحث الفلسفي يبدأ من حيث يتوقف العلم عن الإجابة وهذه الظواهر والتقدُّم العلمي كشف الكثير من القوانين الفيزيائية والكيميائية والرياضية وعليه فإن الفلسفة ستخسر الكثير من مساحة نفوذها لأن العلم أصبح قادراً على شغل تلك المساحة والإجابة عن ما كان سابقاً مجرّد طرح فلسفي ! هذا من الجهة الأولى وأما من الجهة الثانية فلا يُمكن أن نتصوّر أن صاحبة الجلالة سوف تتنازل عن العرش بهذه البساطة وتُسلمه على طبق من ذهب للعلم ! فمن المؤكد أنها ستُحافظ على زعامتها للفكر الإنساني فلذلك ستبحث الفلسفة عن ميادين أخرى لكن هذه المرّة ستكون أعمق من كل ما بحثته عبر تاريخها المجيد !

وأمامها سيكون الكون بأسرة موضوعاً على دكة التشريح الفلسفي . ولهذا ستُعيد الفلسفة بناء علم نفس وعلم اجتماع جديدين وينتقض علم المنطق القديم بالكامل ليظهر علم منطق جديد يضع فلاسفة عصر الدولة العالمية حجر الأساس له ، ناهيك عن أن المُستوى الفكري العام لكل أفراد الشعب الإنساني سيكون قد تطوّر لدرجة يُمكننا القول أن فلاسفتنا المعاصرين في القرن الحادي والعشرون سيكونون مجرّد أفراد عاديين إذا قسناهم لعامة المواطنين في عصر الدولة العالمية . وبهذا يُمكنك أن تتخيل المُستوى الفكري الذي سيكون عليه فلاسفة ذلك العصر ! . وناهيك أيضاً من تطوّر الجهاز العصبي لدى كل الأفراد وهذا تكلّمنا عنه فيما سبق من هذا الكتاب فراجع !

ومهما يكن فالفكر الإنساني والأنظمة التي ستحكم هذا الفكر ستشهد انقلاب كامل بسبب تتابع الأحداث وتأثير الأنظمة بعضها في بعض كالسلسة التي إذا حرّكت أحد أطرافها فإن الإرتدادات والموجات الحركية ستتحرّك عِبر حلقاتها حتى تصل الطرف الآخر . فهكذا تؤثر الأنظمة في بعضها !

تطوّر النظام الإقتصادي

من الواضح أن وسائل الإنتاج تتأثر بالظرف العام للدولة ، فقطاع الإقتصاد يُعتبر من أحد أهم شرايين الدولة بل من أحد أهم الشرايين التي تُغذي وجود الدولة بالأصل إن لم يكُن هو أهمُّها على الإطلاق وعلى الأقل في عالمنا المُعاصِر !

وهذا القطاع الحيوي تتأثر وسائل الإنتاج فيه بالظرف العام للدولة فتراه في أوقات الأزمات السياسية أو أوقات الحروب وحتى أوقات حدوث الكوارث الطبيعية يتأثر تأثُّراً كبيراً ، لأنه كما يقول الخُبراء في هذا المجال "أن رأس المال جبان" أي أنه لا يظهر في الأزمات لأنه مُهدد بالخطر ، والدولة باعتبارها المسؤول الأوّل عن مستوى القوة والضعف الإقتصادي تحاول قدر الإمكان التوفيق والموازنة بين الإقتصاد العام للدولة وبين الملكية الخاصة للأفراد من مُستثمرين وأصحاب رؤوس أموال ، وهذه المسألة في الواقع مسالة شائكة لأن لدينا أكثر من نظرية في هذا الصدد . فهُناك الإشتراكية والرأسمالية والكثير من النظريات التي تذهب لصيغة مُختلفة في الطرح عن باقي النظريات .

فمن جهة أُولى تبقى الملكية الخاصة للأفراد والمؤسسات خارج نطاق الدولة حق مكفول للجميع ، ومن جهة ثانية هذه الملكية تؤثر في بسط كف الدولة وقدرتها على التحكم في كامل النظام الإقتصادي للبلد وبالتالي يتأثّر فقراء الشعب الذين تمثلهم الدولة بهذه القِسمة مع أن الدولة تمثّل وهي مسؤولة أيضاً عن أصحاب رؤوس الأموال !

فالدولة في حقيقة الأمر واقعة تحت ضغط هائل من جهة الموازنة بين الطبقتين طبقة البورتاريا أو عامة الشعب والطبقة البرجوازية الإقطاعية أو أصحاب رؤوس الأموال من جهة ثانية . فالطبقة الأولى تعتبر أن من حقّها أن تُضارب برؤوس أموالها في السوق وتتملّك الأراضي والمصانع وتفرض سياساتها الخاصة من خلال الشركات والمؤسسات والهيئات ، والطبقة الثانية تعتقد أن من حقّها الوصول لكل شبر من أرض الوطن والمُشاركة الفعلية في الإنتاج وعدم الخضوع لأي قانون غير القانون الذي تضعه الدولة من خلال الدستور الوطني الذي يمثّل سيادة جميع المواطنين وبطبيعة الحال هذا يصطدم بالرؤية التي تبتغيها وتسعى لتحقيقها الطبقة الأولى !

فالذين يُسيطرون على السوق لا يسمحون لأصحاب رؤوس الأموال الصغيرة بالمُشاركة في اللُعبة ، ولأنهم قادرين على تحمّل خسارات طفيفة وقادرين على تعويضها فيما بعد بسهولة كبيرة فهم سيبادرون الى قلب المُعادلة في السوق العام !

ولأن هذا البحث يبقى عسيراً على الكثيرين كي يفهموه سوف أُبسط الفكرة من خلال المثال التالي :

لنفترض أن هُناك تاجرين للرز . أحدُهما صاحب رأس مال ضخم جداً قادر على إبرام صفقات بينه وبين أكبر المصانع في العالم التي تُنتج الرز . وهو الوحيد الذي يُجهّز السوق الوطنية بالرز ! وهُناك تاجر آخر برأس مال صغير بائس يُحاول الدخول للسوق وتطوير تجارته !

ففي مثل هذا الحال سيكون التاجر الصغير بكل معنى الكلمة تحت رحمة ذلك العملاق الكبير ، لأنه بحركة واحدة يُمكن أن يُخفِّض السعر أو يزيد العرض لأن الحركة إطرادية في الإقتصاد كلّما قل العرض زاد الطلب وارتفع

السعر وكلّما كثر العرض قل الطلب ومعه قل السعر . فبحركة واحدة يُمكن لهذا التاجر الكبير أن يجعل السعر يهبط لربع القيمة وبالتالي سيكون التاجر الصغير أمام خسارة مؤكدة لرأس ماله لأن بضاعته سوف يلتهمُها الكساد ولا أحد سيشتري بسعره الذي أصبح باهضاً بالقياس مع ذلك المُنتَج الذي أغرَق السوق وبسعر زهيد !

والتاجر الكبير سيكون قادراً على تعويض هذه الخسارة الطفيفة وبسهولة تامة فيما بعد ولكن التاجر الصغير سيكون في خبر كان هو ورأس ماله البائس الصغير مثله .وهذا يطعن مباشرةً في مبدأ المُساواة بين أفراد الوطن الواحد مع أن كلاهما له الحق فيما يفعل !

وهذا يجعل الدولة تحت ضغط كبير جداً ، لأن مفهوم العدالة الإجتماعية وتوفير الفرص للجميع سيكون. مجرّد شِعار فارغ يفتقد للقيمة الفعلية على صعيد التطبيق !

وحل هذه المُشكلة العويصة يبقى في نظر خُبراء الإقتصاد معضلة حقيقة فلا يوجد نظام مصرفي مثلاً يمكن أن يكفل حقوق الطرفين ولا سوق عالمي بمنئى عن هذا الأخطبوط المارق ولهذا فهذه مُعضلة لا يُمكن تجاوزُها في عالمُنا المُعاصِر !

ولكن الوضع تحت ظل الدولة العالمية سيكون مُختلفاً جذرياً وهذه المُشكلة سوف تُحل ببساطة لأن طبيعة الدولة قابلة لأن توفّر مساحة شاسعة من المُناورة لرؤوس الأموال . فمن البديهي أنه كلّما توسّعت دائرة التجارة كلما خفّ الضغط على المركز .

فلو فرضنا وجود عشرة تُجّار برؤوس أموال كبيرة في مدينة واحدة فمع هذا الفرض تنتفي فرصة حصول تُجّار صغار على إدارة مشروع من الأصل لأن المُنافسة بين الكبار على أشُدِّها ولكن لو تم توزيع هؤلاء العشرة الكبار على عشرة مُدن سوف يقل الضغط على المركز وهذا يعني فُرص أكبر للتُجار الصغار بأخذ دورهم وإدارة مشاريعهم الخاصة ، وبما أن الدولة العالمية سوف تستعمر كامل النظام الشمسي فبهذا يكون الضغط على المركز شيء لا يكاد يُذكر فالعالم بأسرة بما في ذلك كامل أراضي الكوكب الذي نعيش عليه وكامل كواكب المجموعة الشمسية ستكون عبارة عن فُرص استثمارية لكبار المُستثمرين فهذا يفسح المجال واسعاً أمام رؤوس الأموال الصغيرة كي تنمو وتزدهر فمن هذه الجهة تكون المُشكلة قد حُلّت !

وأما على السناريو الآخر فلن يكون للمشكلة وجود من الأساس ، وهذا السيناريو هو أن لا أحد بحاجة للعمل أصلاً ولا لبناء ثروة فمن كانت ثروته مليار دولار قبل عصر الظهور سيكون مساوياً لمن كان كل ما يملكه قبل الظهور هو دولار واحد ، لأن المُستوى المعيشي لهما تحت ظل الدولة العالمية سيكون واحد وتسعى الدولة لشراء الأراضي والعقارات من المُستثمرين الكبار لتُسجلها باسم الشعب وتكون ملكية عامة فتنتفي الحاجة للملكية الخاصة من الأصل ناهيك عن أن خزينة الدولة بعد انتفاء الحاجة للجيوش وتمويل بعض المشاريع العلمية والصحية الفرعية والإستغناء عن النظام القضائي بالكامل وجملة المنظومة التي تتبعه ، والكثير من المؤسسات والهيئات والوزارات التي كانت موجودة قبل مجيء الدولة ،فبهذا تكون الدولة وفّرت ما يُعادل ٧٠% من الموازنة التشغيلية وهذا يُساهم في زيادة الأنشطة في القطّاعات الأُخرى والتي تُشارك بقوة وفعالية في رفع

المُستوى المعيشي لأفراد المُجتمع الإنساني بالكامل لأن وسائل الإنتاج التي تخضع اليوم لتقلُّبات ومتطلبات السوق الدولي ستكون قد اختفت عن الوجود والفائض الذي كان يُتلَف في كثير من الأحيان لكي يقل العرض وبالتالي يزيد الطلب والسعر بحركة إطرادية يكون قد ارتفع وهذا الفائض سيسُد النقص الحاصل في جهات أخرى من العالم وفي بلدان وشعوب أخرى والتي بدورها ستنصهر في كتلة هذا الشعب الواحد وتحت ظل هذه الدولة الواحدة !

هذا بعيداً عن رأي الموروث الديني ! وإلا فالموروث الديني يُكلّمنا عمّا هو أكبر من هذا بكثير ولا نريد الخوض فيه من أجل الإختصار !

تطوّر النظام التعليمي

التعليم شيء أساسي في مقياس ازدهار الدول وقطعها شوطاً كبيراً في اتجاه الوصول للرقي والكمال المطلوبين .

ومن المعروف أن النظام التعليمي بأنواعه وأنظمته المُعاصرة مثل نظام العام الدراسي الكامل ونظام الفصول الدراسية ونظام المراحل الدراسية ونظام الساعات المُعتمدة ، كُلّها لم تعمل على إيجاد عبقري أو نابغة إلا ما ندر !

فهي لا تتقصّد زرع الإبداع في نفس الطالب بقدر ما تُريد منه حفظ مقررات ومناهج تم تصنيفُها على أنها الأنسب من قبل الآخرين أما الطالب فلا حول ولا قوة له في قبول أو عدم قبول هذه المناهج وبالتالي فلا قُدرة له على إضافة لمسته الشخصية إلا بعد أن ينتهي من هذه المراحل الدراسية وهذا يهدر الكثير من الوقت ويُبدد الكثير من الطاقات !

ولقد تمت الإساءة للعلم ولقُدسية العلم حين تم ربط الحياة الإقتصادية والإجتماعية للفرد بالمُستوى التعليمي الذي أحرزه ، فالكثير من الناس بل الأكثر يدخل الجامعة لا لغرض العلم وطلبه بل من أجل الحصول على شهادة تضمن له الحصول على وظيفة بعد التخرُّج لا أكثر ولا أقل !

وهذا من أشد أعداء العبقرية والنبوغ ضراوةً على الإطلاق ، فهو يجعل الطالب النابغ والعبقري طيلة فترة دراسته الجامعية مثلاً مُقيّداً بالمناهج المُقررة سلفاً ولا يستطيع التمرّد على هذه المناهج إلا بعد أن ينتهي من دراستها وقد يكون حاملاً لأفكار أعلى وأرقى من أفكار تلك المناهج وهذا تدمير لإمكاناته وقُدراته ، ناهيك أن الشهادة الجامعية لا تُثبت ذكاءً ولا فطنةً ولا أفضليةً أو أعلميةً للأفراد فغاية ما في الأمر أن هناك منهج كتبه أحد الأشخاص فجاء شخص آخر درس هذا المنهج وحفظه وعلى هذا الأساس تم منحه الشهادة والتي تؤكد وهي دليل إثبات أنه لم يكن مشاركاً ولو بقدر بسيط من الإبداع في كل هذا الذي انفق سنيناً من عمره في دراسته !

وبهذا تم جرّ العلم الى دائرة يُفترض أنه بعيد عنها كل البعد وكل التاريخ العلمي الإنساني شاهد أن الإنجازات العلمية الكبيرة جاءت من أشخاص خارج المنظومة الجامعية والذين تمرّدوا على هذه المنظومة البائسة التي لم

تُنتج لنا طوال التاريخ عبقري واحد وإن وجِد عبقري خضع لهذه الدراسة الأكاديمية فعبقريته بمعزل تام عمّا تعلمه داخل أروقة الجامعة !

وهذه المُشكلة تبدأ من الصفوف الأولى في الدراسة ومن أيام طفولة الطالب حتى كهولته إذ انتفى الفهم الصحيح للعلم وحلّ بدلاً عنه فهم جديد ساذج وسطحي الى درجة أن الطلاب في كل أصقاع الأرض يسعون وبشدة للدخول ودراسة التخصّصات ذات الطابع البعيد عن الإبداع الفردي ، بل الكارثة العُظمى أن ترى مُعدّلات القبول في حقول الفلسفة مثلاً مُنخفضة جداً لسبب النفور منها وحتى من يتخرّج وهو حامل لشهادة دكتواره في الفلسفة لا يمتلك قدرة على التفلسُف بل لا يفهم كيف يتم الأمر أصلاً ! وهكذا الحال بالنسبة للأدب ففي كل سنة ينجح مئات الطلبة بالحصول على شهادات دكتوراه في الأدب بينما لا يوجد بين صفوفهم إلا نادراً جداً أديب هنا أو هُناك ، وكذا الحال في الطب وفي الهندسة وفي السياسة الى آخره.....

مجرّد تدوير بائس وممل للمناهج ومضيعة للوقت وستبقى كذلك في نظر المبدع الذي يضطر أما لأن يُمارس التعليم الذاتي لرفع مستواه العلمي أو للإنتظار ريثما ينتهي من دراسته الأكاديمية أو حتى الدينية الكلاسيكية في الحوزات والمراكز العلمية الدينية ، يضطر للإنتظار ريثما ينتهي من هذا العبث حتى يكون قادراً على إيجاد معادلة جديدة حين يكون مؤهلاً لهذا من وجهة نظر أساتذته الأقدمين ! فيما هو مؤهل له من وقت طويل جداً !

بهذا تم تدنيس قُدسية العلم وتمت الإساءة للعُلماء الحقيقيين فحتى حاملي شهادة الدكتوراه في عالمنا المُعاصر الذين يُفترض أنهم أضافوا للعلم شيء جديد ، في الحقيقة لم يفعلوا شيء غير إعادة تدوير الأفكار ولأنه من المُحال على لجان المُناقشة الوقوف على مجمل الطروحات الخاصة بهذا العلم فتتم إعادة تدوير بعض المفاهيم . ليتساوى حامل الشهادة الذي لا يعقل أي طرفيه أطول بآلبرت آينشتاين أو ماكس بلانك أو ادموند هوسرل .

وظُلامة المُبدع والعبقري تحت ظل هذه الأنظمة التعليمية تبقى مأساوية بكل ما للكلمة من معنى .

واليوم دخلت على الخط تكنلوجيا النانو والتي يتأمل المُجتمع العلمي أن يكون لها فتوحات طبيبة كبيرة لكنّها حتى اللحظة الراهنة في طور التطوير والتحسين ولم يزل اليوم الذي يتمكّن فيه المجتمع العلمي من إدخالها وبقوة في مُعادلة الطب ليس بعيداً كل البعد ومع هذا فليس بالقريب جداً على كل حال ، ومهما يكُن فمن الواضح الجلي أن هذا يرتبط بشكل مُباشر بتطوّر قطاعات أُخرى مثل الهندسة والرياضيات والتي يبقى الأمر مرهوناً بتطوّرِها ، ويأمل المُختصين في هذا المجال بإيجاد آليّات مجهرية بحجم الخلية الموجودة في جسد الإنسان مُحمّلة بالعقاقير وبالأسلحة الكافية للهجوم على الخلايا السرطانية والفايروسات داخل الجسد وتدمير تلك الخلايا دون المساس بالخلايا الصحيحة ذات العمل الكفوء وهذا بطبيعة الحال ليس ضرباً من ضروب الخيال بل هو موجود على أرض الواقع مع أنه مازال بدائياً كما تُشير الإحصاءات وقليل الإنتشار وعالي التكلُفة ، ومن الواضح أيضاً أنه يتطوّر بسرعة كبيرة خصوصاً في روسيا واليابان وما هي إلا مُدة عقدين أو ثلاثة حتى تتوفّر هذه التكنلوجيا لكافة أفراد المُجتمع الإنساني كما تُشير الدراسات .

هذا في عصرنا الحالي ، فما بالك بالعصر الذي يكون هو عصر ظهور القائد الموعود ، فبالإضافة الى تحسُّن المُناخ والبيئة والأنظمة الغذائية ، بالإضافة لكل هذا سيكون لدينا هذه التقنيات المتطوّرة في النظام الطبي .

وإذن فإننا سنشهد تطوّر بالغ في هذا الميدان لنُغادر صفحة الأمراض والأوبئة في تاريخ البشرية وللأبد ! . وبطبيعة الحال فهذا له تأثير في قطّاعات أخرى مثل تطوير الذكاء والنشاط الجسدي والنشاط الجنسي حتى أن البشر لن يكونون بحاجة للنظّارات الطبية ولا للحُقن الكيميائية ولا لشيء من كل هذا فتخيّل المبالغ التي سيتم توفيرُها بالنسبة للفرد والوقت والجهد وفي النهاية فمتوسط عمر الإنسان سيرتفع بشكل ملحوظ وملحوظ جداً لأن البيئة والمناخ والنظام الصحي يكون قد تطوّر وهذا ما سنفصّل فيه !

والحقيقة أن الدولة لا تمتلك بديل فعلي عن هذا النظام التعليمي فهي تحاول قدر الإمكان جعله متناسباً مع إمكانات الكل ومن الواضح أيضاً أن العباقرة والنوابغ هم النُدرة النادرة في المجتمع الإنساني ولهذا ينتصر مبدأ الأغلبية مرة أخرى في القطاع التعليمي ولكن الظُلامة واقعة لا محال دون وجود ما يمكن عمله إزاء هذه الظُلامة أو رفعها واقتلاعها من الجذور ، وتحت ظل الدولة العالمية التي قوامها العدل من البعيد أن نحتمل بقاء مثل هذا الروتين الأحول ناهيك عن أن الأفراد سيكونون بمستوى فكري وإبداعي عالي إدبان حكم الدولة العالمية ولذا سنشهد بزوغ فجر لنظام تعليمي جديد وبطبيعة الحال سيكون مختلف تمام الإختلاف عن هذا النظام الذي نعرفه وعشنا فيه وانفقنا سنوات أعمارنا في الدراسة ضمن مقاعده . . .

فالخطوة الأولى التي سوف تقوم بها الدولة هي تحرير العلم من القيد الإقتصادي والإجتماعي المفروضين عليه ، فلا أحد سوف يدخل للجامعة مثلاً من أجل الحصول على شهادة تضمن له فيما بعد وظيفة يعتاش منها . وهذا لوحده كافٍ في تقوية الطرح العلمي وصلابته وعمق طرحه ، ولأن الطالب سيكون مدفوعاً بشغف المعرفة لوحده سيكون إقباله على العلم أشد . ناهيك عن أننا لا نعتقد أبداً أن العلم بذاته سيبقى بذات الشكل الذي هو عليه الآن ، لأن هذا لا ينسجم مع القراءة العامة التي تبدو واضحة في مجمل القضية . وقد قسّمنا فيما سبق من بحوث هذا الكتاب الكلام عن طبيعة كل من العلم الحضوري والعلم الحصولي وأكدنا ضرورة أن العلم الحضوري هو الذي سوف يكون فاعلاً في حقبة الدولة العالمية فراجع البحث !

بعبارة أخرى لن يكون دور العلم أكثر من مجرّد تعليم الناس كيفية استخدام عقولهم في البحث العلمي ، وهذا يستلزم أن يفهم الناس ويتعلموا كيفية تشغيل مساحات أخرى من المخ فنحن كما سبق وفصّلنا الكلام في هذا ، لا نستخدم إلا ١٠% من قوة أدمغتنا فيما ينجح كثير من الأشخاص في زيادة هذه النسبة ، فكل ما انتجته الحضارة الإنسانية من تطوّر كان نتيجة هذه ١٠% والخلل يكمن في التركيز على العلم بذاته دون التركيز على الأداة التي من خلالها نستطيع الوصول للعلم وهي العقل !

فللآن لا نمتلك تعريفاً وافياً شافياً مُجمعاً عليه لحقيقة وطبيعة العقل وقد حاولت شخصياً في أكثر من دراسة ومقال وكتاب سابق أن أضع هذا الأمر في نصابه وأُظهر الإختلاف الكبير في وجهات النظر والذي أسهم بشكل سلبي في ضياع أصل البحث عن العقل جملةً وتفصيلاً . . .

فالتركيز على العلم دون التركيز على الأداة التي بها نستطيع الوصول للمفاهيم والقوانين العلمية يهدُر الوقت والطاقة بشكل مرعب ، وعدم تدريس تقنيات تجعل الناس قادرة على فهم الطرائقية التي تعمل بها عقولهم يُسهم كثيراً في تدني نسَب الإبداع ولهذا السبب لا تُنتج مؤسساتنا التعليمية أكاديمة كانت أم دينية أم فكرية أم ثقافية إلا

نوع ممل من التكرار والتكرار والتدوير وصناعة مومياوات جديدة يحملون صفة مُختصين بالعلم الفلاني والعلم الفلاني فيما هم عاجزون عن معرفة أبسط قضايا ذلك العلم أو أكثرهم هكذا للإنصاف !

وهكذا سنكون أمام نطام تعليمي جديد يكون العُمدة فيه هو العلم الحضوري وحضور ذات المعلوم للنفس مع التطوّر الخارق في قدراتنا العقلية والتي تُثبت أبحاث الباراسايكلوجي أن مثل هذه الخاصية موجودة عند كل بني البشر ، وبطبيعة الحال لن تكون هذه الطفرة أمراً عجيباً تحت ظل الدولة العالمية لأنه ببساطة الكل سيكونون قادرين على استخدام هذه الخاصية الذهنية الفريدة والمُذهلة ولهذا سيكون النظام التعليمي تحت ظل الدولة العالمية نظاماً هو بدوره فريداً وعمليّاً ولا يهدر الوقت في أشياء ثانوية مع منح الحرية الكاملة للطلبة باتخاذ المنهج الذي يقررون دراسته وبعد الإنتهاء تُقدّم أطاريحهم للمناقشة ولكن هذه المرّة المُناقشة مُختلفة وهي تشبه ما تكلمنا عنه في ما أسميناه بنظام "البرهان" حين تكلّمنا عن تطوّر النظام السياسي .فراجع !

تطوّر النظام الصحي

إن الربط واقع لا محال بين تطوّر النظام التعليمي وتطوّر النظام الصحي ، إذ أن أمكاناتنا العلمية الحالية لا تجعلنا مؤهلين لإيجاد وسائل الردع البايلوجي ضد الفايروسات والطفيليات التي تُسبب الأمراض الفتاكة أو إيجاد وسائل دفاعية ضد الأمراض المُزمنة والتي نراها تعيث في المجتمع الإنساني فساداً دون رادع .

فقد تسبب فايروسات الكوليرا لوحدها بموت الملايين من البشر عبر حقب التأريخ المُترامية أضف لذلك باقي الأوبئة مثل شلل الأطفال ، وحمى التايفوس typhus fever ،والأيدز HIV ،والملاريا ، والجدري ، والحمى الصفراء ، والطاعون أو الموت الأسود ، والإنفلونزا ، والسلّ الرئوي ، الى آخر القائمة التي تطول !

وربما نحن نعيش في عصر قَلَّ فيه خطر هذه الأوبئة خصوصاً البكتيرية منها بسبب وجود المضادات الحيوية الفائقة والتطعيمات واللُّقاحات . ولكن هذا لا يعني أن الخطر زال تماماً فالإنفلونزا مثلاً وهي مرض فايروسي يتسبب به فيروس صغير ، مادته الوراثية مكونة من ٨ قطع من الحمض النووي الريبوسي وتتميّز بقُدرتها العالية على التحوّر من خلال الطفرات والتبادل الجيني وهذا يجعل من تطوير لُقاح فعّال ضدها أمراً في غاية الصعوبة ، وقد يعتقد البعض أن هذا مرض بسيط ولكن الحقيقة أنه خطر جداً . ففي العام ١٩١٨ ضرب هذا الفايروس العالم وظهرت له تسميات عدة منها الإنفلونزا الإسبانية ومع أنه أستمر لسنة واحدة فقط فالتقديرات تُشير لأن ضحاياه وصلوا من ٢٠ الى ١٠٠ مليون إنسان !

وهو مازال يتطوّر ويُحسِّن من أدائه ولا نعلم متى سيُهاجم مرة أخرى ومتى تقع الكارثة وأضف لهذا باقي الأوبئة التي ذكرناها والتي لها في الأغلب نفس الخاصية الجينية !

وإذن فالخطر قائم ولا محظور من وقوع الكارثة في أي وقت وفي أي مكان إذ لا يوجد مكان مُحصّن أبداً . والحديث ذو شجون لو تكلّمنا عن التلوّث البيئي وما يتبعه من أمراض وعن النظام الغذائي المُنفلت الذي أدمن العالم "المتحضر" عليه إدماناً ، فأرقى مطاعم العالم هي تلك التي تُقدّم الوجبات الفاخرة والتي هي في حقيقتها عبارة عن سموم يتأثر بها الجسم بل تُسمم القدرة على التفكير الصحيح ، ومصائب السُكر الذي يدخل في صناعة

الحلويات وهو في حقيقته عبارة عن سُم زعاف ناهيك عن التدخين الذي "يقولون" أنه يُسبب أمراض كثيرة وأقول يقولون ! وكذلك المياه غير الصالحة للشرب لا بل العقاقير الطبية نفسها هي الأخرى عبارة عن سموم كيميائية إن أصلحت شيء في البدن دمّرت أشياء . . .

كل هذا وأكثر من الأخطار يُحيط بالحياة البشرية اليوم ، أضف له شركات تصنيع الأدوية التي لا تدّخر جُهداً في سبيل حلب جيوب المرضى وذويهم الأمر الذي يدفع كثيرين لارتكاب جرائم بشعة في سبيل تأمين العلاج لأولادهم أو أمهاتهم أو زوجاتهم ، أما التردي الحاصل في القطّاع الطبي في دول العالم الثالث فحدّث ولا حرج فأقل العمليات الجراحية يُكلّف ما يفوق الدخل السنوي للفرد في بعض الاحيان بثلاث أو أربع مرّات وإذا ذكرنا تكاليف العلاج والسفر للبلاد التي يتوفّر فيها مشافي مُختصة ببعض الأمراض فالحديث فعلاً وحقاً ذو شجون !

والسرطان هذا الكابوس الجاثم على صدر البشرية والذي للآن لا نعرف الطريقة التي ننتصر بها عليه مع أن هذه الطريقة موجودة نظرياً لكن التطبيق العملي لها يبقى بعيد المنال في الظرف الراهن .فهذا الرعب الصامت الذي مازال يرتكب البشاعات بحق بني البشر وهو الراكب على ظهر المورِثات الحيوية للناس . يبقى دون رادع فعلي على أرض الواقع وما العجز أمامه إلا عجز علمي يُسببه المُستوى المُتدني للأجهزة والعقاقير وكامل المنظومة العلاجية الطبية ، مع أن فهم الطريقة التي سيتم بها القضاء عليه أصبحت معروفة للمُجتمع العلمي ولكن يبقى القصور عن إيجاد الآلية والأداة التي على أساسها تتم الحركة لإنهاء هذا الكابوس الإنساني هو سيّد الموقف . . .

متوسط عمر الإنسان في الدولة العالمية

قبل حوالي عشرة آلاف سنة يُقدِّر المؤرخون عدد البشر بـ ٢ أو ٣ مليون بشر على الأرض كلها ، ومع بداية التاريخ الميلادي ومع السنة الأولى كان عدد البشر هو ٣٠٠ مليون نسمة لكن هذا العدد بقيَ يتزايد ولكن ببطء أي كل مائة أو مائتي سنة نشهد زيادة طفيفة على هذا العدد الى أن نصل للسنة ١٠٠٠ ميلادي فيكون العدد قد وصل ٥٠٠ مليون نسمة ثم الى ٨٠٠ مليون نسمة في العام ١٥٠٠ ميلادي وفي العام ١٨٠٠ ميلادي أي في القرن الثامن عشر نجد هذه الأعداد ازدادت و وصلت لـ مليار نسمة ثم صار لدينا ٢ مليار بشر في العام ١٩٣٠ ، ثم ٣ مليار في سنة ١٩٥٩ ، ثم بعد ٢٥ سنة فقط وصل العدد ٤ مليار نسمة ، ومن العام ١٩٨٥ الى العام ١٩٩٦ وصل العدد ٦ مليار نسمة ثم حدث شبه استقرار في هذه القفزات السُكانية حتى وصلنا للعام ٢٠١١ وقد وصل العدد الى ٧ مليار نسمة والآن وحالياً عدد البشر فوق سطح الكوكب هو ٧ مليار ونصف تقريبا ، والمُتوقع أنه في نصف هذا القرن أي في العام ٢٠٥٠ أن يكون العدد قد وصل الى ١٠٠٠٠ عشرة أو أحد عشر مليار نسمة !

ولكن الأهم من هذه الأرقام هو أن التزايُد ليس متساوياً على المناطق الجغرافية ، فمثلاً نسبة التزايُد الآن هي ٣٠% خلال العشرين سنة الأخيرة على مستوى الأرض كلها ولكن في أفريقيا لوحدها نسبة التزايد ٦٠% بينما في أوربا فقط ١٠ % ، في الصين مثلاً نسبة التزايد فيها ١٨% فقط مع تطبيق نظام وسياسية الطفل الواحد لكل عائلة ومن زمن طويل وللآن ، أما في منطقتنا نحن في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وصلت النسبة الى ٥٥%

وهذه نسبة عالية جداً كما هو واضح ولا يتحملها الإقتصاد في دولنا النامية كما هو أوضح ! ، أما الهند مثلاً فقد كان عدد السكان فيها سنة ١٩٥٠ هو ٣٦٠ مليون نسمة وفي سنة ٢٠١٠ صار العدد مليار ومائتي مليون وهذا يعني نسبة ٢٣٥% خلال ستين سنة وهذه زيادة رهيبة فعلاً وقد حدث أن طبقت الدولة الهندية مدة من الزمن قانون صارم ينص على أن كل رجل يُنجب طفلين من امرأة واحدة أو إثنين يتعرض للإخصاء بمعنى قطع انبوب السائل المنوي وإجباره على العقم وواجه هذا القانون اعتراض هائل وموجة من الغضب الشعبي ، وفي أندونيسيا كان العدد في سنة ١٩٦٠ حوالي ٩٥ مليون وسنة ٢٠١٠ صار العدد ٢٣٨ مليون نسمة يعني نسبة زيادة ١٤٥% تقريباً خلال خمسين سنة وهذه ايضاً نسبة مرتفعة !

والسؤال هو ما سبب هذه الزيادات المرتفعة في القرنين الأخيرين في حياة البشرية ؟

وجوابه : أن أهم العوامل هو تحسُّن النظام الغذائي خصوصاً تغذية الأطفال ، فنسبة الوفيات في السنوات الأولى للأطفال هو الذي كان خلف بقاء البشر باعداد قليلة بالمُقارنة مع اعدادهم اليوم ، وسوف نتحدث عن متوسط عمر الانسان قبل خمسين سنة فقط إذ كان من ٤٠ الى ٥٠ سنة وهذا المتوسط مبني على احتساب الذين يموتون وهم صغار والذين يموتون وهم كبار وهكذا أما الآن فالمتوسط هو ٧٢ في كل العالم ، وأما العامل الثاني الذي ساهم في هذه الزيادة في اعداد البشر هو التطوّر الصحي والتطعيم ضد الفايروسات بشكل خاص للأطفال مثل المضادات الحيوية (Antibotics) آنتايبويكس ، فقد قضت على الأمراض إذ أن حتى تلك البسيطة منها مثل الزكام كانت تقضي على الناس وتقتلهم ، وثالثاً ممّا ساهم في هذه الزيادة السكانية هو نظام الصرف الصحي وهو عامل مهم جداً لأن البكتيريا والأمراض تنتقل كثيراً بالماء فإذا اختلطت مياه الصرف الصحي بمياه الشرب فهذا سينقل الكثير من الامراض والفايروسات والبكتريا فإذا كان هناك نظام صرف صحي متطوّر فهذا يُساهم في إبعاد شبح تلك الأمراض وهذا الذي حدث بالفعل ، والعامل الرابع هو التطوّر الهائل في قطاع الزراعة حتى وصلت النسبة الى ٣٠٠% في بعض الدول وهذا بفعل مكافحة الآفات وتطوير وسائل الهندسة الزراعية مما يُسهِم في جودة المنتوج وهذا ساهم في القضاء على حالات المجاعات التي كانت تفتك ببني البشر . ثم أن الأعداد كلّما تزايدت أنتجت أعداد أكبر كما هو واضح وهذا عامل إضافي !

ويواجهنا سؤال جوهري في هذا الصدد ، وهو كم من البشر يمكن أن يستوعب النظام الطبيعي لكوكب الأرض ؟

إذ أننا نفترض أن متوسط عمر الإنسان في الدولة العالمية تحت ظل قيادة القائد المعصوم سوف يقفز قفزة هائلة جداً ومع طول عمر الإنسان فالأعداد سوف تتزايد بشكل مُرعب حقاً فما يتم تعويضه بالموت وتوفيره من حصص الطاقة والمحاصيل الزراعية والأعباء الإقتصادية يذهب لمصلحة المواليد الجُدد فإذا طالت الأعمار فهذا يعني أن أي مولود جديد سيكون عبئاً على النظام العام مع عدم وجود مكان شاغر يحتله ، وهذه المُشكلة تفرض نفسها بالفعل ، فحتى على صعيد العلاقات الإجتماعية فأنا وأنت لم نرى آباء أجدادنا في الأغلب فتخيّل لو أننا التقينا وقُدّر لنا أن نعيش تحت ظل جدّاتنا وأجدادنا من المرتبة الخامسة أو السادسة كأن تعيش أنت مثلاً مع جد جدك ! فهذا العيش المُشترك يفرض نوع من سلطة الماضي على كل من الحاضر والمستقبل لأن التقاليد والعادات ستكون هي الأخرى مُعمّرة وطويلة العمر وهذا يُدخلنا في متاهة حقيقية وفق قواعد علم الإجتماع والهندسة الإجتماعية !

وكلما ازدادت أعداد البشر كلما فرضت هذه الزيادة ضغوطات جديدة على الأنظمة الإقتصادية والإجتماعية والطبية والسياسية ناهيك عن ضغطها على البُنى التحتية من مستشفيات وطُرق وصناعة وزراعة وطاقة إذ أن

مناسيب الإستهلاك سوف ترتفع وهذا البحث نال وحاز على اهتمام الكثير من الباحثين لأن هذه المشكلة قادمة لا محال تحت كل الظروف وبأي شكل من الأشكال فهي قادمة لا محال في مستقبل البشرية !

والحقيقة أن هذه المشكلة ليست في زيادة أو عدم زيادة التعداد السكاني العالمي بل هي تتبلور وتظهر مع سوء نظام التوزيع ففي الأوقات التي ظهرت فيها مجاعات في بعض أصقاع القارة الأفريقية كان أكثر من ٦٠% من المدخول الإنتاجي للغذاء في بُلدان مثل العراق وامريكا وفرنسا يذهب لمكبات النُفايات ، وهذا الإهدار غير المُبرر في الغذاء هو السبب في هذه المخاوف التي تُراود بعض المفكرين المعاصرين وإن كُنّا نُشاركهم نفس المخاوف لكن نحن نعتقد أن سُرعان ما سوف يتم تلافي المُشكلة والتي نشهد اليوم بوادر مُطمئنة لعدم عودتها ، ففي الاعوام الأخيرة مثلاً شهدنا آلالاف بل عشرات آلالاف الأطنان من اللحوم يتم تصديرُها بالمجان من مكة المُكرمة في خلال موسم الحج الى بعض شعوب افريقيا التي تحتاجها بالفعل وهذا لوحده رفع ما يُقارب الـ ٢٠% من الخطر المُستقبلي بوجود مجاعة . ونحتاج لخطوات أخرى بهذا الصدد لكي نضمن توزيع مُناسب للأغذية ، ثم أن السِلال الغذائية في بعض الدول قد تكفي لكل البشرية البالغ عددها الآن سبعة مليارات ونصف المليار ، فما يُقدِّرهُ أهل الإختصاص أن السودان لوحدها قادرة على انتاج القمح الكافي لكل البشرية فيما لو تم استغلال الأراضي بشكل مُناسب ، وما تُنتجه الفلبين وأمريكا من الرز كافي أيضاً ، وما ينتجه العراق وسوريا وتركيا من التمور واللحوم كافي كذلك ، فالمشكلة ليست في تزايد التعداد السكاني العالمي وإنما في التوزيع وفي زحف المُدن على الأراضي الزراعية ، ففي دول امريكا الجنوبية وفي بعض دول الشرق الاوسط ودول أوربا الشرقية زحفت المُدن الكُبرى نحو الأراضي الريفية الزراعية مع أن مجرّد انحراف بسيط في توجيه خارطة تلك المدن قد يذهب بها للأماكن شبه الصحراوية أو المعزولة وترك الأماكن الزراعية لحالها وهذا بطبيعة الحال ناتج عن خلل بالغ في التخطيط !

فالمشكلة هي مشكلة التخطيط والتوزيع الصائب ولا دخل للتعداد السكاني فيها . ولأن النظام العالمي اليوم يعمل بشكل دول تسعى لأن يكون اقتصادها قوي فهذا التشتُت في القوى يجعل من حل هذه المُشكلة أمراً بالغ الصعوبة وما أن تزول هذه الفوارق والحدود بين الدول حتى تنتهي هذه المخاوف فالدولة ستكون واحدة ولا معنى لأن تحتسب القضية سياسياً أو اقتصادياً ، فمن أجل الشاي فقط نشبت صراعات كثيرة وكذلك من اجل الفلفل الحار وباقي التوابل لا بل أن كولومبوس حينما اكتشف الامريكيتين كان هدفه الوصول لأسيا وللصين بالتحديد لجلب الفلفل الأسود بعد قطع الدولة العثمانية الطُرق المؤدية والرابطة بين آسيا و أوربا . وإذن فالمعضلة في التوزيع والنقل والتخطيط هي السبب في كل هذه المخاوف الحالية فإذا حُلّت هذه المشكلة فلا داعي للخوف من التعداد السُكاني مهما بلغ !

بعد هذا نأتي للسؤال الجوهري وهو كم سيبلغ متوسط عمر الإنسان تحت ظل الدولة العالمية ؟

وجواب هذا السؤال يعتمد على طريقة فهم كامل النظام !

فقبل خمسين سنة مثلاً كما نوهنا أعلاه ، كان متوسط عمر الإنسان من ٤٠ الى ٥٠ سنة . أما اليوم فقد ارتفع هذا المتوسط ليكون في كل العالم ٧٢ وفي بعض الدول المتقدّمة وصل الى ٨٠ .

إذ أصبح من الطبيعي جداً أن يتجاوز الإنسان مائة سنة فقد وصلت صاحبة الرقم القياسي الفرنسية (جان كالمو) الى ١٢٢ سنة وتوفت قبل فترة قصيرة وتُشير الإحصاءات الرسمية الى أن هناك ٠٠٠،٧٨٠ سبعمائة وثمانين ألف شخص تجاوزت أعمارُهم ١٠٠ عام ، واللافت للنظر أن نصف هؤلاء هم من اليابان ويلفت النظر أيضاً أن ٩٤% من هؤلاء المُعمرين هم من الإناث فيما تبقى حصة الذكور ٦% !

ويذهب كثير من العلماء والمفكرين الى أننا سوف نصل ٢٠٠ عام بنهاية هذا القرن .

فمنذ اكتوبر ٢٠١٦ الى يونيو ٢٠١٧ نشرت مجلة (nature) ناتشر العريقة ، أبحاث كثيرة بعضها يذهب الى أن هناك حدّ أقصى وهو ١٢٥ سنة فيما راحت دراسات وابحاث أخرى تقول وتُثبت أنه لا يوجد دليل على توقف هذا التطوّر في طول الأعمار أو وصول الى حدّ مُعين أو أقصى وهناك كما ذكرنا قبل قليل زيادة واضحة في الأعمار بسبب التطوّر الحاصل في ميادين الأمن الغذائية والطبي والتخطيط الإسكاني والبُنى التحتية !

وقد ذكرنا لك فيما مضى من فصول هذا الكتاب وبالتحديد حين تكلّمنا في باب (من هو الإمام المهدي) عن إمكانية إطالة عُمر الإنسان لمُدد وفترات طويلة جداً وفصّلنا الكلام هناك وسوف نُعيد قسم منه هنا للفائدة ، فممّا ذكرناه هناك :

[فهل يمكن أن يطول عمر الإنسان لهذه المُدد الطويلة أم لا .فالتاريخ الديني يُحدثُنا عن آدم وأنه عاش تسعمائه وخمسون سنة فهل العلم والفلسفة يؤكدان أن لا محذور في هذا أم لهما رأي آخر !

أما علمياً ، فهذه مسألة أصبحت واضحة . فلو أخذنا فكرة عامة عن أنزيم (التيلوميراز) وعرفنا أن وظيفته هي ربط نهاية خيوط الـ(DNA) وتنبيه الخلايا كل مرة على الدخول لمرحلة جديدة أقصر فأقصر حتى الشيخوخة. ومتى ما تلف ذلك الإنزيم تلفت الخلايا . فكل خلية محكومة بالموت بساعة (بايلوجية) وهذه الخلايا تكون بعد هرمها عاجزة عن الإنقسام ويموت البعض منها بعد ذلك لكن مع أنزيم (التيلوميراز) يمكن الحفاظ على أطراف تلك (الكروموسومات) بعد كل مرة تنقسم فيها وهذا يعمل على تأخير الساعة البايلوجية لتلك الخلايا وبالتالي سيطول أمد عمرها البايلوجي .وهنا يوجد كلام للدكتور (ميتشو كاكو) يقول فيه أننا حتى نقوم بهذا نحتاج لقهر الخلايا (السرطانية) لأنها خلايا خالدة ثم نكون قادرين على تنفيذ المهمة وبطبيعة الحال فكلام الدكتور ميتشو كاكو لم ينفي الأصل ولهذا الحد هو كافٍ في إثبات وجهة النظر التي نريدها !

بل أكثر من هذا بكثير فإذا كان الكلام السابق مجرد كلام نظري علمي .فهناك حقائق ثبوتية على أرض الواقع ، فقد استطاع الأستاذ في علم الوراثة في جامعة (هارفرد) البروفيسور(ديفيد سينكلير) بالتعاون مع باحثين في جامعة (ساوث ويلز) بتطوير تقنية جديدة لإعادة برمجة الخلايا وتجديد الأعضاء وشفاء المصابين بالشلل تماماً ،ويقول البروفيسور ديفيد سينكلير أنه استطاع إيقاف ساعته البايلوجية لـ٤٢ سنة وأن والده عاد لممارسة الرياضة وأن شقيقة زوجته عادت لها الخصوبة وكل ذلك بفضل هذه التقنية التي نجحت في إطالة عمر الفئران

فعلياً واثبتت نجاحها على البشر ويأمل الباحثون أن تتوفر هذه الأقراص في الأسواق في غضون خمسة سنوات وبكلفة منخفضة تعادل كلفة فنجان قهوة .والدواء المُكتشف من مكملات علاج داء الـ (باركنسون) !

وهناك دراسة أخرى أطلعت عليها لمجموعة من الباحثين وهي تثبت أن بروتين (٦٢P)الذي يُعد سبب أساسي للإصابة بالسرطان يمكن أن يكون هو المفتاح لعكس الشيخوخة أي أن يكون هو سر زيادة عمر الإنسان إذا تم استخدامه بشكل ينسجم مع هذه الفكرة !

ومن يشاء التوسّع في هذا البحث ليس عليه أن يبذل الكثير من الجهد كي يتأكد من الفكرة لا بل بعضهم ذهب لأبعد من هذا بكثير . فهناك كتاب للدكتور (سام بارنيا) سماه بـ (محو الموت) والدكتور سام بارنيا متخصص في عمليات الإنعاش .وقد قدم محاضرة في أحد المراكز العلمية الكبيرة في كندا عن هذا الموضوع بحضور مئات العلماء .] انتهى الإقتباس !

هذا في عصرنا الحالي فما بالك بالعصر الذي ستكون فيه تكنلوجيا النانو والنظام الصحي وصل لمرتبة عالية جداً وانتفت حالة التلوّث البيئي واصبح لدى الإنسان رخاء اقتصادي وراحة نفسية واستقرار عاطفي وسياسي ومجتمعي الى آخره . . . . . .

فمن المؤكد أن الوضع سيختلف ولذلك بعملية حسابية سريعة يُمكننا أن نتعرّف على متوسط عمر الإنسان تحت ظل الدولة العالمية ولكن المشكلة هي بأننا لا نتملك قدرة على معرفة وقت ظهور هذه الدولة بالتحديد والدقة وإلا لو كان موعد ظهورها معروفاً بالنسبة لنا لكُنّا أضفنا لكل قرن من الزمن ١٠ زيادة في المتوسط العمري كحد أدنى وبطبيعة الحال النسبة أكثر من هذا بكثير وعلى العموم ١٠ سنوات كزيادة من الآن حتى عصر ظهور الدولة العالمية فهناك يحصل لدينا معرفة مُسبقة بمتوسط عمر الإنسان ولكن مثل هذا التحديد غير متوفر للأسف .

وعلى العموم فمتوسط عمر الإنسان في الدولة العالمية من شبه المؤكد أنه سيكون في أقل التقادير عشرة أضعاف المتوسط الحالي الذي هو ٧٢ سنة ، ويبقى لدينا إشكال منهجي وهو إذا وصل عمر الإنسان لمثل هذا الحدّ فهل ستبرز لدينا مشاكل إجتماعية .والجواب أنه لن يبرز شيء من هذا لأن المجتمع وصل مرتبة الكمال فلا داعي لأن تتغيّر مُجريات الأمور والقواعد العامة في التقاليد والأعراف ولهذا قد تكون أنت وجدك العاشر متجاورين في السكن وتتمتعون بنفس الأفكار والذهنية والتقاليد والمستوى الثقافي ، ثم عن الموت إذا أردنا أن نأخذ بوصلة البحث يواجهنا السؤال التالي . هو هل سيكون الموت طبيعياً ؟

فلو فرضنا أن تكنلوجيا النانو مثلاً استطاعت أن تقتل كل الخلايا الضارة في جسم الإنسان ولا يوجد احتمال لإصابة الإنسان بأي مرض من الأمراض مهما كان بسيطاً مع الإمكانية العالية لاستبدال الأعضاء التي يُصيبُها الهرم بأُخرى صناعية كما هو حاصل اليوم بالفعل فهناك قلب اصطناعي وكليتين اصطناعيتين وأطراف اصطناعية الى آخره . . . فهنا تواجهنا مشكلتين :

الأولى - فلسفية !

والثانية - منهجية !

أما المشكلة الفلسفية . فهي إذا تم استبدال هذه الأعضاء المتضررة والتي تُصاب بالهرم ومن ضمنها الدماغ . فهل سيبقى الإنسان بخاصيته المعروفة (أنا) على وضعه ام أنه سيتحوّل لشيء آخر !

بمعنى أنه أنا أحمد الجبوري لو تم استبدال كليتي ومعدتي وقلبي بأُخرى صناعية ثم بلغ الهرم لدماغي فقام الأطباء بتخزين البيانات الموجودة في دماغي على شريحة ألكترونية ثم نزعوا عن رأسي دماغي القديم وجعلوا بدلاً عنه جهاز صناعي يؤدي نفس الوظيفة ثم أعادوا تلك البيانات التي أخذوها من دماغي لهذا الدماغ الصناعي الجديد فعادت لي نفس ذكرياتي ونفس المعلومات السابقة كلها .. هل في هذه الحالة أكون أنا هو هذا الشيء فـ (أنا) هذه لازمتني طول حياتي فهل ستبقى أم لا !

وجواب هذا السؤال الفلسفي واضح . إذ أن هذه (الأنا) التي تُطلقُها على نفسك وأنت في سن العاشرة هي نفسها من تُطلقُها على نفسك وأنت في سن الخمسين مع أن جسدك كُله قد تبدّل والذرات تغيّرت ولم يبقى من جسدك القديم أي شيء بتاتاً فكل شيء فيه تغيّر وتلك الذرات القديمة أصبحت داخل أجساد بشر آخرين أو في أجساد الحيوانات أو في التراب أو في الأشجار الى نهاية ما يمكنك تخيُّله ومع هذا فالأنا التي تقولها بقيَت كما هي لم تتغير !

وعليه فحتى لو تم استبدال كامل جسدك بما في ذلك الدماغ فأنت ستبقى أنت !

وأما المُشكلة الثانية وهي مُشكلة المنهجية ، فنحن نعرف أن الحياة يعقبها الموت لا محال فكيف سيكون الموت تحت ظل الدولة العالمية مع عدم وجود أمراض ولا عوامل خارجية ويمكن ايضاً استبدال الأعضاء فهل سيبقى الناس أحياء لا يموتون أبداً لأن هذا يصطدم بشكل مُباشر مع ثوابت الدين وثوابت العلم !

والجواب : أنهم سيموتون بالتأكيد ولا يتبادر لذهنك أنهم سيموتون بمحض إرادتهم لأنه الإنسان مفطور على حب الحياة خصوصاً ونحن نتكلم عن دولة لا يكون فيها ملل بسبب الترف كما هو حاصل في البلدان التي لديها رفاهية حالياً فعنصر الملل لن يكون متاحاً ! لأن الكل سيكون مُنتج . وعليه سيكون الموت بفعل تدخُل إرادة النفس الإنسانية ولو أردنا التوسّع فلسفياً أكثر في هذا الموضوع لاحتجنا لكتاب كامل ولكن نكتفي بالإشارة فقط !

فأنت حينما تغضب لا مدخلية للجسد في هذا الغضب لكنه يتأثر بغضبك .وحين تكون سعيد أو حزين أو عاشق أو مُكتئب أو خائف أو مُطمئن فكل هذه الشعورات شعورات نفسانية باطنية لكنها تؤثر على الجسد والجسد يتأثر بها ، فبعض الأشخاص يُصاب بجلطة دماغية بسبب خبر مُفرح أو مُحزن . فمع أن لا علاقة للجسد بهذا الشعور لكنه يتأثر مباشرة بغض النظر عن الوضع الصحي للشخص .. ألا يقول أبناء جنسي من الشُعراء (من الحب ما قتل) ! وبالفعل فمنه ما قتل مع أنه شعور نفسي صرف لكن الجسد يتأثر به . فمهما كان الأمر ففي مرحلة من

المراحل سيتدخل العامل النفسي لإنهاء الحياة وكما تعرف وأعرف أنا أن عملية الشفاء من أي مرض في ٧٥% هي عملية نفسية بعيدة عن الجسد .فمتى ما رفضت النفس العلاج رفضه الجسد وهكذا ستكون طبيعة الموت تحت ظل الدولة العالمية وهذا على سبيل الفرض بطبيعة الحال !

المُمارسات الثقافية الأبرز تحت ظل الدولة العالمية

لابد من أن هذا التطوّر الهائل الذي شَمَلَ كُل مفاصل النظام الكوني يستتبع بطبيعة الحال تبلْوُر ثقافة مُعينة تكون بمثابة التعبير الحي والمُطلق عن مدلولات ذلك التطوّر !

كما ولابد أننا سنشهد إندثار في بعض المفاهيم الثقافية وذلك بسبب أنها كانت في الأصل مُزيفة فلما كُشِفَ زيفُها اندثرت بفعل الإكتساح الثقافي الجديد الذي طرأ على ساحة الفكر الإنساني .

إننا لا ننظُرُ للقضيةِ المهدويةِ على أنّها تعبيرٌ عن نمطٍ ديني بحت في قِبال سردبةِ ما اشترَك فيهِ بَني البشر من مدلولاتٍ وخطوطٍ عامة . وتعويم هذا المُنتَج الفكري الإنساني وهلهَلَةِ مُقرَّراتهِ وفضفَضتِها لِتفتَقِدَ في نهايةِ الأمر لكُنهِها والقيمةِ الفعليةِ لِبلوَرَتِها كتيّار اكتسحَ بِعمومِيّتِهِ مفاصِل التأريخ البشري ، وإنّما الرؤية التي نتبنّاها هيَ ذاتيّة هذهِ المفاهيم وأصالَتِها بِمَعيّة تَقَوّمِها بِالمُسَلَّمْ الديني واشتراكِ البُعدين في أُطُر تَتَعدَّدُ بِماهِيّاتِها وطَبائِعها وتَتَوَحَدُ بِفردانيةِ الحاصِل والناتِج ، لِتصهَرَ في أُفقِها مع نهاياتِ الإستدلالِ تراكُماتِ النشوز المُلازِم لِقراءات المعنى وغائيّةِ الحدَثِ في الإنتاج العقلي الإنساني !

وبناءً على ما تقدّم فمن المؤكد بأن أي تحوّل جديد في أي بُعد من أبعاد الحياة ينعكس سلباً وإيجاباً على المنظومة الثقافية الإنسانية ، فطبيعة المثقف الواعي هي أنه يُلازم الأحداث ويُواكب تصاعُد وتيرتها ويتفاعل مع إرهاصاتها وآثارِها التي ولابد أنها ستنعكس على الحياة الإجتماعية لعموم الناس بغض النظر عن مستواهم الثقافي ، فالحرب مثلاً بكل ما أنتجته من مآسي أوجدت لنا ثقافات عميقة وثرية بمدلولاتها المُستندة للواقع مباشرةً ناهيك عن أنها أوجدت لنا نماذج من التعبير الفني عن المأساة تُحاكي الواقع بأكثر من اسلوب وشكل وهذا أسهَم في بناء حواضر فكرية وآراء أدبية أقل ما يُقال عنها أنها جسّدت ملحمة للوجدان الإنساني وكل هذا جاء من الحرب ، وكذلك الفقر والجهل والأزمات السياسية والترف والإنتعاش الإقتصادي والرفاه والسلام كُلها قيَم إنسانية تبعث على تطوير أنواع مُتجددة غير مكرورة من الممارسات الثقافية ، ولأن الثقافة أهم بكثير من باقي المفاصل الحيوية في مسار أي شعب من الشعوب فهذا يجعلُنا أمام حقيقة لا تقبل التشكيك وهي أن وصول البشرية لذلك المستوى من التثقيف أمر واقع لا محال بغض النظر عن الكيفية التي سيقع بها هذا الحاصل ، وإذن فمسألة وصول الشعب الإنساني لذلك المستوى الثقافي العالي أمر محتم لا شك ولا شبهة تعتريه . لكن يبقى السؤال المهم إذا ما تكلّمنا عن الدولة العالمية تحت ظل قيادة القائد الموعود وهو " ما هي الممارسات الثقافية الأبرز تحت ظل تلك الدولة ؟ " فهنا لابد أن نعي أننا سنكون أمام حقيقة واضحة وهي اندثار الكثير من المفاهيم العلمية والسياسية والفلسفية والدينية حتى . والثقافة بطبيعتها تستند لهذه العوامل في وجودها فحتى تكون مثقفاً يجب أن تُحيط ولو بشكل جزئي بمقررات كل من الدين والعلم والفلسفة والتاريخ والفن ودون هذه الدعائم والمقوّمات لا يمكن أن تنتسب لمعاشر المثقفين ، و بما أن هناك تطوّر كبير سيطرأ على هذه المفاهيم فلابد أننا

سنكون أمام إنتاج ثقافي مُغاير تمام المُغايرة لما عهدناه نحن ، وكذلك نواجه مسألة أخرى وهي مسألة تساوي الكل في الإنتاج العقلي والمستوى العلمي فالثقافة بطبيعتها هي تلاقُح لمختلف الإتجاهات وصهرها فيما بينها وجعل التناقض الواقع بين الآراء عامل بناء وقوة وإلا فما هي الثقافة إن لم تكن هي هذه ، وهذا هو جواب السؤال !

وهنا نحن نتكلم عن مجتمع ترتفع فيه كل هذه التناقضات والإختلافات وبالتالي فنحن أمام مجتمع غادر الطبقية الفكرية وهذا سينتج عنه نمط ثقافي مُباين لما عهدناه . فلا شك أن تلك الممارسات الثقافية سوف تتخذ دلالات غير مألوفة بالنسبة لنا الآن .

ولأن الثقافة هي انتاج اجتماعي بحت بغض النظر عن الشكل الذي يتخذه هذا الإنتاج فتارةً يكون نقداً للمجتمع وتمرّداً على منظومته وممارساته وعاداته وطبائعه وتارةً أخرى يكون عامل تنظير وتأسيس وتقنين لكل ما تقدّم فبغض النظر عن الشكل الذي تتخذه الثقافة فهي في مُحصلة الأمر نِتاج اجتماعي وكلما تطوّر المجتمع كلما تطوّرت الثقافة المُترجِمة والحاكية عن مضمون ممارسات ذلك المجتمع ، لكن هذا من وجه آخر أسهم إسهاماً كبيراً في جعل الثقافة تُعاني الفردانية في طبقاتِها العُليا ! فمع وجود ثقافة عامة للمجتمع إلا أن هذه الثقافة العامة ما هي إلا انعكاس لأفكار أفراد خرجوا من ذلك المجتمع وترجموا أفكاره ومبانيه فعادت ترجمتهم للمجتمع على المجتمع نفسه بثقافة عامة وهي التي تتشكّل منها الهوية الثقافية لأي شعب من الشعوب ، والحاصل أن الفردانية هي التي على أساسها يمكن قياس ومعرفة المثقف من غير المثقف وهذه الفردانية هي الكارثة التي لا نستطيع الآن الخلاص منها . والمجتمع تحت ظل الدولة العالمية سيكون قد تخلّص منها بشكل نهائي .وهذا يجعلنا نشكك بطبيعة النوع والشكل الذي ستتخذه الثقافة حينذاك من حيث مُشابهتِها للثقافة المعاصرة ! ولهذا فمن المحتم أن تلك الثقافة ستتخذ منهج عام وهذا المنهج العام يجب أن يكون مهضوماً عند الجميع من جهة ومن أخرى يضمن حق التميُّز لصاحبه أي للمُنتج وعليه فلابد أن هذا المحور الذي سترتكز عليه ثقافة ذلك العصر محور مهم ومُترسخ في النفوس وعلى أساس الإحاطة به والتكيُّف معه يكون الإنسان مثقفاً أو غير مثقف . وإذا بحثنا في كامل ما لدينا من مفاهيم يُمكن أن توفر هذا الجو وهذه المُلاءمة فلن نجد شيئاً حائزاً على هذه الموصفات في عصرنا الحالي على الأقل غير الفن !

فمهمة الفن هي مُحاكاة الجمال وليس الوصول للجمال كما يذهب بعض الفلاسفة كما أنه لا يوجد تشابه كبير بين جمال الطبيعة وجمال الفن كما يذهب لذلك (شوبنهاور) إذ أن جمال الطبيعة مبني على القانون غير المعروف بالنسبة لنا أما ما يُقدّمه الفن فهو مبني على الإرادة ! وهذه الإرادة تقع في الجانب الإبداعي الإنساني أما ما هو جميل في الخارج فهو مبني على نوع من القوانين التي لم نكتشف بالكامل المغزى خلفها إلا من حيث جماليتِها وباقي الجهات ظلت للآن غير مكشوفة فلا يمكن والحال هذه أن نُطلق على الغامض الذي لا نعرفه لفظ إرادة !!!

ولأن الجمال في العالم غير قابل للنقد فهو جمال تام الدلالة وما نجده في الفن جمال منقوص الدلالة ولذا فهو قابل للنقد وعلى أساس الفردانية والتنوّع الذوقي للأفراد يكون معيار الجمال بعيداً عن نوع هذا الجمال أكان خارجياً طبيعياً أو داخلياً إبداعياً وهذا الداخلي الإبداعي يكون على نوعين أما ذاتي وأما تأتى من الآخر . . .

وإذن فمهمة الفن هي مُحاكاة الجمال لكن هذه المُحاكاة تؤسس لبناء دعائم جمالية في داخل منظومتها وبالتالي فهي جمال أيضاً من حيث بناءاتها الداخلية وعلى أساس الرؤية لهذا الجمال والحركة باتجاهه يكون المبدع في درجة أعلى أو أدنى ! ولأن الكل قادر على هضم الفن والكل دون استثناء يتذوّقه مع اختلاف الأذواق فلابد أنه سيكون مدعاة للتوحد حول مفهوم قوي وصلب مع الأخذ بنظر الإعتبار عدم التفاوت والتفاضل في باقي الجهات العلمية والفلسفية والدينية وتساوي الجميع فيها . فيبقى هذا المضمار هو المضمار الوحيد الذي سنشهد فيه توحُد من جهة القبول به وتعدد من جهة تذوّقه والإتيان به ، وبهذا يكون المظهر الأبرز للممارسات الثقافية تحت ظل الدولة العالمية هو الفن وما يتبعه من نقد ونقد النقد وتقويم وتنوّع بين الفنون كالموسيقى والشعر والمسرح والسينما والرسم الى آخره !

وإذا ما قلّبنا الموروث الديني سنجد هناك إشارات عميقة لهذا الجانب خصوصاً في منظومة الموروث الديني الإسلامي ، فالإسلام يولي الفن أهمية بالغة وأئمة الإسلام وعلماءه بل نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم كان من أشد الناس حرصاً على تشجيع الفنانين ودعمهم مادياً ومعنوياً والحرص على توفير الجو الملائم لهم ليُبدعوا في فنونهم وعلى هذا درج أئمة أهل بيته عليهم السلام وأصحابه والتابعين لهم باحسان . كما أن هناك إشارات في المسيحية وفي اليهودية لهذا الجانب وأهميته أما في البوذية والزرادشتية فهو أوضح من أن يُذكر !

دور الفن

الفن هو ترجمة وتعبير عن المشاعر والأفكار التي تدور في ذهن الفنان ، ليُعبِّر بها عمّا يشعر به ، ويتفاعل مع عدد كبير من الناس ، ممّن يُفضلون هذا النوع من الفن، وممّن تلامسهم هذه المشاعر ليشعروا أنها صُنعت خصيصاً لهم، فالفن هو قدرة الإنسان على الإبداع لتحديد هويته والإرتقاء بنفسه، وقد بدأ استخدام البشر للفنون منذ آلاف السنين، ويؤكد لنا هذا كل النقوشات والرسومات التي وجدت على جدران المعابد والكهوف القديمة، وأصبح الفن يتطور مع تطور الزمن وتقدُّم الحضارات ...

كانت الفنون في البداية ستة فقط، وقد صنّفها لهذا التصنيف اليونانيون القُدماء وهي : العمارة، الموسيقى، الرسم، النحت، الشعر، الرقص، وبعد ذلك تم إدخال السينما كفن سابع إلى قائمة هذه الفنون الستة، وكان أول من أطلق على السينما مصطلح الفن السابع هو الناقد الإيطالي الفرنسي{ ريتشيوتو كانودو } والذي ولد في إيطاليا عام ١٨٧٩ م، وانتقل للحياة في باريس في مطلع القرن العشرين، وظل فيها طوال حياته حتى مات فيها عام ١٩٢٣ م .

وأما مُحاولات جمع الفنون والدافع وراء ذلك

فقد ، كانت هناك العديد من المحاولات لجمع الفنون معاً في عمل إبداعي واحد، بدايةً من العصر الإغريقي الذي كانت فيه مُحاولات الفنانين لجمع الفنون لا تنقطع ، وقد نجح الإغريق في صناعة أعمال فنية تجمع بين الشعر والغناء والرقص والموسيقى، مع خلفية من لوحات ومناظر رسمها الفنانون التشكيليون العظماء في هذا الوقت ، وعندما ظهرت السينما ، استطاعت أن تجمع بين كل الفنون في عمل متكامل ...

وكان الهدف من جمع الفنون هو توليد مشاعر خاصة من اجتماع حاستي السمع والبصر على حد السواء ، فقد قال دكتور بول رامان (ما من قانون في علم الحياة وفي علم الوظائف، يحول دون أن تتفتح في أعماق ذواتنا مشاعر متماثلة متولدة من حاستي السمع والبصر، إنها مجرد مسألة تآلف حسي) .

أما خصائص هذه الفنون كالآتي :

١- العمارة

العمارة هي مُحاولة خلق وتصميم بيئة داخلية بجانب البيئة العامة التي يعيش فيها الإنسان ، عن طريق بناء وتشييد المباني، وبدأ الفن المعماري بالرسم على جُدران الكهوف، ثم تطوّر لإنشاء بيوت ذات تصاميم هندسية متنوعة، ويرتبط الفن المعماري بإسلوب الحياة والعادات والتقاليد في كل منطقة، وقد ظهرت أشكال كثيرة للعمارة منها : العمارة القديمة، والعمارة الإسلامية، والعمارة الآسيوية، وعمارة العصور الوسطى، وعمارة عصر النهضة، وعمارة الحداثة، وعمارة ما قبل الحداثة، والعمارة المُعاصرة الحديثة .

٢- الموسيقى

يعتقد العُلماء أن لفظ الموسيقى هو لفظ يوناني الأصل، وقد كانت تُعبِّر سابقاً عن الفنون عامة، إلا أنها بعد ذلك أصبحت تُعبِّر عن الألحان والنغمات فقط، وتستخدم الآلات الموسيقية المُختلفة في التعبير عن الكتابات الموسيقية، حيث يصدر كل منها أصوات مميزة ومختلفة عن الآخر، كما أنها تستطيع التعبير عن مشاعر مختلفة دون النطق بأي كلمة، فهناك موسيقى تعبر عن الحزن، وأخرى تعبر عن السعادة، وهناك موسيقى تولد الحماس وهكذا ..

والآلات الموسيقية أنواع وهي الآلات الوترية، والآلات الإيقاعية، وآلات النفخ، كما تعددت أنواع الموسيقى مع مرور الوقت ما بين الموسيقى الأندلسية، والجاز، والترانس، والكلاسيكية، واليابانية، والعربية، والميتال، وموسيقى العصر الجديد، والموسيقى الإلكترونية .

٣- الرسم

الرسم هو التعبير عن الأفكار والمشاعر بالخطوط والألوان، والرسم أنواع فهناك الرسم التشكيلي، وهناك الرسم التجريدي، والرسم التخطيطي، والرسم الزخرفي، والرسم التنقيطي، والرسم التوضيحي، والرسم الهندسي، والرسم القصصي، والرسم باستخدام الحاسب الآلي، وهناك من يستخدم في الرسم الألوان المائية، أو الألوان الزيتية، أو القلم الرصاص، أو الفحم وغيرها .

٤- النحت

النحت هو فن يهدف إلى خلق مُجسّمات ثلاثية الأبعاد، سواء كانت هذه المُجسّمات لإنسان أو لحيوان أو لأي شيء مادي آخر، وقد كان النحت موجود منذ قديم الأزل، حيث وجدت المُجسّمات المنحوتة في مُختلف الحضارات سواء الفرعونية أو الرومانية أو اليونانية، وتعددت أغراض النحت بين تخليد ذكرى لشخص ما، أو أغراض دينية، أو تاريخية، وغيرها .

٥- الشعر

الشعر (وهُنا تُسكب العبرات !) هو التعبير عن الأفكار عن طريق كلمات موزونة، لها قافية واحدة، وتكون الجمل فيها مقطّعة ومُتساوية حتى لا يكون هناك أي نشاز، والشعر أنواع، فهناك شعر المدح، وشعر الذم، وشعر الرثاء، وشعر الغزل، وطرائق الإتيان به وأشكالِه مُتعددة كما تتعدد أهدافه ، وتعتمد قوة القصيدة على ذكاء الشاعر وثقافته وعلمه فالقصيدة ما هي إلا انعكاس لقُدرة الشاعر على ترجمة العالم الخارجي بواسطة الكلمات والشعر قديم قِدَم البشرية وله موسيقاه الخاصة والطبقة العُليا من الفنانين هم الشُعراء لأنهم وحدهم قادرون على انتزاع الجمال من الخيال وتحقيقه في الخارج وبطبيعة الحال فالشعر من بين باقي الفنون أُبتُليَ بالكثير من المُتطفلين لما تُعطيه الأُمم من مكانة مُتميزة للشاعر وعن الشعر ظهرت فنون أُخرى فالمسرح بكل ما له من ثقل ما هو في أصله إلا ناتج وحاصل عن الشعر وقد أولى بعض الأقوام مثل العرب والفرس والإغريق والهنود أهمية بالغة للشعر خصوصاً العرب إذ يُمكن القول بضرس قاطع أنهم أسياد الشعر دون مُنازع يُذكر .

٦- الرقص

الرقص هو حركات بواسطة أعضاء الجسم، والتي يُعبِّر فيها الجسد عن مشاعر مُعينة كامنة في النفس، مع التمايل على نغمات موسيقية دون نشاز، ويُستخدم الرقص في التعبير عن مختلف المشاعر سواء حزن أو فرح، ونجد في كل حضارة نوع مُعين من الرقص تتميز به، ومن أنواع الرقص : رقصات الصالونات مثل التانجو، والرقصات اللاتينية مثل السالسا، ورقص الباليه، والرقص الشرقي، والرقص التعبيري، وغير هذا .

٧- السينما

السينما هي الفن السابع الذي ظهر نحو عام ١٨٩٥ م، وهي عبارة عن تصوير مُتحرك ، يعرض مقاطع تبدأ من ١٠ دقائق إلى ساعتين، وتُعرض فيها قصة مُعينة أو فكرة لتصل إلى عدد كبير من الناس، لتكون بذلك السينما من أكثر الفنون التي تلفت إنتباه الناس ، فقد جسّدت الأعمال السينمائية العمارة ، الموسيقى ، الرسم ، النحت ، الشعر ، الرقص .. جميع الفنون .

بعد هذا الإيجاز السريع لطبيعة كل من الفنون يبدو واضحاً أنها داخلة في صلب مُعادلة الدولة العالمية ! . فلا يُمكن لنا أن لا نتخيّل مهندسو تلك الدولة إلا وهم يبدعون أيما إبداع في فن العمارة ، كما لا يُمكن أن نتخيّل موسيقيّ تلك الحقبة إلا وهم يُضيفون النفائس من مقطوعاتهم الى رصيد الإنسانية وهذا لابد منه لسبب غاية البساطة وهو أن اللُغة مهما كانت عميقة تبقى عاجزة عن التعبير الذي تختص به بعض الأحاسيس ، وكذلك الحال بالنسبة للشعراء والنحاتين والراقصين والأهم هو دور السينما ! وقد سمعت بأُذني أحد أكبر علماء الإسلام وهو حي يُرزق وأسأل الله أن يمد في عمره المبارك سمعته يقول بالحرف الواحد (في الوقت الذي تصل فيه السينما والفن عموماً لدرجة تحمُّل المسؤولية الفعلية في إرشاد الأمة وتوجيهها سوف نترك نحن المنابر لننخرط في جمهور السينما) ! وبطبيعة الحال فمسؤولية الفن الأولى هي الإرتقاء بالإنسان وإصلاحه من الداخل وإشعارُه بأهميته في هذا النظام الكوني .

فالفنان هو الشخص القادر على تصوير العالم بالطريقة التي تجعله مكاناً مُناسباً للعيش ، إذ إن الفن في جانب من جوانبه هو انتزاع الوحشة من النفس الإنسانية والإنطلاق بها نحو الزاوية التي تجعل الفرد على تماس مع فكرة القبول بالحياة باعتبارها أوسع وأكبر من مُجرد المشاكل اليومية التي تعترض طريقنا ولذا فالفن هو إرادة تحقيق الذات أمام كل هذا التعدُد المُخيف ففي تلك الزاوية بالضبط يتوقف العالم لتتبلور الذات أمام الواقعية التي تفرض عليها الإنخراط في نشاط عام مهما بلغ من الإنضباط والحبكة تبقى فيه السيادة للمجموع وهذا لا يشبه الفردانية السلبية التي تحدّثنا عنها فيما سبق من هذا الكتاب ! وإنما هذه الذاتية هي الشعور بالإستقلال ومعاودة التأكيد على أن الإنخراط في الكُل العام الشامل هو قرار أتُخذ بالحرية اللازمة لاعتباره قراراً شخصياً بامتياز ، وحتى يتخلص الفرد من شعوره بالإنصهار التام داخل كيان المجموع وهذا الشعور أكثر دمويةً وبشاعةً من الشعور بالوحدة لأن الشعور بالوحدة في أحيان كثيرة يكون حبل النجاة من مُشابهة الآخر القابع خلف متاريس الجهل والتكبر والغرور والتسلُّط لكن شعور الإنصهار التام في المجموع شعور أكثر ترويعاً لأنه يقضي على الذات ويُسمّرها لخشبة الرضوخ لطروحات الآخرين ولا شيء غير الفن قادر على كسر هذا الحصار عن الذات خصوصاً ونحن نتكلم عن مجتمع مُغاير في طبيعته للمجتمع الذي نُعاصره الآن ، فالمجتمع المُعاصر يتفاوت أفراده من حيث المرتبة والإمكانات وفي الأساس لا يمكن أن يتحرّك هذا المجتمع إلا بهذه الآلية لأن التفاضُل والتفاوت في الإمكانات والقابليات هو الذي يحفظ التوازن داخل المجتمع الذي مهما حاولنا أن نُجمّل عباراتِنا باتجاهه فلا يُمكن إلا نقول في النهاية أنه مجتمع مريض مسكون بحب الشُهرة والمال والشهوة والسلطة لكن كل هذا يذوب أمام الفن وكله أيضاً سيزول من ساحة الإنسانية لترى الإنسانية من جديد أن الخلاص من الإنطواء التام غير المنقوص تحت عباءة الكُل العام الشامل لا يكون إلا بالفن ، فمع الأخذ بنظر الإعتبار تساوي الحُصص في التعليم وفي الأموال وفي الطاقات والإمكانات سيظهر لدينا مرض نفسي خطير وهو (الإنصهار التام في الآخر) فمع أن الفردانية مرض خطر جداً إلا أن نقيضه أخطر بكثير لأننا نُبدع بدافع التميُّز فلما ينتفي التميُّز تنتفي القيمة الفعلية للحياة ، وقد يكون هذا المرض اليوم غير موجود لا بل العكس على التمام فتجد بعض

الأطباء النفسيين و علماء الإجتماع يدفعون وبقوة باتجاه الإنصهار التام للأفراد داخل مجتمعاتهم وما هذا إلا مظهر من مظاهر مستوى المجتمع وطبيعانيته التي تفترض أن لا خطر يُذكر من هذا الإنصهار بل العكس تماماً إذ يُشكّل هذا الإنصهار منجى من شِراك الشعور بالوحدة التي لا ينجح إلا العبقري في الخوض داخل بحرها العميق ، ولكن حين يكون المجتمع ككُل واصلاً لمرتبة من الإدراك العميق لما يحدث من حوله يكون الإنصهار التام فيه مسخ للهوية الذاتية لأن الأفراد لن يشعروا بالإمتياز الكافي لتسيير عجلة إبداعهم الشخصي فلابد من وجود طريق تكون فيها العودة للذات صمام أمان أمام هذا المد الجارف من العمل الجماعي وهذه الطريق هي طرق الفن !

فهُناك دوماً فنان ومُتذوّق للفن أو بعبارة أوضح ناقد ، ودوافع كل من الإثنين هي نفسها فالفنان يعرض إبداعه والمُتلقي يُصنف ويقيس ويُمايز هذا الإبداع لينتهي الإثنين لتحقيق ذات الهدف وهو الشعور بالذات والتعبير عمّا يجول فيها ، فهذا هو هدف الفنان دون شك . وأما المُتلقي فسوف يبحث عن درجة مُطابقة ما عرضه الفنان مع شعوره الباطني الذاتي فإذا وجد ضالته فيه كان ما قدّمه الفنان في المُحصلة ترجمة لذات وشعور المُتلقي وهكذا فالهدف من خلف الفن هو جمع الكل تحت عنوان واحد مع اختلافهم في قبول أو عدم قبول النوع أو الكم أو المفهوم بعبارة أخرى !

وإذ لا يُمكننا أن نستحث الأفراد على إظهار إبداعاتهم في باقي الميادين فلا ريب أن الفن المُنطلق من مفهوم الإبداع والإبداع الذي يكون فرع العبقرية سيكون في النتيجة هو الملجأ الوحيد لبقاء الطموح بالتميُّز كما أنه من الواضح أن مثل هذا الطرح في وقتنا الحالي قد يكون مُجافي للواقع وبعيد عنه وأتفهم هذا جيداً ، لكنه في تلك المرحلة سيكون من أهم مقومات نجاح الدولة والمجتمع معاً ، والإبداع الفني هو التعبير عن إمكانية الفرد وقُدرته على تجاوز محدوديته والعبور الى ضفة العالم المُمتد من الداخل الى الخارج كجسر طويل ومُحاولة نقل الذات من داخلها للخارج بواسطة هذا الزخم من العاطفة والشعورات النفسانية ، والأمر أشبه بأن تنتزع نفسك وتضعها بين يديك لتعرضها في نهاية الأمر للآخرين الذين سيقع على عاتقهم مسؤولية تقييم الجمال الكامن في هذا الفعل ! ولذا فإن الإبداع وإن لم يكن مخصوصاً بالفنانين لوحدهم من جهة اعتبارهم المظهر الأسمى للإبداع ، فهو أيضاً تفاعُل مهم بين العالِم والمعلوم وحلقة وصل بين العام والخاص وعُنصر أساسي في صناعة ظل وهامش من الإرتياح الباطني باتجاه ما يعتبره الناس شيء مُحمّل بالضجر ، ثم للفن أكثر من مدلول مادام قوامه الإبداع والكل مُشترك من حيث المبدأ في هذا التيار ، فربة البيت والعامل والمهندس والطبيب والرسام والشاعر كلهم فنانين بقدر انفلاتهم من سطوة الروتين الثابت والبحث عن مصدر جديد للإلهام وإدامة زخم التطوير والتقدُّم على أُسس التجربة الشخصية ، لأن التنوّع هو الأصل في الحياة من حيث قيمتها في منظور الأفراد ولأنه الضامن للشعور بالمُغايرة والتفرُّد وفي حالة غيابه وهذا الذي سيقع في الخارج إدبان حكم الدولة العالمية فلابد أن تتم العودة للداخل الذي سيكون ركيزة لتدعيم الشعور بتحقيق الذات والسعي للأفضلية لأن هذا السعي لا يُمكن أن نستأصله من النفس الإنسانية لأنه في النهاية أصل أصيل في تكوّنها وصيرورتها وهو من إحدى جهاته معناها الوجودي !

ويُمكننا أيضاً أن نقول أن الدائرة ستتوسّع بظهور فنون جديدة تأتي للوجود بحكم التغيُّر الطارئ على الأنظمة الأُخرى وكما سلف وقُلنا أن مفهوم الفن المُرتكز على الإبداع أشمل من ناحية ترجمته الفعلية في باقي الأفعال والتي قد يبدو أن لا مدخلية لها في الفن ، فيمكننا أن نتصوّر إضافة حقول إبداعية وفنية جديدة للمُعادلة وهذا ما لا نملك عنه صورة واضحة الآن لأن طبيعة الإنتاج الفني نابعة من صميم الواقع ونحن لسنا في ذلك الواقع حالياً .

وبطبيعة الحال أيضاً لا يوجد ضير من قبول فكرة أن كل الناس سيكونون فنانين . لأننا قُلنا أن الكل يجب أن يتساوى مع الكل من جهة ومن جهة ثانية يجب أن نضمن وجود الإختلاف لاستمرار البحث عن الكمال وبالتالي استمرار الحياة نفسها ، ولا يوجد تناقض بين الأمرين باعتبار أن الفنون مُتعددة فمثلاً قد يكون الفنان شاعراً لكنه ليس برسام فالأوّل سيطرح إنتاجه الإبداعي ليكون الثاني هو المُتلقي والثاني يطرح إنتاجه الإبداعي ليكون الأوّل هو المُتلقي هذه المرة وكلاهما سيكونان ناقدَين كما سبق وكانا فنانَين وهكذا تتم تسوية الأمر بالكامل . . .

التفاضُل على أساس الإبداع

لا يخفى ما للعبقرية من أهمية في مسيرة الركب الإنساني نحو الكمال ، لأن العبقرية هي سيادة كاملة غير منقوصة للذات المُتصفة بالحدس وتخليصها من أفخاخ الواقعية لتنتهي المسألة بالنظر للكُلّيات مباشرةً وتجاوز الجُزئيات التي تفرضُها علينا القوانين السارية في هذا العالم !

والعبقري هو المُتحرر من ضغط تلك القوانين الوجودية والقادر على صناعة المعنى من مُقدمات أوّلية في أغلب الأحيان لا ترتبط بتلك القوانين العامة إلا من حيث كونها داخله في خانة تلك القوانين باعتبارها مواد بناء أساسية ، ومهمة العبقري هي جمع تلك الأجزاء وإضفاء طابعه الشخصي عليها والنزوع بها للتحرُر من كل ما هو خارج عن الذات وبهذا تتم خالقية المعنى وإيجاد جسر جديد بين منظومة الوجود العام والخاص وهذا هو صلب العبقرية !

والعبقرية كذلك هي أوّل طريق الإبداع لأن المُبدع لا يكون مُبدعاً إلا بعد كونه عبقرياً وهنا يجب التفريق بين نوعين أساسيين من الإبداع :

الأوّل - هو ذلك المُبتني على مُقدمات تامة الدلالة كاملة البناء .

والثاني - هو المُبتني على مُقدمات منقوصة الدلالة غير مُكتملة البناء .

والثاني ، أعظم من الأوّل لأنه يعتمد على الناقص غير التام لإيجاد الكامل غير المنقوص ،وبهذا يكون له حسنة التتمة للمنقوص والدلالة عليه ونبوغ الإيجاد للجديد بالتآلف الذي ارتآه المُبدع !

والنوع الأوّل من الإبداع يتوفر عليه الغالبية العُظمى من الناس وهو يجنح في تكوّنه غالباً على صعيد الإطلاق اللفظي دون الفعلي الحقيقي ونحن نبحث في النوع الثاني منه وهو ذلك النوع الخاص المحصور بمن امتلك ملَكة العبقرية والنبوغ وعدم الوقوع في فخ المُشابهة والتقليد . وهذا النوع يتجلى بصورته الأتم في الفن مع عدم نفي

وقوعه خارج الفن على التعريف الرسمي المعاصر للفن وإلا فالدائرة أكبر من حيث الإتساع واشتمال بعض الميادين الأُخرى على فنونها الخاصة ...

وإذن فكما أن الإبداع بصورته العامة مُقسّم بين نوعين فالنوع الثاني منه وهو محل البحث مُنقسم إلى نوعين الأوّل موجه للذات والثاني موجه للآخر !

فأما الموجه للذات هو ذلك الذي نراه عند كثير من المُبدعين الذين يحاولون إثبات ذواتهم لذواتهم بمعزل تام عن الآخر وما يبتغيه هذا الآخر من خلال قياس هذا المُنتج الإبداعي ومُطابقته لشؤونه الباطنية .

وأما الموجه للآخر فهو ذلك المسمّى فناً مع عدم نفي صفة الفن عن الموجه للذات !

وقِوام هذا الموجه للآخر هو الإبداع من حيث صيغة طرحه ومُحاكاته لانفعالات الآخر وهواجسه وإن كان نابعاً من انفعال نفسي ذاتي شخصي للمُبدع . فكما يقول (ادموند هوسرل) الفيلسوف صاحب الفينومينولوجيا [أننا يجب أن نعرف مدى علاقة أي ظاهرة من الظواهر بنا نحن بمعزل عن باقي نواحيها] !

كذلك فالإبداع هنا يقع على عاتق الإثنين ، المُبدع والمُتلقي للإبداع لكنه في الأوّل يظهر كإبداع مجرّد وفي الثاني يظهر كإبداع في التَذوّق .لأن الذائقة فرع العلم وإضافة اللمسة الشخصية على موضوعة العلم والصيغة التي يجب عليه أن يتناول بها الأشياء تبقى فردية وعليه فهذه الفردية تُوجِد الإبداع كآلة فاعلة في حقل انتزاع السلوك الذي يجب أن يسلكه المُتلقي !

على ما تقدّم يبدو واضحاً أن التفاضُل إذا ما كان على أساس الإبداع فالكُلُّ فيه مُشتركين في نقطة العبقرية وما يقع عليه التمايُز هو إمكانية خلع دور المُبدع لتقمُّص دور المُتلقي الناقد ، وإذا ما تكلّمنا عن الكُل فهذا يعني أنهم يجب أن يطبقوا هذه القاعدة على أنفسهم باتجاه ما جاؤوا به من نِتاج إبداعي ، لأننا إذا افترضنا أن الكل حائِز على ملَكة الإبداع فهذا يأخُذُنا للتسليم بمُساواة الكل من هذا الجانب باعتبار أن تقييم الإبداع وإن كان في مرتبة من مراتبه يعتمد على الآخر إلا أنه يبقى في بداياته خاضعاً بالكامل للتقييم الفردي من جهة قبول المُبدع به ، وفي نهاية المطاف نعود لذات الفخ وهو فخ (الإنصهار بالكُل !) وإذن لا بد أن يقع في الوجه الآخر من الإبداع تتمة على ضوء ما ينتُج من مُعطياتٍ عنها يكون التمايُز والتفاضل ، هذا لأننا نعرف أن الكل من ناحية العمق الثقافي والمعرفي متساوين في الإمكانات وهذا ينسحب على الإنتاج الفني والإبداعي بأكثر من اعتبار من الإعتبارات لكن من هذه الجهة فمن المحال وقوع التشابه مع التسليم التام بفاعلية وإمكانية الكل ، فلا يتخلّص الفرد من فخ الإنصهار بالكل إلا بمعية هذا التقرير الذي قررناه أعلاه ، لذا فمن المُرجح أن يكون التفاضُل على أساسات هذه الملَكة باعتبارها مظهراً أسمى للنبوغ وللعبقرية . . .

وفي الموروث الديني نجد إشارة واضحة للوضع العام إذ يُنبئنا هذا الموروث بأن النسوة اللواتي يجلسنَ في مخادعِهنَّ قادراتٍ على الإفتاء واستنباط الحكم الشرعي ، ويكفي من إطّلع على عملية الإستنباط والإستقراء الفقي أن يعلم كم تصطبغ هذه العملية بالتعقيد وإدخال الأصول العملية متبوعةً بالفقه وناهيك عن البُعد الفلسفي لبعض القضايا وقبلاً وفي المرتبة السابقة لازم الفقيه تخصصه بعلم المنطق الى آخره.....

المهم أنها مسألة في أقصى درجات التعقيد العلمي ومع هذا نجد أن الموروث الديني يُكلّمنا عن إن النسوة اللواتي يجلسنَ في بيوتهنَّ مُنشغلاتٍ بالعيال وإدارة المنزل بكل ما يستنزفه هذا من وقت وجهد سيكون حالُهُنَّ أن يُفتينَ ويستعملنَ القواعد العلمية لاستحصال الحكم الشرعي ، فما بالك بمن هو مُتفرغ لطلب هذه المعارف والعلوم ! ! !

وإذن فالواضح الجلي من هذا أننا أمام مجتمع في أرقى مراتبه بل لا يمكن له أن يرتفع لأكثر ممّا هو عليه وإلا فقد هويته البشرية بالكامل ، وفي خضم هذا الجحيم الفعلي وأقول (جحيم) لا خلاص إلا بهذا الذي قررناه لأن الحياة دون الشعور بالمُغايرة مع الآخر لاغية من الأصل إذ لا يُمكن إدراك الذات إلا باختلافِها عن الآخر ، ونحن أمام دولة ستحاول أن تُعيد الناس إلى فطرتهم لا أن تمسخ هويتهم الإنسانية وتحوّلهم لمجرّد آلات للعمل والإنتاج العقلي العلمي البحت ، فلابد أن يتمسك المجتمع بانسانيته التي ستكون مُهددة بالإنقراض بل بغير هذا الذي أخرجناه ستنقرض لا محال لأن مهمة الحفاظ على الشعورات المُختلفة من حزن وفرح وغضب ونشوة وغبطة وحب وشوق ستكون قد ارتفعت مُسبباتُها في الخارج ، أي لا يوجد عامل خارجي يدفع الإنسان للحزن أو للسعادة على حد سواء فالسعادة حقيقةً في جوهرها الأصل ماهي إلا حالة العبور من الحزن باتجاه شيء آخر وأي مفهوم من المفهومين يتلاشى سيفقد الآخر قيمته الفعلية إن لم يفتقد لقيمته الوجودية ، وعليه فارتفاع مُسببات هذه الضواغط النفسية التي تُعطي للإنسان إنسانيته سيُحوّل الناس لمجرّد أشباح وآلات تذهب في الصباح لممارسة أعمالها التي لم يعد الإلتزام بها مُبتني على تحصيل الرزق وتعود بعد الظهر لبيوتها غير المُفتقدة لأي نقصٍ أو ثغرة ممّا يُلاشي الشعور والطموح لتحقيق الرفاه في المُستقبل ، وبهذا تكون الحياة عبارة عن جحيم فعلي لا يُطاق إلا إذا تم الخلاص من هذا الروتين القاتل الباعث على اجتثاث الإنسانية من الجذور ، وهذا لا يكون إلا ببذر بذرة التفاضُل وسقيها بالإبداع ليبقى الناس مُحافظين على نوازعهم النفسية من فرح وحزن وغضب وحب لكن هذه المرّة ستتجدد هذه المشاعر بواسطة الفن الذي مهمته الأولى هي إهاجة وملامسة هذه المشاعر الإنسانية التي تُشكّل هوية الإنسان الفعلية ، ولأن من ضمن قائمة المُعطيات التي يتشكل ضمنياً منها الكيان الإنساني هو وجود الخطأ مع الآخر بنظر الإعتبار أننا سنكون أمام مجتمع معصوم بكل ما للكلمة من معنى لا تحتاج فيه الدولة لوجود شرطة لحفظ النظام ولا لمحاكم ولا نظام عقوبات ولا لروادع معنوية أو جيوش أو شيء من هذا القبيل ، لأن الناس لا يُخطؤون ولا يسوؤون لأنهم بلغوا مرتبة الكمال الإمكاني ، فهذه سيضع المجتمع أمام حالة ركود وبما أن الخطأ في داخل الفنون لا يُمكن اعتباره خطأً حقيقياً من جهة أن الفن في أصله مُعتمد على المثال والتخييل ولا وقوع خارجي له ، فبهذا سنحافظ على خاصية الخطأ في التكوين الإنساني دون أن يكون لذلك الخطأ أدنى قدح بمفهوم العصمة !

كما أننا نعلم ضرورةً أن خط التكامل الإنساني لا نهائي من حيث مراتبه وأن طريقه لا يُمكن أن ينتهي بلغ ما بلغ الإنسان من مراتب كمالية ، هذا بلحاظ أن الكل وصل لمرتبة الكمال الإمكاني أي مرتبة الكمال الأولى في هذا العالم الذي نعيش فيه ، ومازال لديهم تكامل يطول الأمد بِحقَبِه ويلزم المُواصلة في طريقه والإستمرار في التكامل وهذا يُحتم وجود تسابُق محموم من أجل وصول المراتب العُليا منه . وفي مرتبة سابقة الكل يتمتع بذات القُدرات الإمكانات الإمكانية التي يعتبرها العالم المُتحضّر المُعاصر حقوق للجميع بعبارة أدق ! ، فإذا كان هذا الحال وحصل الكل وبالتساوي على حقوقه في التعليم وفي الثقافة وفي الوضع المادي والإقتصادي والحرية السياسية فعلى أساس ماذا سيكون ذلك التسابُق لوصول ذروة الكمال غير الموجودة أصلاً !

فلابد أن التفاضُل الذي يُمثل وجه التسابُق والأفضلية حينذاك سيكون على أُسس خارجة عن حقوق الرعية ، بعبارة أُخرى أن الناس كلهم عُلماء ومن حق الكل تحت أي ظرف من الظروف وفي أي زمن من الأزمنة أن يكونوا علماء فهذا حق مشروع وثابت للكل وبما أن الكل حصل على حقوقه فهذا يعني أن الوضع والهندسة الإجتماعية اختلفت تمام الإختلاف عمّا عهدناه وتعرّفنا عليه نحن خلال حياتنا ، ويلزم أيضاً أن يكون ذلك التفاضُل في ميدان بعيد عن الحقوق وهو لون من ألوان الترف الفكري الذي لا يُلزَم الأفراد وفق السياقات العامة والتقاليد الخاصة بذلك الزمن أن يدخلوا لمضماره وهذا لا يقدح في إمكاناتهم ونجاحهم من جهة ومن جهة ثانية يجعلهم يتمايزون على أُسس جديدة ويتفاضلون وفق مُقررات تلك الأُسس .

ولا شيء يحمل هذه المواصفات على الأقل من وجهة نظرنا نحن الذين نعيش في القرن الحادي والعشرون ! لا شيء يحمل هذه المواصفات ومهيأ لكي يلعب هذا الدور غير الإبداع الناتج عن عبقرية الفنان !

ولذا سينقسم المجتمع بين فنان وبين مُتلقي وهذا سيُنشط حركة الوجدان الإنساني وكذلك يُساهم في تسريب نشاط إبداعي وحماسي للشارع الثقافي ويُسهم في الإبقاء على جذوة حياة التلهف والعاطفة والتذوّق والترفيه في كامل منظومة الوجود الإنساني وسيكون الأفراد الأكثر إبداعاً هم الأكثر حظوةً بالتَرقّي لمراتب كمالية أعلى إذ أنهم بحكم تميُّزهم إستطاعوا من خلال فنونهم أن يبعثوا بأفكار جديدة تقويمية لبناء الإنسان وهدايته لِطُرُق الكمال اللامتناهي بعد ان وصل للكمال في مرتبه من مراتبه ولذا فلا مناص من التسليم بأن التفاضُل سيكون على أساس الإبداع !

والحقيقة أنني الآن عاجز عن لمِّ شتات البحث لأن هذا البحث يحتاج لإسهاب وإطالة ودراسة كل جوانبه وسبر أغوار القراءات الفلسفية وتفكيكها وهذا يحتاج لكتاب مُستقل بذاته ولذا سأُغادره الآن حتى لا أخرج عن موضوعة هذا الكتاب و أرجو أن أكون قد قدّمت نموذج واضح للفكرة ههنا !

اللغة

بما أن العالم أصبح بحكم القرية الواحدة الصغيرة فعلياً بل الكون كُله صار كذلك فلا ريب أن اللغة ستتأثر بهذا الوضع الجديد ، إذ تُعتبر اللغة واحدةً من بين أبرز القُدرات التي يمتازُ بها البشر، وهي عبارةٌ عن نظام مُعقد تدخلُ في استخدامه الكثير من الوظائف الحركية والذاكرة، وعلى الرغم من أنَّ اللغة لم تُفهم بشكلٍ كاملٍ بعد إلا أن العلماء تعلّموا الكثير من الأشياء عن هذه القُدرة العقلية المُذهلة من خلال الدراسات التي أُجريت على الصور الدماغية للمرضى الذين فقدوا القدرة اللغوية جرّاء الإصابة بالجلطات، والاضطرابات اللغوية، مقارنةً بالصور الدماغية للأشخاص العاديين الأصحاء .

علمياً يُحدِثُ الضرر الناتج في مناطق مختلفة من الفص الأيسرِ في الدماغ إلى أنواعٍ مختلفةٍ من الاضطرابات اللغوية تصاحبها الكثير من الأعراض مثل التكلّم ببطء وبجهد، وقد ظنَّ العلماء بأنَّ القدرة الكلامية يتحكم فيها الفص الأيسر من الدماغِ بشكلٍ كاملٍ إلَّا أنَّ تمييز الأصوات والكلمات يشتملُ على عمل نصفيّ الدماغ الأيمن والأيسرِ معاً، ولكن تبيّن بأنَّ الكلام وفهم اللغة قدرةٌ يسيطر عليها الفص الأيسر بشكلٍ كامل .

والتغييرات المُصاحبة التي طالت اللغة لا تزال تؤثر عليها خلال انتقالها من جيلٍ إلى جيل، وتختلف اللغات جميعها في النطق، والكتابة، والمعنى، وكيفية بناء الجمل، وعلى الرغم من أنَّ التغيُّرات الحاصلة على لغةٍ معينةٍ تكون بشكلٍ تدريجيٍ وتراكميّ ، إلَّا أنَّه في عصرنا الحاليّ تمّت إضافة الكثير من المفردات الجديدة إلى اللغة في مجاليّ العلم والتكنولوجيا.

وعليه فاللغة كائن حي حاله حال أي كائن آخر يتأثر بالمحيط وبظهور دلالات جديدة ومواضيع ومفاهيم جديدة على الساحة ، وبغض النظر عن الطريقة التي ظهرت بها اللغة إذ أن هناك عشرات النظريات بهذا الصدد ولكن ما يهم في النهاية أن هناك رأيين اثنين الأوّل يذهب للقول أن اللغة وجِدت مع الإنسان والثانية تدّعي بل هي وجدت فيما بعد وجود الإنسان وكانت في بدائيتها عبارة عن إشارات مرئية ، على العموم فاليوم نحن متأكدين من أن الأداء الجيد للجهاز العصبي يؤثر سلباً وإيجاباً على اللغة كما أن جزء كبير من الناس يكتسب مكانته من خلالها وهي عامل أساسي في بناءات الفكر الإنساني ولأهميتها القصوى بذل الفكر الإنساني جهوداً جبارة في الوقوف على طبيعتها ونظامها وتكوّنها .

وهي كما أسلفنا القول تتأثر بالوضع العام المُحيط بها وتتلبس بأكثر من رداء تبعاً لتطوّر الحياة من حولها ودخول أنظمة ومفاهيم جديدة للحياة اليومية ولذا تُضيف هذه المفاهيم والعلوم والأحداث الجديدة الوافدة للغة كلمات وألفاظ وأحكام جديدة بطبيعة الحال وهذا حاصل ومستمر في الحصول في كل جيل من الأجيال ولن يتوقف أبداً .

ومن يتعامل بالمباشرة مع الترجمة يعرف تمام المعرفة ما يُشكّله عائق اختلاف اللغة من عقبة كبيرة في طريق الإنسجام الإنساني على صعيده العلمي والفلسفي والفني والعاطفي والديني حتى !

فهذا الإختلاف في اللغات ينتج عنه بشكل أو بآخر قطيعة من نوع ما لأن إتقان لغة أقوام آخرين تبقى عسيرة الى حد ما خصوصاً للبسطاء من القوم ، وحتى مع وجود الإحاطة بها فنحن نشهد تبايُن في الترجمات وهذا يؤدي غالباً لضياع الكثير من الأفكار أو فهمها بشكل مغلوط ، ولو أردنا التوغل أكثر في هذا فيمكننا القول أن اليوم هناك لغات مُشتركة بين كل البشر من الرسم والموسيقى والجمال ، فهذه الأمور تعتبر نوع من أنواع التواصل بين الأفراد إذا كان هذا بطبيعة الحال هو الهدف الأساسي من اللغة كما يقول أهل الإختصاص !

والمهم أن هناك لغة مُشتركة بين كل الشعوب ولكنّها ليست بدَعاً من القول ، بعبارة ثانية فهذه اللغة المُشتركة أيضاً يسري عليها قانون التطوّر وإذا كُنّا متفقين على هذه الفكرة من حيث المبدأ على الأقل فلا ضير من توسيع الدائرة لنقول ، أن المجتمع حينما يصل لمراتب من التثقيف والتعليم تكون كافية العُمق لجعل الكل يُتقن عدة لغات فهذا سوف يجعلنا في غنى عن الترجمة من جهة ومن جهة أُخرى سوف يُحفّز عملية التلاقح الفكري ، فمثلاً نحن اليوم نشهد أن الإنكليزية لغة عالمية لكن هذه اللغة ليست موجودة عند الجميع أي أن ليس الجميع يفهم الإنكليزية فلو تيسَّر لنا جعل جميع أفراد المجتمع الإنساني يفهمون لغة واحدة كأن تكون الإنكليزية أو العربية أو

الفارسية أو البرتغالية فهذا كفيل برفع الكثير من الحواجز العلمية والفلسفية والدينية والعاطفية حتى ، فقد سبق وأن بحثنا تحت عنوان (تطوّر النظام الإجتماعي) أن من ضمن العوامل الأساسية في عدم وجود الإنسجام الكامل بين أفراد المجتمع الإنساني هو اللغة وما تُشكّله من حاجز صدّ قوي باتجاه ربط أواصر الدم والتوحُد بين الشعوب ، فخصوصاً في البُعد العاطفي يبقى تأثير الإختلاف في اللغة تأثيراً بالغاً ناهيك عن باقي الجوانب كالجوانب الأدبية والذوقية فهي في الأساس تعتمد اللغة كعُنصر أساسي في ترسيخ الهوية القومية والوطنية لشعبٍ أو بلدٍ ما .

وعليه فلابد أن منظومة الحكم في الدولة العالمية تحت ظل قيادة القائد الموعود تكون قد التفتت لهذا الجانب منذ وقت مُبكر جداً ومع أن القراءات الأولية تُفيد بأن الموعد الرسمي لظهور القائد الموعود سيكون مسبوقاً بظهور لون من ألوان اللغة الموحدة وهنا نقصد باللغة الموحدة أي لغة موجودة سلفاً لكن مع فارق أن كل أفراد المجتمع الإنساني يكونون قادرين على فهمها ، فهذا ما قدّمته لنا القراءة الأولية عن القضية موضع البحث وحتى لو تنزلنا عن هذا فلا يمكن أن نغض الطرف عن واقع أن الدولة العالمية سوف تهتم بهذا الموضوع أيما اهتمام وتحاول جمع الكل على لغة واحدة ،

ثم هناك لدينا مسألة (التخاطُر) والتي يمكننا أن نفترض أنها البديل الفعلي عن اللغة المُباشرة فمثلاً يمكنك مُخاطبة فرد ما دون استعمال اللسان والفم في مُخاطبته بما أن مركز اللغة موجود في الدماغ وهو ينتقل بواسطة الفم والأوتار الصوتية فحسب وإذا ما استطاع الإنسان فهم الكيفية التي يعمل بها الدماغ بالكامل وهذا واقع لا محال في المستقبل ! فيمكننا القول أن هذا قد يكون الحل أو إذا تركناه فيمكننا الإعتماد على الرأي الاوّل الذي طرحناه وهو أن الكل سوف يتعلّم الإنكليزية أو العربية أو الروسية فيكونون فعلياً وعلى أرض الواقع يتكلمون نفس اللغة أو أن تظهر لغة جديدة هي مزيج بين عدة لغات كما هو حاصل اليوم عند بعض الأشخاص خصوصاً الداخلين ضمن حقل العلم التجريبي فقد يمزج أُستاذ الفيزياء الفارسي بين الفارسية والإنكليزية من أجل إيصال الفكرة بالكامل للطالب وهكذا فالخيارات كثيرة جداً وكلها تنتهي لحقيقة واحدة وهي أن تحت ظل الدولة العالمية أو لنكون دقيقين أكثر في العبارة أن الخمسين سنة الأولى من حكم الدولة العالمية لن تمُر وتنتهي إلا والمجتمع الإنساني قادر على مشاركة لغة واحدة وهذا سيُتيح الحركة الحرّة الكاملة غير المشروطة للأفراد في كل بقعة من بقاع الأرض وتدريجياً تنتفي الشعوبية والقومية لنكون أمام شعب واحد تحكمه دولة واحدة ، وبغض النظر عن القضية المهدوية فهذا الأمر واقع لا محال في مُستقبل البشرية بعد أن تتقدّم وسائل التواصل وهي الآن قادرة في بعض خصائصها على كسر هذا الحاجز الصعب والعقبة الكبيرة . فما بالك حين يتطوّر الوضع لتكون الدولة الحاكمة واحدة والحاكم فيها واحد والقوانين واحدة والنظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي واحد فلا شك أيضاً أن اللغة ستكون واحدة ، وقد يستشكل البعض بالقول أننا الآن نشهد على وجود أنظمة اقتصادية وسياسية واحدة مع أن الشعب قد يكون ناطقاً بأكثر من لغة بل تصل نسبة هذا الأمر لأكثر من ٩٠% في دول العالم فلماذا يجب أن تتوحد اللغة تحت ظل الدولة العالمية بسبب توحد باقي مفاصل أنظمتها ؟

فهذا الإشكال غير وارد ههنا لسبب بسيط وهو أننا في عالمنا المُعاصر اليوم نشهد حروب ومشاكل ونزاعات لهذا السبب نفسه وهو اختلاف القوميات والاعراق وانطوائها تحت ظل نظام سياسي واحد وهذا يدفع البعض للمطالبة بالإستقلال والبعض الآخر لحمل السلاح و و و الى آخره ..

وتحت ظل الدولة العالمية يجب أن يرتفع كل هذا وبالتالي فمسألة وجود لغة موحدة مسألة ضرورية وهي واقعة لا محال في كل الأحوال !

إنقلاب النظام الكوني العام للوضع الجديد

بعد هذه التغيُّرات التي طالت كل مفصل من مفاصل الحياة الإنسانية . وباعتبار أن الإنسان هو المظهر الأسمى لمظاهر الفكر في الكون ، وبعد دخول أنظمة الإستثمار الكوني ورسم الخطط الاستراتيجية لهذا الكون ، فبهذا يكون النظام الكوني برُمته انقلَب للوضع الجديد ، وبطبيعة الحال فهذا الإنقلاب ليس مُرتبطاً ارتباطاً مُباشراً بالقضية المهدوية أو مجيء المُخلّص ، فالمسألة كُلُّها مسألة توقيت دقيق ، لأننا إذا ما فتّشنا في أروقة الموروث العلمي فنجد أن هذا الإنقلاب حاصل لا محال فالعلماء يقدّرون الآن مخزون الشمس من الغازات التي تتحوّل الى هيليوم أنه كافٍ لسبعة مليارات سنة قبل أن تتمدد الشمس لتلتهم في تمدُّدها أكثر من كوكب من كواكب المجموعة الشمسية وفي ذلك الوقت سنكون كبشرية قد أفلحنا في إيجاد وسيلة لدفع الأرض عن طريق هذا العملاق الذي سيتحوّل لونه للأحمر القاني وذلك بفعل المحرّكات النفاثة التي ستستغل درع الأرض الكهرومغناطيسي ودفعها لمنطقة المُلاءمة التامة لبقاء الحياة ، وبطبيعة الحال فشمسنا اليوم هي في متوسط أو دون متوسط عمرها الكوني وهذا يعطي وقتاً طويلاً لتطوير وسائل الدفاع الإنساني ، فنحن الآن في منطقة لا هي بالبعيدة ولا بالقريبة من الشمس فإذا ما تضخمت الشمس وهذا حاصل لا محال والتهمت الأرض فهناك المريخ الذي ستكون أجوائه ملائمة للحياة ، والمشاريع لأنقاذ العرق البشري التي تُدرس اليوم وفي زمننا المُعاصر أكثر من أن تُحصى بل أصبحت في عِداد المُسلّمات العلمية !

وعليه فهذا الإنقلاب في النظام الكوني واقعٌ لا محال غاية ما في الأمر أننا لا نعلم أو بعبارة أكثر دقة لا نستطيع أن نُرجح أيهما سيكون هويةً لهذا الإنقلاب هل ستكون هويته إيجابية أم سلبية !

ولا شك أنها حتى لو كانت سلبية فسيحاول العرق البشري قلبها لصالحه بغض النظر عن النجاح أو الفشل . والمهم أن مثل هذا الإنقلاب الكوني سوف يقع في المُستقبل وبأكثر من سيناريو مُحتمل .

وإذا ما رجعنا لموضوع البحث فالقضية التي نحن بصددها لا ترتبط آثارُها جملةً وتفصيلاً بهذا الإنقلاب . فمن المعلوم أن تأثُّر البيئة الطبيعية سيُغيّر من تنوّع الحياة في الأماكن الصالحة للعيش والتي للآن نحن لسنا على اطلاع تام بخصوصياتها وبغض النظر عن الجدلية القائمة في الأوساط العلمية في هل أن هناك حياة خارج الكوكب الأزرق أم لا ؟ فبغض النظر عن هذا فما نحن مُتأكدين منه أن الحياة قائمة وموجودة على الأرض وإذا ما تغيّر النظام الكوني العام فالبيئة داخل هذا العالم الأزرق سوف تتأثر سلباً وإيجاباً وهذا التغيُّر يُسهِم في تنوّع الكائنات وخصوصياتها فكما ذكرنا فيما سبق من فصول هذا الكتاب أن التغيير الذي طرأ على الأرض قبل ٦٥

مليون سنة والذي ساهم في ظهور الوعي عند بعض الكائنات وقلَب المُعادلة رأساً على عقب وأسهَم في انقراض أنواع وساهم في ظهور أنواع أُخرى . كان الدافع والمحرّك من خلفه هو نيزك أعاد البوصلة للاتجاه الصحيح وهذه السُنة الكونية ستبقى فاعلة ما بقي الليل والنهار وسيأتي اليوم الذي ينقلب فيه هذا النظام لوضع جديد . وانقلابه سيكون على مستوى البيئة والظروف الطبيعية والتطوّر الفكري بالنسبة لكل من الحيوانات والإنسان والمتعضيات عموماً وعلى صعيد القوانين الفيزيائية كذلك سينقلب الوضع وبعبارة مُختصرة كل شيء سوف يتغيّر !

كل هذا سيحدث في الوقت الذي يكون فيه البشر قد نجحوا في إيجاد حكومة كونية وهنا يجدُر بنا الإشارة إلى أن هذا الطرح مُتفق عليه من قبل كُلٍّ من الدين والعلم والفلسفة ، وهذا كافٍ في منح هذه النظرية التي نحن بصددها نسبة عالية من الموثوقية بخلاف ما نجده في نظريات كُتّاب الخيال العلمي وإن كانت نظرياتهم أيضاً في جزء كبير منها ناشئة عن بيانات مُعتبرة ولكنها تبقى عُرضة للرفض من قبل عدّة جهات وأما هنا فالوضع مُختلف تمام الإختلاف مع اعترافنا أن هذه النظرية والفكرة لا دليل قاطع على تحقق كثير من أجزائها في المستقبل ولكن في قِبال هذا يوجد الكثير من أجزاء هذه النظرية حتميُّ الوقوع ولا يُناقش في أحقيته عاقل !

وتخيّل معي هذا العصر عصر الدولة الكونية إذ يُمكنك أن تتناول الإفطار في مجرّة درب التبانة والغداء في مجرّة أخرى إذ ستنتقل من هنا لهناك بواسطة نفس الشيء الذي يولد التشابك الكمي عن بعد مع أننا لا نجد الآن شيء واضح عن هذا الوسط الناقل . وبالمناسبة يبدو هذا اليوم في عصرنا الحالي وكأنه أصبح حقيقة علمية إذ نجح بعض المختصين في إحداث ظاهرة تشابك كمي واضحة للعيان !

ومهما يكُن فالقضية أصبحت من المُسلّمات العلمية فقد أنجز فريقٌ من علماء الفيزياء والرياضيات خطوة مهمة جداً نحو توحيد النسبية العامة (general relativity) وميكانيك الكم (quantum mechanics) عبر استكشاف كيفية ولادة الزمكان (spacetime) انطلاقاً من التشابك الكمومي (quantum entanglement) باستخدام نظرية أكثر أصالة. والورقة العلمية التي أعلنت عن الاكتشاف -ومؤلفها الرئيسي هيروسي أوغوري Hirosi Ooguri من جامعة طوكيو، وعالمة الرياضيات ماتيلد ماركولي Matilde Marcolli من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا والطلاب المتخرجين جنيفر لين Jennifer Lin وبوغدان ستويكا Bogdan Stoica- في مجلة Physical Review Letters. وقد كتب المحررون للمقال: "نُشرت الورقة لما لنتائجها المعروضة ولنجاحها كورقة علمية في إيصال فكرتها من أهمية كبيرة، خصوصاً لقارئين من مجالاتٍ أخرى". لطالما بحث علماء الفيزياء والرياضيّات عن نظرية كل شيء (ToE)، وهي نظرية تُوحد النسبية العامة مع ميكانيك الكم. تُفسر النسبية العامة الظواهر الموجودة عند الأحجام الكبيرة مثل ديناميكا النجوم والمجرات في الكون، في حين تشرح ميكانيك الكم الظواهر الميكروسكوبية انطلاقاً من الأحجام دون الذرية (subatomic) ووصولاً إلى الأحجام الجزيئية. يُنظر إلى المبدأ الهولوغرافي (holographic principle) على أنه الميزة الأساسية التي تُشير إلى وجود نظرية كل شيء ناجحة؛ ينص ذلك المبدأ على أنه من الممكن وصف الجاذبية في الحجم ثلاثي الأبعاد باستخدام ميكانيك الكم لسطح ثنائي الأبعاد ومحيط بذلك الحجم. تُولد الأبعاد الثلاثة للحجم بشكلٍ خاص انطلاقاً من الأبعاد الثنائية للسطح. وعلى أية حال، فإن عملية فهم الآلية الدقيقة لولادة الحجم من السطح لا تزال مراوغة . وقد اكتشف أوغوري وزملاؤه الآن أن التشابك الكمومي أساسي جداً في حل هذا السؤال؛ وتمكنوا من البرهان على كيفية حساب كثافة الطاقة، التي تُعتبر مصدر للتفاعلات الثقالية في الأبعاد الثلاثية، باستخدام النظرية الكمومية "التي لا تتضمن الجاذبية" عبر الاعتماد على بيانات التشابك الكمومي فوق السطح. يُشبه هذا

الأمر تشخيص الظروف الموجودة داخل جسدك بالنظر إليه باستعمال صور الأشعة السينية الموجودة على صفيحة ثنائية الأبعاد، حيث يسمح ذلك للعلماء بتفسير الخواص العالمية للتشابك الكمومي على أنها شروط على كثافة الطاقة، ويجب أن تتحقق من قبل أي نظرية كمومية مناسبة للجاذبية، وفي الواقع، يجري ذلك الأمر دون تضمين الجاذبية في النظرية. لطالما اقترح العديد أهمية التشابك الكمومي، لكن دوره الدقيق في ولادة الزمكان لم يكن واضحاً حتى ظهور الورقة العلمية الجديدة لأوغوري وزملاءه. رسم توضيحي لمفهوم الهولوغراف. المصدر: Hirosi Ooguri التشابك الكمومي هو ظاهرة تنص على أنه من غير الممكن وصف الحالات الكمومية (quantum states)، مثل السبين أو الاستقطاب للجسيمات، في مواقعٍ مختلفة بشكلٍ مستقل، إذ لا بدَّ من أن يؤثر قياس أحد الجسيمات -أي تطبيق فعل عليه- على الآخر، وهو شيءٌ أطلق عليه آينشتاين مصطلح "الفعل الشبحي عن بعد" (spooky action at distance). يبرهن العمل على أن هذا التشابك الكمومي يَلد الأبعاد الإضافية في نظرية الثقالة. يقول أغوري: "من المعروف أن التشابك الكمومي يرتبط بالمسائل العميقة لتوحيد النسبية العامة وميكانيك الكم، مثل مفارقة معلومات الثقب الأسود، ومفارقة الجدار الناري". ويُضيف: "تُسلط ورقتنا العلمية ضوءاً جديداً على العلاقة بين التشابك الكمومي والبنية الميكروسكوبية للزمكان عبر إجراء حسابات صريحة. وتزداد الآن أهمية التداخل بين الجاذبية الكمومية وعلم المعلومات بشكلٍ كبير في كلا المجالين، وأنا أتعاون مع علماء المعلومات لتتبع هذا الخط من الأبحاث المستقبلية".

المصدر: https://nasainarabic.net/main/articles/view/spacetime-built-quantum-entanglement .

وإذن فنحن أمام فتوحات علمية كبيرة جداً وهذه الفتوحات العلمية بدورها هي جزء من التَدرُّج نحو ذلك الإنقلاب الكوني الشامل وفي الوقت الذي تُسلط الدولة جُلّ اهتمامها على الكون سيكون من المؤكد أنها سوف تستثمر هذا الإنقلاب لصالحها وصالح الوجود الإنساني فكل شيء سيكون مُغايراً لما عهدناه وذلك لسببين :

الأوّل . هو وصول العلم لهذه المراتب العُليا .

والثاني . وجود القائد الموعود الذي برهنا لك فيما سبق من فصول هذا الكتاب أنه ولابد أن يكون على مستوى علمي فائق لا يمكننا حتى تخيُّله و وجود هذه الإمكانات العلمية لدى القائد الموعود هي بدورها أيضاً نابعة من أُسس علمية في بعض جوانبها فيمكنك مراجعة ما كتبناه تحت باب [المهدي (ع) علمياً] !

وبعد هذا الإنقلاب سنشهد طول واضح في أعمار بني البشر وتبعاً لهذا وبالضرورة أن تطول أعمار الكائنات الحية الأُخرى ممّا يحفظ التوزان الطبيعي وليس من المُستبعد تهجين أنواع جديدة من النباتات ففي العصر الحالي نحن نستهلك الكثير من المُنتجات الزراعية المُعدلة وراثياً وعلى سبيل المثال الطماطم وهي أول ما تم تعديله وراثياً فاغلب ما نستهلكه منها هو نوع هجين وليس بالبعيد تهجين أنواع جديدة إذ لا توجد مشكلة من تهجين الحمضيات فيما بينها لإيجاد منتوج جديد يحمل مواصفات عالية من حيث القيمة الغذائية وهكذا أيضاً سينسحب الأمر على أعلاف الحيوانات الداجنة وهذا ما سيؤثر في كمية ونوعية إنتاجها من اللحم والحليب والمواد الأولية مثل العاج والصوف ناهيك عن أن الإصلاح البيئي سوف يُشارك في إضفاء لمسة واضحة على الحياة البرية لأن السلسلة الغذائية كلها ستتحسن بفعل تحسُّن البيئة الذي سوف يُحسّن نظام التغذية عند الحيوانات العاشبة وهذا سوف يُحسّن بدوره نظام التغذية عند الحيوانات اللاحمة وهكذا فكل مفصل من مفاصل النظام الكوني بدءاً

بالمجرّات الكبيرة والبعيدة عنّا إلى الحياة المجهرية والمكروسكوبية سوف يطرأ عليه التبدُّل والإنقلاب للوضع الجديد .

علماً إن الإشارات الموجودة في الموروث الديني تؤكد على هذه الحقيقة وهنا نجد اتفاق من الدين والعلم في هذا المضمار وتبقى الفلسفة التي سنحاول استجلاء رأيها بطرح السؤال التالي ؟

إذا كان الوضع كذلك فما هو المعنى الكامن خلفه ؟

بطبيعة الحال ليست وظيفة الفلسفة تقرير الواقع بل البحث فيما خلف الواقع من تجليات ومفاهيم كما ليس من وظيفة الفلسفة إيجاد أجوبة بقدر طرحها للأسئلة !

وللجواب عن السؤال الذي طرحناه فيجب أن نبحث فيما خلف هذا الإنقلاب ، أي ما هي الغاية خلف حدوث كل هذا وقد يبدو للبعض أن مهمة توحيد نظرة الدين والعلم والفلسفة مهمة سهلة لكن الحقيقة أنها مهمة في أقصى درجات التعقيد وطبيعة البحث الفلسفي أنه ينتهي لإثارة السؤال فهو حتى إن طرح إجابة سيُثير أكثر من سؤال وإذا ما جاوبنا على السؤال المطروح أعلاه فلابد أننا سنجد ما يُعضده في الموروث الديني لكن لن نجد مثل ذلك التعضيد والمؤازرة من الموروث العلمي ، لأن مدار العلم لا يتعلق بالماوراء بل هو يتعامل مع الحس وسؤالُنا الذي طرحناه مُتعلق بالميتافيزيقا وهي خارج يد العلم وإن لم تكن خارجه جملةً وتفصيلاً لذا سوف نترك هذا السؤال دون إجابة مباشرة ونُجيب عليه ضمنياً في سياق حديثنا عن النهاية التي سيرى القارئ الكريم أن البحث فيها على مستوى من الصعوبة بحيث قد يشهد على ارتجاج في بعض الأفكار لأن قبول أي فكرة سنطرحُها يبقى وقفاً على طبيعة أفكار ومُتبنيات وشخصيات القارئين الكرام !

الفصل السابع

بعد رحيل القائد الموعود

قد يعيش المجتمع الإنساني تحت ظل القيادة المعصومة للمُخلِّص مُدّةً طويلةً جداً بالقياس لما عهدناه نحن من متوسط عمر الإنسان أو الدول على حدّ سواء ، فبعض الإمبراطوريات في التأريخ الإنساني حكمت لِفَترات طويلة ولقرون مديدة . ومع هذا فأعمار تلك الدول لا تكاد تُذكر في قِبال عمر الدولة العالمية التي نحن بصدد الحديث عنها .

والحقيقة أن الحديث عن المرحلة التي تلي رحيل القائد الموعود من هذا العالم يبقى حديثاً مُفتقداً لعناصر الإثبات العلمي والتأريخي ، أي أننا لا يمكن أن نجزم ونُعطي رأياً في طبيعة النظام الحاكم بعد رحيل القائد الموعود فكل ما هو واضح أن الدولة التي سيبنيها القائد الموعود ويضع أساساتِها ستستمر بعد رحيله وتبقى ردحاً طويلاً من الزمن بذات الكفاءة والقُدرات وكل هذا بغض النظر عن مفهوم الدولة نفسه !

يعني - أن من الممكن أن يستمر الوضع بذات الوتيرة والتنظيم مع عدم وجود قائد أعلى للدولة وهذا وارد جداً بعد كل الذي حدثناك عنه ، كما أنه من الوارد أيضاً أن كل المناصب العُليا في الدولة ستكون فارغة قبل رحيل القائد بوقت طويل لأننا مهما حاولنا النظر بعمق للقضية فإننا ننتهي لذات النتيجة وهي أن حتى القائد الموعود يكون قد ضم ذراعيه وجلس دون فعل شيء قبل رحيله لفترة ليست بالقليلة لأن النظام العام للدولة يسير بوتيرة ثابتة ومُحكَمة وبالتالي لم يعُد هناك شيء يحتاج لأن يتدخل القائد الموعود في حلّه أو المساعدة على إتمامه أو منع حدوثه أو إعطاء رأي فيه لأن عامة الشعب وصلوا لمرتبة عالية من الوعي والفهم ولا يكون حينذاك من داعي لوجود من يُرشدهم لطريق الصواب لأنهم سيكونون قد عرفوه وساروا عليه ولهذا فلا يعود من معنى لوجود القائد الموعود بينهم ؛ فهذا احتمال وارد جداً ، وكذلك من الممكن أن يكون هناك حُكَّام وقادة بعد رحيل القائد يُنصِّبهم هو وينص عليهم لأننا لا نتصوّر والحال هذه أن هناك حاجة للإنتخاب بأي شكل من الأشكال فلابد أن نظام التنصيص سيكون فاعلاً ويُنصِّب القائد الموعود قادة يتولون الحكم من بعده وهذا ذات المفهوم الذي نراه موجوداً في الموروث الديني !

وهناك احتمالات كثيرة لهذه المرحلة بعد رحيل القائد الموعود لكن أكثرها انسجاماً مع الطرح والمنهج الذي اتخذناه في هذه الدراسة هو أن القائد الموعود عمد لجملةِ القوانين والتشريعات التي صدّرها خلال فترة حكمه الطويلة وضمّنها في وثيقة هي ذاته ما ندعوه اليوم بالدستور ومع وجود هذا الدستور لا حاجة لوجود حاكم بل لا حاجة لوجود فقهاء دستوريون أو فقهاء قانون لأنه وكما أسلفنا فكل هذا أصبح من الماضي السحيق للبشرية !

وأما عن الكيفية التي سينتقل بها القائد الموعود من هذا العالم الى العالم الآخر فهي بدورها أيضاً مفتوحة على كثير من الإحتمالات فالموروث الديني له وجهة نظر والمُقررات العلمية لها وجهة نظر وكذلك المدلولات الفلسفية لها وجهة نظر . ولكن من خلال الجمع بين كل هذه الروافد يتبين أو بالأحرى يبدو أن الإحتمال الأكثر ملائمة هو أن رحيل القائد الموعود يكون بسبب الموت الطبيعي وقد تحدثنا عن الكيفية التي سيموت بها الناس في تلك الحقبة فراجع !

وهكذا - ستكون هناك فترة طويلة جداً بعد رحيل القائد الموعود والوضع سيبقى مُستقراً ويبقى تطوّر الأنظمة مُستمراً والتوسُّع مُستمر ولن تظهر مُشكلة إلا حين تكتمل دورة النظام الكوني العام وتأزف الآزفة والتي نجد أنه من الضروري بحثها بشيء من التفصيل والإسهاب !

بداية النهاية

بطبيعة الحال من غير الممكن الإحاطة التامة بالكيفية التي ستكون عليها نهاية البشرية مع أن هذه النهاية حتمية ولا يُمكن القول أن البشر سوف يظلّون في الحياة الى ما لانهاية ، لأن هذا أمرٌ وإن لم يكُن من المُحالات عقلاً وعلى الصعيد الديني والعلمي كذلك . إلا أنه يبدو مُترهلاً وغير قابل للتصديق ولو فرضناه لدخلنا في خانة الخيال غير المقبول منطقياً ، فمع أنه وارد من حيث المبدأ إلا أنه قد يُعرِّض صاحب الرأي الذي يتبناه لهزة عنيفة من النقد خصوصاً من جهة تَعارُض هذا الطرح مع الطرح الديني والعلمي وإن كانت المسألة فلسفياً قابلة للنقاش بل لا مُشكلة عند العقل في قبولها تمام القبول !

إذن لا يُمكننا الإحاطة التامة الكاملة غير المنقوصة بالطريقة التي ستفنى بها البشرية أو الإنسانية بعبارة أكثر صحة ، لأننا نتكلم عن شيء سيقع في المستقبل ومادام كذلك فهو يبقى مجهولاً ، وقد يقول قائل إذا كان الأمر كذلك فكل النظرية المهدوية سوف تقع في المستقبل وعلى هذا فهذه النظرية أيضاً مجهولة المعالم بدورها ، ولكن هذا الإعتراض ليس في محله فليس كل ما يقع في المستقبل مجهولاً فبعضه معلوم ولكن أغلبه يبقى مجهولاً بالنسبة لنا وبكلمة واحدة فالأصل في الأحداث التي ستقع في المستقبل هو غموضُها والجهل بالشكل الذي ستكون عليه ولكن هذا الأصل تتفرع منه بعض الإستثناءات وهذه الإستثناءات هي وجود دلائل وقرائن وقراءات لنتائج تأتي فيما بعد وهذه النتائج هي ذاتها تلك الأحداث المُستقبلية التي نعرف أنها ستقع ، فنحن قادرين على التأكد من وقوع بعض الأحداث في المستقبل من خلال القرائن والشواهد والقراءات المُتوفرة عندنا حالياً ، وهذا هو الذي نفعلُه الآن وهو قراءة القرائن وتقديم تصوّر عمّا سيؤول له الأمر ، ولكننا في موضوع نهاية البشرية نواجه مُشكلة في الرؤية وضبابية شديدة تحجب عنّا أي إمكانية للقول بأننا قادرين على معرفة الطريقة والكيفية التي ستكون عليها هذه النهاية ، فمع وجود بعض القرائن والدلالات التي تُعطينا لمحة عن الوضع العام المُصاحب لفناء البشرية خصوصاً ماهو وارد في الموروث الديني . فمع هذا لا يُمكن الجزم بأي سيناريو والقول أن هذا ما سيقع ، وغاية الأمر أن كل ما يُمكن قوله وفهمه هو أن مجيء النهاية والفناء دون الطريقة التي سيحدث بها هذا الفناء أو قُل الإنقراض !

وكل من يحاول أن يدّعي غير ذلك فالواقع أنه يُخاطر كثيراً بالمنطق العلمي السليم .

نعم - يُمكن وضع تصوّرات عامة دون إسباغ صفة العقلانية والمنطقية التامة عليها لأننا كما أسلفنا بأن الأمر حمّال ذو وجوه عديدة وهذا التعدُد في الإحتمالات هو ذاته ما يُفقِد أي احتمال منها أهميته العالية ولذا فمن الأجدر القول أن كل الإحتمالات مُتساوية في قوة البرهنة عليها كما هي مُتساوية في حظوظها من ناحية الوقوع أو عدم الوقوع .

وعليه سنُحاول عرض شيء قليل من هذه الإحتمالات ونُناقش بعضها ونترك البعض الآخر الذي نرى أنه لا يحتاج لمُناقشة ، وهذا الإجتهاد الشخصي بطبيعة الحال ليس حُجة على أحد كما أنه لا يستند إلا لقراءة وقناعة ذاتية بما ينسجم مع مُقررات البحث موضع النقاش وليس بالضرورة أنه يُمثِّل قناعة ثابتة في قرارة نفس الكاتب وإنما هو عبارة عن طرح مُناسب للنهج الذي اتخذناه في هذه الدراسة . . .

وبالعموم فإنّه يوجد لدينا أكثر من سيناريو مُحتمل لفناء البشرية وكل هذه السيناريوهات تفترض أن هذا الفناء يأتي على وجود البشر وينتهي به زمن وجودهم في الحياة ، لكن هُناك تفاوت في فهم طبيعة وماهية هذا الفناء ،

فعلى الصعيد الديني يكون هذا الفناء هو القيامة أو الساعة أو يوم الحساب على اختلاف معاني هذه المفاهيم والتي يتصوّر الكثير من الناس أنها كلها شيء واحد والحقيقة أن لكل واحد منها معنى مخصوص به ، وهذه القيامة أو العذاب أو يوم الحساب الى آخره ، يأتي أو تأتي كعقوبة للظالمين وللمجرمين الكافرين على ما اقترفوه من آثام وجرائم وسفك للدماء وإفساد للأرض وهؤلاء الذين تقع عليهم هذه الأهوال هم الذين لا توجد وسيلة لإصلاحهم وإرجاعهم للطريق القويم ولذا يتم إفنائُهم لكي ينتقلوا للعالم الآخر وهناك يتم التفريق بين الصالح والطالح ويُجازي الله المؤمنين الصالحين بأن يُدخلهم الفردوس ، ويُعاقب الكافرين الظالمين بدءاً من إخضاعهم في الدنيا لمرارة تلك الأهوال التي تقع عليهم ثم تُختَتَم القضية بزجِّهم في السعير والعذاب الأبدي بما اقترفته أيديهم من معاصي وكبائر وخروج عن النهج الإلهي الذي جاء وبشَّر به الأنبياء والصالحين والأولياء ولن يذوقوا طعم الموت بعد ذلك أبداً فهم سوف يبقون قابعين في ذلك السعير للأبد . . .

وهذا الفناء كذلك على الصعيد العلمي له أكثر من سياق وصيغة أكثرُها واقعية هو استنفاذ هذا النظام الكوني لموارده من الغازات وباقي مصادر طاقته وبالتالي موته أما بتحطيمه وتمزيقه لنفسه من خلال الإنفجارات الكونية الصادرة عن النجوم وأما بتصادُم المجرّات وتمزيق بعضها البعض أو من خلال قلة فاعليته والتي تفترض أنه سيموت ببطء وهذا السيناريو الأخير مصحوب بموت وفناء البشرية قبل فناء الكون وكل هذه الإحتمالات وأكثر واردة بل الحقيقة أنها من المُسلّمات العلمية داخل المجتمع العلمي الكلاسيكي .

ومهما يكُن فلابد لنا أن نتعرّف على بعض وجوه ذلك الفناء أو القيامة خصوصاً وأنها تصطدم مباشرةً بالثابت العقدي والعلمي والفلسفي ، بمعنى أنها تقع على خلاف ما أجمعت عليه البشرية وفق مُقررات الدين والعلم والفلسفة ، فالفكر الإنساني بكل مفاصله يتجه الى إثبات المُستقبل السعيد والمتطوّر للبشرية وهذا المستقبل الواعد ليس افتراضاً نفترضه ههنا وإنما هو من اللوازم التي لا محيص من التسليم بها والإنقياد لها وقد سبق وأن حدّثناك عن (حتمية الإرتقاء) ومع هذا فإننا نجد أن كل من الدين والعلم يُقرران أن هذا الفناء قادم لا محال وبطبيعة الحال هذا ليس تناقُضاً في مُقررات العلم والدين إذ قد يعتقد أو يقول البعض بوجود مثل هذا التناقض بعد أن يرى أن الدين والعلم كلاهما يضمنان المستقبل الواعد للبشرية والسعيد لها ويُثبتان هذا الأمر ثم يُثبتان أن فناء البشرية قادمٌ لا محال خصوصاً على الصعيد الديني الذي نجد في الموروث الديني إصرار على ذلك المستقبل المُزدهر الذي يُعبَد به الله وحده دون شريك ثم يُكلِّمنا هذا الموروث عن أحداث يوم القيامة ويُثبت لنا أنها ستقع على الكافرين والمجرمين وهذا لا يُمكن التوفيق بينه وبين المستوى العِبادي والديني الذي يُحدثنا عنه الدين وعن مداه داخل المجتمع في الفترة التي تسبق حدوث هذا الفناء أو القيامة ، لكن كل هذا لا يُعَد تناقضاً لا في العلم ولا في الدين بالأخص وهذا ما سنعمل على رفعه وإيضاحه بإذن الله تعالى .

ولكن قبل هذا علينا أن نعود قليلاً للخلف ونقرأ بتمعُّن الصيغة التي يُعطيها لنا كل من الدين والعلم عن كيفية حدوث هذا الإنقراض إذا صح التعبير ، وكيف سيبدأ وما هي العوامل التي تدفع لحدوثه والأسباب الكامنة خلفه وبعد ذلك سنتعرّف على مكامن الضعف والقوة في كل الطروحات التي سنتعاطاها في هذه الدراسة !

الإنحدار نحو الهاوية وفق التصوّر الديني

يُحدّثنا الموروث الديني بأن أهوال القيامة سوف تبدأ في الوقت الذي يكون من الصعب المُستصعب إصلاح البشرية أو ما تبقى منها بعبارة أدق ، فحين يأتي موعد ظهور القائد الموعود وتقوم الدولة العالمية تحت قيادته . ستنتقل البشرية من وضعها البدائي الى الوضع الأتم والذي سيكون فيه المجتمع الإنساني في أرقى مراتب تكامُلهِ وكلّما طالت المُدّة التي تحكم بها الدولة العالمية المجتمع الإنساني كلّما زادت البشرية وأكثرت من قطع أشواط في مسيرة التكامل والتَرَقي للأعلى والأفضل ، وحتى بعد رحيل القائد الموعود عن هذا العالم سوف تستمر هذه الدولة لفترة طويلة وفي نهاية المطاف سيكون وجودُها وجود شكلي والمرجّح أنها ستختفي وتذوب تلقائياً وبشكل غير ملحوظ لأن المبرر لوجودِها لم يَعُد متوفراً ولأن المجتمع الإنساني وصل لمرتبة عالية جداً من الكمال بحيث لم يعُد من الممكن إضافة مفاهيم جديدة لرصيده الفكري والديني والعلمي ، وذلك المجتمع هو المجتمع الذي يتبنى القانون والعدالة والمساواة من الداخل أي أن المجتمع وكل فرد من أفراده سيكون فقيهاً في كل من العلم والدين والفلسفة وكل فرد سيكون هو تجسُّد للقانون وللأخلاق وللفضيلة وللعبادة الحقة وبهذا لا يعود للدولة من مبرر للوجود .

ومن المؤكد أن هذا الوضع سوف يستمر لفترة طويلة تُشير بعض القرائن الى أنها قد تكون أطول من الفترة التي قضتها الدولة مع وجود القائد الموعود على رأسها بأضعاف مُضاعفة ،ثم تبدأ عملية الإنحدار نحو الهاوية . وذلك على الأرجح سيكون بسبب تضخم (الأنا) كما سنُفصِّل بعد قليل ، لأن كل فرد من أفراد ذلك المجتمع يرى أنه هو الإنسان الكامل والأجدر بالرياسة .ومع فرضية غياب الدولة سيعتقد أنه هو المؤهل لقيادتها وعلى هذا الأساس تبدأ مرحلة الصراع !

ويجب أن يكون القارئ الكريم على علم تام أن الموروث الديني في معرض كلامه عن يوم القيامة يُؤشر بوضوح إلى أن المجتمع الذي ستقوم عليه الساعة أو تقوم القيامة عليه مع أن مصطلح (تقوم القيامة) غير تام الدلالة وسنتعرّض لهذا لاحقاً ! المهم أن ذلك المجتمع هو مجتمع مُنحرف أشد الإنحراف وبكل أفراده وهم (شِرار الخلق) أي ليس كما فرضناه نحن فيما سبق من أن هناك الصالح والطالح حين قيام الساعة فالذي فرضناه نحن كان بناءً على الطبيعة الإجتماعية وبعض موارد الدين نفسه ، لكن مع أثبات الدين ضرورة وجود الصالح والطالح وإن كانت هذه القاعدة جُزئية ولذا هي لا تسري على مجتمع الدولة العالمية ، فمع هذا نجد ذات الموروث الديني يتكلم عن مجتمع منحرف بكامل أفراده وهو المجتمع الذي ستقوم عليه القيامة !

وهذا الإنحدار نحو الهاوية والعودة الى البدائية يبقى أمراً مُتعسِّراً على الفهم مع أنه شيء ثابت لا يقبل الشك وفق مُقررات الموروث الديني ، لأننا أمام حقيقة أن المجتمع وصل لكل ذلك العمق المعرفي والثقافي نبقى في شك أمام انحداره من جديد نحو البدائية والجهل والصراع ، ومع هذا الأمر يجب علينا أن نجد مخرج لهذه الأزمة ، فمن المخارج التي رأيناها . هو أن المجتمع لن يكون مُنحرفاً بالشكل الذي نعرفه نحن . فالإنحراف له أكثر من شكل فبعض الإشارات في الموروث الديني تكلّمنا عن انحرافات تكون خافية حتى على من يقوم بها ويسير على دربها ، فالقرآن الكريم مثلاً يُنبئنا عن [الأخسرين أعمالا] وهؤلاء هم الذين [ضلَّ سعيُهُمْ في الحياةِ الدُنيا]

وموضع الشاهد هنا . [وهُم يَحسَبونَ أنَّهُم يُحسِنونَ عملاً] أي أنهم كانوا يتصورون أن أعمالهم هذه هي أعمال تُقربهم من الله وتجعلهم صالحين في الدنيا والآخرة ومع هذا فالحقيقة كانت أنهم [الأخسرين أعمالا] أي أن أعمالهم كانت خاسرة في الدنيا وسعيهم ضالٌّ مُضِلّ ، فهذا اللون من الإنحراف مصدره (الأنا) إذ أنهم اعتمدوا على عقولهم وما أنتجته لهم من مدلولات فتصوّروا أنهم على الصواب ولذا نجد القرآن الكريم مُلتفت لهذه الظاهرة ، فهو في معرض نقله لكلام الله عزّ وجل لنبيه الكريم صلوات الله عليه وآله يقول له **[إستَقِمْ]** وهذا الطلب بالإستقامة لا يُترَك الطريق إليه ولا أخذ الصيغة المُناسبة له للنبي صلوات الله عليه لأنه في النهاية [بَشَرٌ] ولكن يأمر الله نبيه بأن يستقيم على ضوء ما شرَّعهُ هو لا ما فضَّلهُ ورآه النبي نفسه ولذا يقول [إستَقِمْ كَمَا **أُمِرْتَ**] أي عليك الإستقامة وفق ما يُقرره الله لا وفق ما تراه أنت بأنه الطريق الأنسب للإستقامة ، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه قوله عن الخوارج (أنهم قوم طلبوا الحق فضلوا طريقه) أي أنهم كانوا طالبين للحق ولكن الطريق التي سلكوها من أجل الوصول إليه كانت الطريق الخطأ !

وهذا يكشف لك عن لون من الإنحراف خطير جداً فقد تكون نية المُنحرف في الحقيقة هي الإستقامة وهو يؤدي ما عليه من فروض وما يعتقد أنه هو الصواب في الدين والدنيا ولكن الأمر بخلاف هذا تماماً .

ومع هذا يُمكننا التوفيق بين وصول المجتمع الإنساني لتلك المرتبة العالية من الإيمان والتقوى والعلم والثقافة وبين وقوع العذاب وأهوال القيامة على ذلك المجتمع ، فمن المفروض أن مجتمع يتمتع كل أفراده بهذا المستوى العلمي أن يكون فيه الكثير من الفقهاء العارفين بثوابت الشريعة هذا وفق التقدير العام أما وفق التصوّر الديني فكل أفراد ذلك المجتمع هم من الفقهاء لدرجة أن ربة المنزل تكون قادرة على استنباط الحكم الشرعي كما نقلنا لك . . .

وهنا سيبرز لدينا هذا الون الجديد من الإنحراف . وهو اعتقاد كل فرد من أفراد المجتمع أنه الأجدر بالقيادة . وقد يرد إشكال ههنا وهو أن الموروث الديني يفترض بقاء الدولة العالمية حتى قيام الساعة ونحن فرضنا أن احتمال زوالها عن الوجود احتمال وارد وله حظوظ كبيرة ! وبطبيعة الحال فالدولة كتنظيم من حيث القانون والتربية والتطبيق سوف تبقى حتى قيام الساعة وهذا لا علاقة له بوجودها بالشكل الفعلي ، أي وجود رئيس ورئيس وزراء وبرلمان الى آخره . فلا علاقة بين بقاء الدولة وبين ممثلي الدولة فالدولة مفهوم أعمق من مجرّد وجود رئيس أو مجلس نواب . وعليه فهي باقية حتى قيام الساعة مع عدم شغل المناصب العُليا فيها ، أي أن المناصب ستبقى فارغة لعدم الحاجة لأشخاص يشغلونها ، ومن هنا سوف يعتقد الجميع أو الكثير من هذا (الجميع) بأنهم الأكثر أهلية لشغل هذه المناصب وبطبيعة الحال يجب أن يكون هناك مُحرّك خارجي لطلبهم تلك المناصب بعد بقاءهم ردحاً من الزمن بعيدين عنها وربما أيضاً يكون الإختلاف العُلمائي في الفُتيا وما يستجد من أحكام شرعية بعيداً عن المناصب هو السبب وبهذا تبدأ عملية من التحزُّب الفئوي من جديد والكل على صواب من حيث المبدأ و وفق ما يصلون له من دلالات وآراء وأفكار وهذا يُنتج سوء الظن بالآخرين أو تجهيلهم وبهذا نصل الى وجود صراع لكنه هذه المرة ليس كسابق عهدنا بالصراعات البشرية التي تتغذى بشكل مباشر أو غير مباشر على الجهل والهمجية . بل هذه المرة سنشهد صراع يتغذى على الأعلمية والمعرفة والحضارة ، ففي أحد كُتبِنا السابقة ذكرنا أن هدف الإنسانية هو الوصول لحقيقة وجوهر الجهل ! فطالب العلم كلّما ارتقى في معرفته أدرك وبعُمق أنه لا يزداد إلا جهلاً في قِبال الحقيقة مع أنه يزداد علماً في قِبال باقي الناس وهذه المُلازمة تضطرنا للإذعان والتسليم أن الغاية القصوى للعالِم هي الوصول لجوهر وحقيقة الجهل وبهذا لوحده يتم التسليم لله رب السماوات بأنه العالم المُطلق والوحيد ، وهناك فصَّلنا البحث وفق منهج فلسفي مُكثّف فيُمكن المُراجعة...

والأمر ليس بالعجيب ففي الموروث الديني نجد الكلام عن (إبليس) الذي عبد الله عبادة مُطلقة وصادقة وصحيحة وكان عبداً صالحاً من عبيد الله الخُلَّص لكنه حين اعتمد على إدراكه ورأيه الخاص أوصله هذا لعصيان الخالق والخروج عن طاعته ، مع أن الذي أصرَّ عليه إبليس كان صواباً في الظاهر ، فأنا وأنت اليوم إذا حكّمْنا العقل نجد أن النار أشرف وأرفع من الطين وهذا كان جزء من إعتراض إبليس على الأمر الرباني ، فلا شك عندي أو عندك بأن النار أشرف من الطين ومع هذا فأنا وأنت وإبليس نكون قد أخطأنا إذا تصوّرنا أن معرفتنا وعقولنا قادرة على التمييز بين الأفضل والأسوأ في قِبال ما يقوله جبار السماوات والأرض ، وهذا ما وقع فيه إبليس فهو لم يكُن يقصد العصيان المُباشر بل هو اعتمد على حدسه وذكاءه وفطنته في التمييز بين الأمور ولهذا جاءه الرد من المحضر المقدس [أُخرُج مِنها فإنَّكَ رَجيم] لأنه لم يَستقم كما أُمِر بل كما تصوّر هو وهذا خلاف الإلتزام الديني لأن الإلتزام الديني هو التسليم بحاكمية الله مع عدم الإعتقاد ولو لطرفة عين أنك تمتلك معرفة كافية لتشخيص الصواب من الخطأ في قِبال أوامر الله ونواهيه حتى لو لم تكن تعلم وتشعر بهذا . ومن المؤكد أنك لا تعلم ولا تشعر بهذا وإلا فمن المحال افتراض أن أحداً عارفاً بالله وعابداً له عن وعي ومعرفة يتقصّد التصرُّف وفق ذكاءه وفطنته أمام أوامر الله ونواهيه !

وبهذا يرتفع لدينا الإشكال المطروح ولا أُخفيكَ سِرَّاً أيها القارئ الكريم أن هذه تبقى قراءة اجتهادية للكاتب والله أعلم . لكن يوجد ما يدعمها وبقوة من الموروث الديني فالقرآن الكريم أيضاً يقول في الآية ١٥٨ من سورة الأنعام [لا يَنفَعُ نَفساً إيمانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أو كَسَبَتْ في إيمَانِهَا خَيْراً] !

فهذه الآية من الآيات التي تتكلم عن قيام الساعة كما في الرواية التي أخرجها أبو داوود في سُنَنه في الجزء ٢ صفحة ٤٣٩ والجو العام للآية المُباركة يتحدّث عن نوعين من النفوس :

الأوّل - النفوس التي لم تكن مؤمنة من قبل وآمنت أثناء وقوع تلك الأهوال .

والثاني - النفوس التي لم تكسب في إيمانها خيراً .

ومن المعلوم الذي لا يحتاج لنقاش أن الإيمان خير فما هو الذي يجب أن تكسبه تلك النفوس من الخير التابع للإيمان ؟

وهذا يُعني أن ليس كل إيمان هو خير فقد يكون النقيض كما هو الحال بالنسبة للـ **[الأخسرينَ أعمالا]** ! الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون عملا ! فهذا وإن كان الدافع من خلفه الإيمان في كثير من الأحيان لكنه حتى مع وجود الإيمان لا يعني أنه يأتي بالخير لصاحبه فقد يأتي له بالشّر والعياذ بالله .

إذن دعنا نتخيل ذلك المجتمع الذي يكون كل أفراده علماء في الشريعة وبطبيعة الحال فنحن نعلم أن كل واحد من المجتهدين يعتقد أنه هو الأعلم ودون وجود هذا الإعتقاد فلا يجوز له ترك من هو أعلم منه وعدم متابعته في آرائه ولذا مع المستوى العلمي لأفراد ذلك المجتمع سيكون كل واحد منهم على قناعة بأنه هو الأعلم ، وبالتالي سيعتبر أي رأي من الآخر رأي مُفتقر للصواب إن لم يكن لا قيمة له ! وهذا الفرد يعتقد في باطنه أنه مُخلص لله تعالى وهو فعلاً كذلك .كما أنه يتحرّك بنية صادقة لكنه يكون في قعر الإنحراف والعصيان ولهذا يكون مُستحقاً للعقوبة الدنيوية على الأقل ! ولأن العقوبة الأُخروية خارج بحثنا الحالي من جهة ومن جهة أخرى هي بيد الحاكم العادل الرحيم فلا دخل لنا بها وأمرُها موكول للباري عزّ وجلّ .

وبطبيعة الحال يكون ذلك المجتمع كله مُستحقاً للعقوبة الدنيوية وعلى هذا الأساس تقوم عليه الساعة جزاءً لما أقدم عليه من غرور وتضخُم (الأنا) !

وأما النفوس التي لم تكن قد [آمنت من قبل] فهم أولئك الذين ترسَّخت العقيدة الدينية والسلوك الأخلاقي الديني في نفوسهم لكن هذا الترسُّخ ظلَّ الى حد ما نظري و وفقاً لما يُقرره العقل ! بعبارة أخرى أي أن إيمانهم ليس منبعه التسليم المطلق لله بل التسليم المطلق للعقل الذي دَلَّ على وجوب التسليم المُطلق لله والفارق بين الأمرين فارق شاسع جداً ، وبالنتيجة فالطائفتين هُم من نفس الجنس ونفس الطينة وكلاهما مُستحقان للعقوبة !

وهذا الطرح هو الطرح الأنسب على حدّ اطلاعي فهناك آراء أخرى لبعض الباحثين الدينيين تذهب للقول بأن المجتمع في ذلك العصر سيعود من جديد للتخلف وللبهائمية ولذلك يكون مُستحقاً للعقوبة ، لكن هذه الفكرة لا تصمد أمام النقد لحظة واحدة !

فكيف تنتظر من مجتمع وصل تلك المرتبة أن يعود من جديد لضحالة الجهل .وحتى لو فرضنا أن الأجيال اللاحقة من هذا المجتمع بدأت شيئاً فشيئاً تنحرف عن الجادة وكل جيل من الأجيال تطفو على سطحه القليل من مظاهر الإنحراف الى أن نصل الى ذلك الجيل الذين هم (كالبهائم) وكذلك (يعبدون الأوثان) وهم (شِرار الخلق) فحتى لو فرضنا هذا فهو يبقى مُحالاً لأن المجتمع بما أنه وصل لتلك المرتبة العالية فسوف يُبادر مُباشرة لإصلاح أي خلل يظهر في الساحة الفكرية والعقائدية وبسرعة ، فمن السمات الأبرز لذلك المجتمع الذي يُثبتُها كل من الدين والعلم والفلسفة وحتى الفن هو أنه مجتمع نشط فكرياً وبشكل هائل فمع هذا كيف يُمكن إفتراض أن الإنحرافات الطفيفة في بداية ظهورها تبقى مُحصّنة ضد الأسلحة الفكرية لذلك المجتمع ! فمن المؤكد أن هذا المجتمع سوف يُسارع لردم تلك الثغرات وهكذا يتم إصلاح مواطن الخلل ليبقى هذا المجتمع مستمراً في البقاء وهو مجتمع الدولة العالمية والتي عليها سوف تقوم الساعة لأن تلك الدولة وفق التصريح الديني الرسمي الذي لا يقبل شك هي آخر دولة وحكومة في التأريخ البشري !

ولذلك فآراء أولئك الباحثين وإن كانت مرتفعة القيمة ونحتفظ لها بوافر الإحترام والتقدير إلا أنها بعيدة عن الواقعية والمنطقية التي تفرضُها علينا مقررات الموروث الديني ، ولا أدري هل أنا هنا أقع في نفس ما أُحذِّر وأتكلم عنه أم أنني على صواب ؟ الله أعلم بطبيعة الحال !

فحين حدوث ذلك الصراع ، والمُرجّح أن هناك ظواهر كونية خارجة عن السيطرة هي التي ستكون الدافع خلف تكالب أفراد ذلك المجتمع للوصول لسدّة السلطة من أجل العمل على التصدّي لها . فحين ذلك يبدأ هذا الصراع ومن الواضح أن مثل هذا الأمر يكون مُخجلاً وغير لائق في أقل التقادير بأفراد ذلك المجتمع ومن هذا الباب إنما كانوا شِرار خلق الله لأن العمل القبيح إذا جاء من الجاهل يبقى قبيحاً وبشعاً فما بالُك لو صدَرَ مثل هذا العمل عن العالِم وبهذا يكون ذلك المجتمع مُستحقاً للعذاب وعليه تقوم الساعة بكل تفاصيلها المذكورة في الموروث الديني وبهذا أيضاً يُجمَع النقيضان فيكون المُجتمع الأرقى والأعلم والأتقى في التاريخ البشري هو المُجتمع المغضوب عليه والأكثر شرّاً في نفس هذا التاريخ وهذا هو التصوّر الديني العام عن الإنحدار نحو الهاوية !

الإنحدار نحو الهاوية وفق التصوّر العلمي

لدينا أكثر من صيغة يُمكننا تقديمها هنا لهذا الإنحدار ، فالعلم يُعطينا دلائل حية عن طبيعة هذا الإنحدار والنقطة التي يبدأ منها كما تلك التي ينتهي لها ، فهذا الإنحدار نحو الهاوية وفق مُقررات الموروث العلمي ليس كما

يتصوّر البعض من أنه سيبدأ من نقطة ما في المستقبل ثم ينتهي لنقطة أُخرى بعد أن يوغل أكثر فأكثر في ذلك المستقبل ، بل هذه النقطة . أي نقطة الإنحدار تُولَد مع كل شيء في هذا النظام الكوني وتبقى فاعلة على طول الخط حتى تصل نقطة النهاية والتي تعني فناء ذلك الشيء حسيّاً بطبيعة الحال !

وهذا القانون يشمل كل شيء في هذا النظام الكوني ، فمفهوما الوجود والعدم مُتلازمان لا ينفكان أبداً وهذه الدورة مُستمرة وعملية إعادة تدوير المواد تجري على قدم وساق وهي تسري على كل شيء ، فكل شيء يتفكك ويتحوّل لشيء جديد وهكذا ، وبطبيعة الحال فالنظام كله خاضع لهذا القانون . فمع أن الأشياء توجد وتفنى داخل هذا النظام فهذا الإيجاد والفناء صورة وانعكاس عن إيجاد وفناء أكبر ، وهذه السلسلة تصل بنا في نهاية المطاف الى النظام الكوني بِرُمَّتِه فهو الآخر وُجِد وسيفنى بكل ما فيه ، فمن النقطة التي انطلق وبدأ منها هذا العالَم المادي حيث كانت المادة مضغوطة بشكل رهيب ثم تولّد ما يُسمى بالإنفجار مع أنه ليس انفجاراً كما يُشاع ، فمن تلك النقطة بالذات ومع انطلاق هذا الكون للوجود انطلقت شرارة الفناء لكل هذا وظلّت عالقة في ذلك القانون الذي يُحتم أن لكل موجود مادي بداية ونهاية ولأن الكون له بداية فهو له نهاية ومن هنا أنكر كثيرين فكرة وجود اللانهائي لأنها برأيهم خارجة عن الإيقاع جملةً وتفصيلاً ، ومُذ ١٣ مليار سنة مازال الكون مُستمر في حالة التمدد التي بدأت حينذاك الى أن يصل للنقطة التي تفقد فيها الجاذبية سلطتها فيتفكك ويتلاشى ويموت كل جزء منه في فراغ سحيق أو يُمَزِّق هذا الكون نفسه أو ينضغط من جديد لذات النقطة التي بدأ منها ، والسيناريوهات في هذا الصدد كثيرة .

ولكن ما يسترعي الإنتباه فعلاً هو الإشارة التي أطلقها بعض العلماء من أن هناك احتمال عالي جداً بأن تكون نهاية هذا الكون غير مربوطة بنظامه العام بل هي مربوطة بتطوّر الحياة فيه !

بعبارة أخرى أننا لو أعدنا ضبط عقارب الساعة الكونية الى فترة ما قبل ظهور الحياة في هذا الكون ثم أطلقنا لها العنان بالجري والسير نحو الأبدية دون أن تظهر في هذا الكون حياة فربما يقلب هذا المعادلة بالكامل ! فظهور الحياة وتطورها عامل أساسي من العوامل التي تُزيد وتُسَرِّع من وتيرة سير هذا النظام نحو الفناء ، لأن الحياة التي انبثقت في هذا النظام الكوني حملت بذرة موت هذا النظام أو على الأقل ستُساعد وتُعجِّل من فناءه لأنها مورد خطر وعبث مُستمر بالقوانين الكونية ، فهذا الكون في حقيقته عبارة عن جسد واحد كبير وكل جزء منه يتم العبث به أو استنزاف موارده يؤثر على باقي الأجزاء ممّا يمنع القوانين الطبيعية الكونية من السير الطبيعي في سياقاتها التي يُفترض بها أن تمُر بهدوء وسلاسة دون وجود من يُعكّر صفو هذه الإنسيابية ، وحتى لو ابتعدنا عن المفهوم العلمي فنحن نجد في الموروث الديني إشارة لهذا الأمر **[ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرِّ وفي البَحْرِ بِما كَسَبَتْ أيدي النّاسْ]** ! ومن هنا جاءت فكرة أزلية العالم في الفلسفة والعلم أو هكذا يبدو لأكون دقيقاً ! فالبعض يفترض أن لا بداية لهذا النظام مع وجود نهاية حتمية له والبعض يعتقد بوجود بداية دون وجود نهاية له والبعض يقول بوجود كليهما والبعض الآخر ينفيهما تماماً ، وبطبيعة الحال ليس في مقدور العلم تحديد وجهة نظر مُحددة ومؤكدة في هذا المضمار وتبقى الأجوبة الوحيدة المُتوفرة هي تلك الأجوبة التي تتوفَّر في كُلٍّ من الدين والفلسفة لأن العلم غير قادر على ولوج هذه المساحة القاتمة المُظلمة ولذلك كان في مرتبة أدنى من مرتبة الفلسفة ولنفس السبب !

المهم أن هذا الإنحدار نحو الهاوية فاعل وموجود في أكثر لحظات هذا النظام الكوني ازدهاراً وتحقُّقُه ليس واقعاً في المُستقبل بل هو مُتحقق فعلياً على أرض الواقع من خلال نظام التوازن ، وغاية ما في الأمر أن هذا التوازن سوف يصل لنقطة مُعينة يجب فيها أن يتوازن كل من الوجود والعدم وبهذا ينتهي هذا النظام الكوني ، على أن تلك النهاية ستحدث في الوقت الذي تكون مظاهر الحياة العضوية قد انقرضت قبل فترة طويلة جداً . هذا إذا افترضنا أن الفناء سيكون من خلال التمدد الكوني ، أما لو فرضنا أنه سيكون من خلال الثقوب السود أو المُستعرات العُظمى فلا مُشكلة من قبول أن الحياة العضوية ستكون موجودة حين حدوث هذا .ومع كل فرضية علمية تكون الآثار المُترتبة عليها مُختلفة !

وبعض التصوّرات العلمية تذهب للقول بأن النهاية ربما تكون شاملة باعتبار أن ذلك الإنهيار سوف يشمل كل النظام الكوني ومن الطبيعي والأمر بهذا الشكل أن البشرية ستتعرّض للفناء بفعل بفناء الكون ، وتصوّرات أخرى تدّعي أن لا مُلازمة بين الأمرين ! بعبارة أخرى أن من الممكن لهذا النظام الكوني أن يستمر ويزدهر لكن في مفصل من مفاصله أو في منطقة من مناطق هذا الكون الشاسع سنشهد ظواهر كونية عنيفة وفي هذا المثال فالمنطقة المقصودة هي منطقة نفوذ الإنسان وبالتالي ففناء الإنسانية هو تحطُّم لجزء صغير من أجزاء هذا النظام ولا ربط بين نهاية النظام الكوني العام مع فناء الإنسانية لأنه كان موجوداً قبلها ، وآراء أخرى تذهب للقول بأن فناء البشرية مُرتبط ارتباطاً وثيقاً بإمكاناتها المعرفية فالبشرية إذا ما طوّرت قُدراتها العلمية أصبحت بعيدة عن احتمالية وقوع الفناء عليها . وهكذا فالآراء كثيرة والفرضيات أكثر . . .

ولكن ما أعتقده شخصياً أن الأمر بخلاف ما يتُم طرحه وتداوله داخل المجتمع العلمي ، فبغض النظر عن الجهة التي سيقع عليها الفناء فهذا الفناء سوف يشمل الجميع ، وهذا لأننا قررنا في فصول سابقة وأثبتنا للقارئ الكريم أن العالم والإنسان شيء واحد وإن كان الفصل بينهما واقع لا محال في الخارج لكن في الجوهر هما ذات الشيء وعليه فالعارض مهما كان مُهماً لا قيمة له في قِبال الجوهر ، فالبشرية إن وقع عليها الفناء بفعل التكنلوجيا التي استحدثتها أو بفعل أي شيء آخر فهذا يعني نهاية النظام الكوني العام لأن هذا النظام يأخذ قيمته الوجودية من الإنسان فلو حذفنا الإنسان من سِفر الوجود فلا معنى لوجود هذا الكون برمّته إذ لن يعرفه أحد وما لم يُعَرَّف ويُعْرَف فوجوده من عدمه سيان ، ولذا فلا منطقية في فصل الأحداث عن بعضها وعلينا القبول بنظرية أو فرضية في الأقل تتكلم عن المجموع ولا تفصل لأن الفصل لا طائل منه في كل الأحوال !

فرضيات النهاية

يبدو أن البشرية حتى هذه اللحظة الراهنة عاجزة تماماً عن استيعاب فكرة وجودها فضلاً عن نهايتها وعدمها وفنائها ، ذلك أننا للآن نجد تخبُط واضح الملامح في كلام الفلاسفة والذين يُفترض أنهم يتربعون على عرش الفكر الإنساني كما يُفترض كذلك أنهم الهُداة للبشرية والمُرشدين لها . هذا عن الفلاسفة فما ظنُّكَ بغيرهم . نجد هذا التخبُط بيّناً واضحاً حين يتعلق الأمر بالسؤال عن (لماذا) فسؤال مثل لماذا وِجدنا ولماذا نحن على هذا الشكل بالذات ولماذا نموت ؟

كُلّها موارد تخبُط وبناءات مجهولة الهوية غير واضحة المدلول مُرتبكة مُتناقضة فيما بينها ، وعلى هدي وطريق هذه التناقُضات سارت البشرية بأجمعِها وخلف هذه المُقررات أضاعت خيط الحقيقة وهكذا فاللاحقون يتبعون

السابقين و وصل الأمر لما نحن عليه اليوم من أفكار ومناهج وأيدلوجيات . فذلك مُلحد وهذا مؤمن وتلك مؤمنة لكن مُتحررة وهذه مُلحدة لكن مُحافظة وهذا علماني وهذا مُتشدد وذلك أحمر وهذا أصفر وهكذا !

هذا كُلّهُ فيما يتعلق (بِلماذا) فما بالُك لو كان السؤال المطروح هو عن (متى) وأهم ما يأتي هو السؤال عن متى نموت ومتى ننضج ومتى تفنى البشرية ؟

وكذلك فالتناقُض هو الحاكم والمُسيطر على منظومة الفكر الإنساني وكالعادة فهُناك أكثر من إطار وكُلٌّ يدّعي وصلاً بليلى . وأما ليلى فقد هربت للصحراء لفرط ما رأته من تناقُضاتهم ، فمن يذهب لترجيح الرأي العلمي ويقول أن العلم هو المؤهل للإجابة عن هذا السؤال وهو متى تفنى البشرية وأضف لـ (متى) (كيف) وبما أن العلم هو المؤهل للإجابة فعلى البشرية أن تبحث في أروقة العلماء عن الإجابة ، وعندما تذهب البشرية للبحث في أزقة العلم والعلماء عن أجوبة تجد التناقُض بأجلى صوره ماثِلاً أمامها ومُكشِّراً عن أنيابه بابتسامته الصفراء البشعة تلك ، فبعض العلماء يقول أن الفناء بفعل الطبيعة وهو آتٍ دون ريبٍ أو شك ، والبعض الآخر يقول أن هذا خطأ وأن البشرية ستنتقل لكواكب أخرى ولذا لن تفنى ، وآخرون يدّعون أن لا فناء سيحدث ولا مُغادرة للأرض ستكون ، وغيرهم كثير والآراء والنظريات أكثر ولكل فريق أدلته الدامغة والتي بعضها لا يقبل الشك إذا ما تعاطينا معه علمياً وكلّ تلك الأُطر والإتجاهات والنظريات تصدر عن العلم والعلماء وكلها صحيحة ومُستوفية للشروط العلمية مع أنها كلها مُتناقضة مُتنافرة وبهذا ضاعت على البشرية فرصة التعرُّف على مصيرها !

هذا على الصعيد العلمي .وأما على الصعيد الديني فالحال أكثرُ تناقُضاً وتعقيداً !

فمن جهة يدّعي رجال اللاهوت أن البشرية تتجه لدولة الحق والعدل الإلهي وبهذا سترتفع كل أسباب غضب السماء وسخطها على البشرية وبهذا أيضاً ستعيش البشرية بأمان وراحة وسعادة والأهم من كل هذا أنها ستعيش في مرضاة الله وطاعته ، ومن جهة أخرى يقولون أن القيامة ستأتي على الأشرار والكافرين والمجرمين وتدمر عليهم الأرض وتشُقُّ السماء وتنثر الكواكب الى آخر قائمة الرُعب . وبطبيعة الحال فهُم يُحمّلون الدين صواب أو خطأ رؤيتهم الخاصة كما هو الحال عند العلماء . . . . . .

ومع هذا التعدُد والكلام الكثير . علينا أن نبحث عن (النظرية الأمثل) ! وهذه النظرية في الدرجة الأولى يجب أن لا تخرُق الثابت الديني وأن لا تتعارض مع الطرح العلمي ولا تتناقض مع مُقررات العقل والرؤية الفلسفية ، وهذا هو المنهج الذي رسمناه لأنفسنا في هذه الدراسة وعليه فيجب علينا أن نبحث بين تلك الفرضيات ونقرأ ما بين سطورها وننظر ونقيس أيُّها أكثر منطقية من غيره ، ولذا سنعرض هذه الفرضيات الواحدة بعد الأخرى ونسلط عليها الضوء ونكتشف نُقاط الضعف فيها ونُقاط القوة ، واعتناق أي فرضية من تلك الفرضيات يبقى موكولاً للقارئ الكريم !

الفرضية الأولى

علينا أن نُسلّم هنا بادئ ذي بدء بالنظرية الدينية الكلاسيكية التي نصَّ عليها الإخبار الديني مُنذ العهد الموسوي والى زمننا الراهن زمن الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت في الإسلام صلوات الله عليهم ورفع روح الله عيسى ابن مريم الى السماء صلوات الله على نبينا وآله وعليه .

فمنذُ نزول التوراة والى الآن أي في زمن القرآن الكريم لم تتغيّر النظرية وهي ذاتها بل حتى قبل زمن نزول التوراة والعهد الموسوي وما قبل العهد الإبراهيمي لا بل منذ أن وِجِدَ الإنسان على ظهر هذا الكوكب فالنظرية الدينية و وفقاً لما يُثبته رجال اللاهوت والدين لم تتغيّر وهي هي في كل زمان مُذ ذلك الوقت !

ودعنا نُعيد قراءة هذه النظرية بتمعُن ، فهي تُثبت أن عذابات البشرية وتحكُّم المجرمين والطواغيت والأشرار بمصيرها وانتهاء محنتها وآلآمها وما أحاطها من قهر وجوع وبؤس وظلم وتشريد واغتصاب للسلطة وللحقوق ومهانة وذل . كل ذلك سوف يرتفع على يد الرجل الموعود . هذا الرجل المبارك الذي ادخرته السماء لنُصرة المُستضعفين والمظلومين والإنتقام من الجبابرة والطواغيت والمُستكبرين وهو الرجل الذي بشّرَت به كُل الشرائع السماوية فهو (الماشيح) في اليهودية و (ابن الإنسان) في المسيحية و (المهدي) في الإسلام ، وحتى في غير الشرائع السماوية فهو أيضاً حاضر وبقوة وقد ذكرنا لك أسماؤه وألقابه في ما مضى من هذا الكتاب في كل النحل والملل السماوية والأرضية فراجع . . .

وعندما يحين موعد ظهور هذا الرجل المبارك فإن العالم الذي عرفته البشرية سوف يتغيّر وذلك أن ظهور هذا القائد مصحوب بظواهر كونية عنيفة تقلب المعادلات الطبيعية في العالم . وبعد استتباب الأمر له ولِحكومته سوف (يُزهر القفر) ! و (تبدل الارض غير الأرض) ! ويجلس الذئب لجوار الشاة في سلام وأمان ولن يكون بعدها من جوع أو خوف أو ذل أو جهل الى درجة أن المال يظل مُتوفراً لكل من يريده ويُصبح الجميع أثرياء وعلماء وصحيحي الأبدان والعقول والسرائر وهكذا لن يبقى شيء ممّا سبق على الإطلاق وبهذا تتوجه البشرية بقلوبها الى الله ويُفتح لدين الله ذلك الفتح المبين ويبقى الناس على هذا الحال إلى ما شاء الله لهم أن يبقون !

ثم وبشكل غريب وعجيب يعود البشر باختيارهم إلى الوضع السابق !!!

أي أنهم بعد أن ذاقوا حلاوة العدل الإلهي وما صاحبه من علم وثقة وجمال وثقافة وغنى وراحة ومُفارقة للأمراض وللجهل وللحروب والفقر ، بعد كل هذا تختار البشرية العودة من جديد للفقر والجهل والحروب وسفك الدماء والزنى والغيبة والسرقة وكل الأمور الفظيعة التي بذل القائد الموعود جهده الجهيد من أجل أن يستبدلها بالأمور الخيّرة الجيدة ولأن هذا القائد الموعود هو ثمرة جهاد وكفاح الإنبياء وعباد الله الصالحين والأوليات وبه ستتحقق أحلامهم وتؤتي مُجاهداتِهم ودمائهم أُكُلها فهو سيعمد الى تربية الأجيال لتكون مُمَحضة الإيمان وبعد هذا فلن يُعبد في الأرض إلا الله وحده لا شريك له ، وسيذوق المجتمع الإنساني حلاوة العبادة الخالصة لله . ولكن كل هذا سوف يتغيّر ويعود الناس ليكونوا (شِرار الخلق) وكالبهائم لا يعدلون ولا يعبدون الله بل الأدهى من كل هذا أن بعض المرويات في الموروث الديني تذهب للقول أن الأصنام سوف تُعبد من جديد حتى لا يُقال في الأرض " الله الله " وبهذا ينال المجتمع الإنساني سخط السماء ويكون مُستحقاً للعقوبة والعذاب ولأن القائد الموعود هو آخر رجل تبعثه السماء وهو الذي سيوفر كل شيء لذلك المجتمع ودولته ستكون آخر وأعدل وأرقى دول التاريخ البشري ومع هذا فالمجتمع عاد للفسوق من جديد ولم يعد في الإمكان إصلاحه وإعادته لجادة الصواب ولأنه عرف حقيقة وقيمة ورخاء ورفاهية العبادة الخالصة لله ومع هذا فقد كفر بها . ولأنه فعل هذا فالعقوبة ستكون صارمة هذه المرة ولذلك سوف تقوم الساعة على ذلك المجتمع الضال فينتقم منهم الرب شرّ انتقام من خلال أهوال القيامة !!!

ونقطة القوة الوحيدة في هذه النظرية هي أنها تستند لبعض النصوص الدينية السماوية وبعض المرويات في الموروث الديني عموماً ولكن بشكل عام فهي من إنتاج وقراءة رجال الدين وهي كذلك ثمرة فهمِهِم لتلك

النصوص الدينية ، لأننا نجد وبوضوح أن هذه النظرية تتعارض مع الثابت الديني والعقائدي بالدرجة الأولى ولذا ففيها أكثر من نُقطة ضعف ونُقاط ضعفها كالآتي :

١ - أنها ليست محل إجماع

٢ - أنها تتعارض مع ثوابت العقل

٣ - وهذا هو الأهم ؛ أنها تتعارض مع الثابت الديني والعقائدي بشكل مُباشر !

فالثابت الديني يُحدّثنا عن أن مصير البشرية سيكون هو السعادة والراحة والعبادة الخالصة لله تعالى وذلك كله يكون على يد القائد الموعود وأن البشرية ستتطوّر وتتفتح أعينها على نور الحقيقة الإلهية المُقدّسة وأن تلك الدولة أي دولة العدل الإلهي سوف تبقى لآخر حياة البشرية ، ومع هذا الثابت العقائدي الذي لا يقبل التأويل لا يمكننا أن نتصور أن المجتمع الذي ذاق حلاوة العبادة الخالصة لله تعالى قد يعود من جديد لكي ينحرف عن جادة الصواب ويرجع للفسوق وللكفر ولكل تلك الموبقات التي تم تخليصه منها ، بل لو حكّمنا العقل في هذا الأمر لأصبحت المسألة من المحالات ، فلا يوجد مُبرر يدفع الناس للعودة الى الإنحراف ! فلا سلطة كي يتقاتلون عليها ولا مال شحيح كي يضطروا للركض خلف جمع الأموال ولا شيء يُذكر أو نقص يمكننا أن نعتبره سبب في رجوعهم من جديد للهمجية والإنحراف . ثم أنهم أبصروا نور الهداية وأصبحوا من العلماء وأصحاب الفكر العالي المستوى وهم كلهم دون استثناء يُذكر سيكونون عارفين بالله حق معرفته وعلى هذا الأساس فسوف يربي كل جيل الجيل الذي سيأتي بعده وحتى لو تركنا احتمال ١% للقول بإمكانية رجوعهم للإنحراف ، فحتى هذه النسبة وهي نسبة الواحد بالمئة تبدو مُبالغ بها جداً ، إذ أنهم متى ما شاهدوا أبسط مظهر من مظاهر الإنحراف مهما كان طفيفاً فسوف يُسارعون لإصلاحه فالأم والأب والعائلة والمدرسة والمجتمع كل هؤلاء لن يتوانون لحظة واحدة في تشخيص الخطأ ولهذا سيكون كل جيل من الأجيال أفضل من الجيل الذي سبقه والقول أن مثل هذا المجتمع قابل للعودة الى الإنحراف يبقى أمراً عصياً على الفهم بل لا يملك مُبرراته ولذا لا يُمكننا قبول هذه النظرية أبداً ، وهذه النظرية هي النظرية الدينية الكلاسيكية !

لذا علينا أن نبحث عن نظرية لها نفس خاصية هذه النظرية أي أنها قائمة على أساس الثوابت الدينية ولكن مؤداها يختلف تمام الإختلاف عن هذه النظرية ، فنحن أمام فهمين إن صح التعبير !

الأوّل : فهم الأقدمين

والثاني : فهمنا نحن

ومن الواضح أن فهم الأقدمين مع بالغ الإحترام لما بذلوه لم يعد قادراً على الإحتفاظ بالزعامة والسيادة على الفكر الديني ودين الله ليس حكراً على طائفة دون أخرى ولذلك سوف نعرض بديلاً عن هذه النظرية بنظرية أخرى سنتعرض لها لاحقاً بإذن الله . . .

وفي نهاية المطاف يمكننا القول أن هذه النظرية غير قابلة للإثبات !

الفرضية الثانية

قررنا فيما سبق أن لا إمكانية للتوفيق بين نهاية مجتمع الدولة العالمية وبين النهاية التي تتكلم عنها النظرية الدينية ولأسباب ذكرناها هناك ، والآن نحاول أن نستعرض فرضية أُخرى وهي الفرضية العلمية الرسمية والتي تنصُّ على أن نهاية الوجود الإنساني إنما تكون بفعل استنفاذ الكون لطاقاته و وصوله للتفكُّك والإنهيار بشكل طبيعي و وفق ما تفرضه القوانين الطبيعية ومنها على سبيل الفرض انهيار قانون الجذب ، ودعنا نتعرّف على الجاذبية بشكل سريع كي نُقرِّب الفكرة .

فقد أشار العالم العربي البيروني الى قوة الجذب الحاصلة بين الكواكب من خلال مراقبته لتحركاتها قبل إسحق نيوتن بحوالي سبعة قرون ، ولكن نيوتن استطاع أن يضع القانون العام للجاذبية والذي يقول بأن الجاذبية بين الأجسام تزيد كلما كانت الأجسام أثقل ، وتقل كلما تباعدت المسافة بينها ، أي أنها تزداد طردياً مع الثقل وعكسياً مع مربع المسافة بين الجسمين المتجاذبين .

ولكن نظرية آينشتاين النسبية في بداية القرن الماضي أتت بشيء جديد اعتقد العلماء أنه ينسف قانون نيوتن من أساسه ، ثم ما لبثوا أن اكتشفوا أن قانون نيوتن ينطبق فقط على القوانين الأرضية الميكانيكية ومنها جاذبية الأرض للأجسام ، أما ما يتعلق بجاذبية الكواكب بعضها لبعض فقد استبعدوا منها قانون نيوتن وأكدوا صحة نظرية أينشتاين .

وآينشتاين يؤكد بأن كل جرم سماوي يُسبب التواء وانحناء في الزمكان (الزمان والمكان) الذي يقع فيه ، ولكي يتم تقريب هذا الكلام ضرب العلماء مثلاً للفضاء كأنه قطعة من القماش مشدودة أُفقياً ، وحين نضع فيها كرة من الحديد فإن ثقل الكرة يُحدِث انحناء في قطعة القماش من حول الكرة (تجويف أو تقعُّر) ، فإذا دفعنا كرة من الخشب أُفقياً على سطح القماش فإنها تظل سائرة بشكل أُفقي حتى تصل الى طرف التجويف الذي أحدثته الكرة الحديدية وعندئذ تقع الكرة الخشبية تحت تأثير هذا التجويف فتنحرف عن مسارها الأُفقي لتقترب من الكرة الحديدية ثم ما تلبث أن تبدأ بالدوران حولها .

بهذه النظرية أثبت آينشتاين أن التجاذب بين الأجرام السماوية لا يحدث بسبب الأجرام نفسها ولكن بتأثير كتلة هذه الأجرام على الفضاء حين تُحدِث فيه التواء أو انحناء مثل ذلك الذي أحدثته كرة الحديد في قطعة القماش . ومن أجل ذلك نرى أن الكواكب في مجموعتنا الشمسية تدور حول الشمس لسبب الانحناء العظيم الذي تحدثه كتلة الشمس في الزمكان المحيط بها ، وكذلك القمر يدور حول الأرض بفعل الانحناء والالتواء الذي تُحدثه كتلة الأرض في الفضاء من حولها وكأن الأرض هي كرة الحديد والقمر هو كرة الخشب والفضاء الذي يدور فيه القمر هو الجزء المتقعِّر من قطعة القماش الفضائية حول الأرض . . .

وبعض الباحثين يؤشر إلى أن هذا التعريف ورد في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى . (إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت) فانشقاق السماء سوف يُسبب خلل في النسيج الكوني وبالتالي تفقد الأجرام النسيج الذي تحتها والذي يكون مُتقعِّر لكي يترتب عليه دوران باقي الأجرام حولها وبهذا تنتهي قوة الجذب وبالتالي تنتثر الكواكب ، أي أننا سنشهد تسارُع كبير في التمدُد الكوني وبهذا تنتهي المجموعة الشمسية فبعض الكواكب تموت بفعل الإنخفاض المُرعب في درجات الحرارة بسبب ابتعادها عن شموسها وكواكب أُخرى تتعرّض للشي

والإحراق بفعل اقترابِها من شموسها أو ربما الإرتطام بها ناهيك عن انفجار الشموس نفسها فيما لو حدث **(والشمس تجري لمستقرٍ لها) !**

المهم أن هذه هي النظرية الأكثر حظوة داخل المجتمع العلمي ، لكن هناك رأي آخر يدّعي أن هذا مُستبعد بسبب إن تطوّر التكنلوجيا التي أوجدها الإنسان سوف يحول دون هذه النهاية المأساوية للعرق البشري . وأصحاب هذا الرأي لا يُنكرون وقوع وحدوث النظرية الأولى ولكن يُنكرون أن يكون المجتمع الإنساني مازال موجوداً في هذه المنطقة من الكون حين حدوث ذلك الأمر ، وإن نهاية الوجود البشري في النظام الكوني تكون بانفجار ذري كوني بسبب التكنلوجيا الهائلة التي سيمتلكها الإنسان أو من خلال انتشار فايروس خطر جداً وخارج عن السيطرة ، وهذه زبدة القول لأن باقي الآراء وإن اختلفت في مضامينها إلا أنها تنتهي لنفس النتيجة **!**

ولهذا الكلام الذي ذكرناه أكثر من وجه منطقي فهو يستند الى مُعادلات رياضية لا تقبل الخطأ من جهة ومن أخرى تظهر لدينا نفس المشكلة التي واجهناها في النظرية الكلاسيكية الدينية ونواجهها هنا أيضاً في النظرية العلمية الرسمية ، إذ أن النتائج تحتمل أكثر من تأويل ولذا فهناك ثلاث نُقاط ضعف أساسية في هذه النظرية العلمية وهي كالآتي :

١ -إن هذا الكلام لا يتم على وجه من الوجوه بعد أن عرفنا بأن الحضارة الإنسانية بلغت كل ذاك المستوى العلمي وبهذا ستكون أخذت كل الإجراءات الإحترازية من منع انتشار للفايروسات أو حدوث انفجار كوني بفعل القوة النووية وإذا كان هذا سيحدث بسبب القوانين الطبيعية فمن المؤكد أن البشرية ستكون في مكان آخر كما نصّت على ذلك ذات النظرية .

٢ - إن هذه النظرية تصطدم مباشرة بالإخبار الديني ، أي أنها تتعارض مع ما جاء به الموروث الديني من أن نهاية البشرية والنظام الكوني إنما تكون بفعل سخط السماء على البشرية . وهذا يتعارض مع المنهج الذي اتخذناه من جهة ويرتطم من جهة أخرى بالثوابت العقائدية .

٣ - لو فرضنا صحة هذه النظرية . فلماذا يجب أن يكون الدمار عاماً شاملاً ، بمعنى أنه لما لا يكون جُزئياً وفي مجرّة مُعينة دون باقي ملايين المجرّات فهذا أمر لا دليل علمي عليه ولا يعني بالضرورة إن وقع نهاية الوجود الإنساني في النظام الكوني **!**

ثم إن المُفترض أن تفنى البشرية قبل فناء المجموعة الشمسية باعتبار أن هذه التغيُّرات في بدايتها سوف تؤثر سلباً في المُناخ الطبيعي وعليه فلابد أن يكون فناء البشرية سابق على فناء النظام الكوني فحتى النجوم قبل أن تنفجر تتضخم وهذا يعني زيادة ملحوظة في درجات الحرارة على الكواكب ممّا يضعنا أمام حقيقة وهي أن من المحال بقاء حياة ما مع هذا التغيير المناخي الحاد والمُتطرف ، وإذا ابتعدنا عن كل من ساحة العلم والدين لكي نُعالج المسألة فلسفياً فسوف نجد الفلسفة تقول بضرس قاطع أن الأمر إذا كان بالشكل الذي تكلم عنه كل من الموروث الديني الكلاسيكي والموروث العلمي الرسمي فهو غير قابل للتفسير لأنه عبارة عن تناقض كبير

وضرب من ضروب العبث ويجب تنزيه ساحة العلم من العبث كما أن من المعلوم الذي لا يقبل الشك أن الله سبحانه وتعالى منزّه عن العبث ، وتوجد الكثير من نُقاط الضعف في هذه النظرية تجنبنا عرضها كلها اختصاراً للوقت وللجهد . وممّا تقدّم فهذه النظرية أيضاً مرفوضة من جهة ارتباطها بالفناء البشري وليس من جهة فناء المجموعة الشمسية . فلا يوجد ربط منطقي بين فناء البشرية وبين فناء المجموعة الشمسية أو مجرّة بكاملها .

ولذا فهذه النظرية أيضاً غير قابلة للإثبات !

الفرضية الثالثة

هنا سنذكر هذه الفرضية إجمالاً ثم نُفصِّل فيها وفي أدلتها لاحقاً !

شخصياً أعتقد أن كل من العلم والدين والفلسفة وكل إنتاج عقلي إنساني هو من عند الله ، وكُلُّه يصب في خانة واحدة ويسير في اتجاه واحد ، بما في ذلك الكفر نفسه ! وقد يختلف كثير من العلماء أو الباحثين معي في هذا إن لم يختلف معي الكل بطبيعة الحال . ولكنني أعتقد جازماً بما توفر لي من أدلة وممّا تُقدِّمه لي قرائتي الشخصية واجتهادي الشخصي ، فإنني أعتقد بأن كل فعالية من فعاليات الإنسان هي حركة مُخطط لها من قبل الحكمة الإلهية ولذلك فأنا لا أحمل البُعد العلمي والديني والفلسفي وحتى الفني إلا على محمل الإرادة الإلهية التي دلّت الإنسان على كل ما وصل له **(الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم)** وحتى أولئك الملحدين والكفّار داخلين في المعادلة وإشارة القرآن الكريم واضحة بهذا الصدد إذ يقول **[والله لا يَهدِى القَومَ الفَسِقِينَ]** سورة التوبة / ٨٠ وكذلك قوله تعالى **[إِنَّ اللّهَ لَا يَهدِى القَومَ الفَسِقِينَ]** سورة المنافقون / ٦ ، وقوله تعالى **[كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلى الَّذينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤمِنُونَ]** سورة يونس / الآية ٣٣ ، أي أن السبب خلف عدم إيمانهم بالله وباليوم الآخر مُخطط له من قبل الحكمة الإلهية ، وهذا ليس شبيهاً بكلامِ المُجبِّرة على تفصيل طويل ولست في صدد عرض نظريتي في علم الكلام هنا ، وبما أننا نعرف أن أفعال الحق تقدّست أسماؤه كُلُّها حكيمة وكُلّها فيها فائدة للناس فعلينا أن نُقرَّ أن حتى ما يقوله الكافرون والملحدون من كلام فهو يُعزز ويدفع بنا للإيمان الأعمق والأكثر وعياً لأن الهدف الأساسي الذي خَلَقنا من أجله الله هو المعرفة ولا شيء آخر وهذه المعرفة هي أبرز مظاهر رحمته بنا وما يقوله هؤلاء يمكن اعتباره بأكثر من وجه نوع من أنواع المعرفة وإن اختلفوا في خصوصياتهم !

وعليه فأنا العبد الحقير أرى والله العالم ، أن على الإنسان أن يُسخِّر كُل شيء من أجل تعزيز إيمانه وتعميقه ، فعبادة الله تعالى ليست الصلاة أو الصيام بل الصلاة والصيام جُزء من هذه العبادة وإلا فدراسة الفيزياء عبادة والطب عبادة والرياضة عبادة والمال عبادة والموسيقى برأيي الشخصي من أعظم ما يدفع الإنسان للعبادة الحقة وكل مظهر من مظاهر الحياة إذا وجدت النية فيه لأن يكون عبادة فهو كذلك دون شكٍّ أو ريب ، لأن كل شيء مصدره الله فالرسام وعازف الكمان والفقيه والطبيب والفيلسوف كل هؤلاء لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا وليس لديهم شيء يعطونه وإنما المُعطي هو الله وما كان من عند الله فهو خير ولا يُناقش في هذا عاقل أبداً !

وإذن فلا مُشكلة عندي من أن أُعزز إيماني من خلال نظرية في الفيزياء أو قصيدة أو طقس ديني ، فكل هذه الفعاليات مصدرُها الله ولا يصدر عن الله شيء إلا وهو يُعزز الإيمان به ويدفعنا للتفكُّر بآياته وحججه البالغة الواضحة ، ولأنني مؤمن من أن الإسلام كان وسيبقى مُتربعاً على عرش الفكر الإنساني وأنه صالح لكل زمان ومكان وهو الدين الأقوَم وما سبقه من شرائع إنما هي ممهدة له وهو الذي إن تكلّمتَ باسمه فإنكَ تتكلم باسم كل

الشرائع السماوية لأنه يحتويها كلّها ولا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، من هذا المنطلق أرى أن علينا أن نعمل على ثقافة دينية جديدة تتماشى مع مُتطلبات القرن الحادي والعشرين ولا ضير من دمج المدلولات العلمية التجريبية والمدلولات الدينية وتلك الفلسفية أيضاً للخلوص إلى نظرية تُفسِّر كل شيء ، فالعلماء التجريبيون الذين راودهم حلم إيجاد النظرية التي تُفسّر كل شيء لن يجدوها إذا ما عزلوا الدين والفلسفة عن بحوثهم ، والفلاسفة لن يجدوا الحكمة وهي ضالتهم دون أن يلتفتوا لمقررات الدين والعلم ، ورجال الدين ولا أقول الدين ! بل رجال الدين لن يكون لهم اليد الطولى في المجتمع الإنساني المُتحضِّر ما لم يأخذوا ويحملوا العلم والفلسفة على محمل الجد وكما أمرهم الله بذلك ، وعليهم أن يكفوا عن القول بأنهم وحدهم يمتلكون الحقيقة بل الحقيقة موجودة في كل مكان ولا يتطلب الأمر للوصول لها إلا الإعتراف بأن كل الذي نراه من انتاج عقلي إنساني وفي شتى الميادين إنما هو مظهر من مظاهر إبداع الخالق العظيم ويجب العمل على جمعه وتأطيره و وضعه في نصابه الصحيح لكي يصل الكل لما يريدوه فيحصل العالم على ما يريده والفيلسوف على ما يسعى له والمؤمن على رضا ربه وهكذا !

على ضوء ما تقدّم يبدو إننا مضطرين لمُناقشة المفهوم الإسلامي بالأخص إذا ما أردنا أن نناقش الرؤية الدينية بشكل عام ، فالإسلام هو الحلقة الأكثر إتساعاً كما أنه ينسجم تمام الإنسجام مع الطرح العلمي والفلسفي ولا يتعارض معهما بخلاف الآخرين الذين يرون هذا حط من شأن الدين لكن الإسلام يرى العكس تماماً .

والمهم أننا هنا وفي معرض حديثنا عن نهاية البشرية أعطينا نظريتين أو فرضيتين الأولى مأخوذة من قراءة الأولين للنص الديني والثانية مأخوذة من الرؤية التي يتبناها المجتمع العلمي وقُلنا أن الفلسفة ترفض الإثنين ولا رأي لها في الطريقة التي سيفنى بها البشر وليس هذا من وظائِفها أساساً كما أن تلك النظريتين لا ينسجمان مع مُقررات العلم والدين أيضاً لأسباب ذكرناها هناك .

وهنا سوف نعرض نظرية جديدة نفترض أنها هي المخرج للإشكالات التي ترتبت على النظريتين السابقتين !

فأولاً : لن تفنى البشرية بشكل جماعي أبداً لأن فهمنا لكل من القيامة والساعة ويوم الدين فهم مضى عليه قرون طويلة وتلك أمة قد خلت ، والمعرفة الإنسانية معرفة تراكمية ولذا فما فهمه الأقدمون من لفظ الساعة غير ما نفهمه نحن وسنشير لهذا لاحقاً وبالتفصيل .

ثانياً : لا تعارض بين الطرح الديني والطرح العلمي أبداً . وما لم يتم الجمع بينهما من خلال منهج فلسفي فسوف يبقى هذا التعارض الظاهري مع أننا نعرف أن لا تعارض بينهما في الأصل .

ثالثاً : هذه الفرضية التي سنتكلّم عنها لها قوة الإثبات والحجية في كل من الدين والعلم والفلسفة .

رابعاً : إن المشكلة الأكبر في هذه الفرضية هي عُمقها وصعوبة فهمها على البعض لكن سنحاول قدر الإمكان تبسيط المطلب .

خامساً : يجب الأخذ بنظر الإعتبار أن أهوال القيامة التي تتكلم عنها النصوص الدينية وفناء السماوات والأرض لا علاقة له من قريب أو بعيد بفناء البشرية وهي مجرّد ظواهر كونية أثبتت النصوص أنها ستقع ولا يمكن التشكيك بوقوعها أبداً .

سادساً : إن احاديث (شِرار الخلق) وامثالها وأضرابها كلها أحاديث أحاد غير صالحة لإثبات قضية بهذا الحجم الضخم .

سابعاً : حتى لو تنازلنا عن كل هذا ، فلا مُلازمة بين وقوع أهوال القيامة وبين فساد المجتمع بعد أن ثبت بالعقل استحالة عودة مجتمع الدولة العالمية للإنحراف وعليه فحتى إذا فرضنا وقوع هذه الأهوال على المجتمع الإنساني فلا علاقة لوقوعها بمسألة الإنحراف فربما تقع على مجتمع مؤمن بالكامل بل معصوم بل مُتكامل أو يتكامل فيما بعد العصمة كما عبَّر سماحة آية الله العظمى الشهيد السعيد محمد محمد صادق الصدر (قد) .

ثامناً : بما أن الساعة تأتي بغتةً و (كلمح البصر) بل هي (اقرب) فعلينا أن نُقارن بين مفهومنا للساعة وبين ما نصَّ عليه الموروث الديني في كلامه عن القضية المهدوية ، وهذه الأخيرة غير قابلة للنقاش بمفهومها العام وهو (ليظهره على الدين كله) و (نجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) الى آخره ولذا فيجب إعادة النظر بفهمنا نحن لمعنى الساعة .

تاسعاً : علينا أن نفهم بأن الساعة ترتبط بمفهوم الزمن فإذا أردنا فهمها بشكل صحيح فيجب أن نفهم الزمن . كما إننا نُلاحظ أن القرآن الكريم يُعطي أهمية بالغة لمفهوم الزمن وللسنين ، وإذا ما تكلّمنا عن الزمن والسنين فعلينا أن نفهم بأن القرآن رسالة كونية وفي الكون تختلف مقادير وأحجام السنين فالمريخ الذي يقع خلف كوكب الأرض مباشرةً السنة فيه أضعاف السنة على الأرض .

عاشراً : يجب أن نعرف بأن من الخطأ الإعتقاد بأن الأمور أما أن تكون هكذا أو تكون هكذا ، أي من الخطأ الفادح أن يحصر الإنسان نفسه بين فكرتين اثنين ويقول أما هذه صحيحة وأما هذه صحيحة ، فهذا خطأ كبير جداً ويجب أن تتعدد الخيارات .والفرضية كالآتي :

إن البشرية سوف تظلُّ تحت ظل الدولة العالمية ولن ينالها الفناء الجماعي وسوف تقع تلك الظواهر الكونية على البشرية على ثلاث دفعات وفي كل مرة تزداد الوتيرة قوة ، المرة الأولى ستكون إيذاناً بظهور القائد الموعود والثانية لإثبات أحقيّته كما سبق وذكرنا والثالثة وهي التي فيها تنشق السماء وتنتثر الكواكب وتُسجَّر البحار وهي ما فهمه الأقدمون على أنها الساعة التي أنذر بها الموروث الديني ، وحين وقوع هذه الثالثة سيكون المجتمع الإنساني في مكان مُختلف تماماً ثم يعود للأرض أو سيبقى على الأرض لكن لن يناله أذى من هذه الظواهر كما علينا أن نفهم المقصود من الأرض ! على تفصيل سوف نذكره لاحقاً أيضاً ، وبعد أن يذوق كل بني البشر الموت واحداً بعد واحد تقوم القيامة الكبرى ثم ينتفي مفهوم الزمن بالكامل !

الفصل الثامن

الساعة والقيامة ويوم الدين

ترَسَّخَ في أذهان الناس أن الساعة والقيامة ويوم الدين . كُلّها تُشير لشيء واحد ومفهوم واحد ، والحقيقة أن لكل واحدة من هذه التقسيمات دلالاته الخاصة وموارده الخاصة في القرآن الكريم ، فقد ذكر القرآن الكريم الساعة في ثماني وأربعين مورد وانقسمت الإشارة لنوعية الزمن الذي تصفه تلك الساعة في الثماني والأربعين مورد الى زمن أرضي ووقت دنيوي وهذا في ثمان موارد وأما الأربعون الباقية فقد ذُكِرَت فيها الساعة بمعناها الآخر . أي بمعناها الماورائي الغيبي أو ما اصطلح عليه القرآن الكريم نفسه بـ (علم الساعة) وذلك في مثل قوله تعالى **.(وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)** الزخرف: ٦١ .وقوله تعالى .**(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي..)** الأعراف: ١٨٧ . وقوله تعالى **.(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ..)** لقمان: ٣٤ . فهذا العلم الذي هو (علم الساعة) هو الذي يقع على الجهة الأخرى للموارد التي تم ذكر الساعة فيها على أنها وصف لزمن أرضي كما في مثل قوله تعالى **.(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)** الأعراف: ٣٤ . وقوله تعالى .**(لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ..)** التوبة: ١١٧ . وفي مثل هذه الموارد أتت لفظة الساعة غير معرفة بأل التعريف وهذه إشارة لاختلاف الأوقات التي ذكرتها الآيات لأن من طبيعة الدنيا أن يختلف فيها الوقت بين ليل ونهار وشتاء وصيف وهكذا ، أما الموارد التي ذكرها القرآن للساعة بمعناها الآخر أو ما قلنا أنه (علم الساعة) فكلها جاءت مُعرفة بأل التعريف لأنها كلها تشير لوقت محدد وشيء واحد ، في مثل قوله تعالى **.(بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ)** القمر: ٤٦ .وقوله تعالى **.(وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ ..)** الجاثية: ٣٢ .

وإذن فالساعة هي الإشارة الى وقت محدد وتارة يكون هذا الوقت وقت دنيوي كأن تقول جاء فلان في ساعة راحتي ، وتارة أخرى يستعمل القرآن الكريم لفظ الساعة المعرّفة بأل التعريف للإشارة الى المعنى الآخر القريب من القيامة أو ما سماه هو بـ علم الساعة !

أما القيامة فقد اشتقت كلمة (القيامة) من قام يقوم قياماً وقُوامةً فهو قائم ، والقائم ضد القاعد ، وقام على الشيء أي رعاه وصانه وحافظ على صلاحه ، فهو قيّم ، وربما سُمّيَ الرجال (قوماً) لأنهم مناط رعاية أسرهم وأبنائهم ومجتمعاتهم والحفاظ على صلاحها وتقويم اعوجاجها ، أو لأنهم بلغوا من السن مرحلة جعلتهم يتجاوزون طيش الشباب واعوجاجه ولعبه ولهوه ويعمدون الى الإستقامة في سلوكهم ، والإستقامة والقيامة ضد العِوَج ، قال تعالى **(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ ..)** الكهف:١ ، ٢ .

ولما كانت الدنيا في معظمها لعباً ولهواً وتفاخُراً وتنافُساً وظلماً وانحرافاً واعوجاجاً ، فسوف يأتي يومُ (القيامة) لتقويم وتصحيح كل ذلك في محكمة عظيمة ، القاضي فيها هو الله تعالى **(.. إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..)** الجاثية: ١٧ . يقضي سبحانه بين كل ظالم ومظلوم ويفصل في كل خلاف بين المختلفين **(.. إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..)** الحج: ١٧ ، **(اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)** الحج: ٦٩ . ويؤتى بالشهود من كل أمة فيشهدون **(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا)** النساء: ٤١ ، حتى أن السمع والأبصار والجلود لتشهد على أصحابها بما كانوا يعملون **(وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ**

سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ..) فصلت: ٢٢ . **(الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)** يس: ٦٥ .

ثم يجزي الله تعالى المؤمنين بجنات الخلد ، ويُعاقب الكافرين والظالمين بالنار ، ويحل العدل وتستقيم الأمور بعد طول اعوجاج في الدنيا . . .

وأما يوم الدين فهو الوجه الثاني للقيامة وسيأتي لاحقاً أن يوم القيامة يوم لا نهائي لأنه طبيعة الزمن مختلفة هناك ! ، فيوم الدين هو المرحلة التي تعقب مرحلة المحاكمة إذا أردنا تقريب المعنى باصطلاحنا المُعاصر .

وقد يُشمُل البعض العفو بعد البت في أحكامهم وهكذا **.(وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)** .٨٢ الشعراء .

فيوم الدين هو المرحلة التي تأتي بعد القيامة وليس يوم آخر مختلف عن القيامة لأن القيامة حين تأتي ينتهي مفهوم الزمن تماماً وعليه فيوم القيامة يوم لا نهائي لكنه على مرحلتين الأولى تبدأ بالقيامة وبعث من في القبور والمحاكمة والجزاء العام أو ما يسمى (الحشر الأكبر) ثم يأتي الدور الى يوم الدين . **(يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤).)** الذاريات . . .

فهذه هي الفروق بين كل من الساعة والقيامة ويوم الدين وسنتعرّض لكل واحد منها بمزيد من الإيضاح فيما سيأتي بإذن الله تعالى .

مدلولات الساعة ومعانيها

نلاحظ أن القرآن الكريم يستعمل لفظ (الساعة) بشكل غاية في الدقة ، وهذه الساعة لها أكثر من مدلول تُشير له وأكثر من معنى .

١- فهي تأتي كإشارة لزمن دنيوي مثل قوله تعالى :

(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) الأعراف: ٣٤ .

٢- وتأتي كذلك للإشارة على غيبيتها وإخفائها عن الناس مثل قوله تعالى :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي..) الأعراف: ١٨٧ .

٣- وتأتي كذلك كبديل للعذاب الدنيوي مثل قوله تعالى :

(.. حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ ..) مريم: ٧٥ .

٤- وتأتي بغتةً كذلك كما في قوله تعالى :

(قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا ..) الأنعام: ٣١ .

٥- وهي لا ريب فيها كما في قوله تعالى :

(وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ..) الكهف: ٢١ .

٦- ولها أشراط كما في قوله تعالى :

(فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ) محمد: ١٨ .

وعلينا أن نُلاحظ أيضاً أن مجيء الساعة (بغتةً) لا يستوي مع مجيء أشراطها ! : **(فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ)** محمد : ١٨ .

فنرى أن المقطع الأول من الآية المباركة يُثبت أنها تأتي بغتةً **(فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتةً)** فيما المقطع الثاني منها يُثبت أن أشراطها قد جاءت (فقد جاء أشراطها) ! فيكف تكون بغتةً وأشراطُها قد جاءت ، والمباغتة تفترض أن يأتي الشيء دون سابق إنذار وإلا فلا معنى لأن يأتي شيء ما بغتةً وقد سبقته أشراطُه ! فلابد أن هناك فرق بين الساعة التي سوف تأتي بغتةً وبين فهم الذين ستأتيهم الساعة بغتةً لمفهوم الساعة **(وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ ..)** الجاثية: ٣٢ .

ولأن لفظ الساعة أو مفهوم الساعة مرتبط بالزمن فلابد أن نفهم ماهو الزمن أوّلاً لكي نستطيع فهم ماهي الساعة المرتبطة بالزمن !

الزمان شيء يرتبط وبلا فِكاك مع المكان والمخ البشري غير قادر على تصوّر أحد المفهومين دون الآخر ولهذا فمجرّد تخيُّل زمان دون مكان أو مكان دون زمان شيء متعسِّر جداً على المخ البشري . مع أننا نعلم أن الآخرة مثلاً ليس فيها زمن ولذا فلا يهرم فيها أحد ولا ليل فيها ولا نهار وما ورد في القرآن عنها هو للتقريب فقط مثل قوله تعالى **:(لا يسمعون فيها لغوا الا سلما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا)** مريم: ٦٢ .وقوله تعالى عن

أصحاب النار **:(لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا)** النبأ: ٢٣ . فهذه الأحقاب والأوقات مثل البُكرة والعشي إنما هي لتقريب معنى الخلود إلى أذهاننا وإلا فليس هناك لا أحقاب ولا ليل ولا نهار لأن مفهوم الزمن معدوم تماماً ، والزمن في نظامنا الوجودي الإمكاني ليس ثابتاً على وتيرة واحدة ، فهو كما أثبت لنا الفيزيائي الكبير آلبرت آينشتاين نسبي وكلما زادت سرعة جسم ما تباطئ الزمن حتى إذا بلغ ذلك الجسم سرعة الضوء وهي أعلى سرعة في الكون أصبح زمن ذلك الجسم صفراً ، ولنقرّب فكرة نسبية الزمن بمثال أوضح :

لنفترض أن صديقاً لك ركب في مركبة فضائية بعد أن ودعك وانطلقت تلك المركبة في الساعة الواحدة تماماً وبعد مضي خمس ساعات أي في تمام الساعة السادسة سيكون قد مرَّ على مُغادرة صديقك للأرض خمسة ساعات كاملة ، ولكن المركبة التي صعد على متنها صديقك انطلقت بسرعة هائلة في الفضاء وأقل بقليل من سرعة الضوء ، فلو سألناك وقُلنا لك كم مضى على مُغادرة صديقك للأرض لقلت بضرس قاطع خمس ساعات . أما لو سألنا صديقك الراكب في تلك المركبة عن الوقت في ساعته الآن لقال لنا أنها الواحدة والنصف وربما أقل !

وبهذا يكون قد مرَّ على زمن الرحلة عندك أنت خمس ساعات أما عنده هو فقد مرَّ عليها نصف ساعة فقط !

وبهذا يكون مفهوم الزمن نسبي فأنت لك زمنك الخاص وصديقك له زمنه الخاص وذلك بفعل تفاوتكم في الحركة . وما دمنا نتكلم عن السرعة عموماً وسرعة الضوء خصوصاً فدعنا نأخذ فكرة عن الفروقات الناتجة عن هذه السرعة أو قُل دعنا نفهم معنى (الآن) أي حين تقول أنت أو أقول أنا " الآن أنا أمشي " هذه (الآن) مع اختلافنا فيها (فالآن) عندك ليست (كالآن) عندي فماذا ينتج عنها !

تبعد الشمس عن الأرض مسافة ٩٣ مليون ميلاً أو ما يعادل ١٥٠ مليون كيلومتراً ، وتبلغ سرعة الضوء (أعلى سرعة معروفة في الكون كله) ١٨٦ ألف ميل أو ما يعادل ٣٠٠ ألف كيلومتراً تقريباً في الثانية الواحدة ، أي أن ضوء الشمس يستغرق ٥٠٠ ثانية أو حوالي ٨ دقائق لكي يصل الى الأرض ، ويعني ذلك أن الشمس تُشرق علينا فعلاً قبل أن نراها بزمن قدرُه حوالي ثماني دقائق ، ويمكننا القول إن الشمس تبعد عن الأرض مسافة ثماني دقائق ضوئية ، أي أن أيّ حدث يمكن أن يحدث في الشمس فإننا لا نراه ولا نعلم عنه شيئاً ولا نحس بأثره إلا بعد ثماني دقائق من حدوثه حين تصلنا صورته محمولة على الضوء الصادر من الشمس إلينا . أي إننا أنا وأنت حين ننظر الى الشمس فإننا ننظر للماضي مباشرةً مع فارق وهو أننا ننظر لماضي الشمس ونحن في حاضرنا ، وإذن فالشمس تبعد عن الأرض ثماني دقائق ضوئية ولو نظرنا لنجم أو كوكب آخر يبعد عن الأرض سنة ضوئية فنحن بهذا نكون ننظر لما حدث على ذلك النجم أو الكوكب قبل سنة بالضبط وإذا كنّا ننظر الى كوكب يبعد عن الأرض ١٠٠٠٠ سنة ضوئية فنحن ننظر لما كان عليه ذلك الكوكب قبل عشرة آلاف سنة بالضبط ، لا بل أنا وأنت حين نرفع رؤوسنا للسماء ليلاً قد نرى نجوم لامعة وجميلة ونعتقد أنها بعيدة عن الأرض فقط والحقيقة أن تلك النجوم انفجرت قبل ملايين السنين ولم يتبقى سوى صورتها التي استغرقت كل هذا الوقت لكي تصل لنا ومع إننا نراها ونرى ضوئها إلا أنها في الحقيقة لم تعد موجودة !

ودعنا نزيد الجرعة قليلاً ، فلو فرضنا أن هُناك حضارة في مجرّة أخرى وهذا ما يؤشر له القرآن الكريم كما في مثل قوله تعالى **(وَمِن آياتِه خَلقُ السَّمَاواتِ والأرضِ وَمَا بَثَّ فِيهِما من دابةٍ وَهُوَ على جَمْعِهِمْ إِذا يَشاءُ قَدير)** ٢٩ . الشورى . ! وكان أبناء تلك الحضارة يبعدون عن الأرض ألف سنة ضوئية وهم يراقبون (الآن) وأنت تقرأ هذه السطور من خلال تلسكوب عملاق ما يجري على الأرض فهل سيرونك وأنت تقرأ ؟ الجواب كلا بل

سيكونون ينظرون في (الآن) الخاصة بهم لما كانت عليه الارض قبل ألف سنة وربما كان المكان الذي تجلس فيه أنت الآن للقراءة يشغله أشخاص آخرين ولذا فأبناء تلك الحضارة البعيدة سوف يرون أولئك الأشخاص الذين مضى على موتهم ألف سنة بالنسبة لك أنت ! وإذا ما تيسَّر لك الإتصال بأبناء تلك الحضارة الآن وأخبرتهم أن الأشخاص الذين ينظرون لهم الآن هم أموات منذ ألف سنة ، فهل تتوقع أنهم سيصدّقون كلامك أم سيقولون هذا غير معقول لأننا ننظر لهم وهم أحياء ويعيشون حياتهم الطبيعية أمام أعيننا ؟

ودعني الآن أدخل للفكرة الأساسية من البحث . فلو تدبرنا القرآن الكريم نراه يُصر على أن كل البشر سوف يشهدون قيام الساعة ! مع أننا نعلم أن هناك ثمانين مليار إنسان عاشوا قبلنا وماتوا منذ بدء فجر التاريخ وحتى هذا اليوم فلو كُنّا نحن مثلاً الجيل الذي سيشهد على قيام الساعة فكيف سيشهد عليها الذين ماتوا قبلنا والقرآن يقول العكس كما في قوله تعالى **(... إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ..)** الحج:١ ، ٢ . وانتبه للصيغة (يوم ترونها) ! فحتى لو تنازلنا عن القول بأن القرآن لكل البشرية فلا يمكن أن نغض الطرف عن المسلمين والقول (يوم ترونها) يشمل الجميع ونحن نعلم أن المسلمين ليسوا كلهم أحياء الآن وخذ إليك مثال أوضح وهو قوله تعالى **:(قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ)** الأنعام: ٣١ .وانتبه **(قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله)!** فهؤلاء الذين كذبوا بلقاء الله منهم الأحياء ومنهم الأموات ثم تأتي على الجميع الساعة بغتةً **(حتى إذا جاءتهم الساعة بغتةً قالوا يا حسرتنا) !**

وكذلك عليك أن تُلاحظ تقديم الساعة على عذاب الدنيا في قوله تعالى **(..حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ)** ، ومن ثم تقديم العذاب على الساعة في قوله تعالى **(أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)** يوسف: ١٠٧. ما يعني أن بعض الكافرين يأتيه عذاب في الدنيا قبل أن تأتيه الساعة ، وبعضهم الآخر تأتيه الساعة قبل أن يأتيه العذاب في الدنيا . وهذا يعني أن كل من يموت فقد أتته الساعة !

فمن الناس من مات ثم عاد الى الدنيا مرة أخرى بدون أن يصل الى (الساعة) ، مثل أولئك الذين أحياهم عيسى بن مريم سلام الله عليه بإذن ربه ، كذلك الألوف من بني إسرائيل الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ، وهناك أيضا السبعين الذين اختارهم نبي الله موسى لميقات ربه ثم قالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا ثم أحياهم الله تعالى مرة أخرى ، ومثل عزير الذي أماته الله مئة عام ثم بعثه في الدنيا مرة أخرى ، فهؤلاء جميعاً لم يصلوا الى (الساعة) بل بعثهم الله تعالى الى الدنيا مرة أخرى ، وربما كان ذلك لسبب علم الله تعالى المطلق بأنه سيرجعهم الى الدنيا مرة أخرى قبل أن تقضي إرادته الخاصة المطلقة عليهم الموت المؤقت بزمن حدده الله تعالى لهم ، بمعنى أنه أخرجهم من الزمن الى اللازمن ثم أعادهم الى الزمن مرة أخرى بعد أن مضى منه قليل وقت أو كثير ، والله تعالى أعلى وأعلم . لأننا حين نتدبر آية البقرة التي تقص علينا قصة عزير نجد فيها إشارات واضحة الى الزمن واللازمن . **(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** البقرة: ٢٥٩ . حيث نفهم من الآية الكريمة أن عزيراً كان قد جهز طعامه وشرابه ، وكان على وشك تناوله قبل

أن يموت ، ونفهم من قوله تعالى **(فأماته الله مئة عام)** أن موت عزير لم يكن موتاً نهائياً لا رجعة فيه الى الدنيا كما يموت الناس في العادة ، بل كان محدداً سلفاً بزمن قدره مئة عام من أعوام الدنيا ، والتي مرت على الناس في الدنيا كزمن طويل بينما كان عزير خارجاً عن نطاق زمن الدنيا ، حتى أنه حين سُئل : كم لبثت ؟ قال : لبثت يوماً أو بعض يوم . ومن المؤكد أنه قال ذلك لأنه ظن أنه كان نائماً ، ولأنه في العادة يقضي وقتاً في النوم لا يزيد على يوم أو بعض يوم ، ولكن حين قيل له . **(وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آَيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا..)** ، أدرك أن ذلك كان إجابة على تساؤله السابق **(أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ؟)** . ولكن ما يلفت النظر هنا هو أن طعامه وشرابه لم يتسنه ، أي لم يجر عليه فساد طيلة مدة الأعوام المئة التي انقضت ، مع أن الطعام والشراب يفسدان في العادة بعد وقت قصير قد لا يتعدى سويعات . ومن تدبرنا العميق للآية نفهم ما يلي :

- بالنسبة الى عزير فقد انقضت الأعوام المئة عليه وهو ميت وقد جرى على جسده ما يجري على أجساد الأموات ، وذلك لقوله تعالى **(فأماته الله مئة عام)** وقوله تعالى **(بل لبثت مئة عام)** .

- بالنسبة الى حمار عزير فقد انقضت عليه الأعوام المئة أيضاً وهو ميت وقد جرى على جسده ما يجري على أجساد الحيوانات النافقة ، وذلك لقوله تعالى **(وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما)** .

- ولكن بالنسبة الى الطعام والشراب فلم يمض عليهما وقت قط ، ولا يمكننا أن نقول إنهما قد فسدا ثم أصلحهما الله تعالى ، ذلك أن الآية تقول بوضوح **(لم يتسنّه)** أي لم يجر عليه فساد قط ، وهذا يدفعنا الى فهم لم يصل الى السابقين قبل أن اكتشف الإنسان حقيقة نسبية الزمن ، أي أن الطعام والشراب قد تم عزلهما عن الزمن فلم يمر عليهما أي وقت .

وقد يرى بعض الناس إشكالاً في قوله تعالى عن آل فرعون والرجل المؤمن الذي نصحهم **(فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآَلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ، النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)** غافر ٤٥ ، ٤٦ . حيث فهم السابقون من الآية الكريمة أن هناك حياة برزخية وعذاباً في القبر حتى (تقوم الساعة) أي حتى نهاية الدنيا وخرابها . ولكن حين نتدبر الصياغة اللغوية القرآنية من مفهوم كون الساعة هي ما يحدث في اللحظة التالية للموت مباشرة ، نجد أن الآية تتحدث عن الزمن وعن اللازمن في وقت واحد ، ولكن لأن المفسرين السابقين لم يكونوا يعلمون عن نسبية الزمن شيئاً فقد فسروا الآية تفسيراً دفعهم الى القول بعذاب القبر والقول بالحياة البرزخية .

إن الآية الكريمة تخاطبنا نحن الأحياء في الدنيا فتقول لنا من منطلق زمننا نحن ومن منطلق (الآن) الذي نعيش فيه **(النار يعرضون عليها غدواً وعشياً)** أي صباحَ مساءَ ، فهل تشرق على جهنم شمس وتغيب حتى يكون الغدو والعشي خاصاً بآل فرعون وبالنار؟ إن الغدو والعشي هما وقتان في الدنيا ويؤثران علينا نحن الأحياء فقط وليس على من مات ولا على نار جهنم ، وهذا يعني أنه بالنسبة إلينا نحن (الآن) فآل فرعون لم يدخلوا النار بعد ، بل هم في طريقهم إليها طالما تشرق الشمس علينا نحن وتغيب ، ولكن كل حي (الآن) في الدنيا سوف يرى يوم تقوم الساعة (ساعته) كيف يؤمر بآل فرعون أن يدخلوا أشد العذاب . هذا كله هو بالنسبة إلينا نحن الأحياء الآن ، أما بالنسبة الى آل فرعون الأموات فقد قامت ساعتهم فعلاً وقد أُمِر بهم فدخلوا أشد العذاب . وكما خاطبتنا هذه الآية من منطلق زمننا نحن ، فإن آية أخرى تخاطبنا من منطلق اللازمن الذي يدخل إليه الكافر حين موته ، وذلك في قوله تعالى عن قوم نوح **(مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا)** نوح: ٢٥ . لاحظ حرف الفاء في (فأدخلوا) فهو حرف عطف على التعقيب لا تراخي زمنياً فيه . أي أنهم في اللحظة التي أغرقوا فيها أدخلوا فيها النار ، ثم إن (زلزلة الساعة) كما فهم البعض لا علاقة لها بِرجِّ

الأرض أو دك الجبال ! نعم بعض معاني (الزلزلة) يدخل في هذا المضمار ولكن ليس مطلق معانيها كي نربط قيام الساعة بالزلزلة وانتبه لقوله تعالى **(هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً)** .١١ . الأحزاب ، وقوله تعالى **(.. مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ..)** .٢١٤ . البقرة ، فهذه الزلزلة هي الزلزلة النفسية ومعناها مختلف تماماً عن تلك الزلزلة . والمعنى أن كل من يموت سوف يشهد تلك الزلزلة منفرداً وهول الساعة (ساعته) يصوّر له الأرض وقد رُجَّت رجَّاً ولذلك أيضاً **(تُذهل كل مرضعة) ! . . .**

فحين يموت الإنسان ينتقل مباشرة من الزمن الى اللازمن فيرى نفسه أمام عالم مختلف لازمن فيه وهناك يُشاهد كل الذين تركهم خلفه أحياء ومن لم يراهم في الحياة لأنهم ماتوا قبل ولادته أيضاً ! وما يؤيد هذا هو أن الساعة تأتي (كلمح البصر) . . . **(وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** النحل: ٧٧ ، إذن علينا أن نفهم ما هو هذا (لمح البصر) ! ، إن البصر أو النظر والرؤية يأتينا من خلال إنعكاس الضوء على جسم ما وتنتقل لنا صورة أي شيء على ظهر الضوء وبهذا نرى ذلك الشيء والآية المباركة لا تكتفي بوصف أمر الساعة بسرعة الضوء أو (لمح البصر) بل تُثبت أنه أسرع من ذلك بقولها (أو هو أقرب) ! ولما كانت سرعة الضوء هي أسرع ما يوجد في الكون كما نفهمه نحن فلابد أن الشيء الذي هو أسرع من الضوء شيء من خارج عالمنا نحن ! وتلك هي الفكرة أي أننا نعيش بالتوازي مع زمن آخر أو (طوبولوجيا) زمنية وعلى هذا الأساس يمكن أن نفهم قوله تعالى **.(قال الذي عنده علمٌ من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك..)** ٤٠ . النمل .والقرآن ينقل لنا أن ذلك الجن أو العفريت قال لسليمان أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مكانك فأجابه الذي **(عنده علمٌ من الكتاب)** إن هذا بطيء جداً أما أنا فسوف أجلب لك العرش في اللازمن ! وعلى أساس هذا أيضاً يُمكننا أن نفهم مسألة الإسراء والمعراج ! ، فالمعضلة الكبرى هي أننا لا نستطيع التخلُّص من الفخ الذي نصبته لنا طبيعتنا الجسمانية ولذا نربط الزمان بالمكان فنتصوّر أن الأحاديث التي ذكرت أن السماء تبعد عن الأرض مسيرة (٥٠٠) عام كما في حديث ابن عباس ، نتصوّر أن هذا المكان الذي وصل له رسول الله في معراجه هو مكان كباقي الأمكنة ! فيما الواقع أن المكان واحد لكن الزمان يختلف من بُعد الى بُعد آخر كما هو الحال لو فرضنا تداخل الأبعاد فيما بينها داخل ثقب أسود عملاق والإشارات القرآنية من أوضح ما تكون في هذا الصدد فسبحان الذي أنعم علينا بهذا الكتاب الذي **(لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) .** ٢ . البقرة . . .

وتعبير القرآن عن هذا الفاصل والحاجز بين الزمن واللازمن جداً دقيق إذ عبَّر عنه بالـ (البرزخ) كما في قوله تعالى : **(حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ،)** ٩٩ / ١٠٠، المؤمنون ، فالقرآن لا يقول أن هذا الذي قال**(رب ارجعون)** يريد أن يرجع للدنيا لأن الناس مازالوا فيها ، بل إن الناس كلهم موجودون أمامه هناك ولا علاقة لهذه الآية المباركة باعتقاد ذلك الشخص أن الناس موجودون أو مازالوا موجودين في الدنيا وهو يريد العودة معهم لعله يعمل صالحاً لأن هناك آيات أخرى تُثبت أن بعض الكفار في الجحيم يقولون هذا الكلام في مثل قوله تعالى **:(وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ)** السجدة:١٢ . وقوله تعالى **(وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ..)** فاطر: ٣٧ . وإذن فلا علاقة لطلب ذلك الكافر من الله الرجوع للدنيا وبين وجود الناس في الدنيا فهو سوف يرى الناس كلهم أمامه بمجرّد موته ومجيء (ساعته) وتعبير البرزخ هو وصف للحائل والحاجز بين الزمن واللازمن لأنه حاجز رقيق جداً **:(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ)** ٢٠،١٩ ،الرحمن / ومعنى لا يبغيان أي لا يلتقي أحدهما بالآخر، وكذلك **(وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًامَحْجُورًا)** الفرقان: ٥٣ ،

والحجز يعني حبس كل واحد منهما لكي لا يمتزجا معاً وما يؤكد ما نذهب إليه من أن هذا البرزخ هو الفاصل الرقيق بين الزمن واللازمن قوله تعالى : **(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)** النحل: ٣٢ . والآية المباركة واضحة الدلالة في أن هؤلاء الذين تتوافهم الملائكة وهم من الطيبين المؤمنين يدخلون الجنة مباشرةً بعد استيفاء الملائكة لهم وموتهم والمثال الأوضح في قوله تعالى :

(.. وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) الأنعام: ٩٣ ، أي أن الظالمين وهم في غمرات الموت تقول لهم الملائكة أخرجوا أنفسكم إن كنتم تملكون لها ضراً أو نفعاً فاليوم يجزيكم الله العذاب ويدخلكم النار لأنكم كنتم تستكبرون !

ومعناه أنهم في نفس اليوم الذي هم في غمرات الموت سوف يدخلون جهنم ويذوقون عذاب الهون الذي وعد الله به الكافرين والظالمين . وقوله تعالى : **(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون)**.١٥٤ .البقرة ، أي أنهم على تماس معكم وهم أحياء لكن بسبب هذا الفاصل الرقيق أو البرزخ لا تشعرون بهم ، ولايوجد معنى آخر لقوله **(لا تشعرون)** إلا هذا وعليك أن تتذكر أبناء تلك الحضارة البعيدة عن الأرض الذين قرّبنا بهم المثال كيف ينظرون للمكان الذي أنت فيه الآن لكن يرون أشخاص آخرين ورؤيتهم صحيحة صادقة ونحن الذين تخاطبهم الآية المباركة بالقول **(لا تشعرون)** ! ثم قوله تعالى : **(قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا)** . ٥٢ . يس ، كيف يستوي مع قول بعض المفسرين أن الكافرين يذوقون عذاب القبر مع كل الرعب الذي ذكروه ، كيف يستوي قول الكافرين أنفسهم **(يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا)** فهل يُعبَّر عن كل ذلك العذاب بأنه (مرقد) لكن المشكلة أن البعض مازال يفكّر بعقلية القرون الوسطى ويريد منّا نحن الذين نعيش في ظل فتوحات الفيزياء والعلم أن نعتقد بذات اعتقاده ، فقد فسروا اغلب الآيات التي ذكرناها لك على أنها تتكلم عن البرزخ وأوَّلوا الآيات بشكل خارج عن كل منطقية وأقحموها إقحاماً لكي تتناسب مع اعتقاداتهم .والأحاديث التي ذكروا أنها تؤكد عذاب القبر على أشكال فمنهم من يزعم أن امرأة يهودية دخلت على السيدة عائشة وأخبرتها أن أصحاب القبور يُعذبون فسألت السيدة عائشة النبي عن هذا فقال لها نعم وكأنه كان لاهياً أو ساهياً عن هكذا أمر جلل حتى يتنبه له بفضل امرأة يهودية ورواية أخرى تقول أن عجوزين دخلتا على السيدة عائشة وحصل مثل ما في الرواية الأولى ، وشكل آخر يدّعي أن الذين يعذّبون في القبر هم فقط الذين مُحضوا الكفر الى آخره .

وعقيدتي التي أُدين بها لله أن لا شيء من هذا صحيح وإنما هي تغطية للبعض على ما هو موجود في بطون الكتب من دس وتلاعب فيذهبون لتحريف كلام الله الواضح لكي ينسجم مع الكتب التي يبدو أنها مقدّسة لديهم أكثر من كتاب الله ولا أُريد التوسُّع في الموضوع ومن شاء ليذهب ويرى ما كتبوا !

بعد هذا الإيجاز السريع ، يمكننا أن نفهم بأن (الساعة) لها أكثر من معنى وأكثر من مدلول وأهمُّها هو أن (الساعة) تعني الأجل والموت **(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)** الأعراف: ٣٤ .وأما قوله تعالى **:(وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ)** الحج: ٧ ،أي أن الإنسان حين يموت يُشاهد كل ذلك أمامه مباشرةً كما ذكر المجلسي (قد) في البحار في الجزء ٥٨ الصفحة ٧ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال (من مات فقد قامت قيامته) وإن بعث من في القبور أمر **(لا ريب فيه)** لكن (لا تشعرون) بكل ذلك الذي يجري ، وأما أشراط الساعة التي قلنا أنها لا تستوي مع كونها تأتي بغتةً فهي استيفاء الإنسان لشروط الموت بفعل أن الإنسان هو الذي يتحكّم بطول أو قُصر عمره في الحياة الدنيا على تفصيل طويل في فلسفة هذه المسألة ، ولكن بنحو اللمحة الخاطفة نقول ، إن المعروف أن الصدقة مثلاً تُطيل

العمر وكذلك بعض الأعمال المندوبة ، وأعمال أخرى تقصِّر العمر . وحتى لو تكلمنا بلغة العلم فهذا أمر غير قابل للنقاش ، والأهم من كل هذا أننا رفعنا الإشكال الأكبر وهو التوفيق مع وصول المجتمع تحت ظل دولة العدل الإلهي لكل تلك المراتب من الكمال الوجودي والعبادة الخالصة لله بعد أن أثبتنا استحالة عودة تلك الأجيال للإنحراف العقائدي والأخلاقي ، وبين قيام الساعة الذي اعتقد الأقدمون أنها تقع على مجتمع آخر الزمان ، ويمكن للقارئ الكريم العودة لما سبق من فصول هذا الكتاب ليرى أدلة ما ذكرناه له سواءً في هذا الموضع أو فيما سيأتي من تفاصيل عن القيامة ويوم الدين !

الساعة والنظام الكوني العام

(يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢) ،) إبراهيم .

الجو العام للآيات المباركة يأخذ القارئ الى أجواء يوم القيامة وهو كذلك بطبيعة الحال ، ولكن ما يراه الإنسان بعد موته مباشرةً ومجيء (ساعته) هو أن الأرض تبدلت غير الأرض والسماوات وبرز الناس للحساب في محكمة العدل الإلهي مع أن الناس مازالوا في الدنيا ولكن الميت سيراهم كلهم أمامه في الآخرة لأنه سيُدرك أن هناك زمنين أو (آنيْن) وهذا مصداق قوله تعالى (لا تشعرون) وهذا بعد (الساعة) التي قلنا أنها تقع بشكل فردي أي كل من يموت فهو قد قامت عليه الساعة ، وما يؤيد هذا الطرح أن معنى القيامة ورد في القرآن الكريم مصحوباً بالإشارة الى عودة الناس للأرض وإن الأرض تُشرق بنور ربها بعد أن ينتهي كل شيء كما في قوله تعالى :

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥) ،) الزمر . . .

فبعد النفخة الأولى في الصور يُصعق من في السماوات ومن في الأرض على أن مفهوم السماوات والأرض أوسع وأشمل ممّا قد يتصوّر أحد إذ ورد في القرآن الكريم تعابير لافتة للنظر مثل قوله تعالى **(وإِنَّا لَمَسنَا السَمَآءَ فَوَجَدْنِها مُلِئَتْ حَرَسَ ًا شَدِيدًا وَشُهُبًا)** وقوله تعالى **(وَمِنَ الأرضِ مِثْلَهُنَّ)** على أن القرآن الكريم ذكر لفظ السماوات (١٩٠) مرة وقد استفاضت الأحاديث عن تعدد السماوات التي تعني بالضرورة تعدد العوالم وأن للأرض أكثر من مصداق كما في البحار ومشارق الأنوار عن الإمام السجاد عليه السلام إذ قال : { أتظن أن الله تعالى لم يخلق خلقاً سواكم ؟ بلى والله لقد خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم وأنتم والله في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين } . وكذلك ورد في كتاب التوحيد وكتاب نور الثقلين عن الباقر عليه السلام قوله :{ لعلك ترى أن الله تعالى إنما خلق هذا العالم الواحد أو ترى أن الله لم يخلق بشراً غيركم ؟ بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم وأنتم والله في آخر تلك العوالم } والأحاديث عن تعدد الأرض أكثر ممّا يتسع المجال لذكرها كما جاء في دائرة المعارف ومعجم البلدان عن النبي صلوات الله عليه وآله قوله في معنى الآية المباركة **(ومن الأرض مثلهن)** قال : { وفي كل أرض آدم مثل آدمكم ونوح مثل نوحكم وإبراهيم مثل إبراهيمكم } ! وفي بحار الأنوار عن ابن عباس قال :(سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم } . وفي الفتوحات المكية والأنوار النعمانية عن ابن عباس أيضاً قال : {وإن في كل من الأرضين السبع خلقاً مثلنا } وفي تفسير القمي والبحار الجزء ١٤ عن أمير المؤمنين قال :{ هذه النجوم التي في السماء (فيها) مدائن مثل المدائن التي في الأرض } !

والكلام يطول بنا جداً إذا ما استقصينا الأحاديث والآيات الواردة في هذا الصدد ولكن المهم أن ينتبه القارئ إلى أننا حين نذكر السماوات والأرض والبشر فنحن لا نتكلم عن ما في ذهن القارئ من تصوّرات عن هذه الألفاظ بل نتكلم عن شيء أوسع وأعمق وهو مربوط بوثاقة بمفاهيم مثل الزمان والمكان والأبعاد والعمق واليمين والشمال والرياضيات الى آخره. . . . . .

ينفخ في الصور النفخة الأولى فيصعق من في السماوات ومن في الأرض وهنا من الواضح أن الذين بقوا في الأرض هم الأموات فقط والذين هم أحياء عند ربهم لكن (لا تشعرون) وذلك بقرينة أنهم بعد الصعقة الثانية **(فإذا هم قيام)** فلو كانوا أحياء على الأرض لما كان من معنى لكونهم سيقومون ، يصعقون إلا من شاء الله أن لا يصعق كأن يكونون في عالم آخر أو موازي كما في النظرية العلمية المعروفة باسم (الأكوان المتوازية) ! ونفخة الصعق الأولى هي لبث الروح فيهم من جديد . ثم تأتي النفخة الثانية **(فإذا هم قيام ينظرون)** بعد النفخة الثانية قام الجميع لكن هذه المرة الوضع مختلف جداً إذ **(أشرقت الأرض بنور ربها) !** فوجد هؤلاء الذين بعثوا من قبورهم أن الأرض مُشرقة وقد جاء النبيون والشهداء و وضع الكتاب وقضى الله بينهم بالعدل وساقوا المجرمين للجحيم وتم الحساب . واللافت للنظر أن المؤمنين عندما يدخلون الجنة يؤكدون على أنهم لما قاموا بعد النفخة الثانية في الصور لم يغادروا الأرض بل كل ذلك الحساب والعذاب والجنة ومجيء الانبياء والشهود كله على الأرض بدليل قولهم **:(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ، وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ،)** وانتبه لقولهم **(وأورثنا الأرض)!** وفي مكان آخر من القرآن الكريم وبالتحديد في سورة الأنبياء في الآية ١٠٥ قال : **(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثُها عبادي الصالحون) !** والملاحظة الأهم أنهم قالوا بعد قولهم **(وأورثنا الأرض)** مباشرةً **(نتبوَّأُ من الجنة حيث نشاء) !** دون فصل وهذا يعني كما ذهب له بعض الباحثين الإسلاميين أن الأرض هي الجنة نفسها !

فارتباط (الساعة) بالنظام الكوني العام والتغيُّرات التي ستطرأ على هذا النظام ارتباط وثيق ولذلك يؤكد القرآن الكريم في الآية (١٩٠) من سورة آل عمران على :(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب) !

ولو تدبرنا الآيات في سورة الإنعام لرُفع الاشتباه تماماً كما في قوله تعالى **:(وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ(٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ(٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) ،)** الأنعام .

فملكوت السماوات والأرض هو الذي سيراه الإنسان ساعة موته ، وهو عامل أساسي في معادلة الإيمان والكفر ولذلك عرفنا أن دولة العدل الإلهي تحت قيادة القائد الموعود سوف تهتم بهذا الجانب الكوني اهتمام بالغ ، وعلينا أن نعي بأن هذا النظام الكوني سوف يحيها من جديد كما في قوله تعالى **(وآية لهم الأرض الميتة أحييناها)** بعد أن **(ظهر الفساد في البر وفي البحر بنا كسبت أيدي الناس)** ولذلك تجد في الآيات المباركة إشارة واضحة لهذا المعنى كما في قوله تعالى **:(يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) ،)** هود ، فقد ربط القرآن الكريم بين مفهوم الخلود وبين بقاء السماوات والأرض إذا قال **(خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض)** ! وهذا لا يتعارض مع الطرح العلمي بطبيعة الحال فقد مرَّ علينا أن هناك ألف ألف عالم وأن هناك سبع أرضين في كل واحدة خلق مثلنا كما في حديث ابن عباس ، فحتى لو تم إفناء هذا الجزء من الكون الذي نعيش عليه نحن الآن فهناك عوالم أخرى سنكون موجودون فيها بدليل ما ورد في شأن قصة عيسى ابن مريم سلام الله عليه والقول **:(وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)** الزخرف: ٦١ ، ونحن نعلم أن عيسى حي يرزق عند ربه وفق التصوّر الإسلامي وهذا وحده كافٍ في اثبات الحياة خارج كوكبنا نحن ، فعندما تأتي الساعة يقول الكافر **(رب ارجعون)** لأنه رأى ملكوت السماوات والأرض ، وهو يريد العودة لعله يعمل صالحاً **(لعلي أعمل صالحاً)** ولكن هذا مجرد كلام يتفوه به **(إن هي إلا كلمة هو قائلها)** فلو تم إرجاعه لعاد لنفس البُعد الزمني ولنفس الظرف والمحيط الفيزيائي وبالتالي فهذا غير مسموح به ولذلك **(ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون)** أي إلى اليوم الذي ستقوم فيه القيامة وتتم فيه إعادة الناس للأرض كما مرّ علينا في الآيات المباركة . الى ذلك اليوم فهذا الحاجز الزمني أو البرزخ الذي يفصل بين الزمنين أو الآنيْن سوف يبقى . فلما يُبعث الناس من جديد **(وتُشرق الأرض بنور ربها)** حينئذ يحل يوم الدين وهو المرحلة التالية من القيامة ولذلك ترى الملائكة حافين بالعرش لأن المهمة انتهت ولذلك يُقال حينها الحمد لله رب العالمين **:(وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥) .)** الزمر .

القيامة ويوم الدين

يبدو أننا مضطرين للكلام عن كل من القيامة ويوم الدين مع أنهما خارجان عن بحثنا الأساسي ولكن التركيز على مدلولاتهما يؤكد ما ذهبنا له من كيفية وخاصية مفهوم الساعة وهو الذي يرتبط ببحثنا عن نهاية المجتمع الإنساني . . .

إن القيامة كما أسلفنا هي الحدث الشامل العام الذي سيمر على كامل النظام الكوني وفيه يتلاشى تماماً مفهوم الزمن والذي على أساسه ينقسم الوقت الى ماضي وحاضر ومستقبل وهذا الإنقسام هو الأصل في كثير من المشاكل التي اعترضت مسيرة الركب الإنساني نحو الكمال وعليه فسوف تأتي القيامة لتوحد العالم بمعناه الكامل التام غير المنقوص ، إذ حتى تحت ظل الدولة العالمية لا يمكن بشكل من الأشكال أن ندّعي أن البشر كلهم سيذوقون عدل تلك الدولة الإلهية لأن كثيراً من البشر ماتوا قبل بسط تلك الدولة لنفوذها على العالم الإنساني ومن منطلق العدل الإلهي فلابد أن يذوق البشر كلهم حلاوة العيش تحت ظل تلك الدولة وهذا ما يجعلنا نفكر بجدية في إمكانات إعادة الناس من جديد أو رجعتهم كما ورد في قوله تعالى **(إن الذي فرضَ عليك القرآن لرادُّكَ إلى معاد)** ٨٥ . القصص ، كما أن الأحاديث التي نصَّت على الرجعة كثيرة مع أن هذه العقيدة ليست من ضرورة الدين الإسلامي ولا حتى من ضرورات أي مذهب من المذاهب الإسلامية الخمسة ، ولكن الأمر باعث على أخذ عقيدة الرجعة وحملها على محمل التفكُّر على أقل التقادير ولست هنا أُثبت أو أنفي شيء ولكنني أطرح مجرّد تساؤل وهو هل يمكننا إذا تكلمنا طبقاً لقاعدة العدل الإلهي أن نفترض وجود التفاوت في الفرص والعيش بين أفراد المجتمع الإنساني ثم محاسبة الكل بذات القوة وذات الجزاء وذات الثواب والعقاب ، أي كيف يتسنى لنا أن نستوعب فكرة أن مؤمناً رأى من العذابات في الحياة ما رآه ثم مات وبعدها يتساوى مع مؤمن آخر ولد تحت ظل دولة العدل الإلهي وعاش الرخاء والرفاهية بكل ما لهما من معنى ، فهذا التساؤل يبقى عالقاً ما لم نُغيِّر من نمط الأفكار التي نتبناها والتي أكل الدهر عليها وشرب ونحن بحمد الله وفضله نعيش الآن في زمن الإنفتاح وفي الزمن الذي يمكنك أن تستحضر أدق المعارف البشرية بنقرة زر واحدة وزمن فتوحات الفيزياء والعلم وزمن الفلسفة والأفكار والأيدلوجيات مع علمنا أن الإسلام له القدرة العالية على التكيُّف مع كل العصور ولكننا للأسف لا نريد أن نُغيِّر من أفكارنا شيء فنجُر الإسلام خلفنا جرّاً للبقاء في العصور الوسطى فيما هو يسحبنا نحو الفكر والعقل والعلم ولكن الرفض هو جوابنا الوحيد أمام دعوات هذا الدين العظيم للفهم والتفكُّر في آيات الله وعصرنة مدلولات النص الديني بالطريقة التي لا تفقدها بريقها وبُعدُها الإيماني وطابعها الذي تسالمت عليه الأمة .

إذن القيامة هي اليوم الذي يُقوَّم فيه اعوجاج الدنيا كما اسلفنا فيما مضى واحداث يوم القيامة أيضاً تؤكد على هذا البُعد الزمني الغائب عنا إذ قال تعالى **(يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ، يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا)** .١٠٢ . طه ، وانتبه لقولهم (إن لبثتم إلا عشرًا) وكذلك لشهادة القرآن الكريم أن أكثرهم صواباً هو الذي قال إن لبثتم إلا يوماً **(إذ يقول أمثلهم طريقةً إن لبثتم إلا يوماً)** ! لأنهم بعد أن ماتوا وقامت ساعتهم ظلّت أجسادهم في الدنيا وهم في الآخرة فلما قامت القيامة قاموا بعد النفخة الثانية في الصور وطرحوا هذا السؤال وهو كم لبثنا في الآخرة وبما أن بعد الساعة لا وجود للوقت وقع بينهم الخلاف في تقدير المدة التي تفصل بين موتهم وبين عودتهم والحقيقة أنهم كانوا في اللازمن أما وجودهم الجسماني فهم متفاوتون فيه ولذلك تُصرح الآية المباركة بالقول **(نحن أعلم بما يقولون)** وذلك لأن كل ما يتعلق بهذه الأحداث يبقى من علم الله تعالى كما هو صريح الآية المباركة **:(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ..)** لقمان: ٣٤ ، أي علم الوقت الذي قضوه منذ موتهم وحتى القيامة وكيفية كل هذا وتوقيته

:(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) .١٠٤ . الأنبياء .إذن فالقيامة هي الإعادة والإحياء والبعث العام الشامل كما في قوله تعالى **:(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧).) .** الحج .

وقد يتبادر لذهن القارئ أن الساعة وبعث من في القبور يكونان في وقت واحد خصوصاً لمن ليس ضليعاً بالعربية ولكن النص واضح وهو أن لا ربط زمني بين الأمرين فالآيتان المباركتان تتكلمان عن ثلاث مواضيع منفصلة **!(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)!** فهذا موضوع مُستقل بنفسه والموضوع الثاني هو **(وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا)** ! أما الموضوع الثالث فهو **(وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) !**

وعليه فلا علاقة ولا رابط بين القيامة وبين هلاك البشرية على الأرض لأن البشرية تكون قد انتهت بالفعل على الأرض أو تحوّلت الى نظام شمسي آخر كما تؤشر لذلك آيات سورة الأنعام المباركة حكاية عن لسان نبي الله إبراهيم عليه السلام . . .

وأما يوم الدين فهو المرحلة التالية من القيامة فبعد البعث الجسماني المادي سوف يكون لكل من الفريقين أي المؤمنين والكافرين توجه معيّن فأما المؤمنون فيخبرنا القرآن الكريم عن أملهم بالغفران والرضوان كما في قوله حكاية عن لسان نبي الله إبراهيم قوله : **(وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)**.٨٢ .الشعراء ، وأما الكافرين فسوف يشعرون بالدهشة لاعتقادهم أن وضعهم سوف يتغيّر وأنهم سوف يخرجون من جهنم إذا جاء يوم الدين لكن المفاجأة أنهم سيُخلّدون فيها إذ لما أدركوا أنهم بعثوا قالوا **(يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ)**.٢٠. الصافات ، فجائهم الجواب الحاسم **(لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) !**

وهذا هو اليوم الذي وعِد به المجرمون **(فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤) .).**المعارج ، والمُلك في ذلك اليوم لله وحده **(مالك يوم الدين)!** الفاتحة .

فهذا ما يختص بيوم القيامة ويوم الدين ومفهوم الساعة ، وهناك تفصيل طويل بين أهل الإختصاص من المتكلمين والفلاسفة عن طبيعة الحشر والحشر الأكبر وهل أن المعاد جسماني أم روحاني فيمكن مراجعته في محله . . .

النهاية

يجب الإشارة الى عدة نقاط نوجز بها كامل الدراسة التي بين أيدينا وأهم ما تعرّضتْ له وما بحثناه وأثبتناه من خلالها !

١ - أن العالم بكل ما فيه وكل ما ينطوي عليه من موجودات حيّةً كانت أم من الجمادات على أن تعبير الجمادات تعبير مجازي وإلا فلا وجود لشيء جامد ، فكل ما في هذا العالم سائِرٌ باتجاه غاية وهدف .

٢ - أن أبرز مظهر من مظاهر دقة وجمال وعظمة هذا العالم هو الإنسان .

٣ - أن العالم حتى يكون موجوداً فعلاً فهو محتاج للإنسان ولولا وجود الإنسان لما كان هناك عالم من الأصل .

٤ - أن العالم والإنسان في حقيقتهما شيء واحد غير مُنفصل ولا مُتباين .

٥ - أن العالم له باطن والإنسان له باطن وباطن كل منهما يحكم ظاهره .

٦ - أن العلم بالباطن لا يمكن الحصول عليه بالعلم الحصولي وإنما بالعلم الحضوري .

٧ - أن وجود إنسان معصوم هو ضرورة تفرضها النتائج العلمية والفلسفية والدينية .

٨ - أن بقاء الإنسان حياً لفترات طويلة أصبح واقعاً علمياً لا يقبل التشكيك بعد أن كان من المُتسالم عليه دينياً ولا يتعارض بشكل من الأشكال مع المقررات العقلية الفلسفية .

٩ - أن مجيء مُخلّص ينتشل البشرية من بؤسها والحرمان والظلم الذي تعانيه ، موجود ومترسِّخ في العقل الإنساني منذ بدء التاريخ والكل مُشترك بهذه العقيدة بما في ذلك من لا يعتنق دين ولا يؤمن ، وإن الإيمان بهذه القضية لا علاقة له بالكفر والإيمان وإنما هي عقيدة يشترك فيها كل البشر .

١٠ - أن البشرية مُنقسمة حول الإعتقاد بمجيء المُخلّص فبعضهم يتبنى هذه العقيدة على أساس ديني والبعض يتبناها على أساس فلسفي استقرائي والبعض يتبناها على أُسس بحثية تستند لقراءات علمية تحليلية بحتة .

١١ - أن الإرتقاء نحو الأفضل نتيجة يُثبتها كل من العلم والفلسفة والدين .

١٢ - أن الإرتقاء شيء حتمي لا بد من حدوثه

١٣ - أن العلامات التي تسبق موعد ظهور المُخلّص لها دلالاتها العلمية والفلسفية والدينية وهي سُنة كونية وضرورة من ضرورات التطوّر بكل أشكاله الفكرية والمعرفية والعقدية .

١٤ - أن التطوّر سُنة كونية غير قابلة للدحض ومؤيَّدة بالبراهين الفلسفية والعلمية والدينية .

١٥ - أن الأنظمة المُختلفة في الدولة العالمية سوف تختلف اختلافاً جذرياً عمّا نعرفه نحن وما عشناه إلى درجة أنها لن تشبه أي شيء عرفته البشرية فيما مضى من تاريخها .

١٦ - أن الوضع العام للبشرية سوف يتغيّر تحت ظل حكم الدولة العالمية فالأعمار والمستويات العلمية وطبيعة المجتمع وممارساته الثقافية كلها سوف تتبدل جملةً وتفصيلاً عمّا عهدته البشرية في ماضيها .

١٧ - أن الدور الأبرز الذي سيلعبه الناس حينذاك هو تفاضُلُهم على أساس الإبداع وإن الفن سيكون هو المظهر الأبرز من مظاهر الإبداع بعد أن تتوحد اللغة وتكون واحدة بين كل أفراد المجتمع الإنساني .

١٨ - أن الإنفتاح على النظام الكوني العام سيكون في أعلى مستوياته واستغلال الثروات الكونية سيكون داخلاً ضمن الإقتصاد العام للدولة العالمية .

١٩ - أن المجتمع سوف يصل تحت حكم الدولة العالمية الى مراتب ما فوق العصمة ممّا يمنع أي احتمالية بعودته للإنحراف العقائدي مرة أخرى .

٢٠ - أن لكل من الساعة والقيامة ويوم الدين مفهوم مختلف ، وأن أهوال القيامة كما وردت في الموروث الديني الإبراهيمي حصل سوء فهم في التعامل مع مصاديقها .

٢١ - أن هذه الدراسة هي مُحاولة للتوفيق بين كل من الدين والعلم والفلسفة لإثبات الثابت أصلاً وعصرنة مفهوم القضية المهدوية بغض النظر عن عقيدة مؤلف هذا الكتاب الدينية و المذهبية أو مُتبنياته العلمية والفلسفية .

وأما عن نهاية الوجود البشري فقد أسلفنا القول أن الفلسفة لا تذهب لهذا الإتجاه فيما يقف العلم موقف مُبهم وأما الدين وانسجاماً مع الفطرة الإنسانية يؤكد على ضرورة أن كل البشر بل كل الأنفُس لابد وأن تذوق الموت ! لكن الدين من وجه آخر لا يرفض فكرة أن من الممكن الجمع بين الأحياء والأموات في مجتمع ومكان واحد فالأحاديث التي تتكلم عن رجعة بعض الأموات للحياة أحاديث مُستفيضة بالأخص في الموروث الإسلامي وبشكله العام مع وجودها في باقي الديانات الإبراهيمية وحتى في الديانات الوضعية توجد هذه العقيدة ، وبما أننا واجهنا مشكلة في التوفيق بين فكرة قيام الساعة بصيغتها الدينية الكلاسيكية وبين وصول مجتمع الدولة العالمية لمراتب ما فوق العصمة ، واجهنا تلك المشكلة في الموروث الديني الإسلامي حصراً وعالجناها وفق مُقررات وثوابت هذا الموروث الديني الإسلامي حصراً لأنه لا توجد مُشكلة عند باقي الأطراف في تقرير الكيفية التي يكون بها الفناء البشري ! فهنا أيضاً يجب أن نرفع الإشتباه وفق مقررات البحث العقائدي الإسلامي إذ كما أسلفنا أنه لا توجد مشكلة عند الآخرين ،

والشريعة الإسلامية مع أنها لا تتعرّض لعقيدة الرجعة بشكل يُعطيها أهمية كبيرة مع علمنا أن هذه العقيدة ليست ضرورة دينية أو مذهبية ولسنا هنا في صدد إثبات أو نفي هذه العقيدة ، ولكننا نؤشر الى الإحتمالية المُرتفعة لتحقُقها على أرض الواقع والفكرة كالآتي .

أن المجتمع يبدأ بالتقلُّص شيئاً فشيئاً باعتبار أن الموت يشمل الجميع ، لكن هذا التناقص في أعداد أفراد المجتمع لا يؤثر على الصورة العامة لأننا ذكرنا أن الأوضاع على الأرض أو أي أرض أُخرى ستكون مُقاربة تماماً للنعيم وإن كان هذا نظرياً على الأقل وقد أثبتنا من خلال البحث القرآني أن الأرض هي المسرح الأساسي لأحداث القيامة بعد أن أثبتنا أن مفهوم الساعة يقع بشكل فردي لا جماعي وليس له ربط بمفهوم الثواب والعقاب الدنيوي لا من قريب ولا من بعيد ، وعليه فلا يوجد في الشريعة ما يمنع أن المجتمع الإنساني يتوقف طواعيةً

عن التكاثر ويبدأ بالتقلّص بعد أن وصل لتلك المراتب العُليا من الإيمان ، والقرآن الكريم يؤشر لهذا بوضوح إذ يقول **(قُل إن كانت لكم الدار الآخرةُ عندَ الله خالصةً من دونِ الناس فتمنوا الموتَ إن كنتم صادقين)** . ٩٤ . البقرة ، والحقيقة أن واقع ذلك المجتمع هو الواقع الأمثل من كل النواحي فهم على يقين تام بما ينتظرهم وهم على يقين تام بأنهم من أهل الجنة والنعيم وبالتالي فلا مانع من تمنيهم الموت الذي هو سُنة إلهية يجب أن تسري على الجميع . ولكن هذا التناقُص في أفراد المجتمع لا يؤثر على الصورة العامة باعتبار أن كثيراً من الناس سيعودون للأرض حالهم في ذلك حال عيسى ابن مريم وأصحاب الكهف وعزير ، فهؤلاء لا يمكن اعتبارهم أموات من جهة بل هم أحياء ومن جهة أخرى لا يمكن اعتبارهم أحياء طبيعيين ! فمشكلة العقل البشري أنه يحصر خياراته بشكل يجعله لا يرى إلا الخيار (ب) أو الخيار (أ) فيما النص القرآني واضح الدلالة بعد إثباته أن الموت والحياة مخلوقين من أجل الإبتلاء **(الذي خلق الموتَ والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا)** . ٢ . الملك ، فيذهب العقل الإنساني لأن هناك قضية محكومة بحكم تام وهو أن الإنسان أما أن يكون حي وأما أن يكون ميت وهذا من مُعضلات العقل الإنساني فيتصور أن الله لم يخلق إلا الحياة والموت فيما القرآن يُصرّح بالقول **(ويَخلُقُ ما لا تعلمون)** .٨ . النحل ، فبأي شكل كان سوف ينسحب الأحياء للموت فيما تمتلئ الأرض من جديد بخلق جديد كما أثبتت الآيات فيما سبق من بحوث ولكن الله العالم وحده هل هؤلاء الخلق هم الأموات أم الأحياء أم الأحياء العائدون للأرض أم الأموات الأحياء الذين لا نشعر بهم كالشهداء وهل كلهم سيختلطون بمن بعثوا من قبورهم ، فهذا علمه عند الله !

المهم أن نهاية الأرض هي ما بشّر به القرآن الكريم بقوله **(يرثها عبادي الصالحون)** وهذا مؤداه أن خاتمة الحياة الإنسانية خاتمة خير وبركات من الله ورحمة وعلى هذا الأساس تظل الإنسانية مُنعمة للأبد **(خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ..) . . .**

وأما على الصعيد العلمي فقد ذكرنا للقارئ الكريم أن بعض العلماء يصر على أن البشرية لن تتأثر حتى إن انهارت المجموعة الشمسية التي يتواجد بها الناس حالياً إذ لا يمكن تصوّر المستقبل دون تصوّر أن البشر قد غادروا الكوكب بل بعض النظريات العلمية ذهب لأمكانية نقل الكوكب كله من مكانه الحالي الى مكان آخر وهذا ليس ضرباً من ضروب الخيال العلمي بل أنه أصبح أمر واقع ولا ينقصه إلا كيفية التنفيذ و وقت التنفيذ ، والبعض الآخر من العلماء يعتقد أن كل هذا الذي يجري الكلام عنه هو أمور نظرية وستبقى نظرية ، مع الأخذ بنظر الإعتبار أن هذه الطبقة الأخيرة من العلماء لا تُقدّم مبررات كافية وبراهين وافية على اعتقاداتها وعن الشواهد التي تجعلهم يذهبون لهذا الرأي ، وأغلب الظن والله العالم أن هذه الطبقة من العلماء تستند الى الموروث الديني في اعتقاداتها وقد أثبتنا أن الموروث الديني يذهب للإتجاه المعاكس تماماً على صعيد الشريعة الإسلامية وحتى فيما يتعلق باليهودية والمسيحية ففي ما مضى من فصول هذا الكتاب رفعنا الاشتباهات التي وقع فيها بعض علماء اللاهوت من المسيحيين واليهود عن يوم القيامة وعالجناها هناك وفق مبانيهم العقائدية هم . . .

وأما الفلسفة فلا مدخلية لها في هذا المضمار . لكنها تكتفي بطرح سؤال واحد فقط لكنه سؤال بثقل الوجود بأسره . ونحن سنطرح السؤال ونتركه دون إجابة آملين بأن يستشف القارئ الكريم بنفسه عمق هذا السؤال وما يترتب عليه وبعدها ينظر الى ما درّسوه له وما عرفه في حياته كلها عن نهاية العالم ، والسؤال الذي تطرحه الفلسفة كالآتي :

- إذا كانت نهاية الإنسان والعالم الذي يعيش فيه الإنسان هي الفناء والدمار فما هو معنى وجوده الآن ؟

الخاتمة

إننا إذا أردنا أن نُحصي عدد المفكرين والعلماء الذين بشّروا بالمستقبل السعيد للإنسانية ، أو عدد المفكرين والفلاسفة والعلماء ورجال اللاهوت الذين تكلّموا عن عقيدة مجيء المُخلّص . لاحتجنا لموسوعة كاملة قد تبلغ أجزائها المائة جزء لجمع كل ما طرحهُ ذلك العدد الهائل من الذين كتبوا في هذا الصدد ، إنَّ كل هذا الإهتمام الذي بادرت البشرية وعِبر حقبها المُتطاولة من الزمن بإعطائه لهذه القضية . لوحده كافٍ في إثارة السؤال الفلسفي عن الدوافع خلف هذا الإهتمام ، فمن المُحال أن يتأتى كل هذا الإهتمام من مجرّد أحلام راودت المُستضعفين من أبناء المجتمع الإنساني ،أو أنها مسألة هروب للأمام من واقع مرّ تعيشه البشرية رغماً عنها ، بل إن هذه القضية تجاوزت كل ذلك وتحدّت كل الظروف وظلّت راسخةً في وجدان الإنسانية .

وما هذه الدراسة الماثلة بين أيدينا إلا ترجمة عمّا أنتجه الفكر الإنساني في هذه القضية والتي نالها ما نالها أيضاً من غبار الخُرافات والغلو والجهل والأدلجة ، فقد ادعى كثير من الأشخاص وفي فترات زمنية كثيرة المهدوية ، وبذل كثير من الأشخاص والدول وأجهزة الإعلام في تلك الدول جهوداً جبارة في تحريف أو تزييف أو محو هذه العقيدة من الوجدان الإنساني ، لكنّها ظلّت مُحافظةً على كيانها ولم تتلاشى كما تلاشت أفكار وعقائد أُخرى لأن الحقيقة تأبى الطمس والتغييب وما يكون قابلاً للزوال فأصله كان كذباً ، وما علينا اليوم إلا أن نُحافظ على هذه العقيدة الإنسانية الخالصة وأن نُسخِّر الطاقات المُمكنة والمُتوافرة من أجل استمرارِها وبقائها ونقلها للأجيال التي ستأتي في المستقبل .

إن مسؤولية الكُتَّاب والمُفكرين والفلاسفة والعلماء والمثقفين تتلخّص في نقل المعرفة للجيل اللاحق كما أخذوها هم من الجيل السابق ، فكما بذل الذين سبقونا أعمارهم وضحوا بالغالي والنفيس من أجل نقل المعرفة لنا . يجب أن نعمل وبقوة من أجل نقل هذه المعرفة للجيل الذي سيأتي بعدنا ، وهذه المسؤولية الكبيرة تقع على عاتق الجميع ، فالأُم والأب والأُسرة والمُعلِّم والشاعر ورجل الدين والمثقف ورجل الدولة كلهم مسؤولون عن الحفاظ على هذه المعرفة وهذه القضية التي نحن بصددها ، ولا أحد بمعزل عن هذا الواجب الديني والأخلاقي والإجتماعي والإنساني . . .

إن الأفكار والعقائد تموت بفعل الثغرات التي تحصل بينها وبين المستوى الفكري لأُمة ما . فكلما مرّ الزمن كلّما تطوّرت أفكار المجتمعات والشعوب وكلّما تطوّرت هذه الأفكار كلّما ابتعدت تلك المجتمعات وتلك الشعوب عن الأفكار والعقائد القديمة ، هذا أن القائمين على تلك الأفكار وتلك العقائد توقفوا عن رفدها بمزيد من النظريات والكتابات التي تشرحها وتضعها في إطارها الصحيح وتُبعد عنها أشباح الخرافة واللامنطقية ، أو أنهم بذلوا ما في وسعهم للحفاظ على تلك الأفكار وتلك العقائد ولكنّها كانت في أصلها وحقيقتها أوهن من بيت العنكبوت ولأنها مُزيّفة من الأساس لم تصمد أمام تطوّر الفكر الذي بادر الى نسفها من الجذور وجعلها هباءً منثورا .

وهذا لا يعني أبداً أن العقائد الصحيحة غير قابلة للإندثار ، لكن هذا الإندثار لا ينال العقائد الصحيحة بالشكل الذي يُغيبها ويمحوها من خارطة الفكر الإنساني ، وإنما هذا الإندثار هو إخفاء ملامح تلك العقائد ومسخ هويتها وإلباسِها ثوباً من الخُرافات ومن الأقاويل والأقاصيص غير ثوبها الأصلي وهو ثوب الأصالة والحق والحقيقة ، وبهذا تتسع الثغرة بين تلك العقائد والأفكار الحقّة وبين المجتمع وبالتالي تُركَن جانباً ولا يعود لها تأثير يُذكر .

وبما أننا نتكلم هنا عن واحدة من أعرق وأهم العقائد في الفكر الإنساني إن لم تكن العقيدة الأهم بعد عقيدة الإيمان بوحدانية الحق تقدست أسماؤه ، فواجبُنا الديني والأخلاقي والإنساني يقتضي الحفاظ على هذه العقيدة ونقلها للجيل اللاحق بالصيغة التي تجعلها قادرة على الصمود أمام تحديات هذا العالم المُعاصر الذي وصلت فيه

البشرية لمديات فاقت آفاق التوقُّع وجاوزت خطوط المعقول في ميادين الفيزياء والفلك والتكنلوجيا ، وبلغ صراع الأفكار والأيدلوجيات ذروته ، وانتقل الإنسان من عالم قديم تُسيطر عليه الأفكار المُشوّشة والمعارف البدائية الى عالم جديد وخطر جداً على كل شيء وفي كل شيء ، هذا العالم المُعاصر الذي لا يقبل أبسط أفراده أي كلمة أو رأي دون دليل وحجة .

نحتاج فيه إلى من يُفكِّر ! لكن يُفكِّر بالطريقة التي تتجاوز حيّزهُ الزمني لإثبات العقائد التي نؤمن بأنها يجب أن تبقى كما هي وأن لا ينالها التزييف والتفريغ من الداخل ، ولا يكفي أن يكون الإنسان في هذا العالم المُعاصر ابن عصره و وقته لكي يستطيع الحفاظ على العقيدة وعلى الفكرة التي يتبناها ، بل يجب أن يستشرف الوضع الذي سيصل له المستوى الفكري للبشرية في المدى القريب والمتوسط لكي يكتُب ويتكلم بلغة ذلك العصر الذي لن يُقدّر له أن يصل إليه ، وبهذا لوحده سيضمن استمرارية هذه المعرفة وبقائها قويةً راسخةً ثابتةً مُتماشيةً مع هذه العصور التي بلغت فيها الإنسانية ما بلغت من مستوى فكري عالي وطغت لغة العلم والفلسفة على كل الميادين .

إن هذه الأجيال التي نشهد صعودها للواجهة خصوصاً في بُلدان الشرق الإسلامي والتي فتحت عيونها على العالم كله واطّلعت وما زالت تطّلع وستبقى تطّلع على الأفكار المُتعددة والمُختلفة والثقافات المُتعارضة فيما بينها وتلك الأخرى المُتصارعة كذلك ، هذه الأجيال تحتاج الى نوع جديد من التعامل معها وفي شتى الميادين ، فعلى رجال القانون أن يغيّروا من قوانينهم لِتَتَماشى مع هذا الجيل وعلى الآباء والأُمهات أن يتأقلموا مع تكتيكات جديدة في طريقة التربية وعلى الجامعة أن تُغيّر من طريقة تعاملها وعلى رجل الدين أن يُغيّر من اسلوب خطابه وعلى الكاتب وهذا هو الأهم أن يضع ما ورثه من عقائد جيله وجيل آبائه أمام هذا الجيل باللغة التي يفهمها ويؤمن بها هذا الجيل بل باللغة التي يتأكد معها أبناء هذا الجيل أن كل الذي اطّلعوا عليه من ثقافات تعتمد البراهين العلمية والعقلية متوفر في هذه العقائد والأفكار التي يستقتل البعض في الترويج لكونها أصبحت من الماضي السحيق ، فيجب أن نرتقي بما لدينا من عقائد وأفكار ونضع لها الأُطر التي تضمن استمرارية بقائها حيّة كما أوصلها لنا حيّةً ونابضةً بالحياة من سبقونا بعدة أجيال ، وهذه المسؤولية تقع على عاتق الكل ولكنها تقع على عاتق الكُتّاب والمفكرين بالدرجة الأولى لأن ما سيخطونه اليوم سيكون غداً هو العمود الفقري لبقاء تلك العقائد مُحافظةً على وجودها وبشكلها الأصلي الذي ورثوه عمّن سبقهم . . .

وعلى هذا الأساس وهذا الإعتقاد الراسخ وِجِد هذا الكتاب لكنّهُ غيرُ كافٍ بكل تأكيد ونحن بحاجة للعشرات من الكتب مثل هذا الكتاب كل عشرة سنوات في أقل التقادير لكي تبقى هذه الفكرة وهذه العقيدة حيّة ومُنسجمة مع مُتطلبات الأجيال المعاصرة والتي ستأتي ، ولتبرهن على أن ما لدينا من عقائد ليس مجرّد أفكار أكل الدهر عليها وشرب كما يقول الكثيرين ، بل هي أفكار وعقائد تستند الى مدلولات علمية وفلسفية مُعاصرة فضلاً عن كونها تستند الى المدلول والمُسلَّم الديني العقائدي ، ولا أدعي أن ما جاء في هذه الدراسة الحق المبين كما لا يمكنني أن أبخسها حقّها من قوة الإستدلال والمنطقية . فهذا أمر موكول للقارئ الكريم لوحده ، وأمّا رأيي الشخصي بهذا الكتاب وهذه الدراسة ، فشخصياً أرى أن هذا الذي قدمتُهُ قليل بل لا يكاد يُذكر أمام قضية بهذا الحجم وأُطالب نفسي كما أُطالب الآخرين بالمزيد !

تم بعون الله وقوته بيد مؤلفه العبد الحقير المُحتاج لرحمة ربه . أحمد بن حميد بن محمد الجبوري . فجر الحادي والعشرون من صفر الخير . ١٤٤١ هـ / الموافق / الأحد - ٢٠ / ١٠ / ٢٠١٩ م

الفهرست

الإهداء .....(٢)
قصيدة الإفتتاح للمؤلف .....(٣)
المقدمة .....(٦)

الفصل الأول (١٠ – ٣٠)

العالم كفكرة .....(١١)
العالم من وجهة النظر الدينية .....(١٢)
العالم من وجهة النظر الفلسفية .....(١٣)
العالم من وجهة النظر العلمية .....(١٥)
العالم كما نراه .....(١٧)
العالم كما لم نراه .....(١٨)
العالم والإنسان .....(١٩)
العالم الإنساني .....(١٩)
العالم اللاإنساني .....(٢١)
تعريف الإنسان .....(٢٢)
أحتياج الإنسان للعالم .....(٢٤)
احتياج العالم للإنسان .....(٢٥)
الانسان له ظاهر وباطن .....(٢٦)
العالم له ظاهر وباطن .....(٢٧)
باطن الانسان هو الذي يقود ظاهرهُ .....(٢٧)
باطن العالم هو الذي يقود ظاهرهُ .....(٢٨)
لماذا يجب أن يكون الباطن هو الأصل .....(٢٨)
العالم والإنسان شيء واحد .....(٢٩)

الفصل الثاني (٣١- ٥٢)

الحاجة للمعصوم دينياً .....(٣٢)
الحاجة للمعصوم فلسفياً .....(٣٣)
الحاجة للمعصوم علمياً .....(٣٤)
فلسفة الدين .....(٣٥)
فلسفة العلم .....(٣٦)
فلسفة الحياة .....(٣٧)
تعريف العصمة .....(٤٠)
فلسفة العصمة .....(٤١)

لماذا يجب أن يكون القائد معصوماً .....(٤٢)
وجه الحاجة للقائد المعصوم .....(٤٤)
ماذا لو كان القائد غير معصوم ؟ .....(٤٥)
لماذا لا يكون كل الناس معصومون وقادة .....(٤٦)
أقسام العلم .....(٤٨)
عدم إمكانية الخطأ في العلم الحضوري .....(٥٠)
مناهج التعليم تحت ظل القيادة المعصومة .....(٥١)

الفصل الثالث (٥٣-٧٧)

صفات القائد المعصوم وأسماؤه .....(٥٤)
لماذا المهدي .....(٥٧)
من هو الإمام المهدي .....(٥٩)
ما هو البرهان الفلسفي على كونية حركة الإمام المهدي وتأثُر كل الكون بها .....(٦٢)
المهدي (ع) دينياً .....(٦٤)
المهدي (ع) فلسفياً .....(٦٦)
المهدي (ع) علمياً .....(٦٧)
القيمة العلمية والفلسفية والدينية لهذه النظرية ولهذا الكتاب .....(٧٠)
الممكن وغير الممكن .....(٧٤)
المعجزة .....(٧٧)

الفصل الرابع (٧٨-٨٦)

الإنحدار الكوني المُعاصر .....(٧٩)
سُنن التاريخ توجب الإرتقاء .....(٨٢)
الفلسفة توجب الإرتقاء .....(٨٣)
العلم يوجب الإرتقاء .....(٨٤)
الدين يوجب الإرتقاء .....(٨٤)
حتمية الإرتقاء .....(٨٥)

الفصل الخامس (٨٧- ١٣٣)

موعد الظهور .....(٨٨)
معنى الظهور .....(٩٠)
كيفية الظهور .....(٩٢)
المناقشة الاولى .....(٩٢)

الملاحظة الاولى على المناقشة الاولى .....(٩٤)
الملاحظة الثانية على المناقشة الاولى .....(٩٥)
الملاحظة الثالثة على المناقشة الاولى .....(٩٥)
المناقشة الثانية .....(٩٦)
الملاحظة الاولى على المناقشة الثانية .....(٩٧)
الملاحظة الثانية على المناقشة الثانية .....(٩٨)
الملاحظة الثالثة على المناقشة الثانية .....(٩٩)
المناقشة الثالثة .....(١٠١)
الملاحظة الاولى على المناقشة الثالثة .....(١٠٣)
الملاحظة الثانية على المناقشة الثالثة .....(١٠٤)
الملاحظة الثالثة على المناقشة الثالثة .....(١٠٤)
رفع اشتباه .....(١٠٥)
المناقشة الرابعة .....(١٠٦)
العلامات .....(١١٠)
العلامات على ضوء القراءة العامة .....(١١٣)
العلامات على ضوء الموروث الديني .....(١١٥)
لماذا يجب أن تكون هناك علامات ؟ .....(١٢٠)
دلالة العلامات دينياً .....(١٢٢)
الأثر في التوراة .....(١٢٢)
الأثر في الأنجيل .....(١٢٥)
الأثر في القرآن .....(١٢٧)
دلالة العلامات فلسفياً .....(١٣٠)
دلالة العلامات علميـاً .....(١٣٢)

الفصل السادس (١٣٤-١٨٥)

ملامح الدولة العالمية .....(١٣٥)
التطوّر .....(١٣٧)
تطوّر الدولة العالمية على ضوء القراءة العامة .....(١٤٠)
تطوّر الدولة العالمية على ضوء قراءة الموروث الديني .....(١٤٢)
تطور النظام السياسي .....(١٤٧)
تطور النظام الاجتماعي .....(١٤٩)
تطور النظام الكوني .....(١٥٢)
تطور النظام الفكري .....(١٥٤)
تطور النظام الإقتصادي .....(١٥٦)
تطور النظام التعليمي .....(١٥٩)
تطور النظام الصحي .....(١٦٢)

متوسط عمر الانسان في الدولة العالمية .....(١٦٣)
الممارسات الثقافية الأبرز تحت ظل الدولة العالمية .....(١٦٩)
دور الفن .....(١٧١)
التفاضل على أساس الإبداع .....(١٧٦)
اللغة .....(١٧٩)
إنقلاب النظام الكوني العام للوضع الجديد .....(١٨٢)

الفصل السابع (١٨٦-٢٠٣)

بعد رحيل القائد الموعود .....(١٨٧)
بداية النهاية .....(١٨٨)
الإنحدار نحو الهاوية وفق التصوّر الديني .....(١٩٠)
الإنحدار نحو الهاوية وفق التصوّر العلمي .....(١٩٣)
فرضيات النهاية .....(١٩٥)
الفرضية الأولى .....(١٩٦)
الفرضية الثانية .....(١٩٩)
الفرضية الثالثة .....(٢٠١)

الفصل الثامن (٢٠٤ – ٢٢٢)

الساعة والقيامة ويوم الدين .....(٢٠٥)
مدلولات الساعة ومعانيها .....(٢٠٧)
الساعة والنظام الكوني العام .....(٢١٣)
القيامة ويوم الدين .....(٢١٦)
النهاية .....(٢١٨)
الخاتمة .....(٢٢١)

الفهرست .....(٢٢٣)